

العسداء 2005

القاعرة

تفسير القرآن الكريم

الجزء السابع من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



بِنَصِيرِ اللَّهِ النَّهُ وَالرَّهِ عِنْهِ النَّهُ وَالرَّهِ عِنْهِ

المفردات :

قســــيسين ، جمع قِسيس ؛ وهو رئيس ديني مسيحي .

تفيض من اللمع ، أي تمتلئ أعينُهم بالدمع حتى يتدفق من جوانبها ؛ لكثرته .

التفسيره

٨٢ - لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلْدِينَ ءَامَنُواْ اليُّهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ الآية

أسباب النزول ،

تعددت الروايات في سبب نزول هذه الآية ولكنها تلتقي في أن بعض طوائف النصاري ، استمعوا إلى القرآن الكريم فتأثرت به نفوسهم وفاضت أعينهم بالدمع وأعلنوا الإسلام . ويذهب جمهور المقسرين إلى أنها نزلت فى النجاشى ملك الحبشة ومن معه من القسيسين والرهبان ، وجميم الروايات : تدل على أنه أسلم وهو ومن معه .

وكتب السيرة تفيد أن قيصر ملك الروم تلقى دعوة الرسول ﷺ في رفق وأناة . كذلك تلقى المقوقس عظيم القبط بمصر دعوة الرسول ﷺ في مودة ولين وأرسل إلى رسول الله بعض الهدايا .

رأى الطبرى ، ساق الطبرى عدة روايات فى سبب نزول هذه الآيات ، منها ما يفيد أنها نزلت بعد أن أسلم النجاشى ثم عقب الطبرى على الروايات بقوله :

والصواب في ذلك من القول عندى: أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: إنا نصارى ، أنُ نبى الله يجدهم أقرب الناس مودة لأهل الإيمان بالله ورسوله ، ولم يسم لنا أسماءهم ، وقد يجوز أن يكون أريد بذلك : أصحاب النجاشى ، ويجوز أن يكون أريد يذلك : قوم كانوا على شريعة عيسى فأدركهم الإسلام فأسلموا ، لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق ، ولم يستكبروا عنه (1).

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةٌ لَّلَّذِينَ ءَامَتُواْ اليُّهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ ...

أقسم لك يا محمد بأنك عند مخالطتك للناس ودعوتهم إلى الدين الحق ، ستجد أشدهم عداوة لك ولأتباعك فريقين منهم: وهم اليهود والذين أشركوا.

وعدارة المشركين للمسلمين معروفة السبب ؛ فالمشرك لا يوّمن بنالله الواحد المنزه عن النظير والمثيل ، والمؤمن يوّمن بنالله الواحد الخالق الرازق ، فلا عجب أن يحمل المشركون للمسلمين العداء ؛ لاختلاف مناهج الإيمان من الأساس ، واختلاف تصوّر الفريقين للألوهية .

إلى جوار أن مشركى مكة كانوا على جانب من الغنى والجاه والسلطان والجبروت ورأوا أن الإسلام يحدّ من طغيانهم وجبروتهم وما اعتادوه من استعلاء وكبرياء ، وكانوا يرون أن الأغنياء والعظماء أولى بالرسالة والنبوة وقالوا: قَوْلاً ثُرِّلٌ مُلَّا القُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَعَيْرِ عَظِيم. (الزهرف: ٣١).

وقد جاهر كفار مكة بالعداء للإسلام والمسلمين وما زالوا بالمسلمين يعذبونهم ويضطهدونهم حتى أخرجوهم من ديارهم وصادروا أموالهم.

أما اليهود:

فهم أهل كتاب وتوحيد وعقيدة توُمن بالله واليوم الآخر لكنهم في نفس الوقت أهل حقد وحسد وعناد : فقد حقدوا على العرب أن يكون نبيهم من نسل إسماعيل لا من نسل إسحاق . وأُعلنُوا العداء للإسلام ورسوله . وشنوا على الإسلام الحروب الطاغية بقوة السلاح ، أن بالدسائس والموّامرات كما عرف عن اليهود قسوة القلب وتحريف التوراة وقتلهم الأنبياء ، وأكلهم أموال الناس بالباطل والإسراف في التمرد والعصيان .

وقد تعرض الإسلام في مكة لعنت المشركين وحريهم وظلمهم حتى حاولوا قتل الرسول ﷺ أو حبسه أو نفيه فأمره الله بالهجرة إلى المدينة ، وقام اليهود بدور بارز في فتنة المؤمنين وإشاعة الأراجيف ، ويث الفرقة في صفوف المسلمين ومن هذا قال القرآن الكريم .

لَتَجِدَنَّ أَشَدٌ النَّاسِ عَدَاوَةً لَّلَدِينَ ءَامَنُواْ اليَّهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ .

لقد كان اليهود أشد الناس عداء للإسلام فحاريوه بالسلاح والكيد والتآمر.

وإذلك قدمهم القرآن على الذين أشركوا ، وهم كفار مكة ومن سار على نهجهم .

آما الذصارى، فقد سارعت طائفة منهم لاعتناق الإسلام كما أكرم ملك الحبشة المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ، وحاول المشركون أن يوغروا صدره عليهم ولكنه لم يستجب لهم ، وأكرم المسلمين، قال تعالى:

وَلَشِحِدُثُ الْزَيْهُم مُوَّدُةً لِّلْلِينَ وَاسُوا اللَّهِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى . أي : لتجدن يا محمد ، أقرب الناس محبة وجودة لك وللمؤمنين الذين قالوا : إنا نصاري ،

أى: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهج إنجيله فهؤلاء فيهم مودة للإسلام في الجملة ، وفي تلويهم رأفة ورحمة : قال تعالى :

و جَعَلنَا فِي قُلُوبِ اللَّهِينَ اتَّبِعُوهُ رَأَقَهُ وَرَحْمَةٌ وَرَهْبَالِغٌ . (الديد : ٢٧) في كتابهم : من ضريك على خدُّك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ؛ ليس القتال مشروعًا في ملتهم .

ذَلِكَ بَانًا مَهُمْ قِسَّسِنَ وَرُهْبَانًا وَأَلَّهُم لاَ يَسْتَكُورِكَ . فقيهم من يتولى تعليمهم دين المسيح وهم القسس جمع قسيس وقس ، وقد يجمع على قسوس ، ويهذا التعليم والترجيه والتربية ؛ تظل تعاليم السماء ورحى السماء رطبًا في نفوسهم .

وفيهم الرهبان وهم جمع راهب وهو العابد ، مشتق من الرهبة وهى الخوف ، كراكب وركبان، وفارس وفرسان ، ويطلق الرهبان على الواحد وعلى الجمع .

والرهبان هم الزاهدون في الدنيا المتفرغون للعبادة في الصوامع والخرب.

وهذه الفقرة وصفت النصاري بثلاث صفات:

(أ) العلم.

(ب) العبادة .

(ج) التواضع.

فهم لا يتكبرون عن الاستجابة للحق والاستماع إليه ، والبكاء عند سماع القرآن ، والدخول في دين الإسلام .

٨٣ - وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنْزِل إِلَى الرَّسُول ِ تَرَى أَعْيَنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ... الآية .

هذه الآية استمرار في وصف النَّصاري واستجابتهم للإيمان ؛ قيل : نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب سورة مريم .

قال: فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة .

وقال السهيلي : هم وفد نجران ، وكانوا نصارى ، فلما سمعوا القرآن من النبي ﷺ بكوا مما عرفوا من الحق وآمنوا ، وكانوا عشرين رجلاً ، وكان قدومهم على الرسول ﷺ بمكة .

وأما الذين قدموا عليه بالمدينة من النصاري من عند النجاشي فهم آخرون وفيهم نزل صدر سورة آل عمران .

مِمًّا عَرَقُواْ مِنَ الْحَقِّ. أي : مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ .فبكاؤهم من أجل الفرح والاهتداء إلى دين الإسلام المق .

يُعُولُونَ رَبَّنَا وَامْنَا فَاكْبُنَا مَعُ الشَّاهِدِينَ . لقد قابلوا معرفة الإسلام واستماع القرآن بالبكاء والتأثر حتى إذا اطمأنت نفوسهم ! أعلنوا إسلامهم وقالوا : ربنا آمنا بنبيك محمد ورسالته فتقبل منا .

فَاكْتُبُنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . أي : مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به .

عن ابن عباس في قوله: فَاكْتَبَا مُعَ الشَّاهِدِينَ . أي: مع محمد ﷺ وأمته هم الشاهدون ، يشهدون لنبيهم ﷺ أنه قد بلغ ، وللرُّسل أنهم قد بلغوا .

وقال أبو على : فَاكْبُنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك .

٨٤ - وَمَا لَنَا لا تُونمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنا رَبُّنَا مَعَ القَوْم الصَّالِحِينَ.

والمعنى أيُّ شيء يمنعنا من الإيمان بالله وكل ما حولنا يوحى إلينا بالإيمان فلماذا لا نؤمن بالله ونصدق بما جاءنا من الحق بعد ما تبين لنا صدق الرسول صلى الله وصحة رسالته ؟!. أى: لا شيء يصرفنا عن ذلك ، وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله تعالى : وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُونِّمِنْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزِلَ إِلْكُمْ هَمَا أَنزِلَ إِلْكِيمِ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ... الآية . (ال عمران : ١٩٩) وهم الذين قال الله فيهم : وَإِذَا يُغْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنًا بِهِ إِنَّهُ الْحَقِّ مِن رَبِّنا إِنَّا كُتَّ مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (القصمى: ٥٣).

٨٥ – فَالْنَابُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهُا الأَنْهَارُ خَالِمِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء المُحْسِينَ. لقد أحسنوا الاستماع وأحسنوا الإدراك، وأحسنوا الإيمان، وأحسنوا القول، وساروا في طريق العمل الصالح.

فجازاهم الله وكافأهم ، وأسعدهم بما أعد لهم من جنات ، تجرى الأنهار من تحت قصورها وأشجارها تحالِدين فِها أى : ماكلين فيها أبدًا لا يحولون ولا يزولون . وَذَلِكُ جَزَاءُ الْمُحْسِينَ . أى : في اتباعهم الحق وانقيادهم له ، حيث كان وأين كان ومع من كان .

وهذا الجزاء الحسن يعم كلُّ من أحسن إحسانهم . قال تعالى : هَلَ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ · (الرحدن : ٢٠)

٨٦ -ــ وَالَّذِينَ كَفُرواً وَكُنَّبُوا بِآيَاتِنَا أَوْلِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيم . أى : الذين لا يفتحون قلوبهم للحق ، ولا يؤمذون بأنه من عند الله ؛ فلهم جزاء آخر يليق بهم .

وفي التفسير الوسيط.

المعنى: والذين كفروا - من اليهود والنصارى والمشركين ومن لا دين لهم ، ودأبوا على التكذيب عنادًا واستكبارًا، بعدما وضع الحق ، وقامت الأدلة على صدق الرسول محمد ﷺ ، أُرْقِكُ أَمْحَابُ الْجَحْمِي . أَى: هم أهلها والداخلون فيها .

في أعقاب الآيات:

نلمح من الآيات أن المراد بها فئة من النصاري آمنت برسول الله ﷺ واستجابت لدعوة الإيمان في قولها وسلوكها.

وهناك فئات أخرى جحدت رسالة محمد ﷺ وبيتت له الكيد والحقد والمغاد ، والكفر والتكذيب فليس هؤلاء بأقرب الناس مودة للذين أمنوا إنما هم حرب عليهم في تاريخهم القديم والحديث .

ولقد شهد المسلمون من فظائع الصليبيين ما شهدوا فى الشرق ، وشهدوا منهم فى الأندلس ما تقشعر لهوله الأبدان ، ولا يزال الحقد الصليبي يظهر تحت ستار الآيات الشيطانية وغيرها ، مما يجعل المسلمين على حذر فأهل الكتاب ثلاثة أصناف كما سبق أن ذكرنا ، ١ - صنف يظهر الولاء للإسلام والمسلمين وهؤلاء لا حرج علينا في إحسان معاملتهم ويرهم
 وإكرامهم.

٢ - صنف يبحث عن عورات المسلمين ومثالبهم وهؤلاء يحرم علينا موالاتهم.

٣ - صنف على الحياد وهؤلاء لا بأس من معاملتهم مع الحيطة والحذر.

* * *

﴿ يَكَانُهُمُ الَّذِينَ ۚ مَمُوالَا شُحَرِّ مُواطَيِّبَتِ مَالْحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَاتَمْ ـَتَدُواً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِيثُ الْمُمْتَذِينَ ۞ وَكُلُوا مِمَّا رَزَفَكُمُ اللهُ حَلَلًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّـقُوا اللَّهُ الَّذِي ٱلتَّم يِهِ. مُؤْمِنُونَ ۞﴾

التفسيره

٨٧ – يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُعَرِّمُوا طَبْبَاتِ مَا أَحَلَّ لَكُمْ وَا تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُسِحِبُ الْمُعْتَدِينَ .

والمعنى يا أيها الذين آمنوا إيمانا حقًا ، لا تحرموا على أنفسكم شيئًا من الطيبات التى أحلها الله لكم فإنه سبحانه ما أحلها لكم إلا لما فيها من منافع وفوائد تعينكم على شئون دينكم ودنياكم .

ولا تتجاوزوا حدود الله بالإسراف أو بالتقتير أو بثناول ما حرمه عليكم ، فإنه سبحانه لا يحب الذين يتجاوزون حدود شريعته وسنن فطرته وهدى نبيه ﷺ .

٨٨ – وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً ظَيِّا. أي تمتعوا بأنواع الرزق الحلال من أكل وشرب ولمباس ، وغير ذلك من الطيبات وخص الأكل بالذكر لأنه معظم مقاصد الرزق .

وَاتْشُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتِم بِهِ مُؤْمِّونَ . أي لجعلوا أنفسكم في وقاية من غضب الله الذي آمنتم به فلا تتجاوزوا ما شرعه الله لكم .

وعن الحسن البصرى رضى الله عنه أن الله أدب عباده فأحسن أدبهم فقال : لِبُنْفِقْ ذُو سَعَهُ مُن سَعَهِ . (الطلاق: ٧) . ما عاب الله قومًا وسَّع عليهم الدنيا فتنعموا بها وأطاعوا ، ولا عذر قومًا زواُها عنهم فعصوه .

وتُمثل هاتان الآياتان مع غيرهما من هدى القرآن والسنّه منهج الإسلام الوسط فهو لم يحرم الطيبات وإنما حرم الإسراف واتباع الشهوات . وقد كان عليه الصلاة والسلام نموتجاً عملياً في ذلك فهو يأكل ما يجده أكل اللحم بالثريد وبثرب اللبن ، وإلماء الصافى وكان يأكل الخشن من الطعام ويصوم ويجوع ويطوى ، ويتمتع بالنعمة ويصهر مع الشدة ، ويعلم أممحابه فن حب الحياة وشكر نعم الله ، والبعد عن تحريم الحلال .

1170

قال القرطى: قال علماؤنا: في هذه الآية وما شابهها من الأحاديث الواردة في معناها ، ردُّ على غُلاة المتزهدين وعلى أهل البطالة من المتصوفين إذ كل فريق منهم قد عدل عن طريقه وحاد عن تحقيقه .

قال الطرى: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء على نفسه مما أحل الله لعباده المؤمنين من طيبات المطاعم والملابس والمناكح ولذلك ردّ النبي ﷺ التبتل على ابن مظعون ، فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أهله الله لعباده ، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب عباده إليه وعمل به رسول الله ﷺ وسنّة لأمته واتبعه على مناهجه الأثمة الراشدون .

إن التفاضل بين المرّمنين يكون باستفامة النفس وسلامة العبادة وكثرة إيصال النفع للناس.. ولا يكون بالانقطاع عن الدنيا وتعريم طيباتها التي أحلها الله تعالى .

وقد ورد في القرآن والسنة ما يؤيد وسطية الإسلام قال تعالى : يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَاشُوا كُلُوا مِن طَيَّاتِ مَا رَزُقَاكُمْ وَاشْكُرُوا لَلَّهِ إِنْ كُتُمْ يَالُهُ تَهُدُونَ . (ابدرة : ۱۷۷) .

وقال عن شأنه ؛ يَمَانِينَ آدَمَ خُدُوا (بِيَنتكُمْ عِندَ كُلَّ مُسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُجِبُّ المُسْرِفِينَ. (الأعراف: ٣٧) .

وأورد المافظ ابن كثير طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة في معنى هذه الآيات منها ما يأتي:

— روى الشيخان عن عائشة أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرّ فقال بعضهم لا آكل اللحم ، وقال بعضهم لا آخروج النساء ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : «ما بال أقوام يقول أحدهم كذا ، وكذا . لكني أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتروج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ".

- وعن ابن عباس : أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله إنى إذا أكلت من هذا اللحم
 انتشرت للنساء ، وإنى حرمت على اللحم فنزات :

يَاتُّهَا الَّذِينَ وَامَّنُواْ لاَ تُحَرِّمُوا طَلِّيهَات مَا أَحَلُّ لَكُمْ. "

وروى سفيان الثورى عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نغزى مع النبى في الشوب إلى أجل شم فقلنا ألا نستخصى ، فنهانا رسول الله في عن ذلك ، ورخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبد الله . يأيّها الدّين ءَاسُوا لا تُحرّمُوا طَيّباتِ مَا أَخَلُ لَكُمْ (اللّه يا قيد كان قبل تحريم نكاح المتعة ، وهذا كان قبل تحريم نكاح المتعة ، والله أعلم .

* * *

﴿ لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ يَا لَلْغُوفِ آَيَمَنِكُمْ وَلَكِن يُوَاخِذُكُم بِمَاعَقَدَتُمُ ٱلْأَيْمَانُ فَكَفَّرْوَهُمُّ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَكِمِنَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعِمُونَ آهْلِيكُمْ أَوْكِسُوثُهُمْ أَوْتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّذَكِذِكَ يُنِيَّ اللَّهُ لَكُمْ مَا لَنَفَةِ أَيَّا هُمِ ذَلِكَ كَفَّرَةُ أَيْمَنِيكُمْ إِذَا حَلَقْتُمْ وَٱحْفَظُواْ أَيْمَنَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ مَا لِمَتِهِ لِمَلَّكُونَ شَكُرُونَ ﴿ ﴾

المقردات :

بِــالــالــقــو؛ اللغو في اليمين: الملف من غير قصد القُسَم.

بها صفدتم الأبهان؛ أصل العقد: نقيض الحل. فَعَقْد الأَيمان وتعقيدها: توكيدها بالقصد والتصميم. فك خفارتك ؛ أصل الكفارة من الكفّر، وهو: الستر والتغطية، ثم صارت - في اصطلاح الشرع - اسمًا لأعمال تكفّر - أي تممو - بعض الذفوب.

من أوسط ما تطعمون أهليكم؛ الأوسط؛ المعتدل من كل شيء . والعراد هنا : الأغلب من الطعام ، الذي هو وسط بين الدُّعلى الذي يُتَعَشَّفُ به ، وبين الأُعلى الذي يُتَعَشَّفُ به ، وبين الأُعلى الذي يُتوسَّع به .

أو تعريب رقبة ، أي إعتناق رقيق سلوك له .

تمهيد في : أنواع الأيمان :

تنقسم الأيمان إلى خلاشة أقسام ،

يمين اللغو: وهو ما يسبق إليه اللسان بالملِف بدون قصد مثـل قـوله: لا والله، ويلى والله، أو من حلف على شيء يعتقد أنه صادق فيه، وكان الأمر بخـلافه، كمن حلف أنه ليس معه نقـود أو قلم، ثم تبين وجود نقود أو قلم في جيبه، بدون أن يعلم بوجوده.

أما اليمين المنعقدة: فهى الحلف على شيء أن يفعله أن لا يفعله عاقدًا العزم مؤكدًا النية على ذلك فإذا حنث في هذا اليمين فتلزمه الكفارة وهو مخير في هذه الكفارة بين ثلاثة أشياء.

- إطعام عشرة مساكين يغدّيهم ويعيشهم ، أو يعطى لكل مسكين نصف صماع من قمح أو صاعًا من شعير .
 - ٢ إعطاء كل مسكين ثوبا يستره ويصلح للصلاة فيه.
 - ٣ إعتاق رقبة .

قال في البحر المحيط: وأجمع العلماء على أن الحانث مخير بين الإطعام والكسوة والعتق.

فإذا عجز المسلم عن أداء أى واحد من الثلاثة المذكورة فكفارة اليمين له صيام ثلاثة أيام واشترط الأحناف والمنابلة التتابم في الأيام .

وقال الشافعي ومالك: لا يجب التتابع ، واختار الطبري أنه كيفما صامهن مقرقة أو متتابعة أجزأه.

٨٩ – لا يَوْاَخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّهِ فِي أَيْمَائِكُمْ ... الآية يسر الله التشريع والأحكام فقال تعالى : مَا يُرِيدُ اللَّهَ لِيَحْمَلُ عَلَيْكُم بِن حَرِّج. ومن هذا التيسير أنَّه وفع عن هذه الأمة ما حَدثت به نفسها ، ورفع عنها إنم ما سبق إليه اللسان ، بدون قصد من القلب ، كقول الصالف لا وإلله وبلى والله .

كما سامح المؤمن في الحلف على شيء أنه فعله أو لم يفعله معتقداً صدق ذلك ثم تبين أن الأمر بخلافة. يسمى ذلك اليمين اللقو وهي يمين نرجوا أن يسامعنا الله قيها.

وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدتُمُ الأَيَّمَانَ . أي ولكن يؤاخذكم بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية إذا حنثتم.

فَكُفَّارُتُهُ إِظْهَامُ عَشُرةٍ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْهِمُونَ أَهلِيكُمْ . أَى كفارة اليمين عند الحنث أن تطعموا عشرة مساكين من الطعام الوسط الذي تطعمون منه أهليكم .

جاء في فتح القدير للشو كاني:

المراد بالوسط هذا : المتوسط بين طرفى الإسراف والتقتير ، وليس المراد به الأعلى كما فى غير هذا الموضح : أى أطعموهم من المتوسط مما تعتادون إطعام أهليكم منه ، ولا يجب عليكم أن تطعموهم من أعلاه ، ولا يجوز لكم أن تطعمومهم من أدناه ، وظاهره أنه يجزئ إطعام عشرة حتى يشبعوا .

وقد روى عن على أنه قال: لا يجزئ إطعام العشرة غداء دون عشاء حتى يغدّيهم ويعشيهم ، قال أبو عمرو: هو قول أئمة الفقوى بالأمصار.

وقال الحسن البصرى وابن سيرين : يكفيه أن يُطعم عشرة مساكين أكلة واحدة هبرًا وسمنًا أو خبرًا واحمًا . وقال عمر بن الخطاب وعائشة ومجاهد والشعبى وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعى وميمون بن مهران وأبو مالك والضحاك والحكم ومكحول وأبو قلابة ومقاتل : يدفع إلى كل واحد من العشرة نصف صاع من برّ أو تمر.

وقال أبو حنيفة نصف صاع بر، وصاع مما عداه.

(أَوْ كِسُوتُهُمْ) أي كسوة المساكين لكل مسكين ثوبٌ يستر البدن .

(أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) أي إعتاق عبد معلوك لوجه الله .

(فَمَن لَّمْ يَعِدْ فَعَجِامُ فَلاَثَةِ أَنَامٍ) أي فمن لم يجد شيئًا من الأمور المذكورة فكفارته صيام ثلاثة أيام. (ذَلك كُفَّرة أَيْسَكُم إذَا حَلْقُتُما أي ذلك المذكور كفارة أيمانكم إذا حلفتم وحنثتم.

(وَأَخْفَظُوا أَيْمَانُكُمُ) أي احفظوها من الابتذال ولا تسارعوا إلى الحلف، وإذا حناتم فلا تتركوها بغير تكفير.

(كَلَلِكَ يَبِينَ اللهُ لَكُمْ وَاللَّهِ لَعُلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي مثل ذلك التهيين يبين الله لكم الأحكام الشرعية ويوضعها لتشكروه على هدايته وتوفيقه لكم .

* * *

في أعقاب الآية :

أخرج ابن جرير الطبرى عن ابن عباس قال:

لما نزلت: يَأَيُّهَا اللَّهِنَ وَامْتُواْ لاَ تَحُرُمُوا طَيُّاتِ مَا أَحُلُّ لَكُمْ. في القوم الذين كانوا حرَّموا على أنفسهم اللمم والنساء، قالوا: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا اللتي حلفنا عليها؟ فأنزل الله: لا يُؤَاخِدُكُمُ اللَّهِ اللَّهِ فِي أَيْمَائِكُمْ.

اللفردات :

الخمسسوا هي كل ما خامر العقل وغيبه.

الميســـد، القمار.

الأنصى أب الأصنام المنصوبة جمع نُصب.

والأزلام ، هي قداح أي قطع رقيقة من الخشب على هيئة السهام ، كانوا يستقسمون بها في الجاهلية لأجل التفاؤل أو التشارم .

رجــــهن، قسدر.

السيسقفساء؛ البغض.

ويصسمه عن أي: ويمنعكم يقال صدُّه يصدُّه منعه عن أمر.

هيما طعمواء أي: فيما تناولوا قبل التحريم.

تەھىد :

عرف العرب الفمر ومدحوها فى أشعارهم وتحدثوا عن أسباب شربها فهى تواد فيهم الشجاعة والجرأة وتنسيهم آلام الفقر على حدّ قول الشاعر :

فسإذا سكرت فرانضى ربّ الفورنصق والسدوسسر وإذا صدون فرانضى رب الشهويسة والصعور

وقد كان الشارع حكيما في التدرج في التشريع فقد حرم الخمر بالتدريج، كما حرم الزنا بالتدريج.

تقول عائشة رضى الله عنها: (لو نزل أول ما نزل لا تشريوا الخمر لقال الناس: لا ننرك الخمر أبداً، ولو نزل أول ما نزل لا تقربوا الزنا لقال الناس: لا نترك الزنا أبدا، وإنما نزل أول ما نزل آيات تدعوا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر حتى إذا استقر الإيمان في القلوب حرّم الله الخمر وحرم الزنا) (4).

لقد نزلت آيات في مكة تمدّر من الزنا ولم تشرّع عقوية للزناة بمكة ، ففي سورة الغرقان مدح الله عباد الرحمن بصفات متعددة منها بعدهم عن الزنا ، وفي سورة الإسراء وهي من أواخر ما نزل بمكة يقول الله تعالى : وُلاَ تَقْرَبُو الزُّنِي إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَهُ وَسَاءَ سَبِيلاً. وفي سورة النور التي نزلت في أعقاب غزرة بني المصطلق حوالي سنة ٦ للهجرة أنزل الله تحريم الزنا وشرع عقوية رادعة له واعتبر الزنا جريمة جنائية يجب على شُرطة الدول وإدارتها معاقبة الزناة وإقامة الحدّ عليهم بشروط معينة .

وكذلك تحريم الحمر مرّ بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى: بيان أن ضرر الغمر أكثر من نفعه ، والمعروف أن ما كثر ضرره وجب تركه.

قال تعالى : يَسَأَلُونَكَ عَنِ الْحَمِو والْمَيسِ قُلُ فِيْهَمَا إِثْمٌ كَبِيرٍ وَمَنَافِحَ لِلنَّاسِ وإِلْمَهُمَا أَكِيرُ مِنْ لَفُهِهِمَا . فقدك الفمر يعض الناس ، ولم يتركها الجميع .

ثم قال تعالى: لا تَطَرَبُوا السُّلَاقَ وَالتُمْ سُكَارَى فقرك الشمر بعض الناس ، وبشريها بعضهم في غير أوقات الصلاة .

ثم حرم الله تعالى الخمر تحريدًا قاطعًا مبينًا مفاسدها وآثامها . محذرًا من إفسادها لدين المسلم وقواه العقلية لما وردت أجاديث كثيرة بروايات متعددة فى تحريم الخمر وتحريم صنعها ، والاتصال بها على أى تحو من الأنحاء .

حتى قال العلماء: ثبت عن النبي ﷺ تحريم الخمر بأخبار بلغ بمجموعها رتبة التواتر، وأجمعت الأمة من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا على تحريمها ويذلك استقرت الحرمة حكمًا للخمر في الإسلام، وصارت حرمتها من المعلوم من الدين بالضرورة (٣٠).

التفسيره

* ٩- يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا أَخَمْرُ وَٱلْمَيْسِ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مّنْ عَمَلِ الشّيطان فَاجْتَنِيُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ.

أكد الله سبحانه وتعالى تحريم الخمر بأساليب متعددة نظرًا لأن مدمن الخمر يصعب عليه المتخلص منها لما تتركه من آثار كيميائية ولها تأثير على الأعصاب والمخ والدم ، كما أنها سبب في كثير من الأمراض والمدمن إما أن يفقد منزلته أو يفقد انزانه . قال الرخشرى في تفسير الكشاف: (أكد تمريم المعبر والميسر وجوها من التأكيد ، منها: تصدير الجملة ، بإنّما ، ومنها: أنه قرنهما بعبادة الأصنام ، ومنها قوله ﷺ: (شارب المعمر كعابد الوثن) ومنها: أنه جعلهما رجسًا ، كما قال: (فاجتنبوا الرجس من الأوقان) ومنها: أنه جعلهما من عمل الشيطان ، والشيطان لا يأتي منه إلا الشرّ البحت ، ومنها: أنه أمر بالاجتناب ومنها: أنه جعل الاجتناب من الفلاح ، وإذا كان الاجتناب فلاحًا كان الارتكاب خيبة ومعصية ، ومنها: أنه نكر ما ينتج منهما من الويال، وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصماب الكمر والقمار، وما يؤديان إليه من للصدّ عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة ، انتهى.

وهذه الآية الكريمة بينت مضار الفمر ، (وَالْمُسِّرُ) وهو القمار (وَالْأَنمُابُ) وهي الأصنام المنصُوية للعبادة (وَالأَزْلاَمُ) وهي الأقدام التي كانت عند سدنة البيت وخدام الأصنام .

قال ابن عباس ومجاهد : الأنصاب حجارة كانوا ينبحون قرابيتهم عندها ، والأزلام : قداح كانوا يستقسمون بها .

ذكر سبحانه أن هذه الأربعة – الشمر والميسر والأنصاب والأزلام (رجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَان) أي قذر ونجس تعافه العقول وخبيث مستقدر من تزيين الشيطان. (فَاجْسُرُو فَلَكُمْ تُفْلِحُونَ).

أي ابتعدوا عنه وكونوا في جانب آخر بعيدين عن هذه القاذورات لتفوزوا بالثواب العظيم.

٩١- إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيَعَانُ أَن يُوقعَ بَيْتَكُمُ الْعَنَاوَةَ وَالْبُغَضَاءَ فِي الْغَمْرِ وَالْمَيْرِ ... الآية. أى ما يريد الشيطان بهذه الرذائل إلا أيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين في شربهم الخمر. ولعبهم بالقمار ويَمدُّكُمُ مَن ذِكْرِ اللهُ وَعَن الصَلاَة الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم، وعن الصلاة الذي به صلاح دنياكم .

قال أبو حيان: ذكر الله تعالى فى الخمر والميسر مفسدتين إحداهما دنيوية والأخرى دينية ، فأما الدنيوية فإن الخمر تثير الشرور والأحقاد وتثول بشاريها إلى التقاطع ، وأما الميسر فإن الرجل لا يزال يقامر حتى يبقى سليبًا لا شيء له ، وينتهى إلى أن يقامر على أهله وولده ، وأما الدينية فالخمر لغلبة السرور والطرب بها تلهى عن ذكر الله وعن المملاة ، والميسر – سواء كان غالبًا أو مغلوبًا – يلهى عن ذكر الله "

فَهَلَ أَتُمُ مُتَهُونَ . وهذا الاستفهام من أشد أساليب النهى عن الخمر والميسر ، ولذلك قال عمر عندما سمعها انتهيذا ربنا انتهيذا . قال أبو حيان في البحر اغيط: : وهذا الاستفهام من أبلغ ما ينهي به كأنه قيل : قد تلى عليكم ما فيهما من المفاسد التي توجب الانتهاء فهل أنتم منتهون أم باقون على حالكم ؟

في أعقاب الآية :

وردت الأحاديث الصحيحة في تجريم الخمر ومن ذلك ما يأتي :

روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله على قال: «ياأيها الناس إن الله يبغض الخمر، ولعل الله سينزل فيها أمرًا، فمن كان عنده شيء منها فليبعه، ولينتفع به» وما لبثوا إلا يسيرًا حتى قال الله الله الله المحرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية يريد (إنّما أَخْمَرُ وَأَلْسِ) وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبع، فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكرها» (٥٠.

- وروى أحمد ومسلم والنسائي ما يأتي :

لقى النبي ﷺ رجلاً يوم الفتح براوية من خمر فقال له أما علمت أن الله حرمها ؟

فأقبل الرجل على غلامه وقال له اذهب فيعها فقال له الرسول 義義 إن الذي حرم شريها حرم بيعها فأمر بها فأفرغت في البطعاء (١٠).

ومن هذه الأحاديث وغيرها تقررت حرمة الانتفاع بالغمر على أي نحو من الأنحاء ، فيحرم أن تدخل في الطعام بأيّ قدر كان ، ويحرم أن يصفف بها الشعر ، كما تفعله بعض السيدات ، ويحرم تقديمها في موائد المسلمين مجاملة لغير المسلمين .

المخدرات،

أنّ الغمر هي كل ما أسكر كما ورد . «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» (١٠٠ ـ

إن بعض المغدرات أشد فتكاً بصحة الإنسان من الخمر. ولذلك أجمع فقهاء الإسلام على حرمة المخدرات وقرروا أن استحلالها كاستحلال الخمر وجاء في كتبهم (ويحرم أكل البنج والحشيش والأفيون لأنها مفسدة للعقل، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويجب تعزير آكلها بما يردعه).

وقال ابن تيمية (إنَّ فيها من المفاسد ما ليس في الخمر فهي أولى بنالتحريم ، ومن استحلها ، وزعم أنها حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل مرتدا ولا يصلّي عليه، ولايدفن في مقابر المسلمين).

وقال ابن القيم: «يدخل في الغمر كل مسكر، ماتعا كان أو جامدًا، عمبيرًا أو مطبوحًا، واللقمة الملعونة، لقمة الفسق والفجور التي تحرك القلب الساكن إلى أخبث الأماكن» ويعني باللقمة الملعونة (الحشيشة) هذه اللقمة وغيرها من المحدرات تذهب بنخوة الرجال. وبالمعاني الفاضلة في الإنسان وتجعله غير وفيّ إذا عاهد ، وغير أمين إذا ارّتمن ، وغير صادق إذا حدَّث ، تميت فيه الشعور بالمسئولية ، والشعور بالكرامة .

وثيت طبيًّا أن للمُخدرات الحديثة كالكركايين والهروين والأقراص المسنَّمة آثارًا قوية على المخ وسائر ملكات الإنسان ، بل فيها قتل معنوى ، وسحق للقيم وهي تُشْيتُ بننا الأعداء ، وتُحزن الأصدقاء .

ويمكن التغلب عليها بالإيمان واليقين الصادق بالله وباليوم الآخر، ويقوة العزيمة، ومعونة الأطباء والعلماء.

يجب أن يقوم البيت بواجبه في رعاية الفتيان والفتيات ، ويجب أن تقوم وسائل الإعلام بالتوعية المقيقية، وأن ينهض المسجد والمدرسة والأجهزة المعنية برعاية المدمنين وتوجيههم ، والأهذ بيدهم إلى الشفاء ، يجب تحذير الجميع من هذه المصدرات ومن تناولها مطلقاً فإن المرة الأولى يمكن أن تجرّ صاحبها إلى الإدمان ، وإلى العجز التام عن العودة إلى الجادة والاستقامة ، ولقد سبق القرآن إلى تحريم الخمر ، وهي كلّ ما خامر العقل وستره سواء أكان غمراً ، أم أي صنف من المخدرات وجب علينا جميمًا أن نستجبب لأمر الله ففيه الحياة الطقيقية قال تعالى : يُالبَّهَا اللَّهِينَ وَامْثِوا أَسْتَجِيرُا لِللَّمَ وَللَّمِينَ اللَّهِينَ وَامْثُوا أَسْتَجِيرًا لِلَّهُ وَللَّ سول إِذَّا دَعَاكُمْ إِلْمَا يُحْسِكُم . (الاندال : ٤٢). وقال سبحانه : يُعرِلَ لَهُم الطَّيَاتِ ويُحْرَهُ عَلِهِمُ أَخَرُاتُهُ. (الأعمل : «البرّ ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع علمه الناس» (١٠)

ولم تظهر هذه المضدرات في حياة الرسل ﷺ وإنما ظهرت مع سقوط بغداد في يد التتار سنة ٢٥٦ هـ ، وأفتى العلماء بتحريمها لأنها تفسد العقل وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، بل هي أشدٌ فتكًا بالجسم والعقل من الخمر .

وقد جاء الإسلام ليحافظ على العقول ، وجعل العقل واللب والفؤاد والقلب أسمى أدوات الفطاب وأوجب علينا التفكُّر والتدبر ، وحرم الغفلة والضياع . قال تعالى : وَلاَ نَلْقُوا اَبَّائِسْكُمْ إِلَىٰ الْهَبُلُكُمُ . (البقرة: ١٩٥) وقال سبحانه : وَلاَ تَشُاوا أَلْفُسِكُمُ (النساء: ٢٩) .

وروى ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر وشاريها ، وساقيها ويائعها ، ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها ، وآكل ثمنها ، وحاملها والمحمولة إليه» (١٠٠) .

المخدرات وبهاء فتاك :

إن مما يدعو للحزن والأسف أن يتهافت الشباب على هذه المخدرات ويدعى أن تحريمها لم يذكر في القرآن الكريم وهذه المخدرات قتل معنوى للإنسان خصوصًا الهروين والكوكابين ففي الشمّة الأولى يفقد المنح ٣٣ ٪ من مقوماته ، وفي الشمة الثانية يفقد المنع ٢٦ ٪ من مقوماته وفي الشمة الثالثة يفقد المنح ٩٩ ٪ من مقوماته ويصبح المدن ألة في يد الإدمان ، وهذا قتل وتدمير لكرامة الإنسان قال تعالى : وَلَقَد كُرْمَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلنَاهُم فِي الْهِ وَالْجُو ِ وَرَفَقَاهُم مِنَ الْقَيلَامُ عَلَى كَثِيرٍ مُمِّنْ عَلَقَا لَفَضِيلاً (الإسراء - ٧٠. وفي القرآن الكريم : وَلاَ تَلْقُوا الْمُنْلِكُم إِنْ اللَّهِلُكَة . (البقرة : ١٩٥٠).

إن هذه المحدرات ملاك لجيل من الشباب والفتيان والفتيات ، وعدوان على مستقبل الأمّة ، وامتهان لكرامة الوطن والمواطن ، لأن المدمن لا يستطيع أن يضبط عمله ولا أن يصون نفسه ، ولا أن يدافع عن وطنه وفي الحديث الشريف «البرُّ ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلم عليه الناس» (١٠) .

إذا لبت أن المخدرات ضارة بالصحة وبالعقل والتفكير وجب الابتعاد عنها تماماً كما أمر الله بالابتعاد عن الغمر لأنها تستر العقل ، والمخدرات تستر العقل وتفسد المح فهى أشد ضررًا من الغمر، وكل ما ثبت ضرره وجب تركه من أصول الذين «لا ضرر ولا ضرار» (^(۱) فترك الضرر واجب شرعًا ، والإقلاع عن المخدرات واجتنابها نهائيًا واجب شرعًا ، ومقصد من مقاصد الشريعة حفاظًا على أنفسنا وعلى أمتنا قال تعالى:

وَلا تَقَتُّلُوا أَنْفُسَكُم ... (النساء: ٢٩).

من وسائل العلاج:

إن الابتعاد عن المخدرات لايكنى معه الكلام أن النميح بل يحتاج إلى خطة متكاملة حتى يصبح البعد عن الإدمان سلوكًا عامًا.

وهذا السلوك يحتاج إلى تكاتف المفتصين بالأمر من أطباء المسعة وعلماء النفس والتربية والاجتماع والإعلام والصحافة وخبراء التربية الإسلامية ، والدينية .

إن قيام المسجد والكنيسة وسائر دور العبادة بالدُور المطلوب منها ، وبالواجب المنوط بها ، سيؤدي إلى استقرار حكم التحريم لهذه المخدرات ، ومن الواجب أن تتسع صدورنا لمناقشة المدمن ، وتشجيعه على الاعتراف والحديث : فهو مريض يحتاج إلى العلاج ، قبل أن يحتاج إلى الفترى ومن العلاج أن نحترم إنسانيته وأن نفتح أمامه باب التوية والأمل ، جتى يتغلب على اليأس والإحباط .

كما ينبغى للأسرة أن تتقبل المدمن ، وأن تتكاتف فى رعايته حتى يقلع عن الإدمان . ويجب العناية بدو الاستشفاء والعلاج من الإدمان ، وتزويد هذه الدور بالمتخصصين ، لأنها استثمار حقيقي للإنسان وقد خلق الله الكرن كله من أجل الإنسان ، وسخر له الشمس والقمر والليل والنهار ، والسماء والأرض ، واستخلف الإنسان في عمارة الكون ، وإصلاح العياة ، والمرّمن الصالح أهل للخلافة في هذه الأرض ، ولا صلاح إلا بالاستقامة والجدّ والعمل والأمل .

قال تعالى : إنَّ اللَّذِينَ عَامَتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ تُضيعَ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمْلاً ... (الكيف: ٣٠).

قال تعالى : وَلَقَدْ كُتَبَّنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذُّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادى الصَّالِحُونَ . (الأنبياء : ١٠٥) .

٢ ٩- وَٱطِيعُوا اللَّهَ وَٱطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْلَرُوا ... الآية .

هذا أمر من الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وتحذير من مخالفة اللهومخالفة رسوله وقريب من ذلك قوله تعالى: مُن يُطع الرُّسُولُ فَقَد أَعَاعَ اللَّهَ وَمَن تَولَّى فَعَا أَرسَنَاكَ عَلَيْهِم خَيْهِنَّا. (انساء: ٨٠٠)

وفى الآية ترغيب فى طاعة الله عزوجل وطاعة رسوله وتحذير من المضالفة فمن خالف رسول الله وأعرض عن هدى السماء فإنه لا يخالف المُرسَل وإنما يضالف المرسِل ، وهو ﷺ ليس مسيطرًا ، ولا مكلفًا بالهداية قال تعالى : إن عَلِكُ إلا البُلاغ . (الشرين : ١٤٨).

وقال سبحانه : فَلَكِّر إِنَّمَا أَنتَ مُلَكِّرٌ نَّستَ عَلَيْهِم بِمُصَطِرٍ . (الفاشية: ٢١ ، ٢٢) .

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنا البَالَاغُ الَّبِينُ .

قال الشوكاني في فتح القدير : أي فإن أعرضتم عن الامتثال فقد فعل الرسول ما هو الواجب عليه من البلاغ الذي فيه رشادكم وصلاحكم ، ولم تضروا بالمضالفة إلا أنفسكم ، وفي هذا من الزجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه .

قَالِ الْنسفي :

أى: فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلُّف إلا البلاغ المبين بالآيات، وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه.

٩٣ - لَيْسَ عَلَى الَّهِينَ وَامْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُومَ إِذَا مَا القَوَا وُءَاشُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتقَوْا وَءامَنُوا كُمَّ القَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُعِبُّ الْمُعْسِينِ .

سبب التزول :

لما نزل تحريم الفعر قال قوم من الصحابة: كيف بمن مات منا وهو يشربها، ويأكل العيسر، وماتوا وهي في بطونهم فكان الجراب أنهم ماتوا قبل تحريمها ، فلم يكن عليهم في شربها إثم وكانوا أتقياء .

قال القرطبي:

وهذه الآية نظير سؤالهم عمن مـات إلــي القبلة الأولــي فنزلت ومَا كَانَّ اللَّهُ لِيُعْضِعُ إِيَّانَكُم ... الآية (البقرة : ٤٢).

والمعنى : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ عَامَنُوا وَعَبِلُوا الصَّالِخَاتِ جُنَاحٌ) أى إثم أو عقوية (فِيمَا طُعِمُوآ) أى فيما تناولوه من طعام أو شراب قبل تحريمه ، وكذلك لا إثم على من مات قبل التحريم والمنصر في بطنه .

إذًا مَا اتَّقُواْ وَّءَانتُوا وَحَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . إذ اتقوا الله وشافوه وعملوا الأعمال الصالحة ،

ثُمُ أَتَّفُواً وَعَاشُواْ أَى ثَمَ استمرُوا على تقواهم وامتلاء قلوبهم بخشية الله والإيمان الحق به سبحانه-ثُمُ اتَّفُوا وَأَحْسُواْ ثَمَ تَأْكُدُ استمرارهم على التقوى وإحسان العمل والإخلاص لله في السر والعلن. وَاللَّهُ يُعِبُ الْمُحْسِينَ . أَى يرضى عنهم ويشملهم برحمته .

والإحسان: أسمى أنواع العبادة: وهي عبادة الله مع الإخلاص وصدق النية، وفي الحديث الصحيح «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (١٠٠).

والآية تشتمل على جانب من مظاهر رحمة الله بعباده ، فإنه لا يؤلخذ الناس على الفعل إلا من بداية تحريمه ، فمن مات شاربًا للخمر قبل تحريمها فلا جناح ولا إثم عليه .

وتلحظ أن الآية ختمت بوصف التقوى وتكرير التقوى ، والمقصود من ذلك ، وجوب امتلاء قلب المؤمن بتقوى الله ، واستمراره على ذلك حتى يصل إلى مرتبة الإحسان في العبادة .

قال الطبرى:

الاتفاء الأول: هو الاتقاء بتلقى أمر الله بالقبول والتصديق.

والاتقاء الثاني: الثبات على التصديق.

والثالث الإحسان والتقرب بالنوافل.

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ عَامَنُوا لَيَسَلُونَكُمُ اللَّهُ يَتَى وِمِنَ الصَّيْدِ مَنَالُهُ آيَدِ يكُمْ وَمِا حُكُمْ لِيقَلَمَ اللَّهُ مَنَ عَلَيْهُ مَن الصَّيْدِ مَنَالُهُ وَآيَدِ يَكُمْ وَمِا حُكُمْ لِيقَلَمَ اللَّهُ مَن يَعَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن الْعَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ صَيْدُ اللَّهُ مَا مُن اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ صَيْدُ اللَّهُ مَا اللَّهُ الللْ

المفردات

اليبالواكم الابتلاء الاختبار.

روى عن ابن عباس: أنه ما تناله الأيدى: الصغار والفراخ من الصيد. وما يرُخذ وينال بالرماح الكبار.

اليعلم الله من يخافه بالفيب: أى ليماملكم معاملة المختبر ، الذى يريد أن يعلم الشىء علم وقوع – وإن كان سبحانه وتعالى يعلم على على المتعالى يعلمه علم غيب – فهر علام الغيوب .

مست السنسم، الأنعام من الإبل والبقر والغنم.

أو عنان ذلك العدال (بلتج العين): المعادل للشيء ، والمساوى له ، مما يدرك بالعقل والعدل (بكسر العين): المساوى للشيء مما يدرك بالحس .

السيدوق ويال أصبره ، الويال : من الوبل والوابل . وهو : المطر الثقيل ، وطعامٌ وبيلُ أَى ثقيل ، ويقال للأمر الذي يُعشَّى شَرَرُهُ : هو وبال . أحمل تكم صيد البحر؛ البحر المراد به: الماء الكثير الذي يوجد فيه السمّك ، كالأنهار ، والبِرك ونحوها .. وصيد البحر ما يصاد منه مما يعيش فيه عامة .

وطعامه متعالكم؛ وطعام البحر: ما قذف به إلى ساحله.

السنى إلىه تحشرون ، أي تجمعون وتساقون إليه يوم القيامة .

التفسيره

٩٤ - يَاأَيُّهَا الَّهِينَ عَامَنُوا لَيَتْلُوكُمُ اللَّهُ بشَيءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرَمَاحُكُمْ.

تقهيده

خلق الله الإنسان للاختبار والابتلاء قمن أطاح فله الجنة ، ومن أساء فله النار.

قال تعالى : الَّذِي تَحَلَقَ الْمُوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً . (الملك : ٢) .

وقد كان الصيد أحد معايش العرب فابتلاهم الله بتحريمه مع الإحرام وفى الحرم ، كما ابتلى بنى إسرائيل ألا يعتدوا فى السبت .

عن مقاتل قال: أنزلت هذه الآية في عمرة الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم في رحالهم لم ي والصيد تغشاهم في رحالهم لم يرا مثله قطّ فيما خلا ، فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون .

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَنْلُوكُمُ اللَّهُ بِشَيءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَائُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ .

والمسى: أى ليفتبرنكم الله - وأنتم مصرمون - ببعض من الصيد يسهل عليكم تناوله ، بحيث تناله أيديكم بدون حاجة إلى سهام أو جوارح ، أو بطيور صغار تسطيعون أخذها بأيديكم ويطيور كبار تستطيعون صيدها برماحكم لِعَلْمُ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْعَيْسِ . ليتميز عند الله من يخافه منكم حقية عن الناس ، كما يخافه بمرأى من الناس ومسمع منهم ، فالخرف بالغيب برهان الإيمان .

جاء في حاشية الجمل : رقوله (بالغيب) حال من فاعل يخافه أي يخاف الله حال كرنه غائبًا عن الله ، ومعنى كون العبد غائبًا عن الله ، أنه لم ير الله تعالى .

أو حال من المفعول: أى يخاف الله حال كونه – تعالى – ملتيسًا بالغيب عن العبد أى غير مرئى له. (أَمْن اعْتَلَى) فاصطاد .

(بَعَدُ ذَلكَ) أي بعد الامتلاء .

(فَلَمُ عَدَّابٌ أَلِيمٌ) أى شديد الإيلام عظيم الإهانة لأن التعدى بعد الإنذار ، دليل على عدم المبالاة بأولمر الله ، ومن لم يبال بأولمر الله ساءت عاقبته وقيح مصيره .

هذا ولقد نجحت الأمة الإسلامية ، وخصوصًا سلفها الصالح في هذا الاختبار ، فقد تجنب أبناؤها وهم محرمون صيد البر مهما أغراهم قربه منهم ، وحبهم لصيده والانتفاع به .

بينما أخفق بنو إسرائيل فيما يشبه هذا الاختبار فقد نهاهم الله عن الصيد في يوم السبت ، فكانت الأسماك تظهر لهم في هذا اليرم امتحانًا من الله لهم ، فما كان منهم إلا أن تحايلوا على صيدها بأن حبسوها في يوم السبت ، ليصيدوها في غيره .. فاستحق اليهود اللعنة والمسخ واستحقت الأمة الإسلامية أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

ه ٩ - يَأْتُهَا الَّذِينَ ءَامَتُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ... الآية .

لما كان قتل الصيد في حال الإحرام -- ذنبا كبيرًا كرر النهي عنه في هذه السورة .

أى : لا تُتَسَبُّبُوا في قتل الصيد ، ولا تباشروا القتل في حال الإحرام .

قال القرطبي :

هذه الآية خطاب عام لكل مسلم ذكر وأنثى ، وهذا النهى هو الابتلاء المذكور في قوله تعالى قبل هذه الآية : يَأَيُّها الَّذِينَ عَاشُوا لَيَلُوكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ المُّشِدِ . وروى أنْ أبا اليسر واسمه عمرو بن مالك الأنصاري كان محرمًا عام الحديبية بعمرة ، فقتل حمازًا وحشيًّا فنزلت هذه الآية .

وتغيد الآية النهى عن قتل الصيد لمن كان مُحرما بحج أو عمرة ، سواء أكان الصيد مأكول اللحم أو غير مأكول وهذا رأى الجمهور، وخصه الشافعية بما يؤكل لممه فقط، لأنه الغالب فيه عرفا.

أما الحيوانات الخطرة على حياة الإنسان فإنه يباح قتلها في الحرم.

قال ﷺ : «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم : الغراب والحداة والعقرب والفأرة والكلب العقور» (^(۱) وفي رواية الحية بدل العقرب ، رواه الشيخان عن عائشة .

وقد ألحق مالك وأحمد بالكلب العقور: الذئب، والسبع والنمر، والفهد، لأنها أشد ضررًا منها، وهكنا كل ما يكون خطرًا على حياة الإنسان.

و مَن قَلَهُ مِنكُم مُتَّمَدُا فَجَزَاءً مُثَلُ مَا قَتَلَ مِن التَّعْمِ... الآية . أى : ومن تعمد منكم قتل الصيد ، أو كان له دخل في قتله ، وسواءً أقتله في الحرم أم خارجه ، وكذلك من قتله في الحرم - وهو غير محرم -فعليه في كل حالة مما ذكر جزاء من النعم مماثل لما قتله إن وجد .

قال ابن كثير وفي قوله بعالى :

لَيْمَزَّةُ مُثْلُ مَا قَلَلُ مِنَ الشّمِ ... الآية . دليل لما ذهب إليه مالك والشافعي وأحمد من وجوب الجزاء من مثل ما قتله المحرم إذا كان له مثل من الحيوان الإنسى ، خلافا لأبي حنيفة حيث أوجب القيمة سواء أكان الصيد المقتول مثليًا أو غير مثلي ، قال : وهو مخير إن شاء تصدق بثمنه وإن شاء اشتري به هدبًا .

والذي حكم به الصحابة في المثل أولى بالاتباع ، فإنهم حكموا في النعامة ببدنة ، وفي يقرة الهحش ببقرة ، وفي الغزال بعنز .. وأما إذا لم يكن الصيد مثليا فقد حكم ابن عباس فيه بثمن يحمل إلى مكة ١٠٧

وقوله تعالى : تُعَمِّمُنا ليس قيدًا لوجوب الجزاء والكفارة ، فإن الخطأ مثل العمد في الكفارة المذكورة ، فالتعبير بقوله متعمدًا لبيان الواقع ، لأن الآية كما سبق نزلت في أبى اليسر ، لما قتل عمدًا حمارًا رحشيًّا وهو محرم .

يَحْكُمُ هِ ذَوَا عَدْلُر مُنكُم . أى يحكم بالجزاء أو بمثل ما قتل رجلان معروفان بالعدالة بين المسلمين، فإذا حكما بشيء لزم .

هَذَيَا بَالْغَ الكَعْبَةِ .

المعنى : أنهما إذا حكما بالجزاء فإنه يفعل به ما يفعل بالهدى من الإرسال إلى مكة والنحر مناك ، ولم يرد الكعبة بعينها ، فإن الهدى لا يبلغها ، وإنما أراد الحرم ولا خلاف في هذا .

أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيامًا.

ألمى: أن من قتل الصيد وهو محرم ، أو قتله فى الحرم وهو غير محرم ، فهو مخير بين ثلاثة أمور: ١ – الجزاء بالمثل . ٢ – إطعام المساكين . ٣ – الصيام .

فأما الإطعام فبقيمة ما قتل من السيد يعطى لكل مسكين مدّ وأما الصيام فإنه يصوم عن كل مدّ يوماً ويهذا نرى أن المحرم إذا قتل الصيد فعليه جزاء من الدَّمم مماثل للصيد المقتول فى المقلقة والمنظر، أو عليه ما يساوى قيمة هذا الجزاء طعامًا لكل مسكين مدّ، أو عليه ما يعادل هذا الطعام صيامًا، عن كل مدَّ يوم .

أما أبو حنيفة فيرى أن المماثلة إنما تعقير ابتداء بحسب القيمة فيقوم الصيد المقتول من حيث هو، فإن بلغت قيمته قيمة هدى يخير الجاني بين أن يشترى بها هديا بهدى إلى الحرم، ويذب في الحرم ويتصدق بلحمه على الفقراء ، ويبن أن يشتري بالقيمة طعامًا للمساكين يوزع لكل مسكين مدّ، وبين أن يمحوم عن طعام كل مسكين يومًا .

وعندي أن المذهب الحنفي أوضح وأسهل تطبيقًا ، وأدق في تعرف المثل ، وقد اضطروا إليه عند استبدال الطعام بالذبح ، إذ لا يعرف مقدار الطعام إلا بمعرفة القيمة (**).

لِّنُدُونَ وَبَالَ أَمْرِهِ. أَى أُوجِب الله هذا الجزاء السابق على قاتل الصيد ليذوق عقاب جنايته لهتكه حرمة الإحرام أن الحرم.

عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ . أي عفا الله عمَّا تقدم من قتلكم الصيد قبل نزول هذه الكفارة .

وَمَنْ هَادَ فَيَسَفِمُ اللّٰهُ مِنهُ . أى ومن عاد إلى قتل الصيد - بعد نزول هذه الآية - فينتقم الله منه ، وعليه مع ذلك الكفارة . وَاللّٰهُ عَزِيرٌ ذُو السِّلَمِ . فهو سبحانه العزيز الذي لا يغالب ولا يقاوم ، المنتقم الذي لا يُذْفع انتقامه .

ويذلك نرى الآية الكريمة قد حدَّرت المرمنين من التعرض للصيد في حالة إحرامهم وبينت الجزاء المترتب على من يفعل ذلك ، وهددت من يستهين بحدود الله بالعذاب الشديد .

٩٦- أُصِلُّ لَكُمْ صَبِدُ البَّحْوِ وَعَقَامُهُ .. الآية . المراد بالبحر ما يعم المياه العذبة والملحة ، والمراد بصيده : ما صبيد منه ، فهو علال كله ، سواء أكان صيده للطعام كالسمك ، أم لغيره من وجوه النفيم الأخرى كاللوالي والمرجان .

وَ فَعَامُهُ أَى وأكل ما يصلح للأكل منه ، سواء أخذ من البحر حيًّا أم ميتًا .

أخرج الإمام أحمد وأهل السنن ومالك والشافعي عن أبي هريرة أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إننا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا ، أفنتوضاً بماء البحر؟

فقال رسول الله – ﷺ – «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» (۱۰).

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله — ﷺ – «أحلت لنا ميتان ودمان ، فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدَّمان فالكبد والطحال» (°).

وقد احتج بهذه الآية من ذهب من الفقهاء إلى أنه تؤكل دواب البحر ولم يستثن من ذلك شيئًا.. وقد استثنى بعضهم الضفادع ، وأباح ما سواها .. وقال أبر حنيفة لا يؤكل ما مات فى البحر ، كما لا يؤكل ما مات فى البر لعموم قوله تعالى: حُرِّت عَلَيكُم أَلْهَيَّةَ. وُخِرِّمَ مَلِّكُمُّ صَيِّدَ الْرِّ مَا ثَنْتُمْ خُرُمًّا . أَى وحرَّم عليكم اصطياد حيوان البرّ – أو طيره – ما دمتم محرمين ، بخلاف ما صاده غير المحرمين أو ما صدتمون قبل إحرامكم ، فليس محرمًا عليكم أن تأكلوه ولو في حال إحرامكم .

وقد ذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد إلى أنه لا بأس بأكل المحرم الصيد إذا لم يصد له ولا من أجله.

وقال أبن حنيفة : أكل الصيد للمحرم جائز على كل حال ، إذا اصطاده الحلال ، سواء صيد من أجله أن لم يصد .

وَاتَّقُوا اللهُ اللَّذِي إِلَيهِ تُعْشُرُونَ . أي قفوا عند حدوده فلا تتجاوزها واعلموا أن مرجعكم وحشركم إليه وحده ، وسيجازيكم على أعمالكم التي عملتموها في دنياكم .

والحكمة من تحريم الصيد البري على المحرمين ما يأتي:

١ - تكريم منطقة الحرم فهي منطقة أمان للإنسان والحيوان والطير.

٢ - تعويد الدوّمن على السلام عمليًا حتى إنه لا يقتل صيدًا ولو وجد قاتل أبيه فى الحرم لا
 يقتله حتى يخرج إلى منطقة الحل.

٣ – توفير الصيد حول العرم لأهل مكة وحدهم حتى ينتفعوا به .

* * *

﴿ ﴿ حَمَلَ اللهُ الْكَمْبَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِينَمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهِرَ الْحَرَامَ وَالْمَدَى وَالْفَلَيْدَ ذَلِكَ لِتَمْ لَمُوَّا أَنَّ اللهَ يَمْ لَمُ مَافِي السَّمَوَتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِ شَيْء علِيمُ اللهُ ﴾

المفردات :

قيداما اللناس ، ما يكوم به أمر الناس ؛ ويصلح شأنهم في دينهم ودنياهم .

والشهر المعرام ؛ الحرام ؛ (أل) في الشهر ، للجنس . فيعم الأشهر الحرم الأربعة . وهي : ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ورجب ، وقيل : «الشهر» هو شهر ذي المجبة.

والمسهدى؛ ما يهدى إلى الحرم من الأنعام قرية إلى الله ، للتوسعة على فقراء الحرم .

والسق الأشد؛ جمع قلادة ، وهي كل ما علق على أسنمة الأنعام وأعناقها ، علامة على أنها لله . والمراد بالقلائد: ذوات القلائد إذا ساقوها هَدْيا .

التفسيره

٩٧ .. جَعَلَ اللَّهُ الكَفَيَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْى ... الآية .

اقتضت حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أن يُصيرُ الكعبة التى هى البيت الحرام قَبَامًا لِلنَّاسِ أَى به قوامهم فى إصلاح أمر دينهم ودنياهم فهى مركز الإسلام الأزّل.

فصلاح أمر الدين بالحج إلى البيت الحرام وأداء السناسك والعبادات ، وصحة المسلاة باستقبال البيت الحرام ، وصلاح أصر الدنيا عن طريق تبادل المنافع ، ويذل الأموال والشعور بالأمان والاطمئنان ، وترثيق المسلات الدينية والدنيوية .

فقد جعل الله الكعبة معظمة في القلوب ، يقد الناس إليها من كل فج عميق لأداء المناسك ، وصار ذلك سبباً في إسباخ النعم على أهلها ، إجابة لدعوة سيدنا إبراهيم الطيل : (لَنَّا إِلَّي أَسْكَنتُ مِن وَصَار ذلك سبباً في إسباخ النعم على أهلها ، إجابة لدعوة سيدنا إبراهيم الطيل : (لَنَّا أَلَّمُ أَنَّ الْمُعَرَّاتُ فَرُعُمْ مُنَ الْفُمُواتُ فَلَا مُنْ النَّمَ الْتَهَا فَيْفُو مُنْ النَّمَ الْتَهَا الْمُعَلِّ وَنَّ : (الماهيم ١٧٧) .

وقد حقق الله دعوة سيدنا إبراهيم ، فصارت الكعبة ملاذًا للناس ، وأمنًا لأهلها على أنفسهم وأموالهم ، فلو وجد الإنسان قاتل أبيه أو أخيه عند الكعبة لم يجز له أن يقتله .

وكذلك جعل الله الأشهر العرم منطقة زمنية يحرم فيها القتال وذلك لأن الناس يتفرغون للتجارة والعمل والإنتاج والإفادة ، فتطمئن الأفقدة ، ويحصل التآلف والتزاور بعد التدابر والتقاطع والتعادى.

كما أن الهدى والقلائد ، التى يسوقها المحرمون إلى الحرم فيها ما فيها من التوسعة على ` الفقراء، وإشاعة روح المحية والتسامح والإشاء .

ويشير الإمام القرطبي في تفسيره إلى الحكمة من جعل هذه الأشياء قيامًا للناس فيقول:

إن الله تعالى خلق الخلق على سليقة الآدمية من التحاسد والتقاطع والسلب والغارة ، فلم يكن يد في الحكمة الإلهية من وازع يحملهم على التآلف .

فجعل الله الخليفة في الأرض حتى لا يكون الناس فوضى ، وعظم في قلويهم البيت الحرام ، وأوقع في نفوسهم هيبته فكان من لجاً إليه معصوحاً به ، وكان من اضطهد محمياً بالالتجاء إليه ، كما جعل الله الأشهر الحرم ملجاً آخر ، وقرر في نفوسهم حرمتها فكانوا لا يطلبون فيها دماً ، ولا يروّعون فيها نفسًا ، ثم شرع لهم الهدى والقلائد فمن علق قلادة على بعيره أو على نفسه لم يروعه أحد حيث لقيه . والهدى: ما يهدى للبيت الحرام وفي ذبحه منافع للفقراء وقيام لمعيشتهم ، وثواب للأغنياء ، ورفع لدرجتهم

والقلائلة: أى الحيوانات التى توضع فى رقبتها قلادة من ورق الشجر، فمن رآما علم أنها ستقدم للبيت الحرام فترك سبيلها حتى تذبع، وتوزع على فقراء الحرم، وتخصيص القلائد بالذكر - مع شمول اللهدى إياها - لبيان أن النشرع أباح تقليد الهدى، لما فيه من إظهار شعائر الله، والمبالغة فى منع التعرض لها.

ذَلِكَ تَطَلَّمُوا أَنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهُ بِكُلِ شَيءٍ عَلِيمٌ . أي شرع الله هذه الأحكام السابقة لتعلموا أنه سبحانه يعلم علماً شاملاً ما في السموات وما في الأرض ، ولتوقنوا بأنه يعلم طبائع البشر وحاجاتهم ومكنونات نفوسهم ، وهتاف أرواحهم .. لأن تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع البضار ، ولجلب المصالح الدينية والدنيوية دليل على أنه سبحانه يعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وعلى أنه بكل شيء عليم فلا تخفي عليه خافية والجملة الأخيرة في الآية تركيد ، لإحاطته تعالى بما كان ، ويما هو كائن ، ويما سيكرن .

* * *

﴿اعْلَمُوّاأَكَ اللّهَ شَدِيدُ الْمِقَابِ وَأَنَّاللَهُ عَفُورٌ زَحِيدٌ ۞ مَّاعَلَ الرَّسُولِ إِلَّا الْمَلَثُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَاتَبْدُونَ وَمَاتَكُتُمُونَ۞ قُل لَا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيْبُ وَلَوَاغَجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثُ قَاتَقُوا اللّهَ يَمَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَمَلَكُمْ تُقْلِحُونَ ۞ ﴾

التفسير

٩٨ أَفْلُواۤ أَنَّ اللَّهُ شَعِيدُ البَقَابِ وَأَنَّ اللَّهُ غَفْرِدٌ رَّحِيمٌ . تعتمد التربية الإسلامية على التوازن والتكامل والجمع بين الضوف والرجاء ، فإذا اشتد الخوف صار يأسًا ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وإذا قوى الرجاء وزاد عن حده تحول إلى تمن وطاعة وفى الحديث «ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل (٣) ألا وإن أقواما غرتهم الأماني فخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحسن الظن بالله وكذبوا على الله وله أحسنوا النظن لأحسنوا العمل».

أُعْلَمُوا أَنَّ اللَّهُ شَابِيدُ الْمِقَابِ . أي اعلموا – أيها الناس – أن الله شديد العقاب لمن انتهك حرماته وتجاوز حدوده . وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. لمن تاب من ذنبه وعاد إلى ربه وندم على ما فرط منه.

وقد جمعت الآية بين الخوف والرجاء، تعذيرًا من المعصية وترغيبًا في التوبة والإنابة.

وتلك طريقة القرآن الحكيمة ، لأنها طريقة العليم الخبير الذى خلق الإنسان ، وقدَّر له أسباب الهداية، وحذره من الفواية قال تعالى : وَلَقَدْ خَلْقُنَا الإِنسَانَ وَلَعْلَمُ مَا تُوسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَعَنُ ٱلْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ خَبْلِ الْوَرِيدِ . (ق: ١٦) .

٩٩ - مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاَغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكُتَّمُونَ .

والمعنى: أى على رسولنا محمد ﷺ إلا أن يبلغ دعوة ربُّه وأن يدعو الناس إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وليس عليه الهداية أو الضلال ، وإنما ذلك بيد الله وحده فهو سيحانه بيده الملك والأمر وهو المطّلم على السرائر وهو المجازي والمحاسب .

وَاللَّهُ يُعْلَمُ مَا تُبُدُونَ وَمَا تَكُمُونَ . فهو سبحانه يعلم ما تظهرون وما تخفون من طاعة ومعصية ، فيحاسبكم عليه ويجازيكم به إن خيرًا فغير وإن شرًا فشر .

٠٠٠ - قُل لا يَسْتَوى أَخَبِيثُ وَالْطَيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبُكَ كَثْرُةُ الْخَبِيثِ ... الآية .

والمُعنى: أمر الله تمالى رسوله الأمين أن يبلغ أمنّه هذه القاعدة السليمة: لا يستوى فى ميزان الله ولا فى ميزان المقلاء الخبيث والطيب، حتى ولو كان الفريق الخبيث كثير العدد براق الشكل تعجب الناظرين هيئته، فلا تفتر به أيها العاقل، ولا تؤثّر فى نفسك كثرته، وسطوته، فإنه مهما كثر وظهر وفشاً .. فإنه سىء العاقبة، سريع الزوال، لذته تعقبها الحسرة، وشهرته تتلوها الندامة.

أما الفريق الطيب أو الشيء الطيب فهو محمود العاقبة ، لذته الحلال ، يباركها الله ، وشماره الحسنة تؤيدها شريعته وطريقه المستقيم – مهما قلّ سالكوها – هى الطريق التى توصل إلى كل خير وفلاح .

ولا شك أن المقل عندما يتخلص من الهوى سيختار الطيب على الغبيث ، لأن في الطيب سعادة الدنيا والآخرة ، وما أحسن قول أم المؤمنين عائشة رضى افله عنها : «ما تمتع الأشرار بشيء إلاَّ وتمتُع به الأخيار ، وزادوا عليه رضا افله عز وجل» .

فَاتَقُوا اللَّهَ يَا أَوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَكُمْ تُقْلِمُونَ . أَى إِذا كان للطيب راجحًا ومحمودًا مهما قل · والخبيث مردولاً ومرجوحًا مهما كثر . فراقبوا الله يا أصحاب العقول السليمة لعلكم بسبب هذه التقوى تدركون الفلاح والنجاح في دنايكم وآخرتكم .

قال الفخر الرازى :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الترغيبات الكثيرة في الطاعة ، والتحذيرات من المعصية أتبعها بوجه أخر يؤكمها فقال: فأتقوا الله يا أزفي الألباب لَمَلْكُمْ فَلْمُونَ أي فاتقوا الله بعد هذه الهيانات الجلية والتعريفات القوية ، ولا تقدموا على مخالفته لعلكم تصيرون فائزين بالمطالب الدنيوية والدينية الماجلة والأجلة .

* * *

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاتَسَتُلُوا عَنَ أَشَياءَ إِن تُبَدَ لَكُمُّ مَّشُؤُكُمْ وَإِن تَسْتُلُوا عَنْهَا بِعِنَ يُخَذُّلُ ٱلقُرْءَانُ تُبْدَلَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهُ وَاللهُ عَفُورُ حَلِيدٌ ۖ فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنَ فَبْلِكُمْ مُذَا ضَبْحُوا بِمَا كَفِيدِينَ فَنَ ﴾

التفسيره

١٠١ - يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامْتُوا لاَ تَسْتَلُوا عَنْ أَهْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسُوُّكُم ... الآية .

سبب التزول ،

ردی البخاری – بسننه – عن أنس بن مالک قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ، وقال فیها «لن تعلمون ما أعلم لضمكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيرًا» (**) قال : فقطی أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم – لهم حنین – فقال رجل : من أبی ؟ فقال فلان .. فنزلت مذه الآية .

ودوى مجاهد عن ابن عباس أنها نزات فى قوم سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائية والوصيلة والمام .

وذكر المفسرون روايات متعددة في سبب نزول الآيتين ومنها ما رواه البخاري أيضًا عن أنس عن النبي ﷺ وفيه : «فوالله لا تسألوني عن شيء إلاّ أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا ، فقام إليه رجل فقال : أين مدخلي يا رسول الله ؟ قال : «الناي» فقام عبد الله بن حذافة وكان إذا لاحي يُدعي إلى غير أبيه ، فقال من أبي يا رسول الله ؟ فقال أبوك حذافة .. ٣٠٠ .

قال القرطبي: ويحتمل أن تكون الآية نزلت جوابا للجميع ، فيكون السؤال قريبا بعضه من بعض.

العنى: وَاللَّهِ اللَّيْنَ وَانْتُوا بالله حق الإيمان ، لا تَسْأَلُوا نبيكم و ألهُ أو غيره عن أشياء تتعلق بالعقيدة أو بالأحكام الشرعية أو بغيرها ، هذه الأشياء (إن تُبدّ لَكُمُ) وتظهر (نُسوّ كُم) أن تقمكم وتحزنكم وتندموا على السؤال عنها لما يترتب علهها من إحراجكم ومن المشقة عليكم ، ومن الفضيحة لبعضكم .

فالآية كما يقول ابن كثير: تأديب من الله لعباده المؤمنين ، ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم فى السؤال والتنقيب عنها ، لأنها إن ظهرت لهم تلك الأمرر ربَّما ساءتهم وشق عليهم سماعها ، كما جاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «لا يبلغنى أحد عن أحد شيئًا ، فإنى أحبُ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزُّلُ القُرِءَانُ تُبِدَ لَكُمْ.

السؤال نرعان : سؤال يمكن الاستغناء عنه وسؤال يحتاج الإنسان إلى معرفته فيما يتعلق بتفصيل أحكام نزل بها القرآن الكريم أو شرح لها .

والمعنى لا تكثروا أيها المؤمنون من الأسئلة التى لا غير لكم في السرّال عنها ، وإن تسألوا عن أشياء نزل بها القرآن مجملة ، فتطلبوا بيانها لكم حينئذ لاستياجكم إليها .

من تفسير القرطبي ،

قال القرطبي: قوله تمالى: وَإِن تَسَأَلُوا مَنْهَا حِينَ يَتَزِنُ القَّرِعَانُ بَدَ لَكُمْ. فهد غموض ، وذلك أن في أول الآية النهى عن السرال ، ثم قال : وَإِن تَسَأَلُوا ... الغ . فأباحه لهم فقيل : إن المعنى وإن تسألوا عن غيرها فيما مست الحاجة إليه ، فحذف المضاف ، ولا يصبح حمله على غير الحذف .

قَالَ الجَرجِلَى: الكناية في (عُنَهَا) ترجع إلى أشياء أخر، كقوله تعالى: وَلَقَد خَلَقَنَ الإِنسَانَ بَنِ سُلاَة مِن طِيْنِ يعنى آدم، ثم قال: ثُم جَعَنانَهُ نُطقَةً أي: ابن آدم، لأن آدم لم يجعل نطفة في قرار مكين، لكنّ لما ذكر الإنسان وهو آدم دل على إنسان مثله، وعرف ذلك بقرينة الحال.

فالمعى: وإن تسألوا عن أشياء – أخر – حين ينزل القرآن من تحريم أن تحليل أن حكم ، أن مست حاجتكم إلى التفسير ، فإذا سألتم فحيننذ تبد لكم فقد أباح – سبحانه – هذا النوع من السؤال "".

عُفًا اللهُ عَنْهَا . أي هذاك أشياء سكت عنها القرآن ، ولم يكلفكم فيها بشيء ، فلا تسألوا عنها ، ولكن إن سألتم عنها ينزل عليكم التكليف بحكمها ، أي فلا تكثروا من السؤال (°) . قال رسول الله ﷺ وأعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرّم ، فيحرّم من أجل مسألته» (^^).

وَٱللَّهُ فَغُورٌ حَلِيمٌ . والله واسع المغفرة والحلم والصفح ولذا لم يكلفكم بما يشق عليكم ، ولم يؤاخذكم بما فرط منكم من أقوال وأعمال قبل النهى عنها .

١٠٧ - قَدْ سَأَلْهَا قَرْمٌ مِّن قَبْلَكُم لُمُّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَالْرِينَ. أَى قد سأل مثل هذه المسائل المنهى عنها ، قوم من قبلكم فأجيبوا ، ثم لم يعملوا ، فأصبحوا بها كافرين ، لأنهم استثقلوا الإجابة عما سألوا عنه ، وتركوا العمل بما تطلعوا إلى معرفته .

قال الآلوسي: «ولختلف في تعيين القوم: فعن ابن عباس هم قوم عيسي سألوه إنزال مائدة ثم كفروا بها، وقبل: هم قوم صالح – عليه السلام – سألوه الناقة ثم عقروها وكفروا بها، وقيل: هم بنو إسرائيل كانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء فإذا أخبروهم كنبوهم ...»

من تفسير ابن كثير :

قَالَ ابن كثر: ظاهر الآية النهى عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته فالأولى الإعراض عنها ..

فقد روى الإمام أحمد ومسلم والنسائى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «نرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه» (١٠٠٠).

ودوى الدار قطني وأبو نعيم عن أبي ثعلبة الخشني . أن النبي على قال :

«إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعها ، وحد حدودًا فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء فلا تقريهها ، وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ٣٠٠ .

من تفسير القاسمي :

قَالَ الْقَاسَمَى : رحمه الله تعالى عقب تفسيره للآيتين ما يأتى : رأيت في موافقات الإمام الشاطبي في هذا الموضع مبحثًا جليلاً قال فيه :

الإكثار من الأسئلة مذموم ، والدليل عليه النقل المستفيض من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح ... وهذه مواضع يكره السؤال فيها :

- السؤال عما لا يقع في الدين ، كسؤال عبد الله بن حذافة من أبي يا رسول الله ؟ فأجابه أبوك
- ٢ أن يسأل عن صعاب المسائل وشرارها ، كما جاء في سنن أبي داود في النهي عن الأغلوطات ١١١
 وهي المسائل يخالط بها للعلماء ليزلوا فيها فيهيج بذلك شر وقتنة .
- ٣ أن يبلغ بالسؤال إلى حد التكلف والتعمق ، وعلى ذلك يدل ما أخرجه مالكه فى الموطأ عن يحيى ابن عبد الرحمن بن حاطب أن عمر بن الغطاب خرج فى ركب ، فيهم عمرو بن العاص ، حتى وردوا حوضًا ، فقال عمرو بن العاص ، يا صاحب الحوض ، هل ترد حوضك السباع ؟
 فقال عمر يا صاحب الموض ، لا تخبرنا ، فإنا نرد على السباع وترد علينا (٠٠).
- السؤال عن المتشابهات ، وعلى ذلك يدل قوله تعالى : فأمَّا اللَّينَ فِي قُلُوبِهِم زَيعٌ فَيَّعِونَ مَا تُشابَهُ مِنهُ.
 وعن عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضًا للخصومات أسرع التذفل.
- السؤال عما شجر بين السلف المبالح ، وقد سئل عمر ابن عبد العزيز عن قتال أهل صفين فقال :
 ثلك دماء كف الله عنها يدى ، فلا أحب أن ألطح بها لسانى .
- ٣ سؤال التعنت والإفحام وطلب الغلبة عند الخصام وقد ذم القرآن هذا اللون من الناس فقال: وُهُو الله الحَقِيمَام (البقرة: ٢٠٤) ، وقال سبحانه : بَلْ هُمْ أَومٌ تحَسِمُونَ ، (الزعرف: ٨٠) . وفي الحديث : «إن من أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم .
- هذه جملة من المواضع التي يكره السؤال فيها ويقاس عليها ما سواها وليس النهى فيها واحدًا، بل فيها ما تشتد كراهته ، ومنها ما يخف ومنها ما يحرم ، ومنها ما يكون محلً اجتهاد.

والنهى فى الآية مقيد بما لا تدعو إليه الحاجة من الأسئلة لأن الأمر الذى تدعو إليه الحاجة قد أذن الله بالسوال عنه فقال: فَاسْأَلُوا أَهْلَ اللَّكْرِ إِنْ كُتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ . (الأنبياء: ٧). وفى الحديث: «قاتلهم الله، هارّ سألو! إذ لم يعلموا، فإنما شفاء الجهل بالسوال (١٠٠). ﴿ مَاجَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَ وَوَلَا مَنَايِّمَةِ وَلَا وَصِيلَةِ وَلَا عَلْمِولَلَكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَقْتُرُونَ عَلَى اللّهِ ٱلكَيْنِبُّ وَآكَثَرُهُمْ لَا يَتَقِلُونَ ۞ وَإِذَاقِيلَ لَمُمَّرِتَمَ الْوَا إِلَى مَا ٱنْزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرّسُولِ قَــا لُواحَسَّبُنَامَا وَجَدُنَا عَلِيْهِ وَابَاتُهَ أَأْ وَلَوْكَانَ وَابَاؤُهُمْ لِيَعْلَمُونَ شَيْخًا وَلَآيَبَتُدُونَ ۞ ﴿

المفردات:

- بَ مَنْ البحيرة : هي الناقة التي يبحرون أذنها . أي يشقُونها إذا أنتجت خمسة أبطن ، خامسها أنتي..
- سسآنسبة ؛ السائية ؛ هي الناقة التي تُسيّنُ بنذرها الآلهتهم فترعى حيث شاءَت ولا يحمل عليها شيء ، ولا يُجزُرُ رَبِرها ، ولا يُحلّبُ لَبَنْها إلا لضيف .
- وسيلسه ، الوصيلة هي الشاة التي تصل أخاها ، فقد كانوا إذا ولدت الشاة ذكرًا : كان لآلهتهم . وإذا ولدت أنثى : كانت لهم ، وإن ولدت ذكرًا وأنثى قالوا : وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم .
- حسسسام؛ الحامى: هو الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن ، فيقولون: حَمَى ظهره فلا يحمل عليه، ولا يعتب من ماء ولا مرعى.

التفسيره

- ١٠٣ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ يَحِيرُةٍ ۚ وَلاَ سَآئِيَةٍ وَلاَ وَصِيلَة وَلاَ حَامٍ.
- البحوة: الناقة كان أهل الجاهلية يبحرون أننها ، أي يشقُّونها، ويجعلون لبنها للطواغيت فلا
 يحتلبها أحد من الناس ، وجعل شق أذنها علامة لذلك .
- ٢ السائبة: الناقة تسيّب. أو البعير يسيب بنذر على الرجل: يقول إن شفيت من مرضى أو بلغت
 منزلى فناقتى سائبة أى لا تحلب ولا تركب، ولا تحبس عن رعى ولا ماء.
- ٣ الوصيلة: هي الشاة التي تصل أخاها ، فقد كانوا إذا ولدت الشاة ذكرًا كان لآلهتهم ، وإذا ولدت أنفى كانت لهم وإن ولدت ذكرًا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم .
- الحاسى: هو الفحل إذا نُتبع من صلبه عشرة ، قالوا : قد حمى ظهره ، فلا يُركب ولا يمنع من كلأ
 ولا ماء .

والمعنى: ما شرع الله تعالى شيئًا مما حرمه أهل الجاهلية على أنفسهم في البحيرة والوصيلة والسائية والحام وهذه الحيوانات إنما حرم أهل الجاهلية أكلها والانتفاع بها من عند أنفسهم بدون علم أو برهان .

وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا يُفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبَ. حيث حرموا هذه الأشياء تدينًا وتعبدًا ولم يحرمها الله عليهم ، ثم نسبوا هذا التحريم إلى الله كذبًا وزورًا والمراد بالذين كفروا هنا هم الرؤساء والزعماء الذين يأتون للعوام بالأحكام الفاسدة. والمزاعم الباطلة وينسبونها إلى دين الله كنبًا وزورًا.

وَأَكْثُرُهُمْ لاَ يَعِقِلُونَ . أَن ذلك افتراء ، لأنه قلدوا فيه آباءهم .

والمراد هذا العوام والدهماء الذي يقلدون الرؤساء والكهان بدون تدبر أو تبصر.

وقد عبر سبحانه يقوله : وَأَكْرُمُمْ لاَ يَعَقِلُونَ : إنصافًا للقلة العاقلة التي خالفت هذه الأوهام الهاطلة واستجابت للحق عند ظهوره .

وقد روى الإسام أحمد عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «إن أوّل من سيب السوائب وعبد الأحسنام أبو خزاعة عمرو بن لحى وإنى رأيته يجر أمعامه في النار» (***).

١٠٤ وَإِذَّا قِيلَ لَهُم تَعَلَّواْ إَلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ فَالُوا حَسُينًا مَا وَجَذَلَا عَلَيهِ مَالَاقًا . أي : إذا نصحهم الرسول والمؤمنون والدعاة والهداة باتباع كتاب الله تعالى وهدى رسوله ﷺ قالوا : لن نثرمن بالقرآن ولا بالرسول ويكفينا ما وجدنا عليه آباءنا من عقائد وتقاليد وعادات ... فلا نلتفت إلى ما سواه .

أَوْ لَوْ كَانَ غَابَاوُهُمْ لاَ يُعْلَمُونَ ضَيَّا وَلاَ يَهْتُدُونَ . وهذا ردّ عليهم بأسلوب التأنيب والتعجيب من جهالاتهم وخضوعهم للباطل بدون مراجعة أو تفكير . والاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ .

والمعنى: أيقولون حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، ويغلقون على أنفسهم باب الهداية ، ليبقوا في ظلمات الضلالة ... أولُو كَانُ ءَابَاوُهُمُ لاَ يَعْلُونَ شَيْنًا مِنَ الْحَقِ وَلاَ يَهِعُدونَ إليهِ لانطماس بصيرتهم .

﴿ يَكَأَيُّهُ ٱلَّذِينَ ۚ اَمَنُوا عَلَيْكُمُ ٱلْفُسَكُمُّ لَا يَصُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمُّ إِلَى ٱللَّهِ مَرَّ جِعُكُمُّ جَيمَا فَيُنَيِّكُمُ بِمَا كُشُتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ ﴾

التفسيره

١٠٥ - يَأْتُهَا الَّذِينَ ءَامتُواْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُم لاَ يضُرُّكُم مِّن صَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ .. الآية .

المعنى: الزموا أنفسكم واحفظوها ، لا يضركم ضلال من ضل من الناس ، إذا اهتديتم للحق أنتم في أنفسكم ، وقد دلت الآيات القرآنية ، والأحاديث المتكافرة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجويًا متحتمًا ، فتحمل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أولا يظن التأثير بحال من الأحوال ، أو يخشى على نفسه أن يحل به ما ضره ضررا يسوخ معه الترك (٣)

وإذا تأملنا سياق الآية وجدنا أنها مسوقة لتسلية المؤمنين ولإدخال الطمأنينة على تلويهم إذا لم يجدوا أذنًا صاغية لدعوتهم.

فكأنها تقول لهم: إنكم - أيها المؤمنون - إذا قمتم بما يجب عليكم ، لا يضركم غيركم .

قال الرخشرى في تفسير الكشاف: كان المؤمنون تنهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة: يتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم: (عَلَيْكُمْ الفُسْكُمُ) وما كلفتم من إصلاحها والمشي من الكفرة: يتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم: (عَلَيْكُمْ الفُسْلام) المالل عن دينكم: إذا كنتم مهتدين .. وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإن من تركهما مع القدرة عليهما لا يكون مهتدياً، وإنما هو بعض الضلال، الذين فصلت الآية بينهم وبينه.

وقد نقل القرطبي في تفسيره ما يأتي :

روى أبر داود والترمذى وغيرهما عن قيس بن أبى حازم قال : خطينا أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – فقال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتتأولونها على غير تأريلها :

بَلَيْهَا الَّذِينَ وَامُوا طَلَيَكُمْ الْفُسَكُم ... الآية . وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : وإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أو شك أن يعمهم الله بعذاب من عنده» (٣٠)

وروى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة المُستنى فقلت له كيف تصنع بهذه الآبة ؟ فقال: أية أية ؟ فقلت قوله تعالى: يَالَّهَا اللَّبِنَ عَامُواْ عَلَيْكُمْ أَلْفُسَكُم ... قال: أما والله لقد سألت عنها جبيرا ، سألت عنها رسول الله ﷺ – فقال : انتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا ، وهوى متبعًا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة ، فإن من ورائكم أيامًا : الصابر فيهنّ ، مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم (٣٠) .

وزاد في رواية أخرى «قيل يا رسول الله ، أجر خمسين منّا أو منهم؟» قال : (بل أجر خمسين منكم). والحُلاصة : أن الآية الكريمة لا ترخص في ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،

فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يسقط وجويها عن القادر عليهما .

قال تعالى: كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ثَامُرُونَ بِالْعَرُوكَ وَتَنهَونَ عَنِ الْمُنكَرِ ... الآية . (ال عمران ١١٠٠).

وقــال سبــحــانه : وَلَتَكُن مُنكُمْ أُنَّةً يَدْعُونَ إِنِّى الْخَوْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَوْرِفِ وَيَهُونَ عَنِ الْمُنكِرِ وَالرَافِكَ هُمُّ الْهُلِحُونَ.. (ال مدان: ۱۰۶).

وقد لعن الله اليهود ، لأنهم : كَانُواْ لاَ يَتَنَاهُونَ عَن مُّنِكَرٍ فَعَلُوهُ ... الآية . (المائدة : ٧٩) .

ونقل الفخر الرازي في تفسيره عن عبد الله بن المبارك أنه قال :

هذه أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإنه سبحانه قال: عَلَيْكُمُ أَنْفُسُكُم يعنى أهل دينكم، ولا يضركم من ضل من الكفار، وهذا كقوله، فاقتلوا أنفسكم، يعنى أهل دينكم، فقوله (عَلَيْكُمُ أَنْفُسُكُم) يعنى أن يعظ بعضكم بعضا، ويرغب بعضكم بعضًا في الخيرات، وينظره من القبائح والسيقات.

إِنِّي اللَّهِ مَرْجِعكُم جَمِيهًا فَيَنْبُكُم بِمَا كُتم تَعمَاون . أي إليه وحده رجوعكم جميمًا ، من ضل ومن المتدى، فيخيركم على حسب ما علمه من هدايتكم أو ضلالكم وفي هذا وعد للمساب - بما قدمتم من أعمال ، ويجزيكم على حسب ما علمه من هدايتكم أو ضلالكم وفي هذا وعد للمهتدين ، ووعيد للضالين ، وأنه لا يؤاخد أحد بذنب غيره قبال تعالى : ولا أثرُو ولازرُةُ ورُزُ أَضُوى ... الآية . (فاطر: ١٨٨).

وقىال سېدخانە : يُومِّيلِ يَصْلُو النَّاسُ اَشْتَاتًا كُيُروا أَعْمَالُهُم فَمَن يُعَمَّلُ مِثَقَالَ ذُرَّةٍ خَيْرًا يَرَّهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثَقَالَ ذُرَّةٍ فَرَّا يَهُ هُ.

المفردات ،

شهادة بي تكم الشهادة؛ قول صادر عن علم حصل، يطريق البصر أو السمع، أو يهما جميعا. إن التم ضريقم هن الأرض: أي : سافرتم فيها.

تتمبس واستهاما أي: تمسكونهما، وتمنعونهما من الانطلاق والهرب.

إن التعبيب تسمع أي : شككتم في صدقهما فيما يقران به.

الله الأشياب العاصين.

التفسير،

١٠٠ - بألَّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا صَهَادَةُ بَيْكُمْ إِذَا حَمَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ النَّانِ ذَوَا عَدْلُ مُنكُمْ أَوْ آخَرَانِ
 مِنْ خَيْرِكُمْ ... الآية .

لما بين الله تعالى – فى الآية السابقة – أن المرجع إليه وحده بعد الموت، وأنه هو الذي يتولى الحساب، وجزاء المحسن والمسىء، أرشدنا سبحانه – فى هذه الآية – إلى أنه يلزم – فى الموصية قبل الموت – الإشهاد عليها، حفاظاً على أداء الحقوق الموصّر، بها لمستطعها.

سيب الشزول:

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: « خرج رجل من بنى سهم مع تديم الدارى وعدى ابن بداء، فمات السهمى بأرض ليس بها مسلم. فلما قدما بتركته، فقدوا جامًا من فضة مخومنا بالذهب فأحلفهما رسول الله في بالله تعلى اشتريناه من فأحلفهما رسول الله في بالله تعلى اشتريناه من تعلى اشتريناه من تعلى فقام رجلان من أولياء السهمى، فطفا بالله، لشهادتنا أحق من شهادتهما. وإن الجام لصاحبهم،

وفيهم نزلت : يأنُّهُا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ اللَّهِ.

يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ يَنْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّة النان ذَوَاتِ عَدْل ... الآية .

اعلم الله سبحانه المؤمنين: أن الشهادة المشروعة بينهم - حين الوصية - هي شهادة اثنين من أصحاب العدالة والتقوى: يشهدهما الموصى على وصيته، فيتحملان هذه الشهادة، لأدائها عند الحاجة .

(مِنكُمُ): أي من المؤمنين، وقيل: من أقارب الموصى .

أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ.

أي : من غير المسلمين فكأنه قال: أو شهادة اثنين آخرين من غير المسلمين .

إِنْ أَلتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُصِينَةُ الْمَوْتِ .

أى: إن أنتم سافرتم في الأرض، ونزلت بكم مصيبة الموت، وأردتم الإيصاء، فأشهدوا عَنْلَيْن من أقارب الموصى أو من المرمنين أو لَمَرْين من أهل الذمة. أي فأشهدوا عدلين منكم معشر المؤمنين. وقيل عَنْلَيْن من أقارب الموصى، وذلك إذا تيسر وجودهما، فإن لم يتيسر وجودهما – بسبب السفر مثلا – فيجوز لختيار اثنين من أمل الذمة، وقيل من غير أقارب الموصى له .

تَحْبِسُونَهُمَا مِن يَعْدِ الصَّالاَةِ .

تمنعونهما من الانصراف للتحليف بعد الصلاة. والمراد بالصلاة التي يُحبَسَان بعدها، صلاة العصر؛ لأنه وقت اجتماع الناس؛ ولأنّ الحكّام كانوا يجلسون للقضاء في هذا الوقت بين الخصوم.

وقيل: بعد أي صلاة كانت؛ لأن المسلاة داعية إلى النطق بالصدق، وناهية عن الكذب لقوله تعالى: «... إِنَّ الصَّلاةُ تَعَهِي عَن الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَّرِ ...». (العنكيرت: ٤٠) . والمأثور عن النبي صلى أنه حلف عديا وتميما الداري بعد العصر.

وقد جرى العمل على هذا بين المسلمين.

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبَتُمْ .

فيقسمان عند ارتياب الورثة وشُكُهم، فإذا لم تكن ريبة. فَيُصَدُّق الشاهدان، لأمانتهما وعدم الارتياب فيهما.

لاَ نَشْعَرِى بِهِ لَمَنَّا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى .

أى: لانستبدل بالقَسَم بِالله عرضًا زائلاً من الدنيا. فلا نحلف بالله كاذبين، ولو كان القسم يحقق مصلحة لبعض الأقارب، طمعًا في عرض الدنيا.

ولاً نَكُتُمُ شَهَادَةَ اللهِ. أى ويقول الحالفان – في يمينهما – ولا نكتم الشهادة التي أمر الله تعالى بإقامتها. كما قال تعالى: وَأَقِمُوا الشَّهَادَةَ للِّهِ... الآية . (الطلاق ٢٠) وكقوله سبحانه:

وَمَن يَكُمُّمُهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ... الآية . (البقرة: ٢٨٣) .

إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْأَثِمِينَ .

أى: أننا إذا استرينا بالقسم ثمنًا. أو راعينا فيه قرابة، بأن كذبنا في الشهادة – ابتغاء المنفعة لأنفسنا أو لقرابتنا أو كتمنا الشهادة كلها أو بعضها – كنا من الواقعين في الإثم، المستحقين للعقوبة من الله عليه.

١٠٧ - فَإِنْ عُبِرَ عَلَى أَلْهُمَا اسْتَحَفَّآ إِنَّمَا فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلِيَانِ.

هإن اطلع – بعد القسم – على أن الشاهدين الحالفين استحقا إثما، بسبب الكذب أو الكتمان في الشهادة، أو الخيانة في الشهادة، أو الخيانة في شيء من التركة: التي تحت أيديهما – فعدلان آخران من أقرياء الميت: الذين وجب عليهم أداء الشهادة والقسم. من سائر أقرياء وجب عليهم أداء الشهادة والقسم. من سائر أقرياء الميد، لقوة قرابتهما من الميت واستحقاقهما في وصيته. فيحلفان بالله قائلين. لشهادتنا أحق وأولى بالقبول من شهادة الشاهدين الآئمين السابقين. وما تجاوزنا الحق فيما شهدنا به، وأقسمنا

إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ .

أى : إنا – إذا اعتدينا عليهما، ونسينا إليهما الباطل، وأقسمنا زورًا ويهتانًا – لنكون حينئذ، من الظالمين لهما بالكذب عليهما، ولأنفسنا بتعريضها لسخط الله وعقابه.

١٠٨ - ذَلِكَ أَذْنَى أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى رَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ ثُرَدُ أَيْمَانُ بِتَعَدَ أَيَّانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهُ... الآية .
 بيان للحكمة في مشروعية الشهادة وهذه الأيْمَان.

والمُعنى: أن ذلك التشريع الحكيم، الذى شرعناه، أقرب إلى أن يؤدي المرّتمن على الوصية . الشهادة على وجه الحق والعدل، بلا تغيير ولا تبديل، مراقبة لجانب الله، وخوفًا من عقابه .

فإن في أداء الشاهدين للقَسَم — على مَلاٍ من الناس بعد الصلاة — ما يبعث الرهبة من الله والخوف من عذابه، والرغبة في مثوبته وعظيم أجره .

والذى لا يرتقى إلى هذه المرتبة – من مخافة الله ومراقبته – فإنه – قطعًا – يضاف الاقتضاح والتشهير به، برد اليمين على الورثة الأقربين، حيث يقوم بالشهادة والطف الأوليان، والأحقّان برصية الموصى .

وفي ذلك من الخزى والفضيحة ، ما فيه .

وَاتَّقُوا اللَّهُ وَاسْمَعُوا .

أى: واتقوا الله تعالى - وراقبره واسمعوا، وأطيعوا، واحذروا أن تحلفوا كاذبين في أيمانكم، أو أن تخونوا في الأمانات التي تحت أيديكم . فإن لم تتقوا - ولم تسمعوا ما أمرتم به، وما نهيتم عنه - كنتم المفاسقين الخارجين عن طاعة الله .

وَاللَّهُ لاَيَهْدِي الْقُوْمُ الْقَاسِقِينَ . إلى سبيل الرشاد .

* * *

المفردات :

يسروت السقسنس؛ هو ملك الوَّمْي، جبريل عليه السلام.

السكرة، أو الكتابة.

والهك مستة ، العلم الصحيح الذي يبعث الإنسان على إصابة الحق؛ في الرأى والقول والعمل. والمستة مسوراة ، الكتاب الذي أنزله الله على موسى، أساسًا لشريعته. ولا يسمى به إلا الذي كان قبل التحريف. فما يتداوله اليهود الآن، يحرم تسميته التوراة.

والانجيب المربعة الكتاب الذي أنزله الله على عيسى: أساسًا لشريعته، وينطبق عليه ما انطبق على النطبق على التوراة في التسيية.

الأكسيسمسمة: من ولد أعمى.

والأب مسوم : المريض بمياض الجلد. والبرص: مرض جلدى يُغَيِّر لـون البشرة إلى البياض.

سيحير مسبع : السحر؛ تمويه وتخييل به يرى الإنسان الشيء على غير حقيقته.

التفسيره

١٠٩ - يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ... الآية .

تقهيده

ذكر الله تمالى فيما سبق الدعرة إلى إقامة الشهادة على وجهها، وحذر من شهادة الزور، وأمر بتقوى الله ثم عقب على ذلك بذكر أموال القيامة

قال الفخر الرازى: اعلم أن عادة الله - تعالى - جارية فى هذا الكتاب الكريم أنه إذا ذكر أنواعًا كثيرة من الشرائع والتكاليف والأحكام، أتبعها إمّا بالإلهيات، وإما بشرح أحوال الأنبياء أن بشرح أحوال القيامة، ليصير ذلك مؤكدًا لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع، وهذا لما ذكر فيما سبق أنواعًا كثيرة من الشرائع أتبعها بذكر أحوال القيامة.

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ... الآية .

بمعنى: اذكر أيها المكلف ذلك اليوم الهائل الشديد، يوم يجمع الله الرسل الذين أرسلهم إلى مختلف الأقرام، في شتى الأمكنة والأزمان، فيقول لهم: ماذا أجبتم من أقوامكم ؟

أى: ما الإجابة التي أجابكم بها أقوامكم ؟

أهى إجابة قبول؟ أم إجابة رفض وإباء.

ويما أن الله تعالى يعلم جواب الأمم لرسلهم فالمقصود من السؤال تربيخ قومهم، كما كان سؤال المومودة توبيخًا للوائد .

قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ علاَّمُ الْفَيُوبِ.

أى لا علم لنا يذكر بجانب علمك المحيط بكل شيء، ونحن وإن كنا قد عرفنا ما أجابنا به أقوامنا. إلا أن علمنا لايتعدى الظواهر، أما علمك أنت يا ربنا فشامل للظواهر والبواطن.

وقيل: من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب، ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على أنفسهم.

(وقيل معناه: لا علم لنا بما كان منهم بعدنا، وإنما الحكم للخاتمة (١٠٠٠)

١١٠ - إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ فِعْمَعِي عَلَيْكَ وَعَلَى والِمَتِكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ... الآية .

يستمر هذا الدرس في بيان حقيقة الألوهية، ويستعرض ذلك في مشهد من مشاهد القيامة ويذكر عيسي هنا حيث أن الناس قد أسرفوا في القول حوله،

قال صاحب الظلال:

يلتفت الخطاب إلى عيسى ابن مريم على الملإ ممن ألهوه وعبدوه وصاغوا حوله وحول أمه مريم التهاويل يلتفت إليه يذكّره نعمة الله عليه، وعلى والدته، ويستعرض المعجزات التي آتاه الله إياها، ليصدق الناس برسالته (٢٨).

وقال ابن كبر قوله: اذْكُرْ مَعْنِي عَلَيْكَ. أي في خلقي إياك من أمُّ بلا ذكر، وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي . وَعَلَى والنِّتِكَ. حيث جعلتك لها برهانًا على براءتها مما نسبه الظالمون والجاهلون إليها من الفاحشة . إذْ أَيَّدَنُّكُ بُررح الْقُدُس. وهو جبريل، وجعلتك نبيًا داعيًا إلى الله في صغرك، وكبرك، فأنطقتك في المهد صغيرًا فشهدت ببراءة أمك من كل عيب واعترفت لي بالعبودية.

تُكُلِّمُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهُلاً. أي تدعو إلى الله الناس في صغرك وكبرك، وضمن تكلم معنى تدعو، لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب ٣٠١.

وروح القدس جبريل عليه السلام يؤيده في المهد بالنطق السليم ويؤيده في الكهولة بالتثبيت. وقيل المراد بروح القدس روح عيسي حيث أيده سبحانه بطبيعة روحانية مطهرة في وقت سادت فيه المادية وسيطرت.

وإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وِالنَّوْرَاةَ وِالإِنجِيلَ.

يبين الحق سبحانه عددًا من النعم على عيسى فقد جاء إلى الأرض لا يعلم شيئًا فعلمه الكتابة، أى أن عيسى لم يكن أميًّا، بل كان قارتًا وكاتبًا، وقيل المراد به ما سبقه من كتب النبيين كزبور داود وصحف إبراهيم، أى جنس الكتاب فيشمل الكتب السابقة لأنها جميعا متفقة فى أصول الشريعة.

وعلمتك . الْحَكْمُة . أي سداد الرأي، وإصابة الحق، وفهم أسرار العلوم.

والتوراة. التي أنزلتها على موسى

والإنجيل. الذي أنزلته عليك لتكتمل بهما رسالتك.

وخصهما بالذكر، لأنهما أهم الكتب التي أنزلها الله على أنبياء بنى إسرائيل، ومنهما تؤخذ شريعة عيسى . وإذْ تَعُلنُ مَن اللَّهِن كَهَيَّة الطَّر بِالْدِي فَسْلُمَ لِيهَا فَكُونُ مُؤِرًا بِإذْني.

وهذه محجزة خارقة للعادة لا يقدر عليها بشر إلا بإذن الله فكان عيسى عليه السلام يصبّر من الطين مثل صورة الطير بأمر الله وتيسيره، ثم ينفخ فى هذه الصورة فتكرن طيرًا حقيقيًا بتيسير الله. ليكون ذلك آية تدل على صدقه.

وَتُنْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي.

وتذكر يا عيسى نعمتى عليك، حين تبرئ الأكمة – وهو من ولد أعمى – فتمنحه الإبصار بإذن الله وتيسيره،

وتبرئ (الأبرص) وهو المريض بهذا المرض العضال . بإِذْنِي. وَإِذْ تُغْرِجُ الْمُؤْتَى بِإِذْنِي.

واذكر وقت أن جعلت من معجزاتك أن تخرج الموتى من القبور أحياء ينطقون ويتحركون. وكل ذلك بإذنى ومشيئتى وإرادتى وقد ذكر المفسوري أن إبراء عيسى للأكمة والأبرص وإحياء الموتى كان عن طريق الدعاء، وكان دعاؤه: يا حَي يا قَيْرِه، وذكروا من بين من أحياهم سام بن نوح (١٠٠)

وإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِتْتَهُم بِالْبَيَّاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفُرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ.

من الله على عيسى بالعديد من النعم، وهنا ذكّره بنعمته وقت أن صرف عنه أذى اليهود حين جاءهم بالمعجزات الواضحات سواء ما ذكر منها هنا، أم فى موضع آخر، كإخبارهم بما يأكلون وما يدّخرون فى بيرتهم، فقال الكافرون منهم، ما هذا الذى جثت به إلا سحر بين واضع.

* * *

﴿ وَإِذَ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْعَوَارِيِّتَنَ أَنَّ ءَامِنُوا فِي وَبِرَسُولِي قَالُوْاْ ءَامَنَـّا وَأَشْهَدَ فِأَنْنَا مُسْلِمُونَ ۞ ﴾

المفردات؛

اليحسيسواريسسين و واحدهم حواري، وهو: من أخلص سرا يوجهرا في مودتك. وحواريرا الأنبياء: المخلصون لهم.

التفسيره

١١١ - وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِينِ أَنْ عَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ... الآية .

ذكر الله تعالى نعماءه على عيسى وأمه، وإن كانت معظم النعم خاصة بعيسى إلا أن الارتباط كامل بين الإبن وأمه فكل نعمة على الإبن هي نعمة على الأم.

والحراريون هم المخلصون في العبادة أو الذين أخلصوا قلويهم لله، والحور العين، خالصة البياض، والحوراء شديدة بياض العين، مع شدة سواد العين، وحوارى الرجل خلصاؤه ومنه قول النبي ﷺ في الزبير بن العوام: لكل نبي حواريّ وحواريّ الزبير.

والمراد بالوحى هذا الإلهام أي ألهمو ذلك فامتثلوا ما ألهموا أو أمرتهم بذلك في الإنجيل على لسائك.

والمعنى: اذكر نعمتى عليك - يا عيسى - حين أوحيت إلى الحواريين بطريق الإلهام أو بطريق الأمر على لسانك وقلت لهم:

أَنْ عَامِيُوا بِي وَيِرَسُولِي.

أى آمنوا بأنى أنا الواحد المستحق للعبادة ويرسولى عيسى بأنه مرسل من جهتى قالوا آمنا بالله ويرسوله وأشهد بأننا مخلصون وقد عدد الله على عيسى سبعًا من النعم «إذ أيدتك.. وإذ علمتك.. وإذ تخلق. وإذ تبرئ.. وإذ تخرج الموتى.. وإذ كففت.. وإذ أرحيت» (١٠)

وإنما ذكر الله تعالى قوله: رُإِذْ أُوحَيْتُ. في معرض تعديد النعم لأن صيرورة الإنسان مقبولاً عند الناس محبوباً في قلوبهم من أعظم نعم الله على الإنسان.

فر دات :

هل يستجيب ربك؛ هل يستجيب ربك.

م المائدة؛ الخوان الذي عليه الطعام، أو الطعام نفسه.

تسكسون استسا هسيسنة العيد؛ السرور، أو مراسم السرور.

التفسيره

٢ ١ ١ - إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُتَزِّلُ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ... الآية .

المعنى: وإذكر أيها المتأمل، حين قال الحواريون: يا عيسى ابن مريم، هل يستجيب لك ريك إذا سألته أن بذل علينا مائدة من السماء.

وقد اختلفت التأويلات في قولهم هَلْ يَسْعَطِعُ رَبُّك. ؟

فقيل إن الاستفهام هنا على المجاز لأن المواريين كانوا مؤمنين، ولا يعقل من مؤمن أن يشك في قدرة الله .

فقيل: إن معنى يَسْتَطِيع يطيع، والسين زائدة كاستجاب بمعنى أجاب.

أى أن معنى الجملة الكريمة: هل يطيعك – ريك يا عيسى إن سألته أن ينزل علينا مائدة من السماء، وقيل إن المعنى هل تستطيع أن تسأل ريك أن ينزل علينا مائدة من السماء، ويؤيد ذلك قراءة هَلْ يَسْتَطِيعُ رُبُّك. بالتاء ويفتح الباء في ريك قال معاذ: أقرأنا النبي ﷺ هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّك. وقال معاذ أيضاً: وسمعت النبي ﷺ مرارًا يقرأ بالناء "".

فَالَ اتَّقُواْ اللَّهُ إِن كُتُمُ مُّرُّمِينَ. أي اتقوا الله وقفوا عند حدوده، واملئوا قلوبكم خشية وهيبة منه، ولا تطلبوا أمثال هذه المطالب إن كنتم مؤمنين حق الإيمان، فإن المؤمن الصادق في إيمانه يبتعد عن طلب الخوارق، ولا يقترح على الله.

١١٣ - قَالُواْ نُرِيدُ أَن تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنْ قُلُوبُنَا وَنَفْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ .

شرح الحواريون أسباب طلبهم للمائدة، فهم لم يسألوا ذلك تعنثاً. ولا شكّا في قدرة الله أو نبوّة عيسى. وإنما طلبوا نزيل المائدة الأربعة أسباب:

١ - الأكل منها فتنالهم بركة السماء حين يأكلون من طعام فريد لانظير له عند أهل الأرض.

٢ - زيادة اليقين والاطمئنان حين يرون هذه الخارقة أمامهم ويذكرنا ذلك بدعاء إبراهيم لربه أن يشاهد كيفية إحباء الموتى حتى يطمئن قلبه، قال يتعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْي الْمُوتَى قَالَ إِنْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْي الْمُوتَى قَالَ أَوْلَمْ قُرْمِن قَالُ إِنْرَاقِهِمْ رَبِّ أَرْمِي كَيْفَ تُحْي الْمُوتَى قَالُ إِنْرَةٍ : ٢٩٠) .

٣ - العلم بأن عيسى قد صدقهم في دعوى النبوّة والرسالة.

٤ - ليكونوا شهودًا لدى بقية قومهم على وقوع هذه المعجزة.

١٩٤ - قَالَ عِيسَى ابْنُ مُرْيَمَ اللَّهُمُّ رَبَّتَا أَلَوْلُ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوْلِنَا وَعَامَدٍ لَا وعَايَةٌ مَّمْكَ وَارْزُلْنَا وَأَلْتَ عَيْرُ الرَّاوَقِينَ.

والمعنى: تضرح عيسى إلى الله ربه وخالقه أن ينزل عليهم مائدة من السماء فيها طعام يكفيهم جميعًا من أولهم إلى آخرهم، ويكون أيضًا يوم نزولها عيدًا وسرورًا ويهجة لمن سيأتي بعدنا ممن لم يشاهدها.

وآيَّة مُّنك: واجعلها علامة من لدنك، ترشد القوم إلى صحة نبوءتي، فيصدقوني فيما أبلغه عنك. ويزداد يقينهم بكمال قدرتك.

وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ نَحُرُ الرَّالِقِينَ. وهذا تنييل بمثابة التطيل لما قبله، أي أنزلها علينا يا رينا وارزقنا من عندك رزقًا هنيئًا رغدًا، فإنك خير الرازقين وخير المعطين، وكل عطاء من غيرك لا يغني ولا يشبم.

ه ١ ٩ - قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَرَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكُفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أَعَلَّبُهُ عَذَابًا لاَ أَعَدَّبُهُ أَحَدٌ مَّن الْعَالَمِينَ.

استجاب الحق سبحانه وتعالى لدعاء عيسى عليه السلام، ولكن بالجد اللائق بجلاله سبحانه. لقد طلبوا خارقة، واستجاب الله تعالى على أن يعذب من يكفر منهم بعد هذه الخارقة عذاباً شديدًا بالغًا فى شدته لا يعدبه أحدًا من العالمين فقد مضت سنة الله تعالى من قبل بهلاك من يكدبون بالرسل بعد المعجزة، حيث لا عذر لمن يرى الآيات تترى فى الرسول ثم يطلب معجزة على النحو الذى اقترحه، فيجاب لها، ثم بعد ذلك يكفر، ونحن نثق بأن الأمر كان معجزة فى حد ذاتها فنرات مائدة من السماء عليها طعام كثير يكفى جميع الموجودين.

أما صفة المائدة، وأنواع طعامها، فلم يجئ فيها دليل يعول عليه .

قال ابن جوبر الطبرى: « وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال: كان عليها مأكول، وجائز أن يكون هذا المأكول سمكًا وخبرًا، وجائز أن يكون من ثمار الجنة، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به، إذا أقر تَالِيَ الآية بظاهر ما احتمله التنزيل ("".

وهذه القصة لم ترد في الأناجيل الموجودة في أيدينا، والقرآن الكريم قد بين كثيرًا مما أخفاه أهل الكتاب، أو ضناع منهم علمه بسبب ما، والقرآن مهيمن على هذه الكتب السابقة ومتمم لها. ويعض القصص ورد في القرآن ولم يرد في التوراة أو الأناجيل، لأن التحريف قد دخل في الثوراة والأناجيل ولم يدخل في القرآن الكريم .

قال تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُسِنُّ لَكُمْ كَلِيرًا مَمَّا كُتَمُّ تُخفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَلِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ لُورٌ وكِتَابٌ لِمِينٌ . (الدائد: ١٥) .

وقد ورد في كتب التفسير وصف للمائدة وأنواع الطعام التي نزلت، مثل ما روى أن الملائكة نزلت بالمائدة عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم (١١٠).

قال ابن كثير: وهذه أخبار أسانيدها ضعيفة ولاتخلو عن غرابة ونكارة ("").

هل نزلت المائدة بالفعل ؟

تفيد الآيات القرآنية أن الحواريين قد طلبوا من عيسى أن يدعو ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وأن عيسى قد دعا ربه فعلاً أن ينزلها.

لكن هل نزلت المائدة بالفعل ؟

يرى الحسن ومجاهد أن المائدة لم تنزل، فقد روى ابن جرير بسنده عن قتادة قال: كان الحسن يقول:
لما قيل لهم: فَمَن يُكُمُّرُ مَعْدُ مِنكُم قالوا: لا حاجة لنا فيها، فلم تنزل.

والجمهور يرون أنها نزلت لأن الله وعد بذلك في قوله إِنِّي مُتَرِّلُهَا عَلَيْكُمْ. وروح الآبات القرآنية تؤيد رأى الجمهور وكذلك الآثار التي وردت ترجح رأى الجمهور.

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اَغَيْدُونِ وَأُبِّى إِلَهَ يَنِمِن دُونِ اللَّهِ قَالَ مُسَجَحَنَكَ مَا يَكُونُ لِنَ أَنْ أَقُلَ مَا لَيْسَلِ بِحَقِي إِن كُنتُ قُلْتُدُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ مَعَلَمُ مَا قَالْتُ مُنْفَى وَلاَ أَعْلَى مَا يَكُن أَنتَ مَلَمُ مَا فَيْنَ فَعَيْدُ وَاللَّهُ مَنْ إِلَى مَا أَمْرَقِي بِعِمَّانِ اللَّهُ وَلَي وَلِيمَا اللَّهُ وَلِي وَلَي مَا اللَّهُ وَلِي وَرَبَكُمُ وَكُنتُ عَلَيْهِم شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيمَ فَلَمَا اللَّهُ وَلِي وَرَبَكُم وَكُنتُ مَا اللَّهُ وَلِي وَلَي مَعْفِرُ لَهُم فَا إِلَى اللَّهُ وَلِي مَن اللَّهُ وَلِي وَلَي مَعْفِر اللَّهُ وَلِي مَن مُعَيدًا اللَّهُ وَلِي مَن مَعْفِي اللَّهُ مَا إِلَي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي مَا اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلَي اللَّهُ وَلِي الللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَالِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلَي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَاللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلِي اللْمُ اللَّهُ وَلِي اللْمُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَلِي اللْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

المطردات

سيد الله عما لا يليق بك .

وكنت عليهم شهيداء أي رقيبا، أو شاهدًا لأحوالهم من كفر وإيمان.

شلما توفيتني، التوفى؛ أخذ الشيء وافيا كاملا، ومنه الموت؛ لأن الميت استوفى أجله.

الـــــرةــــيب؛ المطلع على أحوالهم.

التفسيره

١١٦ – وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ٱلنَّتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّى إِلْهَيْن مِن دُونِ اللَّهِ ... الآية .

يعنى : اذكر يا محمد يوم القيامة، يوم يقول الله تعالى هذا القول لعيسى ابن مريم : وقيل بل هذا قولٌ قاله للله لعيسى عند رفعه إلى السماء، لمًّا قالت النصاري فنه ما قالت. وإنما يسأله الله تعالى عن هذا القول وهو يعلم أنه لم يقله، توييخًا للنصارى وقطعًا لحجتهم، وقيل: يقوله أيضًا لقصد تعريف المسيح عليه السلام بأن قومه قد غيِّروا بعده وقالوا عليه ما لم يقُلُهُ، من اتخاذه ربًّا من دون الله، وعبادته وأمَّه من دون الله ، مع أن الله سبحانه ما بعثه إليهم إلا ليعيدوا الله وحده .

وقد نعى الله على الذين اتخذوا المسيح إلهًا في مواضع عدَّة من هذه السورة .

وعبادة أمَّه كانت معروفة فى الكنائس الشرقية والغربية وسمى الذين عبدوها (المُريميُّون)... وهذه العبادة منها :

ما هو صلاة ذات دعاء وقناء على المعبود.

ومنها: ما هو استغاثة، واستشفاع.

ومنها: ما هو صيام ينسب إليها، ويسمى صيام العذراء.

وكل ذلك يقترن بخضوع وخشوع لذكرها ولممورها ولتماثيلها، واعتقاد السلطة الغيبية لها، وأنَّها تنفع وتضرّ في الدنيا والآخرة، إمّا بنفسها أو بواسطة ابنها ويسموُنها: (والدة الإله).

قَالَ سُبْحَانَكَ. أي أنزهك تنزيهًا عن أن يكون معك إله آخر.

مَا يَكُونُ بِي أَنْ أَقُولِ مَالِّسَ فِي بِحَق إِن كُنتُ لَقُلُهُ قَلْمَا مُنَامُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ . أَى ما ينبغى لى أَنْ أَدَّى لَعْفَس ما ليس من حقيها، قأنا مريوب واست برب، وعابد واست بمعبود، ثم ردَّ العلم كلّه إلى الله حيث قال: إِن كُنتُ قُلْلَهُ قُلْلَا عُلْمُتُكُا . أَى: إِن كنت قلت هذا القول وهو: أَتَّجِلُونِي وَأَشَّي لِلَّهِشِ مِن فُرِنِ اللَّهِ . هَأَنت تعلمه ولا يخفى عليك منه شيء، لأنك أنت – يا إلهي – تعلم ما في نفسي أي ما في ذاتى ولا أعلم ما في نفسي أي ما في ذاتك .

والمراد: تعلم ما أعلم، ولا أعلم ما تعلم، وتعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك. وتعلم ما أقول وأفدل. ولا أعلم ما تقول وتفعل.

إِنَّكَ أَلتَ عَلاَمُ الفُوبِ. أَى إِنكَ أَنت المحيية بِجميع الغيوب لا يضفى عليك شيء منها، في الأرض ولا في السماء ومن كان كذلك، فلا تخفي عليه براءتي .

١١٧ - مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهُ رَبَّى وَرَبَكُمْ أَى ما أمرتهم إلاَ بما أمرتنى أن أبلغهم إلياه وهو عبادتك وحدك لا شريك لك هَأنت ربَّى وربهم، وأنت الذي خلقتنى وخلقتهم، فيجب أن ندين لك جميمًا بالعبادة والمضروع والطاعة.

وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمَّتُ فِيهِم . أي : وكنت مراقبًا لأحوالهم، مرشدا لهم مدة بقائي بينهم .

فَلَمَّا تَوَفَّيْتِي كُنتَ أَنتَ الرَّفِيبَ عَلَيْهِم وَأَنتَ عَلَى كُلَّ هَيَّ شَهِيدٌ . أَى فلما رفعتنى إليك حيا إلى السماء بعد أن توفيتني من حياة الأرض، كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم .

وَأَنتَ عَلَى كُلُّ شيءٍ شَهِيدٌ. لا تخفى عليك خافية من أمور خلقك .

ومذهب الجمهور : هو أن عيسى ابن مريم رفع إلى السماء حيًا وهو باق على الحياة التي كان عليها في الدنيا حتى ينزل إلى الأرض في آخر الزمان .

وقال صاحب الطّلال : وظاهر النصوص القرآنية يفيد أن الله سبحانه، قد توفى عيسى ابن مريم ثم رفعه إليه ويعض الآثار تغيد أنه حي عند الله، وليس هنالك – فيما أرى – أي تعارض يثير أي استشكال بيد أن يكون الله قد توفاه من حياة الأرض، وأن يكون حيًا عنده، فالشهداء كذلك يموتون في الأرض وهم أحياء عند الله، أمًا صورة حياتهم عنده فنحن لا ندرى لها كيفًا، وكذلك صورة حياة عيسى – عليه السلام – وهو هنا يقول لريه: إنني لا أدرى ماذا كان منهم بعد وفاتي.

ومن الباحثين من يرى أن معنى: فَلَمَّا تُولَّيْتِي. أي: أمتني وزعموا أنَّ رفعه إلى السماء كان بعد موته.

وذهب غيرهم إلى معنى: فَلَمَّا تُولْيَتَى، أَي وفيتنى أُجرى كاملاً أو المذتنى وافيا بالرفع إلى السماء حيا، إنجاء لى مما دبروه من قتلى من التوفى وهو أخذ الشيء وافيا أي كاملاً، وقد جاء التوفى بهذا المعنى فى قوله تعالى: يَا عِسَى إِلَّى مُتَوَقِّكَ وَرَافِّكَ إِلَى وَمُظَوِّلُ مِن اللّٰبِن كَفُرُواً. «ولا يصبح أن يحمل التوفى على الإماتة، لأن إماتة عيسى فى وقت حصار أعداثه له ليس فيها ما يسوغ الامتنان بها، ورفعه إلى السماء جثة هامدة، سخف من القول، وقد نزه الله السماء أن تكون قبررًا لجثث الموتى، وإن كان الرفع بالروح فقط، فأى مزية لعيسى فى ذلك على سائر الأنبياء، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة، فالحق أنه - عليه السلام - رفع إلى السماء حيا بجسده وروحه وقد جعله الله أية والله على كل شيء قدير» (٩٠).

وقد دلت الآية الكريمة على أن الأنبياء بعد استيفاء أجلهم الدنيوى، ونقلهم إلى البرذخ لا يطمون أعمال أمتهم وقد روى البخارى عن ابن عباس قال:

خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورين إلى الله حفاة عراة غرلا – أي غير مختونين – ثم قرأ: كُمَا بَمَأْنًا أَوْلَ خَلْقٍ شِيمُهُ وَعُمَّا عَلَيْنَ إِنْ كُمَا فَاطِينَ. ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح، وَكُنتُ عَلَيْهِمْ هَهِيدًا مَا دُمْتُ بُهِمِمْ فَلَمًا تُولِّتِني كُنتَ أَنتَ الرَّقِبَ كَلَيْهِم، فيقال لى: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، السل

١١٨ - إِنْ تَعْلَيْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكُ أَنتَ الْفَزِيرْ الْحَكِيمُ فوض عيسى عليه السلام الأمر إلى الله في هذا الموقف الرهيب، أي إن تعذب يا إلهي قومي فإنك تعذب عبادك الذين خلقتهم بقدرتك. وإِن تَغْفِرْ لَهُمْ أي وإِن تَغْفِر لمن أقلع منهم وآمن، فذلك تفضل منك، وأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في جميع أفعالك.

وهذا القول من عيسى قاله على سبيل الاستعطاف، وفي هذا القول تبررُ من القدرة على الحكم في أمنه يوم القيامة، بل الحكم فيهم إلى الله وحده.

قال ابن الأنبارى: معنى الكلام: لا ينيغى لأحد أن يعترض عليك، فإن عذبتهم، فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم – ولست فاعلا إذا ماتوا على الكفر – فلا اعتراض عليك وقال غيره: العفو لا ينقص عرّك، ولا يفرج عن حكمك (١٩٨).

* * *

﴿ قَالَ اللَّهُ مُلَا يَوْمُ يَنفُعُ الصَّلِدِ فِينَ صِدْقُهُمَّ مُّكُمَّ جَنَّتُ غَرِي مِن غَنِهَا ٱلْأَنْهَالُ خَلِدِينَ فِهَا ۗ أَبَدَّ أَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنَّهُ ذَلِكَ ٱلْفَوْذُ ٱلْعَلِيمُ ۞ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَنوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلْ شَيْءٍ فَذِرُ النَّهِ ﴾

التضسير،

 ١٩ - قَالَ اللَّهُ مُلاً يَوْمُ يُعَفَّ الصَّادِقِنَ صِلْقَهُمْ. في هذا الموقف العظيم يتبرأ عيسى ممن اتخذه إلها، ويفوض الأمر إلى الله تعالى.

وهي هذا المشهد نجد قول الحق سبحانه إن هذا اليوم يوم الجزاء يوم يأخذ الصادق في الدنيا جزاء صدقه بنعيم لا يحد في جنة تجرى من تحتها الأنهار هَلَنَا يُزْمُ يَشُعُ السَّادِقِينَ صِنَّقُهُم. إنها كلمة رب العالمين في ختام الاستجواب الهائل على مشهد من العائمين وهي الكلمة الأخيرة في المشهد.

جاء في التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي:

والمراد باليرم في قوله: هَلْ يَرْمُ ... يوم القيامة الذي تجازى فيه كل نفس بما كسبت، وقد قرأ الجمهور برفع يَرْمُ من غير تنوين على أنه خبر لاسم الإشارة، أي قال الله تعالى، إن هذا اليوم هو اليوم الذي ينتفع الصادقون فيه بصدقهم في إيمانهم وأعمالهم، لأنه يوم الجزاء والعطاء على ما قدّموا من خيرات في ديناهم.

أى إن صدقهم في الدنيا ينفعهم يوم القيامة (١١).

لَهُمْ جَنَّاتُ تَحْرِي مِنْ تَحْقِهَا الْأَلْهَارُ خَالِينِ لِهِمَا أَبْنَا وَهِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الفَرْزُ العَظِيمُ. أي إن لهم هذا النعيم الجثماني في الجنات، وما يتبعها من عيشة هنية، ولهم نعيم روحاني متمثل في تكريم الله لهم ورضاه عنهم ورضاهم عنه بما جازاهم به مما لم يخطر لهم على بال، ولا تتصوره عقولهم.

ذَلِكَ الْفُوزُ الْعَظِيمُ. أي ذلك الانتفاع الحسيّ والمعنوى هو الظفر بالمطلوب على أتمِّ الأحوال.

قال الفخر الرازى: اعلم أنه تعالى لما أخبر أن صدق الصادقين في الدنيا ينفعهم في القيامة، شرح كيفية ذلك النفع وهو الثواب، وحقيقة الثواب: أنها منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، فقوله: فَهُمْ جَنَّاتَ نَعْرِي مِنْ تَحْيَهَا الأَنْهَالُ. إشارة إلى المنفعة الخالصة عن الغموم والهموم، وقوله: خَالِمِينَ لِيهَا أَبْدًا. إشارة إلى الدوام واعتبر هذه الدقيقة: فإنه أينما ذكر الثواب قال: خَالِمِينَ فِيهَا آبُدًا. وأينما ذكر الفشاق من أهل الإيمان، ذكر لفظ الغلود ولم يذكر معه التأبيد، وأماً قوله: وحَيى اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ. فقصة أسرار عجيبة لا تسمح الأقلام بمثلها، جعلنا الله من أهلها (**).

١٢٠ لله بُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنْ وَمُو عَلَى كُلْ شَيْءٍ قَلْيِر. يأتى هتام هذه السورة متناسقًا مع موضوعاتها معلقا على تلك القضية الكبرى التي زعمت لله ولدًا ومع ذلك المشهد العظهم الذي يتفرد الله فيه بالعمل ويتفرد بالألوهية، ويتفرد بالقدرة، وينيب إليه الرسل ويفوضون إليه الأمر كله، ويفوض فيه عيسى ابن مريم أمره وأمر قومه إلى العزيز الحكيم.

جاء في فتح القدير للإمام الشوكالي:

لِلّٰهِ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْشرِ. دون عيسى وأمه وسائر من ادُّعيت لهم الربوبية، ودون سائر مخلوقات الله تعالى .

وَمَا فِيهِن. أي من جميع الخلائق كلهم ملك لله تعالى، فليس له ولد ولا والد.

وَهُوَ عَلَى كُلُّ شَيءٍ قَلْيُر. أي فلن يحتاج منهم إلى نصير ينصره.

وهذه الآية مسك الختام لهذه السورة الكريمة التي اشتملت على كثير من التشريعات التي تتعلق بالمحلال والحرام، وبالعبادات والحدود والقصاص والأيمان، كما اشتملت على أمور تتعلق بأهل الكتاب، فذكرت حكم أطعمتهم وحكم زواج المحصنات من نسائهم، كما ذكرت أقوالهم الباطلة في شأن عيسى وأمّه وردت على مزاعمهم وفندت أقوالهم بالحجة البالغة ولا عجب فالقرآن كتاب: لا يُأْتِيهِ الْهَالِمِ الْهَالِمُ مَنْ حَكِيم حَمِيةٍ (فصلت ٤٢).

تم تفسير سورة المائدة، ويتبعه تفسير سورة الأنعام إن شاء الله تعالى. (اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستفقرك لما لا نعلمه)، اللهم وفق وأعن وتقبل، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. الخميس ٩ رمضان ١٤١٠ هـ العواقق ٥ / ٤ / ١٩٩٠ م بسلطنة عمان بجامعة السلطان قابوس.



دروس من سورة الأنعام

١ - كيف أنزلت ؟

سورة الأنعام سورة مكية وهى أول سورة مكية فى ترتيب المصنحف فسورة البقرة وآل عمران · والنساء والمائدة كلها سور مدنية أما سورة الأنعام فهى أول سورة مكية، توضع فى السبع الطوال من سور القرآن الكريم.

وقد جاءت عدة روايات تذكر فضل سورة الأنعام وتبين أنها نزلت جملة واحدة مشيعة بالملائكة.

قال الإمام الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» :

وإن هذه السورة المتصت بنوعين من الفضيلة . أحدهما : أنه نزلت دفعة واحدة والثانى : أنها شيمها ألفا من الملائكة والسبب فى ذلك أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإجطال مذاهب المبطلين والملحدين.

ويقول القرطبي:

قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة وإن تصرف ذلك بوجوه كليرة وعليها بني المتكلمون أصول الدين.

وعدد آيات سورة الأنعام (١٦٥) آية وعدد كلمتها (٣٠٥٣) كلمة.

٢ - ثم سميت بسورة الأنمام :

سميت هذه السورة بسورة الأنمام، والأنمام نوات الخف والظلف: وهى الإبل والبقر والغنم بجيمع أنواعها، لأنها هى السورة التى عرضت لذكر الأنمام على تفصيل لم يرد في غيرها من السور، فقد ورد ذكر الأنمام في مواضع كثيرة من القرآن عرضا، أما سورة الأنمام، فقد جاءت بحديث طويل عن الأنمام، استغرق خمس عشرة آية، من أول الآية ٢٣٦ إلى آخر الآية ١٥٠. وقد تناول الحديث عن الأنمام في هذه الآيات من السورة جوانب متعددة، تتصل بعقائد المشركين فبينت السورة ما في عقائدهم من الخلل والفساد، إذ كانوا يحرمون بعض الأنمام على أنفسهم، ويجعلون قسمًا من الأنمام لألهتم وأصنامهم: وقسمًا لله، ثم يجورون على القسم الذي جعلوه لله فيأخذون منه لأصنامهم.

٣ - تاريخ نزول السورة :

نزلت سورة الأنعام في السنة الرابعة من البعثة المحمدية، أي عقب أمر النبي ﷺ أن يصدع بالدعوة ويعلنها للناس بعد أن أسر بها ثلاث سنين.

وتميزت الفترة التى نزلت فيها سورة الأنعام بقسوة المشركين وعنفهم فى مقاومة الدعوة الإسلامية وإنكارها، فقد بدأت الدعوة سرا ثم جهر النبى بدعوته فى مكة، ونزلت سورة الأنعام بعد الجهر بالدعوة بسنة واحدة، فاستعرضت الأدلة على توحيد الله وقدرته ثم ساقت أدلة المشركين وشبههم فأبطلتها وفندتها .

وقد أخذ المشركون بالنجاح الذي صارت عليه دعوة الإسلام حتى استطاعت أن تستمان بعد الشغاب المفاه، وأن تتحدى في صوت عال ونداء جهير، بعد أن كان المؤمنون بها يلجئون إلى الشعاب والأحاكن البعيدة لهوندوا صلاتهم، ورأى المشركون أن محمدا ماض في إعلان دعوته وتلاوة ما أنزل عليه من الكتاب، وفيه إنذار لهم وتفنيد لمعتقداتهم وتسفيه لأرائهم، وإنكار لألهتم، وتهكم بأوثانهم وتقاليدهم البالية، فكان منهم من يستمع للقرآن متأثرًا بقوته أو متذرقا لبلاغته، ومنهم من يبعد عنه خوضًا منه . يومنذ واجهت دعوة الحق أعدامها مسفرة واضحة متحدية، ووقف هؤلاء الأعداء مشدوهيين مضمطريين، يشعرون في أعماق نفوسهم بصدقها وكذبهم، ويترقبون يومًا قريبًا لانتصارها وانهزامهم، ولا يجدون لهم حيلة إلا المكابرة والمعارضة المستميتة بما درجوا عليه من العقائد الباطلة، وبادعائهم كذب الرسول، ويزعمهم أن إرسال الرسل من البشر أمر لم يقع من قبل، وأن الله لو شاء إبلاغ عباده شيئا لأنزل إليهم الملائكة، وأنكر كفار مكة البعث والدار الآخرة، واستماتوا في الدفاع عن عقائدهم وألهتهم، ونسوا أن محددًا عاش فيهم عمرًا طويلاً لم يقل فيهم واستماتوا في الدفاع عن عقائدهم وألهتهم، ونسوا أن محددًا عاش فيهم عمرًا طويلاً لم يقل فيهم وسا قرلة كانوا ياتبرنه بالصادق الأمين.

ولكنهم فكروا فقط في أن الدعوة الجديدة يجب أن تموت في مهدها، ويجب أن تكتم أنفساها قبل أن تنبعث حرارة هذه الأنفاس إلى البلاد والقبائل والشعوب.

ووجهت الدعوة الإسلامية بهذا النضال وتحملت جميع مقتضياته وأثقاله، وكانت سورة الأنعام مثالا لتحقيق هذه الدعوة الإسلامية في هذه الفترة. فقد جمعت كل العقائد المسحيحة، وعنيت بالاحتجاج لأصول الدين، وتفنيد شبه الملحدين، وإبطال العقائد الفاسدة، وتركيز مبادئ الأخلاق الفاضلة.

٤ - معيزات العلكي والمدني ا

وضع العلماء ضوابط تميز السور المكية من المدنية، واستنبطوا خصائص الأسلوب والموضوعات التي تناولتها كل مجموعة منها.

فمن خصائص السور المكية ما يأتي :

- ١ الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده وإثبات الرسالة وإثبات البعث والجزاء وذكر القيامة وهولها والنار وعذابها والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.
- ٢ وضع الأسس العامة للفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضع جرائم المشركين
 في سنك الدماء. وأكل أموال اليتامي ظلمًا، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.
- تكر قصم الأنبياء والأمم السابقة زجرًا للكافرين حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية
 لرسول الله ﷺ حتى يصبر على أذاهم ويطمئن على الانتصار عليهم.
- ٤ قصر القواميل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، بما يُصِيخُ الآذان ويشتد قرعه على المسامع،
 ويتبه القلوب ويحرى الأفتدة.

ومن خصائص السور المدنية ما يأتي:

- ا بيان العبادات والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والغلاقات الدولية في السلم والحرب وقواعد الحكم ومسائل التشريع.
- ٢ مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى السلام، وبيان تحريفهم لكتب الله،
 وتجنّيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.
- ٣ الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وييان خطرهم على
 الدين.
 - ٤ طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها.

0 - خصائص السور المكية واضحة في سورة الأنعام :

«سورة الأنعام مثل كامل للخصائص المكية، إنها حشد من الصور الفنية العجيبة واللمسات الوجدانية الموحية، والمنطق الطبيعى الحى .. وهى كلها من أولها إلى آخرها تنبض بإيقاع واحد، وتترقرق بماء واحد وتفيض بينبوع زاخر متدفق» (°). «إن موضوعها الذي تعالجه من مبدئها إلى منتهاها هو موضوع العقيدة، بكل مقوماتها ويكل مكوناتها، وهي تأخذ بمجامع النفس البشرية وتطوف بها في الوجود كله، وراء ينابيع الحقيقة ومحياتها المستترة والظاهرة في هذا الوجود الكبير ... إنها تطوف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض، تلحظ الظلمات فيها والنور، وترقب الشمس والنجوم، وتسرح في الجنات المعروشة، والحياة الباطلة والجارية، وتقف على مصارع الأمم الخالية، وآتارها الهائدة والباقية، ثم تسبح مع ظلمات البحر والهر وأسار الغيب والنفس، والحي يخرج من الميت والمهت يخرج من الحي ومع علمات البحر والهر وأسار الغيب والنفس، والحي يغرج من الميت تموج بالجن والأدب، والنطفة المستكنة في ظلام الأرض، والنطفة المستكنة في ظلام الرحم. ثم

إنه الحشد الكونى الذي يرحم أقطار النفس، وأقطار الحس، وأقطار اللمس وأقطار الخيال.. ثم إنها اللسمات المبدعة المحببة، التى تنتفض المشاهد بعدها والمعانى أحياء تمرح فى النفس والخيال. وإذا كل مكرور مألوف من المشاهد والمشاعر جديد نابض كأنما تتلقاه النفس أول مرة، ولم يطلع عليه من قبل ضمير إنسان. إلا أنها القدرة المبدعة تتبدى فى صورة من صورها الكثيرة فما يقدر على بث الحياة هكذا فى المصور والمشاعر والمعانى إلا الله الذي بث فى الوجود الحياة (الم

٦ - الأغراض الرئيسية لسورة الأنعام :

إن الأغراض الرئيسية التى استهدفتها هذه السورة الكريمة هى تركيز العقائد الأساسية الثلاث التى كان المشركون يومئذ يتنازعون فهها، وهذه العقائدة الأساسية هى:

أولاً : توحيد الله, ويتصل بهذا إقامة الدليل على وحدة الألوهية، بلفت النظر إلى آثار الربوبية، وإلى صفات الله الخالق المتصرف، كما يتصل بها إبطال عقيدة الشرك، وشبهات المشركين، وتقرير أن المبادة والتوجه والتحريم والتحليل، إنما ترجع إلى الله.

ثانيًا : الإيمان برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل، وبيان وظيفة هذا الرسول ورد الشبهات التي تثار حول الوحى والرسالة.

ثَالْعًا : الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب وجزاء.

وسوف نتناول كل غرض من هذه الأغراض بالتوضيح:

(أ) وحدة الألوهية:

لقد بدأت سورة الأنعام بتقرير الحقيقة الأولى في كل دين وعلى لسان كل رسول، تلك الحقيقة التي تؤمن بها الفطر السليمة ويدل عليها الحالم بأرضه وسمَائه. وما فيه من مخلوقات ناطقة وسامته ظاهرة وخفية، وما فيه من تحولات وتقلبات ونور وظلمات؛ وهذه الحقيقة هي أن الإله الذى الصدر المطلق والتنزيه الذي لا يحد هو الله هو الذي «خلق» وهو الذي «جعل»؛ فالخلق إنشاء وإبداع، والجعل تصريف وتقليب، والعالم أجمع في دائرتيهما؛ فلا ينفك شيء منه عن كلا بنفك شيء منه عن كلا منين المظهورين: «خلق» و«جعل» ومقتضى ذلك أن المخلوق المجهول، لا يمكن أن يتسامى إلى مرتبة الخالق الجاعل فيعيد كما يعبد؛ ويقصد كما يقصد؛ ذلك هو مطلع السورة (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بريهم يعدلون). وكل ما جاء في هذه السورة إنما هو بيان وتقصيل؛ أو تمثيل وتطبيق على هذه الحقيقة أحيانا بصفة مباشرة، وأحيانا بسفة مباشرة، وأحيانا بسفة مباشرة، وأحيانا برسلط تقرب أو تبعد.

وهذا هو المعنى الذي يعبر عنه بعض العلماء بأنه الحكم بتوحيد الألوهية استدلالاً بوحدانية الربوبية، وذلك في القرآن كثير فأول فاتحة الكتاب:

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وأول الكهف:

الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْده الكتابَ.

وأول فاطر:

الحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَواتِ والأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً.

ولو ذهبنا ننتبع هذا المعنى فأوغلنا فى التتبع، ورأينا الكثير من الآيات فإن هذا هو أصل الأديان كلها وهو الحقيقة الأولى كما تجلى ذلك فى سورة الأنحام. وقد ساقت السورة عددًا من الأدلة على توحيد الله، فهى تلفت النظر إلى مظاهر الملك التام، والسلطان القاهر فى الخلق والتصوف الكامل، والطم المحيط فتقول:

قُل لِمَنْ مَا فِي السَّمَاواتِ والأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ. (الأنعام ١٢).

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وِالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (الأنعام ١٣).

وَعِنْدُهُ مَفَاتِحُ الْفَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. (الأنعام ٥٩).

وَهُوَ اللَّهِي يَقُوفًاكُمْ بِاللَّيْلِ وِيَعْلَمُ مَا جَرْحَتُمْ بِالنَّهَارِ. (الأنعام ٦٠).

وهي تلفت النظر إلى ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله من شيء، لأن هذا النظر لابد أن يثمر الإيمان بالله .

بل تلفت نظر الإنسان إلى نفسه، ليتفكر في داخله كيف خلق؟ وكيف يفكر وكيف يعيش وكيف يموت؟

ويهذا تكون الحجة عامة لكل ذي عقل سليم ونطرة صافية وإخلاص في تطلب الحقيقة من دلائلها المبثرثة في آفاق السماوات والأرض ولذلك يقول جل شأنه:

سَنَّر يهِم آيَاتِنا فِي الآفَاقِ وفِي أَنفُسِهم حَتَّى يَنيَّنَ لَهُمْ أَلَّهُ المَق أَو لَم يَكُف بِرَبُّك أَلَّهُ كُلُّ شيءٍ شَهِيدٌ. (فصلت ٥١)

(ب) قضية الوحى والرسالة؛

كما تحدثت سورة الأنعام عن الألوهية والربوبية، ولفتت الناس إلى مظاهرهما في الخلق والتصرف والتدبير المحكم، تحدثت عن حقيقة ثانية تنبنى على الإيمان بهذه الحقيقة الأولى: ذلك أن من شأن الإله الرب أن يهدى عباده ويرشدهم إلى ما تصلح عليه أمورهم وتقوم عليه سعادتهم في دنياهم وأخراهم.

ومن رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب لهداية الناس من الضلالة إلى الهدى وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وقد عنيت سورة الأنعام بهذه الحقيقة، فتحدثت في كثير من أياتها عن الوحي والرسالة من جوانب شتى، بعضها يتصل بإثبات الوحى وبيان حكمته والرد على منكريه، وبعضها يرجع إلى بيان ما هو من وظيفته، وبعضها يتصل بموقف الناس أمام الرسالات الإلهية، وبعضها يتعلق الأداب التي رسمها الله للرسول وما ينبغي أن يكون عليه سلوكه مع مضالفيه وموافقيه. قال تعالى:

وَأُوحِيَ إِلَىَّ هَلَا الْقُرَّانُ لِأُنْلِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ. (الأنعام ١٩).

وَهُوَ الذِي ٱلْزَلَ إِليْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلًا والدِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يُقَلَمُونَ أَلَّهُ مُنزَلٌ مَنْ رَبَّكَ بِالعَقَّ فَلاَ تَكُونَنُ مِنَ المُمَّذِينَ. (الانعام ١٩١٤).

تكذيب المرسلين،

عرضت السررة لموقف المكذبين من الرسالة وبينت أن التكذيب سنة قديمة. فعلى الرسول أن يصبر ويصابر حتى لا يضيق صدره بتكذيبهم إياه؛ ولا ييأس من هدايتهم. وبينت السورة حسن عاقبة المرسلين. وسوء عاقبة المكذبين قال تعالى : قَدْ تَعَلَمُ إِنَّهُ لِيَخْوَلَكَ اللِّي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُحَكَّيُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. وَلَقَدْ كُلَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَعَمَرُوا عَلَى مَا كُلَّبُوا وَأُودُوا حَتَى أَتَاهُمْ نَصْرَنَا وَلاَ شَيِّلُ لِكُلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ. (الانعام ٢٤٠).

وَلَقَدَ اسْتُهْوِيءِ بِرُسُلِ مِنْ قَلِلِكَ فَحَاقَ بِاللِّينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. (الاندام ١٠).

نبوة محمد ﷺ:

أثبت القرآن الوحى والرسالة: ثم أثبت نبوة محمد ﷺ بالدليل القاطع والحجة البالغة. فقد نشأ هذا النبى يتبدًا فقيرًا أميًّا فى بيئة مشركة جاهلة: فمن أين له هذا الكتاب المحكم الذى اشتمل على مبادىء الإصلاح العالمي كلها؟ والذي لم يستطع العلم في أزهى عصوره أن يهدم حقيقة من المقائق التي جاء بها.

إن القرآن قد تحدى العرب ببلاغته وقوة بيانه فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بعشر سور منه؛ أو بسورة واحدة .

وقد تحدى القرآن الزمان كله بخلو ده وصحته: وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حُرِّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا آنَزُلُ اللَّهُ عَلَى بَشَر مِنْ شَيء. (الأنمام ٨١).

(ج) قضية البعث والجزاء ،

نزلت سورة الأنعام في السنة الرابعة من البعثة بعد أن أمر الله رسوله أن يجهر بالدعوة وأن يعلن عن العقيدة الإلهية ويقرر حقيقة البعث والجزاء علناً أمام المشركين.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذِي حَلَقَ السَّمَواتِ والأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ثُمَّ الذِينَ كَفَرُوا برَّاهِمْ يَعْدِلُونَ. (الانعام ١).

فمن خلق السماوات والأرض بقدرته، فهو قادر على إحياء الموتى وإعادة خلق الإنسان فخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يحلمون.

وكررت هذه الحقيقة وأكدت في أياتها بصور شتى فذكرت أن البعث حق، وأن الله بيده الخلق والأمر والبدء والإعادة والحساب والجزاء قال تعالى: لَيَجْمَعَتَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة لا زَيْبَ قيه. (الأنعام ١٢) .

وقال سبحانه:

ثُمَّ إِلَى رَبَّكُمْ مَرَّجِعُكُمْ فَيُنَبُّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتِلْفُونَ. (الأنعام ١٦٤).

وقد لون القرآن في قضية البعث والجزاء واستدل عليها بعديد من الأدلة، منها: أن الحكمة والعدل يقضيان بأن يذال المحسن إحسانه والعدل يقضيان بأن يذال المحسن إحسانه والمسيء إسامته حتى يطهر المسيء من دنس النفس ويكون أهلا لرحمة الله الكاملة، وهذان شأنان هامان إذ كثيراً ما يرتحل الناس عن الدنيا دون أن يسهل طريق النقاء لمن دسي نفسه، ودون أن يعرفوا الحق فيما اختلفوا فيه وإذن فلا بد من دار أخرى يلقى الإنسان فيها الجزاء أمام حاكم عادل عليم خبير بكل ما قدم الإنسان.

وقد تعرض أحد القضاة الفرنسيين لتاريخ القضاء فى فرنسا وأصدر كتابا ذكر فيه عديدا من الحالات حكم فيها بالإعدام أو الإدانة على متهمين ثم برأتهم الأيام والحقائق، وأحصى عديدًا من الحالات برأ القضاء فيها متهمين ثم أثبتت الأيام وحقائق الأحداث أنهم مدانون .

ثم عقب القاضى بقوله: إنه لابد من جزاء وحساب أمام قاض آخر لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه حادثة فى دار أخرى ليعوض الناس عن أخطاء القضاء فى الدنيا وليكون حكمه فيصلا ومنصفاً للمظلومين ورادعا للمجرمين.

وفي القرآن الكريم أيات عدة تؤكد هذا المعنى، قال تعالى :

لَيْجَوْقَ الدِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ بِاللَّفَــْدِ والدِينَ كَفُرُوا لَهُمْ شَرَابٌ بِنْ حَمِيم يَحَكُمُونَ. (الاندام ٧٠) .

أَم حَسِبَ اللِّينَ اجْتَرَحُوا السَّيَّناتَ أَنْ تَجَعَلُهُمْ كَاللِّينَ أَنْتُوا وَعِملُوا الصَّالحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. (البالية ٢١).

وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لِعبَّ ولهُو وللدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتْقُونَ أَفَلاَ تَغْفِلُونَ. (الأنعام ٣٢).

وقد لون القرآن ونوع في أدلته على إثبات البعث، وعرض مشاهد القيامة واضحة للعيان. وعرضت سورة الأنعام لشأن البعث باعتباره أمرًا كاننا ليس موضع إنكار، ولا محلا لريب وصورت فيه مواقف المشركين وما سيكونون عليه في ذلك اليوم كأنهم حاضرون معروضون أمام الناس يتأملهم الإنسان ويرى فعلهم وقولهم: قال تعالى: ويَوْمَ لَحَشْرُهُمْ جَمِيعًا ثم تَقُولُ للَّذِينَ أَشْرَكُوا آيَنَ شُرَكَاوَكُمُ الذِينَ كُتُتُمْ تَزْعُمُونَ لَمْ لَمْ تَكُن فِيتَنَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا واللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. الظُّرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَفْسِهِمْ وَصَل صَغْهُمْ مَا كَانُوا فِقْرُونَ. (الأندام ٧٧ – ٧٤).

قال سبحانه:

وَلَقَدْ جِثُنُمُونَا لُوَادَى كَمَا حَلَقَناكُمْ أَوَّلَ نَرَقَ، وَتَرَكُنُمْ مَا خَوْلُنَاكُمْ وَزَاءَ ظُهُورِكُمْ وما نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاء كُمُ الَّذِينَ وَعَمْمُ أَنْهُمْ لِيكُمْ هُرَكَاءُ لَقَدْ فَقَطْعَ يَيْسَكُمْ وَصَلاعً عَتَكُم مَا كُنُّهُمْ تَزْعُمُونَ. (الأنماء ١٠) .

إلى غير ذلك مما تضمنته السورة من الوصف العينى لمظاهر البعث الذي يأخذ القلب وينير الوجدان .

٧ - قصة إبراهيم الخليل :

حقلت سورة الأنعام بذكر طرف من قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، فإبراهيم أبو الأنبياء، والرسول الذي دافع عن التوحيد وتحدى عباد الأصنام، وأخذ يتأمل بفكره في ملكوت السماوات والأرض، ليرشد قومه عن طريق الحوار إلى فساد اعتقادهم ودليل خطئهم في تأليه الكواكب والقمر والشمس وغيرها. جن عليه الليل وستره الظلام فرأى كوكبا مما يعبدون وهو بين جماعة منهم يتحدثون ويسمرون فجاراهم في زعمهم وحكى قولهم فقال هذا ربى فلما أقل هذا الكوكب. وغاب هذا النجم تحت الأفق تفقده فلم يجده ويحث عنه فلم يره فقال لا أحب الآلهة المتفيرة من حال إلى حال.

ولما رأى القمر بازغا وهو أسطع نورا من ذلك الكوكب وأكبر منه حجما وأكثر نفعا قال:

هَلْدًا رَبِّي. استدراجًا لهم واستهواء لقلويهم، فلما أفل هذا أيضا واحتجب، واختفى نوره واستتر قال: فَين لَمْ يَهْلِينِي رَبِّي لاَّكُونُنَّ مِنْ القَوْمِ الضَّالِّينِ. (الأعمام ۷۷) .

بين لهم أن الله مصدر الهداية، ومانح التوفيق عند الشك والحيرة. ثم رأى إبراهيم الشمس بازعة يتألق نورها وينبعث منها شعاعها وقد كست الدنيا جمالا وملأت الأرض حياة ويهاء، وأرجاء الكون نورًا وضياء، فقال: هذا ربى، هذا أكبر من كل الكواكب، وأكثر نفعاً وأجل شأنا، فلما أفلت كغيرها، وغابت عن عبادها، رماهم بالشرك وقال:

إِنَّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . فهذه الكواكب التي تنتقل من مكان إلى مكان وتتحول من حال إلى حال لابد لها من خالق بدبرها ويحركها وإله ينظمها ويسيرها، فهي لا تستحق عبادة ولا تعظيمًا.

وبعدا أن أعلن إبراهيم انصرافه عن آلهتهم، ويراءته من معبوداتهم أقاض الحديث عن إخلاصه لله بعبادته وخضوعه فقال: إِلِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَعَلَوَ السَّمَواتِ والأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكينَ. (الأندام ٧٩).

ولقد كان إبراهيم جريتًا في إعلان إيمانه، وإخلاصه لريه، ومجادلة قومه وإفهامهم أن غير الله الله على الله على الله في الله وحده هو النافع الناس والمعطى المانع، وهو على كل شيء قدين وقد ناقش إبراهيم أباه، وأوضع له طريق الهداية والكله الله الله الله الله الله الله تبرأ منه، وهكذا كان إبراهيم عمليًا في دعوته، عمليًا في دعوته، عمليًا في دعوته، عمليًا في دعوته، عمليًا في مجرته وعزلته.

وقد ظهرت قدرة إبراهيم وإشلاصه وتضحيته، حين حطم الأصنام، ولام قومه على عهادة ما لا يسمع ولايبصر، ولا يضر ولا ينفع، وظهرت يطولة إبراهيم حين امتحنه الله بذبح ولده إسماعيل، فامتثل إبراهيم لأمر ريه وشاطب إبنه قائلا:

يَابَتَنَى إِلَى أَرَى هى المَمَامَ أَنَى أَفْيَحُكَ فَالنَّهُوْ ماذا تَرى قَالَ يَا أَيْتِ الْفَعَلَ مَا تُوثُورُ سَيْجِلِينِ إَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّامِينَ. (المساهات ١٠٧).

وصدق الأب في طاعة ريه، وصدق الإبن في الوفاء والامتثال، وعزم الأب على ذبح ابنه وأحلص النية ، فلما رأى الله منه صدق النية فدى إسماعيل بكيش عظيم وأصبحت الأضحية سنة في كل عام، يذبحها الغنى المقتدر ويوزع من لحمها على الفقراء وعلى الأصدقاء، ذكرى للتضحية والفداء. واقتداء بإبراهيم الخليل، وكم لإبراهيم من مواقف جليلة عظيمة في مصر، وفي فلسطين، وفي جوار بيت الله الحرام، وفي بناء الكعبة وهو يخلص الدعاء لله في كل عمل. وقد مدحه القرآن ووصفه بأحسن الصفات إذ يقول جل جلاله:

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَائِنًا لِلهِ حَبِيفًا وَلَمْ يَك مِنَ الْمُشْرِكِينَ. (النحل ١٢٠).

٨ - الوصايا العشر :

افتتح الربع الأخير من سور الأنعام بالدعوة إلى عشر وصايا هى النهى عن الإشراك بالله، والأمر بالإحسان إلى الوالدين ، والنهى عن قتل الأولاد مخافة الحاجة، والنهى عن مقارية القاحشة فى السر أو العلن، والنهى عن قتل النفس التى حرم الله قتلها. ثم أمرت الآيات بالإحسان إلى اليتيم وإتمام الكيل والميزان، كما أمرت بالعدل فى كل شىء وأمرت بالوفاء بالعهد والاستقامة على الصراط القويم . الوصية الأولى: من هذه الوصايا العشر التي وردت بسورة الأنمام هي قوله تعالى:

قُلْ تَعَالَوْا أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا. (الأنعام ١٥١) .

وهي الأساس الذي يصلح عليه أمر الناس، فإن المجتمع الذي يقوم على إيثار الله على كل ما سواه هو المجتمع الفاضل المثالي السعيد، أما المجتمع الذي يشرك بالله أحدًا أو يشرك بالله شيدًا، فإنه مجتمع منحل، تسيره المادة الصماء التي لا روح فيها ولا صلاح ولا قرار معها.

والوصية الثانية: وَبِالوالِدِيْنِ إِحْسَانًا . (الأنعام ١٥١).

فالوالدان سبب في حياة الولد فيجب أن يشكرهما ويحسن إليهما خصوصًا في حالة الكبر والشيخوخة.

و الوصية الثالثة: وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مَنْ إِمَلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وإِياهُمْ. (الأنعام ١٥٣).

إن قتل الإنسان لابنه اعتلال في الطبع أو خلل في العقل، فإن الولد بضعة من الوالد، والشأن حتى في الحيوان أن يضحى الوائد من أجل أولاده ويحميهم ويتحمل الصعاب في سبيلهم، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ «إن من أكبر الكبائر أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك» (١٠٠/ إذ أن الله يبسط الرزق لمن يشاء، وَمَا مِنْ دُايَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزَقَهَا . (مود: ٢) .

الوصية الرابعة: ولا تَقْرَبُوا القَوَاحِشَ مَا ظَهَر مِنْهَا وَمَا يَطَنَ. (الأنمام ١٥١).

والفراحش مى كل فعل تنكره العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والمجتمع الذي يؤمن بأن هناك (فواحش) يجب أن تجتنب و(محاسن) يجب أن تلتمس هو المجتمع السليم الجدير بالنمو والارتقاء.

الوصية التعامسة: ولاَ تَقْتُلُوا النَّفْس اللَّهِ عَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالمَحَقَّ ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِه لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. (الانعام ١٥١).

فالإنسان بنيان الله، ومن هدم بنيان الله ملعون، ويذلك يقرر الإسلام عصمة الدم الإنساني إلا بالحق، ويعتبر من يعتدى على نفس واحدة بغير حق كأنه اعتدى على الإنسانية كلها. وهو المبدأ الذي يعتبر أن الجريمة لعتداء على المجتمع كله.

والوصية السادسة: وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَّعِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. (الأنعام ١٥٢).

فاليتيم عارض يعرض في كل مجتمع، ومن شأن المجتمعات الناضجة أن ترعى اليتامى وأن تحافظ على صلاحهم في أنفسهم وفي أموالهم. وعلى الوصى أن يعامل اليتيم كما لو كان إبنا من أبنائه فيحسن توجيهه وتأديبه ورعايته وكفالته حتى ينشأ اليتيم مواطنًا صالحًا وعضوًا نافعًا. والوصية السابعة: وَأَوْفُوا الكَيْلَ والْمِيزَانَ بِالقِسْطِ. (الأنعام ١٥٢).

فالمؤمن عادل في بيعه وشرائه يضبط الكيل ويعطى الحق ويأخذ الحق.

والوصية الثامنة: وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا . (الأنمام ١٥٢).

والعدل هو أساس الحكم السليم، العدل في القول، والعدل في الحكم، والعدل في الشهادة، والعدل في كل فعل وعمل.

والوصية التاسعة: وَيَعَهْدِ اللَّهِ أَوْقُوا. (الأنعام ١٥٧).

والوفاء خلة حميدة، وصفة طيبة من الصفات التي يتحقق بها الخير والمسلاح وتستقر عليها أمور الناس.

والوصية العاشرة: وَأَنَّ هَلَا صِرَاطِي مُسْتِقِيمًا قَاتِبُوهُ وَلاَ تَكِبُوا السُّبَلُ قَطَرُق بِكُمْ عَن سبِيله. (الاندام ١٥٠). وهذه الوصية الأخيرة هي الجامعة لكل ما جارت به دعوة الحق فهي تدعو إلى السير على طريق الله وشرعة الله وأوامر الله، والابتماد عن طرق الشيطان، فطريق الله سبيل النجاح في الدنيا والآخرة، وفي سورة الفاتحة: أهدنا المُرّاط ألمُسَتِّهِمَ.

﴿ اَلْمَسَمَدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظَّلْمُنَتِ وَالتُّورِّ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِ يَعْدِلُونَ ۞ هُوَ اللَّذِي خَلَقَكُمْ مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ آَجَلاَّ وَأَجَلُّ مُسَمَّى عِندَهُ، ثُمَّ أَشَدُ تَمَدُّونَ ۞ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَتِ وَفِي الْأَرْضِ يَهْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهَرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَاتَكُسِجُونَ ۞ ﴾

المضردات :

شم الثاين كفروا بربهم بعداون ، أي يُسوُّون به غيرَه، تعالى الله عن ذلك .

كسم قضين أجسلاه هو أجل الموت.

وأجمل مسمس عسلسده ، أجل القيامة .

وجسم عسر كسم، أي وعلنكم، يقال جهر بقراءته يجهر بها جهرًا أي أعلنها.

التفسير

العَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلقَ السَّمَوَاتِ وِ الأَرْضَ وَجَعَلَ الطَّلْمَاتِ وَ النَّورَ ... الآية. الثناء الجميل والحمد كله مستحق لله تحالى، الذى أنشأ بقدرته هذه العوالم العلوية والسفلية وأوجد ما فيها من مخلوقات ناطقة وصامتة، وظاهرة وخافية وأحدث ما يتعاقب عليها من تحولات وتقلبات ونور وظلمات .

وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَاللَّورَ. أَى جعل الله ظلام الليل ليكون سكنًا. وجعل نور النهار ليكون مجال نشاط الناس وسر الحياة لزروعهم وحيواناتهم .

ثُمَّ اللَّبِنَ كَفُرُوا أِرِبَّهِمْ يَقْدِنُونَدُ أَي بعد هذا الخلق الكبير في خلق السماء وما أطلت، وخلق الأرضين وما أقلت، وتسخير الليل والنهار، فإن الذين كفروا يشركون بالله، ويعدلون به ويساوون به ما لا يقدر على شيء وهذا نهاية الحمق. وقد بدئت خمس سور بالحمد لله. هي: سورة الفاتحة، وسورة الأنعام، وسورة الكهف وسورة سبأ، وسورة فاطر.

فأول سورة الفاتحة: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَلِينَ .

وأول سورة الأنعام: الْحَمَّدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالتُّورَ.

وأول سورة الكهف: الحَمَّدُ لِلَّهِ اللِّي أَنْزِلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عَوْجًا.

وأول سورة سباً: الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الأَجرة وَهُو الحكيم الخبير.

وأول سورة فـاطر: الحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاواتِ والأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أَوْلِي أَجْمِحَة مِنْنَى وَلَلاَثَنَّ وَرُبَاعِ بَرْيَلَةً فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهُ عَلَى كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

٢ - هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاَّ وَأَجَلٌ مُّسَمَّى عِندَهُ ... الآية.

هو الذي خلق آدم عليه السلام من الطين، ثم تناسل منه أبناؤه من نطفة ثم علقة ثم مضعة. وكل فرد قد قدّر عليه وهو في بطن أمه رزقه وأجله وشقى أو سعيد .

فمعنى أُمُّ لَضَى أَجَلاً: عينى حكم بالموت على الإنسان عند نهاية عمره.

وَأَجْلَّ مُسمَّى عِمْلَهُ: يعنى القيامة والبعث، وقيل الأجل الأوَّل ما بين أن يخلق الإنسان إلى أن يموت والأجل الثاني ما بين أن يموت إلى أن يبعث.

ومن شأن القرآن أن يقابل بين الظلمات والنور، والكفر والإيمان، وهنا قابل بين الأجل الأول وهو الحياة ونهايتها الموت والأجل الثاني من الموت إلى البعث.

وكل هذه الأمور من شأنها أن تبعث في النفس اليقين بوجود الإله الخالق الرازق.

ثُمُ أَلْهُمْ تَمْتُرُون. ثم إنكم بعد كل هذه الأدلة على وحدانية الله، وعلى أن يوم القيامة حق، تشكون في ذلك، وتجادلون المؤمنين فيما تشكون فيه بغير علم ولا هدّى ولا كتاب منير.

قال الشوكاني في فتح القدير: «أي كيف تشكرن في البعث مع مشاهدتكم في أنفسكم من الابتداء والانتهاء ما يذهب بذلك، فإن من خلقكم من طين، وصيركم أحياءً تعلمون وتعقلون، وخلق لكم هذه الحواس والأطراف، ثم سلب ذلك عنكم ، فصرتم أمواتا، وعدتم إلى ما كنتم عليه من الجمادية، لا يعجزه أن يبعثكم، ويعيد هذه الأجسام كما كانت، ويردّ إليها الأرواح. ٣ - وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعَلَمُ سِرُكُمْ رَجَهَزَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكَسِيُونَ. وهو الله المالك المتصرف للمعبود في السماوات وفي الأرض .

قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَّهُ وَفِي الأَرْضِ إِلَّهُ . (الزحرف: ٨٤).

يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمُ. يعلم ما انطوت عليه قلوبكم ، وما تفعلون بجوارحكم علانية .

وَيَعْلَمُ مَا تَكُسِبُونَ . من الخير والش فيحصى ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم .

وتتوالى الآيات كلها تبين عظمة القدرة الخالقة لهذا الكون الموجودة للإنسان ، لتنبه الجاحد وتوقظ الحس والمشاعر، وتدعو الغافل والمستخف بشرائع الله، أن يعود إلى الله، وأن يخشاه، ويقى محارمه، لأن الله يطلع على كلّ ما ظهر وما يطن.

+ + +

﴿ وَمَا تَأْنِيهِ مِنْ اَلِتَوْمِنْ اَلِنِ رَبِيهِ إِلَا كَانُواْ عَنَهَا مُعْمِنِينَ ۞ فَقَدَّكَذَّ بُواْ إِالْحَقِّ لَمَّاجَآهُ هُمُّ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمَ أَنْبَتُوْاْ مَا كَانُواْ بِعِدِيَسْتَهِ رَهُونَ ۞ أَلَّ يَرَوَّا كُمُ آهَلَكُمَا مِن قَبْلِهِ مِقِن قَرْنِ مَكَنَّهُمُ فِي الْأَرْضِ مَا لَدَّ نُشَكِّنَ لَكُرُّ وَالْرَسْلُنَا السَّمَاةُ مَلَتِهِم مِّذَوْلُ وَجَمَلُنَا الْأَنْهُ لَوَ مَعْمَدُونَ مِنْ مَنْ اللَّهُ مَا مَنْ اللَّهُ مَا مُنْفَعِينَ ۞ ﴾ تَعْرِى مِن تَعْلِيمٍ فَا هَلَكُمُنَا مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَا مَنْفَاعِهُمُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ ال

المفرداتء

مسن آيسات ريسهسم: المراد بالآيات: القرآن، أو ما يعمه، من الآيات الكونية.

مسيسه والشيء الإعراض؛ الانصراف عن الشيء.

مسسسن قسسسن القرن: مدة من الزمان يعيش فيها أهل عصر وقد يطلق على أهله، وهو المراد هذا، وأشهر الأقوال أن القرن مائة سنة.

مكتاهم في الأرض ، أي جعلنا لهم فيها مكانا.

وأرسلنا السماء عليهم مدراوا : أي وأرسلنا المطر أو السحاب عليهم كثير الدر بالمطر.

لتفسيره

ع. - وَمَا تَأْتِهِمْ مَنْ أَيَّهُمْ مَنْ أَيَّاتُ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ. وما تأتيهم من حجة من حجج ريهم. دالة
 على وحدانية الله وصدق رسوله -- سواء أكانت قرآنية أم كونية - إلا قابلوها بالإعراض، واستقبلوها بالنبذ و الاستخفاف.

والآية الكريمة كلام مستأنف لبيان كفرهم بآيات الله، وإعراضهم عنها بالكلية، بعد بيان كفرهم بالله – تعالى – وإعراضهم عن بعض آيات التوحيد، وامتراتهم في البعث وإعراضهم عن أدلته (١٠٠)

٥ – لَقَدْ كُذُبُواْ بالحَقِّ لَمًا جَاوَهُمْ ... الآية. أي فقد زادوا – على إعراضهم – تكذيبهم بالحق لما
 جاءهم على لسان محمد ﷺ من غير تريث ولا تفكر والآية السابقة بينت إعراضهم عن التأمل في
 الدلائل والبينات وهذه الآية بينت تكذيبهم بالآيات ثم استهزاءهم بها.

فَسُوْفَ يَأْتِهِمْ أَلْبَاءَ مَا كَالُواْ بِهِ يَستَهْزِلُوفَ. أَى فسوف تأتيهم العقويات التي ترعدهم الله بها، جزاء تكذيبهم بالحق وإصرارهم على هذا التكذيب.

قال الزمخشري في الكشاف:

فُسُرُفَ يُأْتِهِمْ أَبَاهُ. الشيء الذي كانوا يستهرزنون وهو القرآن، أى أخباره وأحواله، بمعنى: سيعلمون بأى شىء استهزءوا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء، وذلك عند إرسال العذاب عليهم فى الدنيا أو فى يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وعلى كلمته.

٣ - أَلُمْ يَرُوا حُمُ أَهْلَكُنَا مِن قَلِهِم مِّن قَرْنِ مَكَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمكن لُكُمْ ... الآية. أعموا عن الحق وأعرضوا عن دلائله ولم يروا بتدبر وتفكر، كم أهلكنا من قبلهم من أقوام كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعاً. حيث منحناهم الغني والسعة والاقتدار على التعميد فعمروا الأرض وينوا الحصون والقصور.

وَ أَرْسَلُنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مَّلْوَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَحْيِهِمْ . عدد الله النعم على هؤلاء السابقين حيث أرسل المطر متتابعا وجعله نافعًا بغزارة وكثرة، وعبر عنه بالبسماء لأنه ينزل منها.

وصفهم القرآن هنا بأنهم كانوا منعمين بالمياه الكثيرة التي يسيرين مجاريها كما يشاءون، فيبنون مساكنهم على ضفافها، ويتمتعون بالنظر إلى مناظرها الجميلة .

وَجَسُلًا الأَنْهَارَ تَجْوى مِن تَحْقِيمَ. أي صيرنا الأنهار تجرى من تحت مساكنهم. وبين مزارعهم فيمتعون بحسن مرآها، وجمال جريانها، ولا يجدون صعوبة في الانتفاع بها . فَأَهْلَكُنَاهُم بِلْنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ يَعْدِهِمْ قُرِّنًا أَشْرِينَ. أَى فكفروا بنعمة الله وجحدوا فضل الله عليهم، فأهلكناهم بسبب تنويهم إذ الذنوب سبب الانتقام وزوال النعم.

والإهلاك بسبب الذنوب له مظهران :

أحدهما : أن الذنوب ذاتها تهلك الأمم، إذ تشيع فيها الترف والغرور والفساد في الأرض، وبذلك تنحل وتضمحل وتذهب قوتها.

والمظهر الثاني: إهلاك الله تعالى لها عقاباً على أوزارها» (٥٠٠).

جاء في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب :

وتفيد الأيات أن الذنوب والفساد سبيل إلى هلاك الأمة والأفراد، إما بقارعة من الله عاجله كما كان يحدث في التاريخ القديم، مثل غرق قوم نوح، وهلاك عاد وثمود ومدين وقوم لوط.

وإما بالانحلال البطىء الفطرى الطبيعى الذى يسرى فى كيان الأمم مع الزمن وهى توغل فى متاهة الذنوب !

«رأمامنا في التاريخ القريب - نسبيًا - الشواهد الكافية على فعل الانحلال الأخلاقي، والدعارة الفاشية، واتخاذ المرأة فتنة وزينة، والترف والرخاوة، والتلهى بالنعيم، أمامنا الشواهد الكافية من فعل هذا كله، في انهيار الإغريق والرومان - وقد أصبحوا أحاديث - وفي الانهيار الذي تتجلى أوائله وتلوح نهايته في الأفق في أمم معاصرة، كفرنسا وانجلترا كذلك - على الرغم من القوة الظاهرة والثراء العريضي» (١٠٠).

وَأَنشَأَنَا مِن يَعْدَهِمَ فَرَناً أَخْرِينَ من سنن الله إهلاك المفسدين إما بقارعة وإما بتسليط بعضهم على بعض حتى يهلك الفاسد، ويتولى الملك قوة جديدة امتحانًا وابتلاء لها وقد تكون صالحة أو طالحة، فالظالم سوط الله في الأرض ينتقم به ثم ينتقم منه قال تعالى: وَلُولاً وَلُمْ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لُفَسَدَتِ الأَرْضُ (البقرة ٢٠١).

وهلاك المفسد وعقوبة الظالم لا ينقصان من ملك الله تعالى شيئا، فهو سيحانه كلُّما أهلك أمة أنشأ من بعدما أخرى وفي للحديث القدسي:

«یا عبادی لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أثقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئًا یا عبادی لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئًا يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألونى فأعطيت كلا مسألته ما نقص ذلك من ملكى شيئا، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله وفى وجد غير ذلك فلا يلومنً إلا نفسه (٣٠).

ويقول الله تعالى : وَإِن لَتَوَلُّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمُّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُم. (محمد ٣٨).

* * *

﴿ وَلَوْنَزَلْنَا مَلْيَكَ كِنَبَافِ فِرَطَاسِ فَلَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓ أَإِنَّ هَذَا إِلَّاسِحَرُّ ثُمِينٌ ۞ وَقَالُوالْوَلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكُ وَلَوَ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِى ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۞ وَلَوْجَمَلْنَهُ مَلَكَ الَّجَمَلْنَهُ رَجُّلَا وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِ مِنْ يَلْبِسُونَ ۞ ﴾

المفردات :

هي قسرطياس : القرطاس : - بتثليث القاف ، والكسر أشهر - ما يكتب فيه .

هلمسوه بالديهم : اللمس ؛ كالمس ؛ إدراك الشيء بظاهر البشر . وقد يستعمل بمعنى طلب الشيء والبحث عنه . والمراد هنا : الأول .

إن هنذا إلا سحر، أي خداع وتموية.

المقضي الأمس : أي لَدَمُّ أمرُ إهلاكهم .

شم لا يشظرون، أي لا يمهلون طرفة عين.

ولسلسيسستساء أي خلطنا.

التفسير ،

٧ - وَلَوْ نَزْكُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطُاسِ فَلْمَسُوهُ بِأَيْنِهِمْ ... الآية. لقد بلخ الحزن والأسف من الرسول ﷺ كل مبلغ لإصرار قومه على الكفر مع وضوح الدليل والحجة على صدقه فبين القرآن له هذا فسادهم وجحودهم وعنادهم حتى لو ظهر الدليل على صدقه واضحا للعيان ملموسًا باليد.

ومعتى الآية ،

إننا لو نزلنا عليك كتابًا من السماء في قرطاس - كما اقترحوا - فشاهدوه بأعينهم وهو نازل عليك ولمسوه بأيديهم منذ وصوله إلى الأرض، وياشروه بعد ذلك بجديع حواسهم بحيث يرتفع عنهم كلّ أرتياب، ويزول كُل إشكال ... لو أننا فعلنا ذلك استجابة لمقترحاتهم المتعنتة، لقالوا بلغة العناد. والحجود ما هذا الذي أبصرناه ولمسناه إلاً سحر مبين.

والقرطاس بكسر القاف وقد تفتح وتضم، ما يكتب عليه من رق أو ورق أو من غيرهما، ولا يطلق على ما يكتب فيه قرطاس إلا إذا كان مكتريا.

وقريب من هذه الآية قوله تعالى :

وَجَحَدُواْ بِهَا واسْمَيْقَنَقَهَا أَنفُسُهُم ظُلُمًا وَعُلُواْ فَانْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبُهُ الْقُسِدِينَ. (النمل ١٤) . وقوله سبمانه: لَإِنْهُم لاَ يُكَذَّبُونُكَ وَلَكِنَّ الطَّالِمِينَ بِأَيَاتِ اللهِ يَضِعَدُون . (الأنمام ٣٣) .

وقوله تعالى: وَلَوْ لَتَتَحَنّا عَلَيْهِم بَابًا مُنَ السَّمَاءِ فَظَلُواْ فِيهِ يَعُوجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا شَكَّرَتْ أَبْصَاوَلَا بَلُ نَحْنَ فَوْمُ سُمْحُرُونَ. (المجر ١٤، ١٥) .

٨ – رَقَائُواْ تُوَلَّا أَتِنِ عَلَيْمِ مَلَكَ، يحكى القرآن لونًا آخر من اقتراحات المشركين التى تؤيد تعنتهم وجحودهم للحق، فالرسول أمامهم عرف بينهم بالصدق والأمانة وحسن الطق، والقرآن أمامهم يلمسون إعجازه وتفوقه وسلاسته وسلامته من كل عيب، ويدركون أنّه فوق مستوى البشر ومع كل ذلك يتترحون ألوانا من الاقتراحات ومنها ما حكاه القرآن الكريم فى عدد من السور، وكمثال لذلك ما ورد فى سورة الإسراء وهو يتضمن مثل هذا الاقتراح بمجىء ملك أو ملائكة تصدق الرسول فى دعواه الرسالة واقتراحات عدّة تدل على التعنت. وتدل على الجهل بكثير من الحقائق الكونية، وكثير من الحقائق الكونية، وكثير من الحقائق الكونية، وكثير من الحقائق.

فقد اقترحوا في هذه الأيات تفجير ينابيع الأرض في مكة حتى تنبت الجنان والبساتين ، أو نزول عناب من السماء أو مجى الله والملائكة يصدقون رسالته أو أن يملك محمد بيتًا من الذهب ، أو يصعد في السماء شريطة : أن يأتي بكتاب معه من السماء يؤيد صدقه . وكان جواب القرآن إننى بشر يوحى إلى برسالة تخاطب العقل والفطرة وتقدم الأدلة العقلية على صدقها .

وقد كذبت أمم السابقين بسبب استكثارهم أن يختار الله بشرًا ثم يوجى إليه بالرسالة، مع أن هذا لا غرابة فيه فالرسول ينبغى أن يكون بلسان قومه ليبين لهم، ولو كانت الأرض فيها ملائكة تمشى فى منطقة منها لأرسل الله إليهم ملكًا مثلهم يحمل رسالة الله إليهم .

وقد كان تصور عرب الجاهلية عن الملائكة تصورًا فجًا فيه الكثير من الأخطاء فقد زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن الله قد اختار زرجة من الجن لتنجب له الملائكة، وسمُّوا بعض الآلهة بأسماء الملائكة، وقد صحح القرآن ضلالاتهم في سورة النجم وفي غيرها من السور.

وَقَالُواْ لَوْلاَ الْزِلْ عَلَيْهِ مَلَكٌ. روى ابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن محمد بن إسحاق في سبب نزول هذه الآية قال :

«عاد رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام وكلَّمهم فأبلغ، فقال زمعة بن الأسود بن المطلب، والنضر بن المحالب، والنصر بن المحالب، وأبَّى بن خلف، والعاص بن وائل بن هشام: لو جُعل معك يا محمد ملك يُحدث عنك الناس، ويُرى معك فأنزل الله في ذلك قوله؛ وَقَالُوا أَوْلاَ أَوْلَ الْإِلْوَلَ مَلِّهُ مَلَكٌ ...».

أى قال الكافرون للنبي ﷺ هلا كان معك يا محمد ملك لكي يشهد بصدقك، ونسمع كلامه ونري هيئته، وحينتذ نؤمن بك ونصدقك.

وَلَوْ أَوْلَنَا مَلَكُا لِقَضِي الأَمْرُ ثُمَّ لا يُعْفِرُونَ. لقد جرت سنّة الله غي إنزال الملائكة أن يرسلهم لإملاك المكذبين. كما أرسلهم إلى قوم لوط، أو جرت سنته في أن من طلب آية أو معجزة ثم تحقق إرسال الآية ولم يؤمن أن يهلكه الله ولا ينظره فقد أعطى ثمود الناقة آية فعقروها: لَمَمْنُمُ عَلَيْهِم بُلَّهِم فُسُوالمًا ولا ينظره فقد أعطى ثمود الناقة آية فعقروها: لَمَمْنُمُ عَلَيْهم رَسُولم مَنْ ولا ينظره ، أو أن الله لو أرسل ملكا في صورته الحقيقية وشاهدوه بأعينهم، لزهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون من غير تأخير أو انتظار.

ومن أجل هذا لم يستجب لأهل مكة حتى لا ينزل بهم عذاب الاستئصال تكريمًا للنهي ﷺ وتحقيقًا لوعده: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَلِّبُهُمُ وَأَلَّتُ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَلِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغُورُونْ. (الأنفال ٣٣).

٩ - رَأَوٌ جَمَلْنَاهُ مَلكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلْبَشْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ. أي لو استجبنا لهم في إنزال ملك لمتلَّناه
 رجلا لِيقَوْرُوا على مشاهدته وسماع كلامه، لعدم استطاعتهم رؤية الملك على صورته الأصلية.

ومن أجل هذا كانت الملائكة تأتى الرسل على هيئة البشر أحيانا، وكان جبريل يأتى النبى ﷺ فى صورة دحية الكلبى، وقد رآه النبى ﷺ على صورته الأصلية مرتين وذكر ذلك فى أول سورة النجم.

ولو جعل الله الملاك بشرا ليأنسوا به لاعتقدوا أنه بشر لأنهم لا يدركون منه إلا صورته وصفاته التي تمثّل بها وحينئذ، يقعون في نفس اللبس والاشتباء.

قال الإمام القرطبي:

قوله تعالى: وَكَرْ بَعْقَتُهُ مُلَكًا لِبَعْقَلُهُ رُجُلًا مِكلَ جَسْ يأتى بجنسه، وينفر من غير جنسه، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا لنفروا من مقاربته، ولما أنسوا به، ولداخلهم من الرعب من كلامه، والاتقاء له، ما يكفهم عن كلامه، ويمنعهم عن سؤاله فلا تعم المصلحة، ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم لهأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا لست ملكاً، وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك، وعادوا إلى مثل حالهم، (٤٠٠)

والخلاصة أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الرسول بشرا من جنس وقومه وأن يويده الله بالمعجزات حتى يمكن الاقتداء به في قوله وفعله وسلوكه.

قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولِ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُّبِّنَ لَهُمْ ... الآية. (إبراميم ٤).

وقال تعالى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لَهُن كَانَ يَوجُواْ اللَّهَ وَاليَّومَ الأَعِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَلِيرًا. (الأحواب ٢١).

* * *

﴿ وَلَقَدِاسٌنُهْزِىٰ مِرُسُلِ مِّن مَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُــمَّمَاكَانُواْ بِهِـ، يَسْتَهْزِهُ وَنَانَّ قُلَّ سِيرُواْفِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظَرُواْكَيْفَكَانَ عَنقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ شَّ﴾

المفردات:

في حمد الله عن الأمر؛ أحاط به. ولا يكاد يستعمل إلا في الشر.

التفسير،

١٠ - وَلَقَدِ اسْتَهُزِئ بُرُسُلٍ مِّن قَلِلكَ فَحَاق بِاللَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَالُوا بِهِ يَسْتَهُو عُونَ. سخر الكفار من
 رسل الله واستهزءوا بهم، فحاق بالكافرين الخسف والزلازل والطاعون والغرق، قال تعالى: وَيَهْمَعُ

القُلكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَهِ مَلاً مِنْ قَوْمِهِ سَعِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخُرُواْ مِنَا فَإِنَّا نَسْخُو مِنكُمْ كَمَا تَسْخُرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَاتِيهِ عَلَمَا يُعْرَيهِ وَيَعِلُّ عَلَيْهِ عَلَىهِ مَلَّا مِنْهِ ٨٣٠ . ٣٩) .

1770

لقد وقف الكفار موقف العناد من رسل الله وهددوهم بالطرد والأذى والتنكيل: وَقَالَ الَّهِينَ كَفُرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنَعْرِجَنَّكُم مَنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتُعُودُنْ فِي مِيَّتِنا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَتَهُونُكُواْ الطَّلْمِينَ. (ابراميم ١٣).

وتأتى هذه الآية لبيان مسك الكفار في إيناء الرسل والسخرية بهم كما جاء في قوله تعالى: وَمَا يَأْتِهِم مُن رُسُولَ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزُنُونَ. (الحجر ١١) .

وقد أنزل الله بالمستهزئين بالرسل ما يستحقونه من العذاب فأغرق الله قوم نوح.

وأغرق فرعون وقومه وأهلك هامان وجنوده.

وفى الآية ما يأتي :

- ١ تعليم النبي ﷺ سنن الله مم الأمم.
- ٢ -- تسلية للرسول ﷺ وعزاء له مما يلقى من المشركين من عناد، وتثبيت قلبه.
- ٣ بشارة له بحسن العاقبة، وما سيكون له من نصر وتأييد، حيث أهلك سبحانه المستهزئين
 به قال تمالى : إِنَّا كَمُنْيَّالًا المُسْتَهُرْ لِينَ (المجر ٥٠) .

واليقلاصة،

لا تحزن يا محمد من إيذاء الكفار لك فهذا شأن للدعاة والرسل، ولقد أوبذي من سبقك من الرسل الله الذي الكرام وسخر السلحرون منهم فصيروا على ما كُذّبوا وأوندا وجاءهم في النهاية نصر الله الذي وعدهم، أما أعداء الرسل فقد نزل بهم من العذاب والنكال ما يستحقونه جزاء استهزائهم، قال تعالى: اللهي كُلُوا فِيهًا الفَسَادُ فَصَبُّ عَلَيْهِمٌ زَلِكَ سُوطً عَدَابٍ إِذَّ رُبُك بَالِورَصَادِ. (الفجر ١١-١٤).

١١ - قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ قُمُّ الظُّرُوا كَيْفَ كَانَ عَالِيَّةُ الْمُكَلِّينَ. كانت للعرب رحلة إلى الشام ورحلة إلى الشام ورحلة إلى اليمن بحثًا عن طلب المعاش، فأمرهم الله أن يسيروا في الأرض وطلب منهم التأمل والاعتبار. بما أصاب الأمم السابقة التي كذبت أنبياءها وخرجت على منهج الله .

إن هذا التفسير التربوى للتاريخ جزء من منهج القرآن الكريم حيث فتع العيرن والأبصار للتأهل والاعتبار وحيث بينُ القرآن أن سنن الله باقية خالدة ومن هذه السنن مكافأة العاملين ومعاقبة الظالمين. إن هذه الآية دعوة إلى الرحلة والسياحة والتأمل والاعتبار فمن قوانين الله مكافأة العاملين حيث قال تعالى: وَلَقَدُ كَتَبَنَا فِي الزُّهُورِ مِن بَعْد الذَّكِرِ أَنْ الأَرْضُ يَرْفَهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ. (الانبياء ١٠٥) ، ومن قوانين الله إهلاك المكذبين. قال تعالى: فَلِكَ جَزْيَنَاهُم بِمَا كَفُرُوا وَهُلُ نَجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ. (سا١٧).

* * *

﴿ قُلْ لِيَن مَا فِي السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِنَوْ كَنَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لَيَجْمَعَ كُمُّمُ إِلَى يَوْمِ الْقِينَمَةِ لَا يُوْمِنُونَ شَلْ إِلَيْ يَوْمِ الْقِينَمُ مَهُمْ لَا يُوْمِنُونَ ﴿ فَلَا يَقْسَهُمْ مَهُمْ لَا يُوْمِنُونَ ﴿ فَاللَّهِ مَا اللَّهَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا

المفردات ا

كتباعلى نفسه الرحمة : أي أوجبها على نفسه، فضالاً منه وكرمًا .

ولـــه مــاســكـــن ، سكن: من السُكني . والمعنى: ما اشتمل عليه الليل والنهار . وقيل: سكن هنا؛ من السكون والمعنى وله ما سكن في الليل والنهار وما تحرك فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر . كما جاء في قوله تعالى: « ... سَرَابِيلَ شَهِكُمُ الْمَعْلَ ... ءًا ي والدرد .

والسياء أي ناصراً ومعيدًا.

فـــاطـــر ، أي خالق يقال فطر الله الإنسان يفطره ، فطرة أي خلقه .

وهويطمم ولا يطمم: أي هو الرازق لغيره ولا يرزقه أحد.

من يُصرف منه يومئذ، أي من يُبعد عنه العناب يوم القيامة .

التفسيره

١٧ - أَقُلْ لَقُنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ للَّهِ... الآية. أى قُل يا محمد لهؤلاء المشركين الجاحدين المعرضين عن دعوتك: لمن هذا الكون بكل ما فيه من يملك السماء وما فيها من شعوس وأقمار وملائكة وأبراج وأفلاك ؟

ومن يملك الأرض وما فيها من نبات ، وإنسان وحيوان وحشرات وإنس وجن وغير ذلك من المحلوقات ؟

إن الإجابة الصحيحة التي يعترفون بها ولا يستطيعون إنكارها، أن هذا الكون كله قد خلقه الله.

قال تعالى : وَلَيْن سَأَلْتُهُم مِّن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيُفُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَى يُوْفَكُونَ. (العنتيب: ١١) .

وإنما أمر الرسول ﷺ أن يتولى الإجابة عنهم لأن هذا الجواب معترف به منهم لا يسعهم إنكاره.

قال الإمام الرازى: وقوله: قُل لَمَن مَا فِي السَّمَارَاتِ وَالأَرْضِ. سوّال ، وقوله: قُل لَلَّهِ. جواب فقد أمره الله تعالى بالسوّال أولاً ثم الجواب ثانيا، وهذا إنما يحسن في الموضع الذي يكون الجواب قد بلغ في الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكر ، ولا يقدر على دفعه دافع، وهذا كذلك لأن القوم كانوا معترفين بأن العالم كله فله وتحت تصرفه وقهره وقدرته (١٠٠٠).

قال الزمخشرى :

والمقصود من السؤال هذا ، التبكيت والتوبيخ .

كتب عَلَى نَفْسِه الرَّحْمَة . أى أوجهها على نفسه لعباده فضلا منه ومثّة فهو سبحانه خالق الكون ومبدعه على غير مثال سابق، وهو سبحانه يسمع النداء ويجيب الدعاء ، وهو سبحانه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، وهو سبحانه قريب من عباده ، متحنن على خلقه ، وهو سبحانه قسَّم الرحمة مائة جزء أنزل جزءاً واحدًا في الدنيا يتراحم به الناس وادُهر ٩٩ جزءاً يرحم بها عباده يوم القيامة، وهو سبحانه ، يتلطف ويتحنن على عباده فيفتح بابه بالليل ليتوب مسىء النهار ويفتح بابه بالنهار ليتوب مسىء النهار ويفتح بابه بالنهار ليتوب مسىء الليل، وفي المديث الصحيح: «ينزل رينا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فينادى يا عبادى : هل من داع فأستجب له، هل من مستففر فأغفر له، هل من

وقد أقاض الأستاذ سيد قطّب عند تفسير هذا المقطع من الآية في بيان فضل الله ورحمته وكرمه ولطقه وإنعامه على عباده .

ثم نقل طائنة كثيرة من الأحاديث النبوية الشريفة في بيان رحمة الله وفضله ، ثم نقل جانبًا من سعة رحمة النبي الله وقريبته لأصحابه على معانى الرحمة حيث بين لهم أن امرأة بغيًّا رأت كلبا في سعة رحمة النبي الله أن المرأة بغيًّا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببنر قد أخرج لسانه من العطش فنزعت غفها فسقته به فغفر الله لها (٢٠٠ وفي رواية عند مالك والشيخين أن رجلا سقى كلبًا فشكر الله له فغفر له ، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجرًا ؟ قال : في كل كيد رطبة أجر. (١٠٠).

لَيَجْمُعَتَكُمْ إِلَى مَرْمِ النَّهِامَةِ لاَ رَبْسَ فِهِ . وهذا الجمع من سعة فضل الله ورحمته وعدله بين عباده فقد جمعهم الإثابة المحسن ومعاقبة المسىء، وقد أكد هذا المعنى بالام القسم وينون التأكيد الثقيلة ، ويقوله سبحانه لا ريب فيه. أى أنه يوم لا يتبغى لأحد أن يرتاب فيه لوضوح أدلته .

اللَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم لَهُمُ لاَ يُوْمِنُونَ . ستكون خسارتهم شديدة يوم القيامة ، هؤلاء الذين عطلوا أماكن الإدراك في أنفسهم، فعموا أعينهم عن الحق، وصموا آذانهم عن سماع النصح ، وأغلقوا قلويهم عن التفتح لنداء الإيمان ، وأهدروا قواهم العقلية وعطاوها عن النظر في آيات الله .

لقد خسروا أنفسهم فلم تعد لهم نفس ترَّمنَ ، إن هرَّلام لم يخسروا شيئًا ويريحوا شيئًا، إن خسارتهم كاملة فقد خسروا أنفسهم وخسروا بواعث الإيمان وخسارتهم أكبر الخسائر فى الدنيا وعند البعث والجزاء.

قال الآثرسي : في تفسيره روح المعاني :

الفاء في قوله: قَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ . للدلالة على أن عدم إيمانهم وإصرارهم على الكفر مسبب عن خسرانهم ، فإن إبطال العقل والانهماك في التقليد أدى بهم إلى الإصرار على الكفر و الامتناع عن الإيمان . ٩٣ – وَلَهُ مَا سَكُنَ فِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ وَالْهَالِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ التَّولِيمُ . قيل المراد ما سكن في الليل والنهار ، وما تدرك فيهما .

قال القرطبي: سكن معناه هدأ واستقر والدراد ماسكن وماتحرك فحذف لعلم السامع. وقيل: خصَّ السكان بالذكر لأن ما يعمه السكون أكثر معا تعمه الحركة.

وقال الشوكاني في تفسيره فتح القدير:

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّهِلِ والنَّهَارِ . أى كل شيء فإن الأشياء منها ما هو ساكن كل الوقت وهو الجمادات، ومنها ما يسكن في الليل وهو أغلب الحيوانات ، ومنها ما يسكن في النهار ككثير من الطيور والحشرات والسباع .

وَهُوَ السَّمِعُ الْعَلِيمُ. المطلع على كل شيء المجازي على الفتيل والقطمير، فهو يسمع دبيب النمل في الليلة الظلماء تحت الصخرة الملساء, يُعْلَمُ خَالِنَةُ الأَغْيِنُ وَمَا تُخْفِي الصُّلُور. (غافر: ١٩).

ومن كان كذلك فلا يغيب عنه إيمان مؤمن ، ولا كفر كافر ولا دعوة داع، ولا حاجة محتاج .

١٤ – قُلْ أَغَيْرُ اللَّهِ أَتَخِذُ وَلِيَّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُو يُعْجِمُ ولا يُعْتَم ... الآية. أي: قل لهم يا محمد - مويخًا وزاجرًا - بأي عقل أبحتم لأنفسكم الإشراك بالله ، وانتخذتم من دونه معبودًا سواه مع أنه باعترافكم هو الخالق لكم وللسماوات والأرض ، ولكل شيء ؟

وهو سبحانه الرازق يرزق غيره ولا يرزقه غيره، فهو الذي يرزق الكائنات الحية ويطعمها ، وبمدّها بما بحفظ وجويها ويقامها وليس هو بحاجة إلى من يرزقه ويطعمه .

ركيف يصبح أن يكون مصدر العطاء محتاجًا إلى عطاء ؟

وكيف يتخذ المضلون من البش أولياء مع الغنيّ الحميد الفعال لما يريد .

قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوْلُ مَنْ أُسلَمُ وَلاَ تَكُونَنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . أى قل أيها الرسول بعد إيراد هذه الآيات والحجج الدالة على وحدانية الله ، إلى أمرت من خالقى أن أكون أول من يسلم له وجهه ويخصه بالعبادة، كما أنى نهيت عن أن أكون من المشركين الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى . «وصح عطف الجملة الثانية الإنشائية على الأولى الخبرية لأن الأولى خبرية في اللفظ، ولكنها إنشائية في المعنى فكانت في قوة الجملة الطلبية والتقدير:

كِنْ أُوِّلْ مَنْ أَسْلَمَ ، وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٠ .

•١٥ - قُلْ إِنِّى أَخَافَ إِنْ حَمَيْتُ رُبِّى عَلَابَ يَوْم عَقِيم . أى قل يا محمد لهولاء ، الذى دعوك إلى مثاركتهم في عبادة الهتهم ، إنى أخاف عذاب يوم تشيب فيه الولدان . «وهذه الآية جملة مزلزلة على قلرب المشركين في كل زمان .

جملة مزلزلة تصرّر العذاب فى ذلك اليوم العظيم يطلب الفريسة، ويحلُق عليها ويهجم ليأخذها، فلا تصرفه عنها إلا القدرة القادرة التى تأخذ بخطامه فتلويه عنها» . ^(١٧)

١٦ - من يُعسَرَف عَنْهُ يَوْعَلِ لَقَدْ رَحِمة وَذَلِكَ الْقَوْزُ النَّهِيُّ . تصوّر الآية هول هذا العذاب فمن نجاه الله منه وصرف عنه هذا العذاب في اليوم الآجر فقد شملته الرحمة الإلهية ، وهذا هو الفوز الأكبر ، قال تعالى في النّرية قَفْدُ أَنْ وَمَا النّبيَّة اللّبيّا إِلاْ مَتَاعُ الْقُرُور .

وفي الآيات الشمس ٢١-١٦ من سورة الأنعام.

نجد القرآن قد أمر النبى صلى انله عليه وسلم بقوله: قل خمس مرات وهو أسلوب إنذاري تلقينى كثر استعماله في هذه السورة ، لأنه يلقن النبي ﷺ الحجج التي تزلزل كيان المشركين ، وتأتى على بنيانهم من القواعد .

وفضلًا عن ذلك فهو لون من التفنن في أسلوب الدعوة إلى الله يحتاج إليه المرشدون والدعاة.

لأن التزام أسلوب واحد في إقامة الحجة على الخصم يفضى إلى الساّمة والملل ، ومن هنا فقد -لون القرآن في أساليبه حتى تناسب العقول على اختلاف مداركها ، قال تعالى: وَكُلَلِكَ أَوْلُكُ أُو زُلُنَاهُ فُرْءَانًا عَرَيًّا وَصَرْفُنَا فِهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُم يَتُّهُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ دِكُوا . (ط. ١٨٣٠) . ﴿ وَإِن يَمْسَسُكَ اللَّهُ يِضُرِّ فَلَاكَاشِفَ اللَّهُ إِلَّا هُوَّ وَإِن يَمْسَسُكَ بِغَيْرِ فَهُوَ كَلْ مُقَو قَدِيرٌ ۞ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُو لَلْتَكِيمُ الْخَيدُ ۞ قُلْ أَيُّ ثَنْ عَ ٱكْبُرْشَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِدُ النِّيْ وَيَنِيْكُمُّ وَأُوحِي إِلَى هَلِنَا الْقُرَانُ لِأَنْذِ رَكُم بِمِدُ وَمَنْ لِلنَّا أَيْتُ مَلَ عَالِمَةً أَخْرَى اللَّهِ الْمَالِمُ فَقَلْ الْقُرَانُ لِأَنْذِ رَكُم بِمِدُ وَمَنْ لِلنَّا أَيْتُ مَنْ اللَّ

المفرداتء

الأنسائرك م الله الإنذار إخبار فيه تخويف بخلاف التبشير فإنه إخبار فيه سرور.

التفسيره

١٧ - وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِعِشْ فَلاَ كَاهِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلّ شَيءٍ قَدِيرٌ ...

بينت الآيات السابقة أن الله سبحانه هو المتصرف في اليوم الآخر ، ويينت هذه الآية أن الله سبحانه هو المتصرف في شئون الدنيا .

والخطاب للرسول ﷺ أو لكل من يتأتى منه الخطاب.

والمعنى وإن يصبك أيها الإنسان ضرَّ كمرض وفقر وحزن وغير نلك من البلايا التى يختبر الله بها عباده، فلا يرجى لكشف هذا الضرَّ غيره، إذ لا رادِّ لقضائه ولا معقب لأمره إلا ما كان من لطفه ورحمته بعيده حتى يستقبل القضاء برضا ويحتمله بصبر.

وإن يمسسك بخير كمبحة وغنى وقرة وجاه فهو وحده قادر على حفظه عليك وإدامته لك ، كما قدر على إعطائك إياه ، فَهُوَ عَلَى كُلُ شَىءٌ فَلَيْرٌ . ومن جملة ذلك المسَّ بالضرّ والخير .

والآية أصل في سلامة العقيدة وحسن اليقين، وصدق الإيمان والثقة: بأن الله هو النافع وهو الضار فلا يجوز أن يلجأ الإنسان إلى الشفعاء والوسطاء والمتكهنة والأولياء ، بل يسأل الله تعالى وحده ويخلص في الدعاء ، ويأخذ في الأسباب التي تعين على دفع الضر وجلب الخير. روى الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال: «كنت رديف النبى ﷺ على بفلته فقال: يا غلام ، إنى أعلمك كلمات :

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجامك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله تعالى لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفّت الصحف» ٨٥.

ومن دعاء الرسول ﷺ «اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ من البحد من البحد

وفى معنى الآية قوله تعالى : مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن ِرَّحَمَّةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكَ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْلِهِ وَهُوَ الْعَوِيْرُ الْحَكِيمُ . (فاط: ٢) .

٩٨ - وَهُوَ أَلْقَاهُ وَوَقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ أَلْخَهِرُ . قال ابن كثير : « هو الذي خضعت له الرقاب ،
 وذلت له الجباه، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء ، ودانت له الخلائق ، وتواضعت لعظمة جلاله
 وكبريائه الأشياء، وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه».

وهو الحكيم في تدبير مراده ، الخبير بمواضع نعمه ونقمه .

١٩ - قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبُرُ شَهَادَةٌ قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَنْي وَيَنْكُمْ وَأُو حِي َ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأَنْدِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ... الآية.
 أي قل يا محمد لهولاء المشركين الذي يخاصمونك فيما تدعد إليه: أي شيء في هذا الرجود شهادته أكبر شهادة، وأعظمها بحيث تقبلونها عن تسليم وإذعان؟

ثم أمره أن يجيب على هذا السؤال ، بأن شهادة الله هى أكبر شهادة وأقواها وأزكاها ، لأنها شهادة من يستحيل عليه الكذب أو الخطأ .

إنه الله رب العالمين، هو الشهيد بيني ويبنكم.

وَأُوحِيَ إِلَى هَلَا الْقُرِعَانُ لِأَلْبِرُكُم بِهِ وَمَن بَلغَ . لقد أنزل الله الوحى بهذا القرآن لأجل أن أنذركم به. «وأنذر من بلغ إليه من الناس جميعاً .. بجميع شعويهم . وأصنافهم ، من مرجود ومعدوم سيوجد في الأزمنة المستقبلة، فأحكام القرآن شاملة للبش والجن جميعًا ممن كان منهم موجودًا يوم الرسالة أو يوجد بعدها إذا بلغتهم دعوة الإسلام وسعوا بهذا القرآن ، وهو نذير لهم بأنهم مسؤولون عن استجابتهم لدعوة الله ومن أعمالهم في الدنيا عند لقاء الله » ١٩٠١. قُل لاَ أَشْهَدُ. فأنا لا أشهد معكم بأن مع الله آلهة أخرى لكون هذه الشهادة من أبطل الباطل.

قُلْ إِنَّمَا هُرُ إِلَهٌ وَاحِدٌ . أَى أَشْهِد بوحدانية الله وأُتبرقُ من الأوثان وعابديها ، ولا أقدم ولائى ولا يقيني ولا تُقتى ولا رجائي إلا لهذا الإله الواحد الأحد الفرد الممعد .

وَإِنِّي بَرِيَةٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . أى من الأصنام التي تجعلونها آلهة أو من إشراككم بالله وقد أشارت الآية إلى ما يأتي :

الصديث «بلغوا عنى ولو آية» الحديث .

٢ - شهادة الله لرسوله تتجلى فيما يأتى:

(أ) قوله: «يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلُناكَ شَاهِدًا وَمُبشِّرًا وَنَلِيرًا ﴿ وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا فُنِيرًا».

(ب) شهادة كتب الله السابقة به ، ويشارة الرسل السابقين به .

(ج) تأييد الرسول بالآيات الكثيرة التي من أعظمها القرآن فهو المعجزة الخالدة الدائمة .

٣ - شهادة الرسول الله بالوحدانية ، وتتجلى في هذه الآية الكريمة .

أى أن الآية مشتلمة على شهادة الله لرسوله بالرسالة وشهادة الرسول لله تعالى بالوحدانية والألوهية وأن الرسول برىء من إلحاد الملحدين وكفر الكافرين .

* * *

﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَنَبَ يَمْ فُونَهُ كَمَا يَمْ فُونَ أَبْنَآهُمُ الَّذِينَ حَبِرُوَا أَنْفُسُهُمْ فَهُدُ لا يُؤمِنُونَ ۞ وَمَنْ أَظَلَّ مِنْ اَفْتَرُىٰ عَلَ اللّهِ كَا اللّهِ كَذِيا أَوْكُذَبَ بِايَتِيْ اللّهِ اللّهُ الْظَلِيمُونَ ۞ وَيُومَ عَشَرُهُمْ مَمْ مَمِيمًا ثُمَّ تَعُولُ اللّهِ مِنَ أَشْرَكُوا أَلَيْنُ شُرَكًا وَكُمُ اللّهِ مِنْ كُنتُمْ تَرْعُمُونَ ۞ ثُمَّ لَرَتَكُن فِتْنَلُهُمْ إِلَا آنَ قَالُوا وَاللّهِ وَإِنَا مَا كُنَا مُشْرِكِينَ ۞ انظر كَيْفَكَذَبُوا عَنَ آنفُسِهِم وَصَلَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفَدَّوُنَ ۞ ﴾

التفسير،

٢٠ اللَّهِن عَالَيْناهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كُمَا يَعْرِفُونَ أَلْنَاهُمُ ... الآية. إن علماء أهل الكتاب من اليهود
 والنصارى ، يعرفون صدق ما جاء به محمد ﷺ معرفة تماثل معرفتهم لأبنائهم الذين هم من

أصلابهم ، فهي معرفة بلغت حد اليقين ، وذلك بسبب ما عندهم من الأخبار والأنباء من الرسل المتقدمين ، فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد صلى الله عليه وسلم ، ومبعثه وصفته ويلده ومهاجره ، وصفة أمته .

ويجوز أن يكون المعنى:

الَّذِينَ ءَاتَنَاهُمُ الْكِتَابَ يَشِرُ أُونَهُ كَمَا يَشِرُ أُونَ أَانَاءَهُمُ . يعرفون صدق القرآن ، وإعجازه وقوَّته وأنه كتاب الله ، كما يعرفون أبناءهم معرفة حقيقية ، لكنهم يعرضون عن الاعتراف بالحق .

الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ . أَى أَن الكفار الشاسرين لأنفسهم بعنادهم ، وإعراضهم ، وتمردهم هم الذين لا يؤمنون بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الزعشرى: اللَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ. من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين فَهُمْ لاَ يُوْمَنُونَ . به.

وهذه الآية مكية، لأن سورة الأنعام كلها مكية والسياق يؤكد أنها مكية، وذهب بعض الطماء إلى أنها مدنية وهو قول ضعيف .

قال الشيخ محمد المدنى في تفسير سورة الأنعام:

«ويظهر أن القاتلين بأن الأية مدنية . لما وجدوا الحديث في هذه الآية عن أهل الكتاب . ووجدوا أن هذه الآية نظيرة لآية أخرى مدنية تبدأ بما بدأت به وهي قوله تعالى في سورة الهقرة : اللَّيْنَ وَاتَبَاهُم الْكِتَابُ يَعْرُفُونَهُ كَمَا يُعْرُفُونَ أَبْنَاءُهُمْ وَإِنْ فَرِيقًا مَنْهُمْ لَكِكُمُونَ الْحَقّ وَهُمْ يَقلُمُونَ . (البقرة : ١٤٦) .

ومن المعروف أن صلة الإسلام بأهل الكتاب إنما كانت بعد الهجرة . وفي المدينة درن مكة ، لمَّا وجدوا هذا قرروا أن الآية مدنية، فالمسألة ليست إلا اجتهادًا حسب رواية مسندة وهو اجتهاد غير صحيح (^^).

وقد رجح الأستاذ سيد قطب وغيره من العلماء: أن الآية مكية ، واستنبط من الآية ما يشير إلى أن طائفة من اليهود والمستشرقين يعرفون أهمية القرآن وقوة الإسلام ، ويجهدون أنفسهم في دراسات استشراقية يحاولون فيها تقديم هذا الدين بعيدا عن منابع قوته .

فقد ألفوا أن الحملات الصليبية والغزو الفكرى يستثير الهمم عند المسلمين للدفاع عن هذا الدين.

ظاجأوا إلى حيلة أخرى هى مدح هذا الدين ومن خلال هذا المدح يقدّمون الإسلام المستأنس، المتقدّغ للعبادة والإيمان البعيد عن الحكم والسياسية ومصادر القوة وشئون الحياة ، والقرآن بهذه الأية يلفت أنظار المسلمين حتى لا يغتروا بلناء المستشرقين على الإسلام ثم يدسّون السم في العسل وينبغي أن تأخذ كلام المستشرقين عن الإسلام بتحفظ (٣٠).

وجاء في حاشية الجممل على الجلالين: روى أن النبيّ ﷺ لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر: الله أنزل على نبيه بمكة: الَّذِينَ اَلْهَانُ مَا النَّابُ يَقْرُ لُونَهُ كُمَا يَعْرُ لُونَ أَلْهَا يُعْدُمُ .

فكيف هذه المعرفة ؟ قال عبد الله بن سلام يا عمر ، لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ، ولأنا أشد معرفة بمحمد منى بابنى !! قال عمر : كيف ذلك ؟

فقال أشهد أنه رسول حقاء ولا أدري ما تصنم النساء (٣٠).

٢١ - وَمَنْ أَظْنُمُ مِشْرِ الْعَرَى عَلَى اللّهِ كَلْهَا أَوْ كَلْبَ إِنَّالِهِ ... الآية. أى لا أحد أظلم ممن اختلف على الله الكذب، فنسب إلى القوراة أو الإنجيل أو القرآن ما لم يكن فيها.

أَوْ كُلْبَ بْآيَاتِهِ. من المعجزة الواضحة البينة ، أو من آيات القرآن العظيم ، فجمع بين كونه كاذبًا على الله، ومكتبًا بما أمره الله بالإيمان به .

إِنَّه لاَّ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . إن مؤلاء الذين سقطوا في أقصى درجات الكذب لن يفوزوا ولن يظحوا «فلا عبرة بما تراه العبون القصيرة النظر ، في الأمد القريب، فلاحًا ونجاحًا ... فهذا من الاستدراج المؤدى إلى الخسار والبوار ، ومن أصدق من الله حديثًا ؟ ٥٠٠٠ .

٣٧ - رَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَعِيمًا ثُمَّ تَقُولُ لِللَّهِنَ أَشْرَكُواْ أَلَيْنَ شُرَكَارُكُمُّ الَّذِينَ كُتُمُ تَزْعُمُونَ . أَى أَذَكَر لَهم خبر يوم القيامة يوم يجمع الله عنده بين العابدين ريين المعبودين من دون الله .

ثم نسأل الذين أشركوا ، أين الشركاء ؟

الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم أولياركم من دون الله وأنهم يقربونكم إليه زلفي، ويشفعون لكم عنده والسؤال هنا سؤال تقريح وتشهير . أي أين هي لتنفحكم ؟

قَالَ القرطي: وهو سوّال إفضاح لا إيضاح. وقد ويخهم الله بقوله: أَيْنَ شُرَكَاوُكُمُ، مع أنهم محشورون معهم ، لأنه لا نقم يرجى من وجودهم معهم ، فلما كانوا كذلك نزلوا منزلة الغائب، وجعل وجودهم لعدم نفعه كعدم وجودهم . كما تقول لمن جعل أحدًا ظهيرًا بعينه في الشائد ، إذا لم يعنه وقد وقع في ورطة بحضرته، أين فلان؟ فتجمله لعدم نفعه ، وإن كان حاضراً كالغائب(٣٠٠ .

وهى معنى هذه الآية قوله تعالى: وَمَا نَرى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينِ زَعَمْتُمُ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُركَاءُ لَقَد تَقَطَّعَ يَنْكُمْ وَضَلَ عَنْكُمْ الَّ كُتُمْ وَتُوْمِلُونَ . (الانداء : ٩٤).

٣٣ - نُمَّ لَمُ تَكُن فِسَهُمُ إِلاَّ أَنْ قَالُواْ وَاللَّهِ رَبَّنا مَا كُنَا مُشْرِ كِينَ . يتلفت القوم إلى الشركاء فلا يجدون لهم أثراً، ويخيل إليهم من ضلالهم أن فتنتهم وكفرهم الذي لزموه مدة أعمارهم وافتخروا به قد اختفى، وأنهم لذي لزموه مدة أعمارهم وافتخروا به قد اختفى، وأنهم لن يؤخذوا بهذا الجرم الذي لا يقوم شاهد على وجوده، فيقولون كذبًا ويهتانا : والله رثبًا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ .

أو أنهم حين كشف الحجاب ورأوا البعث والحشر والحساب والجزاء وأن الملك في ذلك اليوم لله وحده أعلنوا إيمانهم بالله، وتبرءوا من الشرك في وقت لا ينفع فيه ذلك وقريب منه رجاء المشركين أن يعودوا إلى الدنيا ليؤمنوا حيث يقولون. لَوْ أَنْ ثَنَا كُرْةَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُولِّينِينَ . (الشعراء: ١٠٧).

قال أبو إسحاق الزجاج: تأويل هذه الآية لطيف جدًا ، وذلك أنه تمالى بيّن كون المشركين مفترنين بشركهم متهالكين في حبّه، فذكر أن عاقبة كفرهم الذى لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه ، وافتخروا به ، وقالوا إنه دين آبائنا ، لم يكن حين رأوا الحقائق إلا أن تبرءوا من الشرك ، وأقسموا على عدم الندين به .

ونظير هذا في اللغة ، أن ترى إنسانًا يحب شخصًا مذموم الطريقة ، فإذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه، فيقال له: ما كانت عاقبة محبتك لفلان : إلا أن تبرأت منه وتركته .

وجاء في تفسير القرطبي ما يأتي:

قال ابن عباس: يغفر الله تعالى لأمل الإخلاص ذنويهم ، ولا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره، فإذا رأى المشركون ذلك ، قالوا: إن ربنا يغفر الذنوب ، ولا يغفر الشرك، فتعالوا نقل: إنا كنا أهل ذنوب، ولم نكن مشركين.

فقال الله تعالى: أما إذ كتموا الشرك فاختموا على أقواههم فيختم على أفواههم ، فتنطق أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون، فعند ذلك ، يعرف المشركون : أن الله لا يكتمُ حديثًا، فذلك قوله: يُؤمَّذِ يُؤدَّ الَّذِينَ كَفُرُواْ وَعَصُواْ الرَّسُولَ لَوْ تُسُوَّى بِهِمْ الأَرْضُ وَلاَ يَكْمُونَ اللَّمَ صَدِيعًا . (النساء : ٢٤). ٢٤ - انظُر كَيْفَ كَلَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ... الآية. أى انظر وتأمل وتعجب أيها العاقل كيف كذب هؤلاء
 المشركون على أنفسهم حين قالوا: وَاللّهِ رُبّا مَا كُمّا مُشْركِنْ . فأنكروا ما وقع منهم فى الدنيا من الشرك.

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَغْتُرُونَ . أى زال وذهب افتراؤهم ، وتلاشى ويطل ما كانوا يظنونه من أن الشركاء يقربونهم إلى الله، وفارقهم ما كانوا يعبدون من دون الله، فلم يغن عنهم شيئًا .

قال الزمخشري :

فإن قلت : كيف يصحح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور ، مع أن الكنب والجحود لا وجه لمنفعته ؟ قلت : الممتحن ينطق بما ينفعه ويما لا ينفعه من غير تمييز بينهما خبرة ودهشًا: ألا تراهم يقولون رُبَّنا أَخْرِجًا مِهُمَا فِإِنْ مُثَنَا فَإِنْ عُلَامُونَ . وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكُّوا فيه، وَنَافراً يَامَالِكُ لِيُفْصَ عُلِيَّا رَبُّكُ .. وقد علموا أنه لا يقضى عليهم (٣٠٠).

+ + +

﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا كَلْ قُلُوبِهِمْ أَكِنَةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي َ اذَانِهِمُ وَوَّ أَوَل يَرَوَا كُلُّ عَايَةٍ لَا يُوْمِنُوا بِهَا حَقَّ إِذَا جَاءُوكَ يُجَدِلُونَك يَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ فَ وَهُمْ يَنْهُونَ عَنْهُ وَيَتَوْرَتُ عَنْهُ وَيَتَوْرَتُ عَنْهُ وَإِنْ يُهَارِكُونَ إِلَّا أَنْسُهُمْ وَمَا يَشْهُونَ ۖ ﴾

غردات

أك أن جمع كنان .

وق الله عنه الله الوقر بالفتح؛ الثُّقُل في السمع، يقال: وَقَرْتُ أَنْنُه مِنْ بابِ تَعِب ووعد: صَمَّتْ وثقُلُ سمعها.

يح ادارونك، يخاصمونك وينازعونك.

أســــاطير : أباطيل . ويستساون عسفه : أي: بمعدون عنه .

التفسيرء

٢٥ – وَمِنْهُم مُّنَ يَسْتَمُعُ إِلَيْكُ وَجَعَلَنَا مُلَى لُفُرِهِمْ أَكُثَّةً أَن يُقَقِّهُوهُ ... أى ومن هؤلاء المشركين والمكذبين من يستمع إليك استماع استعلاء وانتقاد فلا تتفتح قلويهم للحق ولا تستجيب للهدى، فقد جعل الله عليها أغطية معتوية، من التكبر والعناد فلا يفقهون القرآن ولا يستجيبون لداعى الرحمن . جاء في كتب التفسير (٣٠ روى عن ابن عباس قال:

حضر عند النبي ﷺ ، أبو سفيان ، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث ، والحارث بن عامر، وأبو جهل ، في جمع كثير ، واستمعوا إلى النبي ﷺ ، وهو يقرأ القرآن ، فقالوا للنضر يا أبا قتيلة، ما يقول ، إلا أنى أراه يحرك شفتيه، ويتكلم ما يقول ، إلا أنى أراه يحرك شفتيه، ويتكلم بأساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم به عن القرون الماضية – وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، يحدث قريشًا بما يستماحُونه، قال أبو سفيان : إنى لأرى بعض ما يقول محمد حقًا، قال أبو جهل : كلاً ... فأنزل الله الآية : وَمِنْهُم مِّن يَسْتَعِمُ إِنَّكُ وَجَعَلنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّهُ أَن يُفْهُوهُ وَفِي

قال السيد رهبيد رضيا: وجعل الأكنة على القلوب ، والوقر في الآذان في الآية من تشبيه الحجب والمواتم المعتبد والمواتم المعتبد والمواتم المعتبد والمواتم المعتبد والمواتم المعتبد والمواتم المعتبد والأذان التي لا تسمع الكلام سماع فيم وتدبير كالآذان المصابة بالقلق أو الصمم ، لأن سمعها وعدمه سواء . ™.

وقال الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة :

ورهنا يسأل سائل: إذا كان منع الهداية من الله تعالى بالغشاوة على قلويهم والختم عليها، وبالوقر في آذائهم فلا يسمعون سماع تبصر، فماذا يكون عليهم من تبعة يحاسبون عليها حسابًا عسيرًا بالعذاب الألهم ؟

والجواب عن ذلك أن الله سبحانه وتعالى ، يسير الأمور وفق حكمته العليا ، فمن يسلك سبيل الهوابية ويشير في مدينة الذُّر تباعًا الهداية يرشده وينير طريقه ويلابته ، ومن يقصد إلى الغواية ويسير في طريقها تجيئه الذُّر تباعًا إنذارًا بعد إنذار، فإن أيقظت النذر ضميره ، وتكشفت العماية عن قلبه فقد اهتدى وآمن بعد كفر ، ومن لم تُجدُ فيه النذر المتتابعة ، ولم توقظ له ضميرًا، ولم تبصره من عمى ، فقد وضع الله تعالى على قلبه غشارة ولى آذانه وقرًا (أأنًا ...)

وَإِن يَرَوْاْ كُلُّ ءَايَةٍ لاَ يُوْمِنُوا بِهِا ... الآية .

لقد عطلوا منافذ الإدراك في قلويهم ونفوسهم فإذا شاهدوا الآيات الدالة على صحة نبوة النبي محمد ﷺ أعرضوا عنها عنادًا واستكبارًا مع وضوح حجتها وظهور الحق فيها .

لأن قلوبهم وأسماعهم مستفرقة في أنانيتهم وعنجهيتهم ، فلا تستجيب للإيمان ولا تتقبل الهدى . حَتَّى إِذَا جَاءُوكُ يُجَادُونُكُ يُقُولُ الَّذِينَ كَفُرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِرُ الْأَوْلِيْنَ . والمعنى أنهم بلغوا من الكنر والعناد أنهم إذا جاءوك محاولين منكرين للحق لم يكتفوا بمجرد عدم الإيمان ، بل يبحثون عن أسباب الردّ والتكذيب، ويتلمسون أوجه الشبهات البعيدة فيصفون القرآن بأنه يحكى أساطير الأولين، حين يحكى عن أخيار الأمم الغابرة من باب التمحل والتماس أوهى الأسباب

ورد أن مالك بن النضر كان يحفظ أساطير فارسيه عن رستم واسفنديار من أبطال الفرس وكان يجلس مجلسًا قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلوا القرآن ، فيقول للناس: إن كان محمد يقص عليكم أساطير الأولين، فعندى أحسن منها ، ثم يروح يقص عليهم مما عنده من الأساطير فيصرفهم عن الاستماع إلى القرآن الكريم .

٣٦- وَهُمْ يَنْهُونُ عَنهُ وَيَسُونَ عَنهُ ... الآية. النهى: الزجر، والنأى: البغد. والمعنى أن هؤلاء المشركين لا يكتفون بمحارية الحق، بل يزجرون الناس عن التباعه، ويبعدون أنفسهم عن الاستماع إليه والإنصات إلى صوت القرآن وجمال الرحى وقريب منه قوله تعالى:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفُرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ . (نملت ٢٦).

وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . إنهم حين يحاربون الإيمان في أنفسهم، ويمنعون غيرهم عن الإيمان، لا يلهكون أحدًا بهذا التصرف الأحدق إلا أنفسهم . وما يشعرون بهذا البلاء الذي جلبوه على أنفسهم، حيث عرضوها لسخط الله في الدنيا وعقابه في الآخرة .

وقيل إن هذه الآية نزلت في أبى طالب حيث كان ينهي الكفار عن إيذاء النبى صلى الله عليه وسلم أو التعرض له بسوء ، ولكنه في الوقت نفسه يبتعد عن دعوته فلا يرّمن بها . مع اعترافه بأن الإسلام هو الدين الحق، ومما روى عنه في هذا المعنى قوله :

> والله لن يصلوا إليك بجمعهم فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ودعوتنى وزعمت أنّك ناصصى وعرضت ديننا قد عرفت بأنه لحيولا الملامسة أو حينار مسب

حــتــى أوسّـد فــى التراب دفــيــنــا وأبشــر بــذاك وقــرّ مــنك عــيــونــا فــلــقد مــدقت وكـنت قـبـل أمــيـنــا مـــن خير أديـــان البريـــة ديـــنـــا لــوحـدتـنــى سحـحـكا بـذاك يــقــيـنــا

وإذا تأملنا السياق وجدنا أنه في الحديث عن المشركين منهم الذين كانوا يحرّضون الناس على إيذاء النبي ﷺ وعلى الابتعاد عنه .

وهذا يرجح أن الآية لم تنزل في أبي طالب، وإنما نزلت في مشركي مكة .

* * *

﴿ وَلَوْتَوَكَاذْ وُفَعُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَكَتَلَنَا تُرَدُّ وَلَا تَكَذِّبَ بِقَائِدَ وَيِنَا وَتَكُونَ مِنَّا لَقَيْدِينَ ۞ بَل بَدَاهُمُ مَاكَانُوا يُضْفُونَ مِن فَبَلِّ وَلَوْرُدُّوا لَمَادُوا لِمَا نُهُواْ عَنْـهُ وَلِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ۞ وَقَالُوٓ الْإِنْ هِيَ إِلَّا حَمَالنَا الثَّنْيَا وَمَا غَنْنُ بِمَبْعُوْثِينَ ۞ ﴾

المفردات

ولوترى إذوقفوا علي الثار: حُبسوا عليها يوم القيامة ، ومن معانى الوقف الحبس .

يالي الدنيا

بل بدا الهمما كالوايخفون؛ أي ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبح فعالهم.

التفسير،

٧٧ – وَلُو تَوَى إِذْ وَلِقُواْ عَلَى النَّارِ لَقَالُواْ يَالْيَشَا نُودُّ وَلاَ نُكَذَّبَ بَآيَاتٍ رَبَّنَا وَنكُونَ مِنَ الْمُومِينِ . من أسلوب القرآن المتنويع وتصريف القول .

وقد كان يحكى عن الكافرين إعراضهم عن الإيمان ومنعهم الناس منه، وهنا يعرض مشهدًا رهيئًا ، تذهب النفس فيه كل مذهب .

نُّوُّ . شرطية حدْف جوابها لتذهب النفس في تصوّره كل مذهب وذلك أبلغ من ذكره .

والمعنى: لو ترى يا محمد أو أيها السامع ، ما يحل بهؤلاء الكفار المعاندين من الفزع حين حُبسوا بقرب النار، معاينين لها ، لرأيت شيئًا مخيفًا لا يحيط به الوصف ، وهولاً مفزعًا لا تدركه العبارة .

وحين يعاينون هذه الأهوال يتمنون الرجوع إلى الدنيا ، والإيمان بما كذبوا به فى حياتهم . وفى التعبير بقوله تعالى عَلَى النّارِ . مما يشعر بأنَّهم سيسقطون فيها وتبتلعهم ، وأنه لا مفر من ذلك . فَقَالُواْ بَالْتِنَا لُرَّهُ وَلاَ نَكَلْبَ بَآيَاتِ رَبُنَا وَنَكُونَ مَنْ الْمُوْمِينِ . أَى يقول هؤلاء المشركون حين يرون النار ويحبسون عليها ، ليتنا نردُ إلى الدنيا حتى نتوب ونعمل صالحًا، ولا نكنب بأيات الله ومججه التى نصبها على وحدانيته وصدق رسله ، بل نكون من المصدقين بالله ورسله والمتبعين لأمره ونهيه .

وفي تمنيهم الردّ إلى الدنيا ، دليل على أنهم يلجأون حتى إلى المستحيل ، وهو عودتهم إلى الدنيا ، لشدة الضيق والحرج الذي هم فيه .

٢٨ – بَلْ بَكَنَا لَهُم مَّا كَالُوا يُعْفُونَ مِن قَبْلُ... الآية. والمعنى ليس الأمر كما يوهمه كلامهم في التمنى من أنهم يريدون العودة إلى الدنيا للهداية والإيمان ، بل ظهر لهم ما كانوا يحقون من النفاق والكفر وسيء الأعمال، وعرفوا أنهم هالكون بشركهم فعدلوا إلى التمنى والمواعيد الكاذبة .

ويحتمل أن العراد: ظهر لهم حقيقة ما كانوا يشفونه في قلويهم من صدق محمد صلى الله عليه وسلم في أخباره ، وإن ادعوا في مجامعهم تكنيبهم له.

وَلُوْ رُدُّواْ لَمَانُواْ لِمَا يُهُواْ غَنْهُ … ولق ردّوا إلى الدنيا حسيما تمنوا لعادوا لقعل ما نهوا عنه من القباتح التي رأسها المشرك .

وَإِنَّهُمْ لَكَافِبُونَ . في وعدهم بأن يكونوا مؤمنين، وإنما يقولون ذلك لمجرد الخلاص مما هم فيه.

كما عاين إبليس ما عاين من آيات الله ثم عاند فالأية الكريمة تصور ما طبع عليه هؤلاء الماحدون من فجور وعناد وافتراء ، لأنهم حتى لو أجيبرا إلى طلبهم – على سبيل القرض والتقدير – لما تخلفوا عن كفرهم، واتباع شهواتهم، ومحاريتهم للأنبياء والمصلحين .

٢٩ _ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَّاتُنَا اللَّنْهَا وَمَا لَحْنُ إِمَّهُولِيْنَ. أَي قال هؤلاء المشركين ليس هناك حياة سرى الحياة الدنيا ، ننعم فيها بكل ما نشتهى، ونتمتع بما استطعنا من متع وليس هناك بعث ولا حشر ولا جزاء .

وجمهور المفسرين على أن هذه الآية تتمة للآية السابقة لها من حيث المعنى .

والتقدير . ولو ردُوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر وسيء الأعمال .

وقالوا ما الحياة إلا حياتنا الدنيا. ويكون قوله تعالى وَإِنَّهُمْ لَكَافِرُونَ. جملة اعتراضية.

وفي تفسير هذه الآية تكلم صاحب الظلال كلامًا طويلاً عن حكمة الإيمان بالحياة الآخرة، فهي تجعل المؤمن غير محصور في هذه الدنيا، بل يمتد إيمانه عبر الزمان والمكان، فيرُمن بدار آخرة فيها جنان عرضها السماوات والأرض، ومن هذا الإيمان يقوى يقينه حين يجاهد لإصلاح هذه الدنيا وإخفاق الحق ومحاربة الباطل .

* * *

﴿ وَلَوْتَرَكَة إِذْ دُقِفُوا عَلَى رَبِّمَ قَالَ ٱلْيَسَ هَلَنَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَيِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكَفُّرُونَ ٢٠ قَدْخَسِرَ الِّذِينَ كَنْبُوا بِلِقَالِهِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَلَة تَهُمُ السَّاعَةُ بَغْمَةُ قَالُوا يُحَمَّرُنَنَا عَلَى مَا فَرَطَنَا فِيهَا وَهُمْ يَعْمِلُونَ أَوْزَادُهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَاسَاتَهُ مَا يَزُونَ ٢٠ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْ اللَّهِ عَلَى مَا فَرَقَالُولُ الْكَرْخَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْفُونُ أَافَلَا تَعَيْدُونَ ٢٠٠٠﴾

المفردات

جاءتهم الساعة : الساعة : القيامة .

ب ف ت ا نماق

ياحسسرة مناه الحسرة؛ الندم الشديد على ما قات .

على ما فرطنا: التفريط؛ التقصير.

أوزارهـــــه الكبيرة .

المعب والمهدود اللعب واللهو كالهما ، الاشتقال بما لا يفيد العاقل ولا يهمه .

التفسيره

• ٣ - وَلُوْ لَرَى إِذْ وُلِقُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَلَا بِالْحَقِّ ... الآية .

تتوالى مشاهد القيامة على هؤلاء المكذّبين، فمن مشهد الحشر والمحاكمة، إلى مشهد الوقوف على الثار وهنا مشهد الوقوف على أمر ربهم فيهم . فهو المالك المتصرف في ذلك اليوم .

والمحنى: ولو ترى - أيها المتأمل - هؤلاء المعاندين المكذبين ، وقد حبسوا على ما يكون من قضاء ريهم فيهم، لهالك أهرهم ولرأيت مالا يحيط به نطاق الكلام .

وجعلهم موقوفين على ربهم ، لأن من تقفهم الملائكة، وتحبسهم في موقف الحساب امتثالاً

لأمر الله فيهم كما قال تعالى: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مُّشُولُونَ (الصافات: ٢٤) . يكون أمرهم مقصورًا على الله ، حيث لا سلطان فيه لغيره عز وجل: يُومَ لا تَعْلَلُ نَفْسُ لَقُسْ صَفِّا وَالْأَمْزُ يَرْفِلِ لَلْهِ. (لانضار: ١٩).

فهم وقد انتهى بهم الموقف إلى ما هم فيه من بلاء ، لا يقتصر أمرهم على ذلك ، بل يُسألون سؤال تأنيب وتبكيت أَلِّسَ هَذَا بِالْحَقِّ . أى أليس هذا البعث الذى تنكرونه كاتنا موجودًا ، وهذا الجزاء الذى تجدونه هاضَرا؟

قَالُواْ بَلَى وَرَبَهَا. قالوا بلى: أى ما نحن فيه من الشدائد والأهوال حق نستحقه ولا شك فهه، وهكذا اعترفوا بما أنكروا وأكدوا اعترافهم بالقسم.

قَالَ فَلُولُواْ الْفَدَابَ بِمَا كُتَمْ تَكَثَّرُونَ . أَى فِباشروا العذاب ، وانغمسوا في آلامه وأهواله بسبب كفركم الذي كنتم مصرين عليه دائبين فيه .

والذوق هذا كناية عن الإحساس الشديد بالعذاب بعد أن وقعوا فيه.

٣١ - قَدْ حَسِرُ اللّهِينَ كَلّهِما بِلِقاءِ اللهِ ... الآية. لقد خسروا في الدنيا حين ضحوا بالحق والعدل والإيمان وأقبلوا على الشهوات وغرهم حطام الدنيا عن الآخرة، وخسروا في الآخرة حين رأوا ما أعد الله المؤمنين ، كما خسروا العزاء الروحي ، الذي يغرس في قلب المؤمن الطمأنينة والصبر عند البلاء لأن المؤمن يعتقد أن ما عند الله غير وأبقى ، بخلاف الكافر فإن الدنيا منتهى أماله .

حتمى إِذَا جَاءَتُهُمُ السَّاعَةُ بَعَتُهُ. أي وما زال هولاء على التكذيب حتى فاجأتهم الساعة بفتة بغير انتظار.

قَالُواْ يَاحَسُرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا. أي قالوا متحسرين بأسلوب النداء ، للإشارة إلى شدة وقع المفاجأة عليهم ولذلك نادوا الحسرة نداء تفجع وقالوا: يا حسرتنا أقبلي فهذا أوانك، فإننا لم نستعد لهذا اليوم بل أهملناه ولم نلتفت إليه .

وعلى ذلك يكون المراد بالساعة يوم القيامة ، وقيل المراد بالساعة وقت مقدمات الموت . فلما كان الموت من مبادئ الساعة سمى باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «من مات فقد قامت قيامت» (١٠٠٠).

وسمِّيت القيامة ساعة ، لسرعة الحساب فيها ، ولأنها فاصلة بين نوعين من الحياة ، فانية ، وأخرى باقية . وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ. أي يحملون ذنويهم وخطاياهم على ظهورهم.

والمعنى: أنها لزمتهم الآثام فصاروا مثقلين بها كأنها على الظهور.

وقيل إن الكلام على حقيقته ، وأنهم سيحملون ذنوبهم على ظهوهم فعلاً حيث إن الذنوب والأعمال ستجسم يوم القيامة ، وبهذا الرأي قال كثير من أهل السنة .

أَلاً سَاءَ مَا يُزِرُونَ . أي بئس ما يحملون . أي يحشرون وما أثموا به على ظهورهم بغية تعذيبهم بـه.

قال الأستاذ سيد قطب: ومشهدهم كالدوابّ الموترة بالأحمال وَهُمْ يَعْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورهمْ.

بل الدواب أحسن حالاً ، فهى تحمل أوزاراً من الأثقال ولكن هؤلاء يحملون أوزاراً من الآقام ، والدواب تحط عنها أوزارها فتذهب لتستريح ، وهؤلاء يذهبون بأوزارهم إلى الجيحم، مشيعين بالتأثيم .

٣٧ – وَمَا الْجَهَاةُ الدُّهَا إِلاَّ أَهِبُ وَلَهُوْ ... الآية. أي أن هذه الحياة التي نعتها الكفار بأنها لا حياة سواها وما هي إلا لهو ولعب لمن يطلبها بأنانية وشره ، من غير استعداد لما يكون وراءها من حياة أهرى فيها الحساب والجزاء وفيها النميم الذي لا ينتهى .

فالحياة الدنيا لعب ولهو لمن اتخاوها فرصة للتكاثر والتفاخر وجمع الأموال من حلال وحرام، ولم يقدوا وزنا للأعمال المسالحة التي كلفهم الله تعالى بها.

أما بالنسبة للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فإن الحياة الدنيا تعتبر وسيلة إلى رضا الله الذي يظفرون به يوم القيامة .

وَلَلْذَارُ الْأَعْرِةُ خُيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ . أي وللحياة الآخرة، أكثر نفعًا وأعظم أجرًا للذين اتقوا ريهم وأطاعوا أمره واجتنبوا نواهيه، فكانوا في الدنيا عاملين للخير ، سابقين لأهل الدنيا في الدنيا وسابقين لهم في الأخرة .

أَفَلاَ تَعْقِلُونَ . أَى أَفلا تعقلون عما في الآخرة من ثواب ونعيم ، فلا تعقلون أن الانصراف إلى الدنيا مهلك، وأن العمل للأخرة والإقبال عليها ، هو السعادة والنجاة ؟

والاستفهام في قوله تعالى: أَللاً تَعْقِلُونَ . للحث على التدبر والتفكر والموازنة بين اللذات العاجلة الفانية في الدنيا وبين النعيم الدائم الذي يكون في الآخرة . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى: بَلْ تُوثِرُونَ الْحَيَاةَ النُّنيَا ه والأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

أى أنتم لقصر نظركم تفشلون الدنيا لأنها أمام عيونكم الفانية ، والأخرة أطول نعيمًا وأبقى خلوبًا ولى كانت الدنيا من ذهب يفنى والأخرة من خزف يبقى لوجب إيثار ما يبقى على ما يفنى فكيف والحال إن الدنيا من خزف يفنى ، والأخرة من ذهب يبقى:

إنما الدنيا كبيت نسجت السعنكبوت كمل ما فعها السعمري عمن قصريب سيمسوت إنما يمك فيك منها أيسها السراغب قصوت

* * *

﴿ قَدْ فَعَلَمُ إِنْهُ لِيَحَرُّنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُم لا يُكِذِّبُو نَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ عِايَنتِ اللهِ
يَجْحَدُونَ ﴿ وَلَقَدْ كُذِي اللّهِ وَلَقَدْ جَلَمَكُ مِن فَيْلِكَ فَصَابُوا عَلَى مَاكُذِبُوا وَأُودُوا حَقَّ النَّهُمْ نَصْرُواً
وَلا مُبْدَلِ لِكُلِمَنتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَلَمَكُ مِن فَيْلِي الْمُرْسَلِينَ ﴿ وَلِن كَانَ كَبُرَعَلَيْكُ
إِحْرَا ضُهُمْ فَإِنِ السَّعَلَةَ مَن النَّهِ مَن تَفْقًا فِي الْأَرْضِ أَوْسُلُمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهُم عِائِمُو
وَوَشَاهُمْ اللّهُ الجَمَعَهُمْ مَلَ اللَّهُ لَكُنَ فَلَا تَكُونَ مِنْ الْجَهِلِينَ ﴿ فَي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهُم عِائِمُ وَوَشَاءٌ اللّهُ لَا تَكُونُ مِنَ الْجَهِلِينَ ﴿ ﴾

الف دات،

المُزْنُ؛ السُّعور بالألم عند وقوع مكروه.

ي ج حددون، الجحود والجحد؛ نفى ما فى القلب إثباته أو إثبات ما فى القلب نفيه .

الكافرين، وعيده المراد من كلمات الله ؛ وعده المؤمنين، ووعيده الكافرين.

أ ؛ النبأ؛ الغبر ذو الشأن العظيم.

كبر عساسيك ، شق عليك .

مُسَـــفُــــة الطريق النافذ، والسرب في الأرض النافذ فيها، وله مدخل ومخرج . أوســــا مُسَــا ؛ السلَّم الدرج، مشتق من السلامة لأنه يسلمك إلي الوضع الذي تريده .

التفسير،

٣٣- قَدْ نَطُهُ إِنَّهُ لِيَحُوُّلُك الَّذِي يَقُولُونَ فَإِلَّهُمْ لا يَكُنُّهُونَكَ وَكَيِّنَ الطَّالِحِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ . كان صلى الله عليه وسلم حريصًا على هداية قومه، وكان يشق عليه تكذيبهم لهم ، وهذا يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم .

قد أحاط علمنا بحزنك مما يقوله هوّلاء المعاندون، وأنك مشفق عليهم من لجاجهم وشططهم ، ونحن معك أيها الحزين الأسف على كفر قومه .

إنهم لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر.

ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم لقد كانت فيها طبقات من الأغنياء والمترفين وهم أعرف الناس بصدق محمد وصدق رسالته ولكن الحرص على منافع الدنيا ، وقوة الجحود والإعراض عن المق دفمتهم إلى المكابرة والمناد وعدم الدخول في الإسلام .

وقد وردت روايات متحددة تدل على اعترافهم بصدق الرسول ، ولكن الحسد والغيرة والدوافع الشغصية والأنانية تحركت في صدورهم فمنعتهم من الاستجابة للحق .

قال سفيان الثورى عن على قال: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك يا محمد ولكن نكذب ما جنت به فأنزل الله: فَإِنَّهُمْ لا يُكَكِّبُولُكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَآيَاتِ اللَّه يَجْعَدُونَ .

وقد أورد صاحب الظلال طائفة من الروايات والأحاديث تؤيد اعتراف القوم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

من ذلك ما رواه ابن إسحاق قسال: حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهـرى: أنـه حـدّد أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن مشام والأخنس بن شريق . خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون لـه ، حتى إذا طلع الفجـر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا . وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائهم لأوقعتم في نفسه شيئًا ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه وفعلوا مثل ذلك في الليلة الثالثة، فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك .

والقصة طويلة وهي تؤكد تصديق باطنهم للنبي ثم مكابرة عقولهم ، ورفضهم الإذعان حرصًا على مصالحهم الدنيوية . وعن أبى يزيد المدنى أن النبي ﷺ لقى أبا جهل فصافحه فقال رجل لأبى جهل: ألا أراك تصافح هذا الصابح ؟

فقال والله إنى لأعلم أنه لنبى ، ولكن متى كنا لبنى عبد مناف تبعًا ؟ وتلا أبو يزيد: فَإِنُّهُمْ لا يُكَذَّبُونَكَ وَكِينَ الطَّالِمِينَ بَآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَلُونَ .

ومنها قوله تعالى: فَلاَ تَلْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. (فاطر: ٨).

ومنها قوله تعالى: فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ. (يس: ٧٦).

ومن ذلك قوله تعالى: في شأن قوم فرعون وتكذيبهم بمعجزات موسى: وُجَحدُواْ بِهَا وَاسْيَقَنَهَا ٱلفُسُهُمْ قُلْمًا وَمُثَارًا قَائِهُ رَيِّفَ كَانَ عَائِمُ المُفْسِلِينَ . (النما ١٤) .

٣٤ - وَلَقَدَ كُلُبَتُ رُسُلٌ مِّن قَلِلْكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذَّبُواْ وَأَدُواْ حَتَى أَنَاهُمْ لَصُرنا ... الآية. هذه الآية من جملة التسلية لرسول الله ﷺ ببيان ما عاناه الرسل السابقين بالدعوة ، حتى جامهم نصر الله .

أى فاقته بالرسل الذين من قبلك ، ولا تحزن ، واصبر كما صبروا على ما كذبوا به وأوذوا ، حتى يأتيك نصرنا ، كما أتاهم ، وأنت منصور على المكذبين ، ظاهر عليهم، وقد كان ذلك والحمد لله .

وُلاً مُبَدِّلُ لِكُلْمَاتِ اللَّهِ. أي لا مغير لكلمات الله وآياته التي وعد فيها عباده الصالحين بالنصر على أعدائه ، فسنة الله مستمرة وقوانينه باقية وأحكامه لا تنقض ، ووعده لا يتخلف .

بيد أن الله لا يعجل لعجلة العباد ويمهل ولا يهمل ومن قوانينه أن يبارك المجاهدين ، وأن ينصر المرسلين .

قال تعالى: كُتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوىٌ عَزِيزٌ . (المجادلة: ٢١) .

وقـال سهـحـانه: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرسَلِينَ ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿ وَإِنَّ جَدُنَا لَهُمَ الْعَالِمِنَ . (الصافات: ۱۷۱) ۱۷۳: وقال تعالى: إِنَّا لَتَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ عَامَنُواْ فِي الْحَيَاةِ النَّذِيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ . (غانر: ٥١) .

ويعض العلماء المحققين يرى أن المراد بكلمات الله شرائعه وصفاته وأحكامه وسننه في كونه، ويدخل فيها دخولاً أو ليًا ما وعد الله به أنبياءه وأولياءه من النصر والظفر ، وهذا الرأى أرجع من سابقه لأنه أعم وأشمل .

وَلَقَدْ جَاوَكَ مِن لَبِكَ الْمُرسَلِينَ . أي ولقد قصىصىنا عليك من أخبار الرسل ما يثبت فؤادك ويطمئن نفسك ويبين كيفية إنجاء الله لهم ومن معهم من المؤمنين، وكيف أهلك الله المكذبين .

قال تعالى: وَكُلَّا لَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَلِهَاء الرُّسْلِ مَا لُنِّتُ بِهِ فُوَادُكَ . (مود: ١٢٠)

ومعنى الآية :

وإن كان يا محمد شق عليك إعراض قومك عن الإيمان ، وظننت أن إتيانهم بما اقترحوه من آيات يكون سببًا في إيمانهم ، فإن استطعت أن تطلب مسلكاً عميقًا في جوف الأرض، أو درجًا ترتقي عليه إلى السماء لتأتيهم بما اقترحوا من مطالب فافعل، فإن ذلك لن يفيد شيئًا لأن هؤلاء المشركين لا ينقصهم الدليل الدال على صدقك ، ولكنهم يعرضون عن دعوتك عنادًا وجحودًا .

وَثُو شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعُهُم عُلَى الْهُدى. أى ولو شاء الله هداية الناس جميعًا، لجمعهم على ذلك، ولكن لم يرد ذلك ، حتى يتحقق معنى التكليف والاختبار والابتلاء والامتحان ، ويكافأ الإنسان أو يعاقب حسب اختياره بدرن قسر أو إجبار، ولله الحكمة البالغة وهو المكيم الطيم .

فَلاَ تَكُرنَنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ . بحكمة الله في خلقه ويسنته التي اقتضاها علمه .

قال الإمام الشوكاني: فإن شدة الحرص، والحزن لإعراض الكفار عن الإجابة، قبل أن يأذن الله بذلك هو صنيع أهل الجهل، واست منهم. وقال الأستاذ سيد قطب: من عدل الله تنوع الجزاء على الهدى والضلال لذلك لم يجمعهم الله على الهدى بأمر تكرينى ولكنه أمرهم بالهدى ، وترك لهم اختيار الطاعة أو المعصية، وتلقى الجزاء العادل في نهاية المطاف ، فاعلم ذلك ولا تكن ممن يجهلونه .

وَلُوْ شَاءَ اللَّهُ لَجْمَعُهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ .. يا لهول الكلمة ! ويا لحسم التوجيه ! ولكنه المقام الذي يقتضى هول الكلمة وحسم التوجيه.

وفي القرآن الكريم: إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء ... (القصص : ٥٦)

* * *

﴿ ﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونُ وَٱلْمَوْقَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ١٠٠٠

المفر دات:

إنها يستجهد الاستجابة، هي الإجابة المقارنة للقبول.

والموتى . الكفار . تشبيها لهم بالموتى .

التفسيره

إِنَّمَا يَسْتَحِبُ اللَّبِنَ يُسْمَعُونَ وَالْمَوْقَى يَتَعَقِّمُ اللَّهُ لُمُّ إِلَّهِ يُرْجُونَ . بين الله فى آيات سابقة إعراض المشركين عن سماع دعوة الإسلام والاستجابة لها ، يسبب تعطيل مواهبهم عن التلقى والقبول . فقد أعرضوا بقلويهم عن الاستجابة للحق فختم عليها جزاء عنادهم وكفرهم .

وفي هذه الآية يوضح الحق سبحانه للنبي صلى الله الإيمان والاستجابة ، ومعنى الآية .

ما يجببك يا محمد إلى الهدى، ويقبل منك شريعة الإسلام إلا الأحياء بقلوبهم الذبن يسمعون سماع تفهم حسيما تقضيه العقول وترجبه الألفهام .

وهـوّلاء المشركون الذين لم يجيبوك ، ولم يهتدوا بهديك يشبهون الموتى ، لفقدهم ما يميز الأحياء عن الأموات ، من السماع والتدبر .

وَاتَّمَوْتُي يَنْعَنُّهُمُ اللَّهُ. الواو للاستثناف وجويًا ولزم الوقف قبلها.

والمعنى: والموتى يحييهم الله يوم القيامة .

ثُمْ إِلَهُ يُرْجُعُونَ . للحساب والجزاء ، فلا يشق عليك إعراضهم وأمرهم إلى الله الذي سيتولى عقابهم حين يبعثهم .

+ + +

﴿ وَقَالُواْ لَوَلاَ ثِنِّلَ عَلَيْهِ عَايَةً مِن تَدِيْءً قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرُ عَلَقَ أَن يُنَزِّلَ عَايةً وَلَاكِنَّ أَحَثُمُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا مِن دَابَقِ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَلَيْمِ يَطِيرُ بِمِنَاحَيْدِ إِلَّا أُمُمُّ أَمَثَا أَكُمْ الْكِتَكِ مِن شَيْعٌ وَتُعْ إِلَى رَبِّمَ يُعَشَّرُونَ ۞ ﴾

المضردات:

المستعلقة عرف بدل على الدبُّ والتَّحضيض مثان هلاًّ.

المقصود من التنزيل ؛ الإظهار .

أب ... الآية، العلامة ، والمراد بها هنا : معجزة كونية تلجئهم إلى الإيمان .

كجعل الصفا ذهبا .. وسنوضح ذلك .

داب مسيدة الدابة: ما يدب على الأرض ، أي يمشي على هيئته .

استحسب ؛ جمع أمة بمعنى ؛ جماعة .

التفسيره

٣٧ – رُقَالُواْ أَوْلاَ نُوْلَ مُلَّهِ ءَابَةٌ مِّن رَّهِ . تذكر هذه الآية جانبا من تعنت المشركين، فقد أنزل الله القرآن على رسوله، وهو خطاب الله الأخير اشتمل على فنون الإعجاز فهو معجز بنصه وروحه ولفظه ومحتواه تمدّى به العرب والإنس والجن وسيظل آية باقية محفوظة إلى يوم القيامة .

بيد أن المشركين لم تكفهم هذه الآية العقلية بل طلبوا آية مادية تضطرهم إلى الإيمان كنزول الملائكة بمرأى ومسمع منهم، أو نتق الجبل أو تحويل الصفا ذهبًا ، أو تفجير أرض مكة ينابيع ويساتين وزحزحة الجبال من قلب مكة إلى ما حولها، أو يكرن للنبي ﷺ بيت من ذهب، إلى غير ذلك من الآيات الملموسة التى اقترحوها في سورة الإسراء في الآيات ٩٠ : ٩٣ .

والمتأمل في هذه الآيات المادية يرى أن الباعث عليها هو التعنت والمناد .

فلو كانوا طلاب حق لكفاهم ما أيد الله به رسوله من القرآن كما أيده الله ببعض المعجزات المادية التي وردت في السنة الصحيحة ومنها . انشقاق القمر ، ونزول المطر بدعاء النبي ﷺ ورفعه بدعائه أيضا، وتكثير الماء والطعام وحنين الجذع ، وغير ذلك .

وقد بينًّ الحق سبحانه الحكمة في عدم الاستجابة لمطالب المشركين فقال: قُلْ إِنَّ اللَّهَ فَافِرْ عَلَى أَنْ يَنْزُّلُ ءَيَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ . لقد مضت سنة الله في إنزال الآيات المادية أن يهلك المكذبين إذا لم يرْمنوا بعد نزولها ، وهو يعلم أنهم سيجحدون بالآيات بعد وقوعها كما وقع من الآقوام قبلهم .

فيحق عليهم الهلاك ، بينما يريد الله أن يمهلهم ليرثمن منهم من يرثمن ، فمن لم يرثمن استخرج الله من ظهره درية مؤمنة ، ولا يشكرون نعمة الله عليهم في إمهالهم ، وذلك بعدم الاستجابة لاقتراحهم الذي لا يعلمون جرائره قال تعالى: وَمَا مَتَكَا أَنْ تُرسُلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَلْبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتِنَا لَمُودَ اللهَ عَلْمِهِ اللهُ وَلَونَ وَآتِنَا لَمُودَ اللهَ عَلْمِهِ اللهُ وَلَونَ وَآتِنَا لَمُودَ اللهَ عَلْمِهِ اللهُ وَلَا لِللهَ تَعْمِيفًا . (الإساء: ٥٠) .

وقل عز مشأنه: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَدِّبَهُمْ وَأَلتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّه مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْقَفْمُرُونَ . (الأنفال: ٣٣) .

٣٨ – وَمَا مِن دَائِةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرِ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أَمَمَّ أَمْثَالُكُمُ ... الآية.

لفت القرآن نظر المضاطبين في هذه الآية إلى بديع خلق الله وجميل صنعه .

فكلُّ ما يدب على وجه الأرض من حيوان وحشرات وهوام وزواحف وفقًاريَّات.

وكل ما يطير بجناحيه فى الهواء – وهذا يشمل كل طائر من طير أو حشرة أو غير ذلك من الكائنات الطائرة – ما من خلق حى فى هذه الأرض كلها إلا وهو ينتظم فى أمة ذات خصائص واحدة، وذات طريقة فى الحياة واحدة كذلك ، شأنها فى ذلك شأن أمة الناس .

والمقصود من قوله: إِلا أُمُم أَعَالكُم . بيان أن حيوانات الأرض والبحر ، وطيور الجو ، إنما هي جماعات وطوائف لها مثل ما لنا من الخصائص في الجملة .

فالنمل مثلاً أمة أرضية لها تدبيرها في السعى على رزقها ، وجمعه في أجحارها ، استعدادًا لفصل الشتاء ، لتقتات به وهي مختبأة فيها طول الفصل . كما أن لها أميرة منها توجهها ، وتنظم مصالها ، ولها لغة تتفاهم بها .

كما يدل على ذلك قدوله تعالى : حَتَى إِنَّا أَتُواْ عَلَى وَادِ النَّمَلِ قَالَتَ نَمُلَةٌ بِالنَّهَا النَّمَلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِيْكُمْ لاَ يَحْطِهُنَكُمْ مُلْفَيْهَالُ وَجُنُولُهُ وَهُم لاَ يَشْعُرُونَ . (الندل: ١٨) . وقد فهم سليمان عليه السلام لغتها قال تعالى: فَنَبُسَمَ صَاحِكًا مِّنْ قَلِهَا وَقَالَ رَبُّ أَوْرِغْنِي أَنْ أَشْكُرُ يُعْمَدُكُ أَنِّي أَنْعُشَّ عَلَى وَالدِّئَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا ثَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَكِكُ فِي عِبَادِكُ الْمَالِحِينَ. (الندل: ١٩٩.

كما فهم سليمان صوت الهدهد، وتبيِّن أن للهدهد رسالة فاضلة حيث اكتشف وجود مملكة سبأ وحمَّله سليمان رسالة إلى بلقيس، وتمت القصة بإسلام بلقيس ودخولها في طاعة الله رب العالمين، وكذلك للنحل لغة ومملكة ورئيسة يطلق عليها لغة «اليعسوب» وهذه الأخيرة توجّه أمتها من النحر وتدبّر أمرها، ولها نظام في السعى على الرزق ويناء بيوت هندسية دقيقة تجمع فيها العسل ، وتحتضن البيض إلى غير ذلك من شئونها المختلة.

قال تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى الشَّحْلِ أَنِ التَّجِلِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُونًا وَمِنَ الشَّيْخِرِ ومِمَّا يَعْوِهُونَ * ثُمَّ كَلِي مِن كُلُّ الْعَمَاتِ .. الآية. (الدَعل: ٢٥: ١٩) .

وهكنا شأن سائر الحيوانات الأرضية والبحرية والطيور الجوية ، فالآية فتحت آفاقا من العلم عن أمم أخرى: لها خصائص تقرب من خصائصنا ، ظلت مجهولة حتى عرفها الباحثون أخيرًا عن طريق التجربة .

مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ.

مًا فَرَّفْنًا. ما ضيعنا أو ما أهمالنا

الْكِتَابِ. اللوح المحفوظ، أو كتاب الكون ، أو القرآن الكريم .

والمعنى:

١ - لقد أثبتنا في اللوح للمحفوظ ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

 ٢ - أو أن هذا الكون منظم بديع قد أتقن الله صنعه ويسر لجميع المطلوقات أرزاقها وحياتها ومعايشها . كما يسر حركة الكون بما فيه من سماء وفضاء وأرض وأفلاك وأملاك .

٣ - أو ما تركنا في القرآن شيئًا من الأشياء الهامة في الدنيا والدين ، ومن جملتها بيان أنه تعالى
 مراع لصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي .

قال الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن:

إن هذه الآية القصيرة ، لتهز القلب بما ترسم من آفاق الإشراف الشامل أو التدبير الواسع، والعلم المحيط والقدرة القادرة فله ذي الجلال .

تُم إِلَى رَبِّهِمُ يُعَشِّرُ نَّ. تَحْسَر جميع الأمم من أول آدم إلى يوم القيامة وتقف أمام الله للحساب والجزاء. وقيل المراد من الحشر المذكور حشر الكفار والمراد بالعشر لازمه وهو الحساب والجزاء.

وقيل المراد من الحشر حشر دوابً الأرض وطيور الجو كما يحشر الناس، فينصف الله بعضهم من بعض روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال :

«لتردُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من البشاة القرناء» (٠٠٠) . والشاة الجلحاء : التي ليس لها قرن .

وهذه الحيوانات وإن كان القلم لا يجرى عليها في الأحكام ولكنها توَّاخذ فيما بينها.

والعديث مقصور منه التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص والاعتناء فيه حتى يفهم منه، أنه لا بد لكل أحد منه .

وقد صحح هذا الوجه الإمام القرطبي في تفسيره للآية .

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف:

هزان قلت ما الغرض من ذكر هذه الآية ، قلت الدلالة على عظم قدرة الله وسعة سلمانه ، وتدبير الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لما لها ، وما عليها ، مهيمن على أحوالها، لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا مخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الأمم...

وهى ختام الآية . ثُمُّ إِلَى رَبُّهِمُ يُحُشُرُونَ. . ويرى بعض العلماء أن المراد بحشر البهائم موتها. ويرى آخرون أن المراد بعثها يوم القيامة لقوله تعالى وَإِذَا الْوَسُوشُ حُشِرَتُ.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ إِعَا يَنِيَنَاصُ تُوَدُّكُمْ فِي الظُّلُمَاتِّ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُصِّدِلَهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلَهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيدٍ ۞ ﴾

لفرداتء

المستخبرة عدم أصم، وهو ؛ من ثقُل سمعه .

وبك الكلام خلقة فعله بكم يهو من لا يستطيع الكلام خلقة فعله بكم يبكم بكما .

حراط؛ طريق جمعه صُرُط، وأصله السراط بالسين.

التفسيره

٣٩ – وَاللّٰهِنَ كَدُبُواْ وَيَاتِنَا صُمْ وَبُكُمٌ فِي الظُّلُمَاتُ ... الآية. بينت الآية السابقة أن الكون كله منظم مهياً للمعاش ، يدلُّ دلالة والمسحة على أن يداً حكيمة ترعاه وتمسك توازنه ونظامه بيد أن بعض الأشقياء يعرض عن رؤية هذه الدلالات ببصيرته ، أو يعرض عن استماع آيات القرآن استماع تفهم أو استجابة ، هؤلاء الذين كذبوا بآيات الله القرآنية أو الكونية ولم يهتدوا بهداها ، مثلهم كمثل الصم الذين لا يتكلمون ، الذين اهتوتهم الظلمات فلا يبصرون ، فكيف يهتدى هؤلاء إلى سواء السبل وهم بهذه الهيئة ؟

مَن يَشَوِ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَن يَشَا يُجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسَتَقِيمٍ. هذه الجملة مقررة لما سبق من حالهم ، مقيدة أنهم مقيمون على الضلال فلا يستقرب تكليبهم.

والمعنى: مَن يَشَا اللّهُ يُصْلِلُهُ . لفساد طويته واختياره الضلالة على الهدى وَمَن يَشَأ . هدايته --لحسن اختياره - يجعله على طريق مستقيم في العقيدة والأخلاق ويوفقه لصالح الأعمال .

﴿ قُلُ أَرَءَ يَتَكُمُّمُ إِنَّ أَتَنَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوَّ أَتَنَكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ۞ بَلَ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآةَ وَتَنسَوْنَمَا تُشْرِكُونَ ۞ ﴾

المفردات:

وتـــنسـون، وتتركون.

التفسيره

• ٤ - قُلْ أَرْءَتِكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ مَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَنَكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْر اللهِ تَدُمُونَ إِنْ كُتُمْ صَادِقِينَ. أَى قل يا محمد لهن الشهر الشهر المشركين ، تبكيناً لهم على عبادة الله تعالى ، أخبرونى عن حالكم عندما يداهمكم عناب الله الدنيوى كزلزال مدمر . أو ربح صرصر عاتية ، أو تفاجئكم الساعة بأهوالها و شدائدها، ألستم فى هذه الأحوال تلتجئون إلى الله وحده ، وتنسون ألهتكم الباطلة لأن الفطرة حينئذ هى التى تنطق على السنكم بدون شعور منكم؟ وما دام الأمر كذلك فلمانا تشركون مع الله آلهة أخرى ؟

إن أحوالكم هذه لتدعر إلى الدهشة والغرابة ، لأنكم تلجئون إليه وحده عند الشدائد والكروب ، ومع ذلك تعبدون غيره ، ومن لا يملك ضرًا ولا نفعاً .

ثم أكد سبحانه أنهم عند الشدائد يلجئون إلى الله تعالى، فقال :

٤١ - بَلْ إِيَّاهُ تَدْهُونَ فَيَكُمْ فِي الله تدعون ، بل المصون ، بل إيَّاهُ تَدْهُونَ فَيَكُمْ فَا تَدْهُونَ أَلْهُ إِن شَاءَ وَتَسَوْنَ مَا تشْرِكُونَ . أَى ليس غير الله تدعون ، بل تخصونه - وحده - بالدعاء دون آلهتكم ، فيكشف ما تلتمسون كشفه إن شاء ذلك ، لأنه هو القادر على كل شيء، وتَسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ . أَى تغيب عن ذاكرتكم عند الشدائد والأهوال تلك الأصنام الزائفة . والمعبودات الباطلة .

* * *

﴿ وَلَقَدَّا أَرْسَلُنَا ۚ إِلَىٰٓ أَمْرِ مِن قَبِكَ فَأَخَذَ نَهُمْ إِالْبَاۚ أَسَلَوَ وَالضَّرِّقِ لَعَلَهُمْ بَصَمَّرُعُونَ ۞ فَلَوْكَا إِذْ جَاءَهُم بَاَّاسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن فَسَتَ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُدُّ الشَّيَطُكُ مَاكَانُوا يَصْمَلُونَ ۞﴾

المضردات

بالمساساء والداهية والشدة .

والضمسسياء والضّر.

لعلهم يتضرعون ؛ لكي يدعوا الله في تذليل وخضوع.

فسسطسسولا ، بمعنى هَلاً . وهي هذا ؛ للتربيخ والتنديم وسيأتي لذلك مزيد بيان في الشرح .

التفسيره

٢٤ - وَلَقَدْ أَرْسَلُنَا إِلَى أَمْمِ مِّن لَبْلِكَ فَأَخْلَتْهُم بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَهُم يَتَعَمْرُ عُونَ . هذا كلام مستأنف لتسلية الرسول إلى الله المدرسة المدرسة

والمعنى: ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى أقوامهم ، فكان هؤلاء الأقوام أعتى من قومك في الشرك والجحود ، فعاقبناهم بالفقر الشديد ، والبلاء المؤلم . لعلهم يخضعون ويرجعون عن كفرهم وشركهم.

فالآية الكريمة تصرّر لونًا من ألوان العلاج النفسى الذي عالج الله به الأمم التى تكفر بأنعمه وتكذب أنبياءه ورسله ، إذ أن الآلام والشدائد علاج للنفوس المغرورة بزخارف الدنيا ومتعها، إن كانت صالمة للعلاج .

ثم بين سبحانه أن تلك الأمم لم تعتبر بما أمنابها في شدائد فقال سبحانه .

٣٤ - لَلْذِلاَ إِذْ جَاءَهُم بَأَسْنَا تَصْرَعُواْ وَلَكِن لَسَتْ لَلُولَهُمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَالُواْ يَعْمَلُونَ . ولولا هذا للنفي، أي أنهم ما خشعوا ولا تضرعوا وقت أن جاءهم بأسدًا .

وقيل إنها للحث والتحضيض ، بمعنى هلاً ، أي فهلاً تضرعوا تائبين إلينا وقت أن جاءهم بأسنا.

والمعنى: فهلاً حين جاءهم بأسنا وشدتنا ابتهلوا إلينا خاضعين مستغفرين، ولكنهم استمروا في غُهُم وقد حال بينهم وبين الالتجاء إلى الله أمران:

الأول: قسوة قلويهم أي أنها غلظت وجمدت وصارت كالحجارة أو أشد قسوة .

الثاني: تزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة بأن يرحى إليهم بأن ماهم عليه من كفر وشرك وعصيان هو عين الصواب ، وأن ما أتاهم به أنبياؤهم ليس خيرًا لأنه يتنافى مع ما كان عليه أباؤهم.

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبُوبَ كُلِّ مُّتَّ خَقِّ إِذَا فَرِحُواْ بِمَا ۗ أُونَّوُ ٱلْخَذْنَهُم بَغْمَةُ فَإِذَاهُم مُّلِيسُونَ ۞ فَقُطِعَ دَائِرُ ٱلْقَوْرِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْمَنْكِينَ ۞ ﴾

المفردات

تسوا ما ذكروا به ، تركوا الاتماظ بما خُرِّفوا به ، وهو: البأساء والضراء .

بسغستسة ، نجأة .

مباسون ، متحيرون، آيسون من النجاة .

طقطع دابر القوم ، فأهلك آخرهم . من دَبرَهُ ؛ إذا كان خلقه، وقطع دابرهم:

كناية عن إملاكهم حتى آخرهم وهذا يستلزم - قبل ذلك - إهلاك أولهم بالضرورة.

التفسيره

23 — فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكَّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبَوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَثَى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُوا أَخَلْنَاهُم بَاهَةً فَإِذَا هُم مُنْلِسُونَ .

والمعنى: فلما أعرضوا عن النذر والعظات التى وجهها إليهم الرسل، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق وأسباب القوة والجاه ، حتى إذا اغتروا ويطروا بما أوتوا من ذلك أعذناهم بالعقاب فجأة فإذا هم متحيرون بالسون .

والتعبير بقوله تمالى: فَعَضَا عَلَهِمْ أَلُوابَ كُلُّ شَيِّه . يرسم صورة بليغة لإقبال الدنيا عليهم من جميع أقطارها بجميع ألوان نعمها ، ويكلّ قوتها وإغرائها ، فهو اختبار لهم بالنعمة بعد أن ابتلاهم بالبأساء والضرّاء.

وكان الأخذ بغتة وفجأة ليكون أشد وقعا وأفظع هرلاً ، أى أخذناهم بعذاب الاستئصال حال كرننا مباغتين لهم، أو حال كرنهم مبغوتين فقد فاجأهم العذاب على غُرة بدون إمهال .

وإذا في قوله تعالى: فإذًا هُم مُّلِسُركٌ. فجائية ، والمبلس الباهت الحزين اليائس من الخير الذي لا يحير جوابًا لنشدة ما نزل به من سوء الحال . روى الإمام أحمد بسنده عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيت الله يُعطى العبد من الدنيا – على معاصيه – ما يحبّ ، فإنما هو استدراج ، ثم تلا رسول الله ﷺ : فَلَمّا نَسُوا مَا فَكُرُوا بِهِ نَصْحًا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ مَنْ مِ حَنِّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُونُوا أَحَلْنَاهُم بُقَةً فَإِذَا مُر مُبْلِسُونَ . (١٠)

ه ٤ - فَشَطِحُ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلْمُواْ وَالْحَمَّدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أي هَأَمك الله تعالى أولتك الأقوام عن آخرهم بسبب ظلمهم وفجورهم ، والحمد لله رب العالمين الذي نصر رسله وأولياءه على أعدائهم .

وقد ختم الله تعالى هذه الآية بقوله: وَالْمُعَمُّدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . تعليم لنا إذ أن زوال الظالمين نعمة تسترجب الحمد والثناء على الله تعالى.

* * *

﴿ قُلْ أَرْءَ يَشْدُ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمَعَكُمْ وَأَبْصَنْرَكُمْ وَخَفَمْ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَّهُ عَيْرُاللّهِ يَأْتِيكُمْ بِيُّهِ ٱنْظُرَكَيْنِ فَصَرِّفُ ٱلْآيَنَتِ ثُمَرِّهُمْ يَصَدِفُونَ ۞ قُلْ أَرْءَ يَتَكُمْ إِنَّ أَلْنَكُمْ عَذَابُ ٱللّهِ بَغْنَةً أَوْجَهُرَةً هَلْ يُعَلِّى إِلَّا ٱلْقَرْمُ الظَّلْلِمُونَ ۞ ﴾

المفردات:

وختم على قلوبهم: أي غطاها فأصبحت لا تعقل.

لُـصَـرُفَ الأَمَاتَ ، الصرف ردَّ الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، ومعنى نصرف الآيات هنا، أي نكررها على وجود شتى .

جـــه بيرة : أي علنا: يقال جهر بصلاته يجهر جهرًا . أعلنها .

التفسيره

٤٦ - قُلُ أَرْعَتُمْ إِنَّ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَلْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلْبِكُم مَنْ إِلَّهَ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ الظُّر كَيْفَ لَمُسَرِّفُ الأَيَاتِ لُمُ هُمْ يَصْلُولُونَ . أَى قُل أَيها الرسول لقومك : أخيرونى — إن أذهب الله سمعكم وأيصاركم، وغطى على قلوبكم ، فصرتم لا تسمعون ولا تبصرون ولا تعقلون — أيُّ هذه الآلهة التي تعيدونها من دونه يأتيكم بما أخذه منكم .

قال الأستاذ سيد قطب:

وهذا مشهد تصويرى يجسّم لهم عجزهم أمام بأس الله من جانب ، كما يصور له حقيقة ما يشركون به من دون الله من جانب ، ولكن هذا المشهد يهزّهم من الأعماق ، ليدركوا أن الله قادر على أن يفعل بهم هذا ، قادر على أن يأخذ الأسماع والأبصار وأن يختم على القلوب، فلا تعود هذه الأحيزة تأبّى وظائفها ، وأنه سبحانه إن فعل ذلك ، فليس هناك من إله غيره يرد بأسه .

ثم التفت القرآن عنهم إلى التعجب من حالهم فقال :

انظُرْ كُفُ أَمْرٌفُ الأَيَاتِ أُمْ هُمُ يَصْلِخُونَ . أَى انظر وتعجب يا محمد كيف نبين لهم الآيات ونصرفها من أسلوب إلى أسلوب : ما بين حجج عقلية، وتوجيه إلى آيات كونية، وترغيب وترهيب وتنهيه وتذكير ثم بعد ذلك كله يعرضون عن الحق .

٧ ٤ - قُلْ أَرْءَلِيَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَعْتَةَ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الطَّالِمُونَ .

والمعنى: قل لهم أيها الرسول الكريم أخبرونى عن مصيركم إن أتاكم عذاب الله مباغتًا ومفاجئًا لكم من غير ترقب ولا انتظار ، أو أتاكم ظاهرًا واضماً بحيث ترون مقدماته ومبادئه ، هل يهلك به إلا القوم الظالمون؟

والاستفهام في قوله تعالى: هَلْ يُهْلُكُ إِلَّا الْقُرْمُ الظَّالِمُونَ . التقرير .

أى هل يهلك — انتقامًا بهذا العذاب أو ذاك — سواكم أيها القوم الظالمون لأنفسهم بالشرك والمعاصى .

وقد صحت مقابلة البغتة بالجهرة، لأن البغتة ما كانت مقدماتها خفية ، فقويلت بالجهرة الظاهرة التي تسبقها علامات .

وقيل عذاب البفتة ما كان ليلاً لأن الغالب فيه ذلك وعذاب الجهرة ما كان نهارًا . قال تعالى: قُلُ أَرْيَتُمْ إِنْ أَتَاكُمُ عَلَيْهُ إِينَّ أَوْ نَهَارًا مُذَا يُمْتَعْجُرا مِنْهُ الْمُعِرَّمُوثَ . (بينس: ٥٠) .

﴿ وَمَا زُسِلُ ٱلْمُرْسِلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَّ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصَّلَحَ فَلَاخُوفُ عَلَيْهِمَ وَلَاهُمَّ يَحْرَثُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِتَايَنتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَاثُوا يَشْسُقُونَ ۞ ﴾

المضرداتء

مبشرين ومتدوين ؛ التبشير ؛ الإخبار بما يسر ، والإنذار ؛ التخويف مما يضر .

بهسهم العثاب: أي يصيبهم.

يست مشرق ون المحاصى عن طاعة الله بالكفر والمعاصى

التفسيره

٤٨ - وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنلِرِينَ فَمَنْ عَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزُلُونَ

قال القاضي أبو السعود: هذا كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الإطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام ، وإظهار أن ما يقترحه الكفرة عليه — عليه السلام — ليس نما يتعلق بالرسالة أصلاً، وصيغة المضارع لبيان أن ذلك أمر مستمر جرت عليه العادة الإلهية ^{(مم}

ومعنى الآية: وما نبعث المرسلين إلا مبشرين للمؤمنين الصالحين بحسن الثواب ، ومنذرين للمكّبين الفاسقين بسوء العقاب ، لا ليقترح عليهم غير ما جاءوا به من الآيات ، فمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأصلح في عمله فلا خوف عليهم من عذاب الدنيا الذي ينزل بالجاحدين ، ولا من عذاب الآخرة الذي يحلّ بالمكنبين ، ولا هم يحزنون يوم لقاء الله على شيء فاتهم .

٩ ٤ - وَالَّذِينَ كُنَّبُواْ بَآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَلَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب:

هذه الآية كشف للوجه الآخر من دعوة الرسل ، وأنه إذا آمن بهم كثير من الناس فقد كفر بهم كثير من الناس أيضًا ولكل من المؤمنين والكافرين حسابه وجزاؤه ...(١٠٠

يَمَسُهُمُ الْعَلَابُ مِمَا كَالُواْ يَفْسُقُونَ . والفسوق هو الخروج ، يقال فسق الفرح من البيضة إذا خرج منها والفاسق هو من يخرج عن حدود الله . قال تعالى: إلاَّ إِبْلِسِ كَانَ مِنَ الْجِرِّ فَشَسَقَ مُنْ أَمُّر رَبِّهِ . (الكهد : ٥٠) و في قوله تعالى: يُمَشُّهُمُ الْعَلَابُ . إشارة إلى أن عذاب الله شديد لا يطاق وأن مسَّةٌ من هذا العذاب تحيل حياة من تصيبه إلى شقاء دائم ويلاء متصل . نعوذ بالله من عذاب الله . (١٨١)

﴿ قُلُ لَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَايِنُ أَلِيَّهِ وَلآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلآ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَلاَكُ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّامَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُّ أَفَلَا تَنَفَكَّرُونَ 🕝 ﴾

المفرداتء

الجزء السابع

خراشن الله ؛ المراد بها؛ خزائن مقدوراته ؛ كما قال الجبائي .

الأهمى واليحيد ؛ المراد يهما ؛ الضال والمهتدى .

التفسيره

• ٥ - قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي حَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْعَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلَّى مَلَكٌ .. الآية. هذه الآية الكريمة تردُّ على المشركين في ما اقترحوه على الرسول ﷺ من معجزات أو آيات.

وتبيَّن أنَّ وظيفة الرسول هي تبليغ الرسالة التي كلف بها فهو لا ينشء الرسالة ولكن يبلِّغ ما كلُّف به من الله تعالى .

والنبي لا يملك للناس سعة من الرزق، لأنه يرزق مثلهم ، ولا يرزق غيره، قُلْ لاَ ٱقُولُ لَكُمْ عندى خَزَائِنُ اللَّهِ . فخرائن الله لله يُعطى منها ما يشاء لمن بشاء .

والنبي لا يعلم الغيب ، ولا يدري ما يطلع به يومه أو غده فعالم الغيب والشهاة هو الله .

والنبي بشر من البشر وإنسان من الناس ، هو مثلهم مقيد بقيود هذا الجسد البشري ، وليس هو ملك من ملائكة الرحمن ، يستطيم أن يفعل مالا يفعله الإنسان من خوارق ومعجزات .

وكان المشركون قد طلبوا من النبي أن يقلب الجبال ذهبًا ، وأن يفجر ينابيع الأرض ليزرعوا على مياهها الصحراء، واقترحوا عليه أن يرقى في السماء كما تفعل الملائكة، واستكثروا عليه أن يأكل الطعام أو أن يمشى في الأسواق كما يفعل سائر الناس.

إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَى قُلْ هَلْ يَسْتَوى الْأَعْمَى وَالْبَعِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكُّرُونَ . أي ما أفعل إلا اتباع ما يوحى

إلىّ، من غير أن يكون لدى مدخل مًّا في الوحي أو في الموحى به بطريق الاستدعاء أو بوجه آخر من الرجود أصلاً .

إن الرسل بشر يوحي إليهم برسالة ليبلغوها للناس ولا يتطلعون إلى صفات تزيد عن صفات البشر كعلم الغيب ، أو ملك خزائن الله ، أو تعلك صفات الملائكة .

إنما الرسل عباد الله يتبعن تعاليم الرحى فى تبليغ الوحى للناس والعمل بمقتضاه ليكرن الرسول قدوة عملية أمام قومه.

قال تعالى: لَقُدْ كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .

من أجل هذا كان الرسول بشرًا ، يأكل الطعام ويعشى في الأسواق ويتزوج النساء ويولد له الأولاد ، ويموت بعض أولاده ، ويحزن عليهم ويتعرض للبلاء في غزوة أحد وغيرها من المعارك حتى تتم القدرة والأسوة العملية في حياة الناس .

قُلْ مَلْ يُسْتَوِى الْأَغْمَى وَالْبَعِيرُ أَفَلاَ تَفَكَّرُونَ . أَى لا يمكن أَن يستوى الضالّ الشبيه بالأعمى – في عدم تبيّن الحقائق ~ بالمهتدى الشبيه بالمبصر في استجلاء الأمور.

أَفَلاَ تَفَكُّرُونَ . استفهام إنكارى للحث على التفكير والتأمل ليستقبلوا آيات . النور والهدى. إن أرادوا لأنفسهم النجاة والشير .

* * *

﴿ وَأَنذِ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُمَّشَرُوٓا إِلَى رَبِّهِ مِّ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَإِنَّ وَلَا شَفِيعٌ لَمَّ لَمُ مَنْقُونَ ﴿ ﴾

المفردات

وأنسسستان الإنذان التخويف.

والمستعاد نامس.

شعط يسع ؛ الشفيع ؛ من يرجو رقع ضُر ، أو جلب خير لغيره .

التفسيره

٥ ٥ - وَأَلْلِرْ بِهِ اللَّهِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلَى وَلاَ هَفِيعٌ لُعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ .

والمعنى: اتجه يا محمد بهذا الكتاب إلى الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، وأنذر به الذين يخافون سوء الحساب يوم القيامة ، حالة أن ليس لهم من دونه ولى ينصرهم، ولا شفيع يخلّصهم، ذلك أنه ما من شفيع يشفع عند الله إلا بإذنه .

فهولاء الذين تستشعر قلوبهم خوف ذلك اليوم ، الذي ليس فيه - من دون الله - ولى ولا شفيع، أحقّ بالإنذار وأسمع له، وأكثر انتفاعًا به ... لعلهم أن يتوقوا في حياتهم الدنيا، ما يعرضهم لعذاب الله في الآخرة .

فالإننان بيان كاشف كما أنه مؤثر موح ، بيان يكشف لهم ما يتقونه ويحذرونه، ومؤثر يدفع تلويهم للتوكّى والحذر ، فلا يقعون فيما نهوا عنه بعد ما تبين لهم .

قال الإمام الشوكاني في فتح القدير :

وَأَتَلَوْنِهِ اللَّيْنَ يَعْطُونَ أَن يُخْشُرُوا إِلَّي رَبِّهِمْ. لأن الإندان يؤثر فيهم لما حلَّ بهم من الشه، بضلاف من لا يخاف المشر من طوائف الكفل لجحوبه به وإنكاره له ، فإنه لا يؤثر فيه ذلك .

فيشمل كل من آمن بالبعث من المسلمين ، وأهل الذمة ويعض المشركين، وإن لم يكن مصدقًا به في الأحمد الله على المسلمين به النبي الله على المسلمين المرعظة فيه أنجع والتذكير له أنقم .

لِّسْ لَهُمْ مِّن فُرِتِهِ رَقِّ وَلاَّ مَغِيمٌ . لا ولى لهم يواليهم ، ولا نصير يناصرهم، ولا شفيع يشقع لهم عند الله لينجيهم من عنابه .

وهيه رد على من ز عم من أهل الكتاب أن آباءهم يشفعون لهم وعلى من زعم من الكفار أن أصنامهم تنفع لهم . ﴿ وَلَا تَفَارُهِ النَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدُوْةِ وَالْمَشِيِّ بُرِيدُونَ وَجْهَدُّ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَاوِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَعَظُّرُدُهُمُّ فَتَكُّونَ مِنَ الظَّلَالِمِين ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَا بَعَضَهُم بِيَعْضِ لِيَقُولُوْ الْهَدَوْلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلْسَ اللَّهُ بِأَعَلَمَ إِللَّهُ كِينَ اللَّهِ ﴾

المفردات

والقاداة والعشى ؛ الغداة والغدوة أوّل النهار ، والعشيّ جمع عشية ، وهي آخر النهار .

أعرقه وأخرقه والمتبره.

التفسيره

٧ ٥-- وَلاَ تَطْرُ وِ اللَّهِينَ يَدْعُونَ رَبُّهُم بِالْفَدَاةِ وَالْمَشَّى يُعِيدُونَ وَجَهُهُ . أى لا تبعد أيها الرسول عن مجالسك هؤلاء المؤمنين الفقراء الذي يدعون ربّهم صباح مساء ، ويريدون بعملهم وعبادتهم وجه الله وحده، بل اجعلهم جلساءك وأخمَّاءك فهم أفضل عند الله من الأغنياء والمتغطرسين ، والأقوياء الجاهلين.

جاء فى تفسير ابن كثير ، فى سبب نزول الآية، ما رواه الإمام أحمد وغيره، ونقله الأستاذ سيد قطب بأسلوبه فقال:

إن جماعة من أشراف العرب ، أنفوا أن يستجيبوا إلى دعوة الإسلام ، لأن محمدًا ﷺ يؤوى إليه المقتراء والضعاف ، من أمثال صهيب ويلال وعمار وخبًاب وسلمان وابن مسعود ومن إليهم وعليهم جباب تفوح منها رائحة العرق ، لفقرهم ومكانتهم الاجتماعية لا ترهلهم لأن يجلس معهم سادات قريش في مجلس واحد ، فطلب هؤلاء الكبراء إلى الرسول ﷺ أن يطردهم عنه .. فأبى .. فأقترحوا أن يخصص لهم مجلسًا ، ويخصص للأشراف مجلسًا آخر ، لا يكون فيه هزلاء الفقراء الضعاف ، كى يظل للسادة امتيازهم واختصاصهم ومهابتهم في المجتمع الجاهلي ! فَهُمَّ صلى الله عليه وسلم رغبةً في إسلامهم أن يستجيب لهم في هذه ، فجاء أمر الله تعالى: وَلاَ تَطْرُو اللّهِينَ يَدْعُونُ رَبّهُم بِالْفَدَاةِ رَالْعَشّيُّ بِيدُونَ إِللّهِينَ يَدْعُونُ رَبّهُم بِالْفَدَاةِ رَالْعَشّيُّ يُرِيدُونَ .

ودوى مسلم عن سعد بن أبى وقاص، قال: كنًا مع النبى 養 ستة نفر، فقال المشركون للنبى 業 اطرد هؤلاء عنا لا يتجترئون علينا ! فوقع فى نفس رسول الله 義 ما شاء الله أن يقع فحدًث نفسه، فأنزل الله عز وجل الآية (١٩٩). مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتكُونَ مِن الظَّالِمِينَ .

إن الله تعالى هو الذى سيتولّى حسابهم وجزاءهم وإن يعود عليك من حسابهم شىء ، كما أنه لا يعود عليهم من حسابك شىء فهم مجزيون بأعمالهم، كما أنك مجزى لعملك .

وكان الأغنياء قد طعنوا وعابوا على النبيّ مجالسة الفقراء ، وطعنوا في هؤلاء الفقراء وعابوا ما هم فيه من فقر وضعف، وما يسببه وجودهم في مجلس النبي ﷺ من نفور السادة وعدم إقبالهم على الإسلام .

فيين الحق سبحانه أن الله لا ينظر إلى صور الناس ولا إلى أموالهم ، وإنما ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم .

وهؤلاء الفقراء، الراغبون فى الإسلام ، لا يعيبهم فقرهم ما داست قلوبهم غنية بالإيمان والرغبة فيما عندالله.

قال الإمام الشوكاني :

مًا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ. أي حساب هؤلاء هو على أنفسهم، ما عليك منه شيء، وحسابك على نفسك ما عليهم منه شيء ، فعالم تطريهم ؟

أي فأقبل عليهم ، وجالِسُهم ، ولا تطردهم .

فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ . أى إن طربتهم كنت من الظالمين . وحاشا لرسول الله ﷺ أن يكون من الظالمين.

قال الزعشري في تفسير الكشاف:

فإن قلت: أما كفى قوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ . حتى ضم إليه: وَمَا مِنْ حِسَائِكَ عَلَيْهِم مُن شَيْد،؟ قلت كيف جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة ، وقصد بهما مرّدى واحد ، وهو المعنى فى قوله: وَلاَ تَرِرُ وَارِزَةٌ وِزَرُ أَخْرَى . ولا يستقل بهذا المعنى إلا الجملتان جميعًا ، كأنَّه قيل لا تراخذُ أنت ولا هم بحساب صاحبة .

و جاء في تفسير الآية للدكتور محمد سيد طنطاوي .

وهذا تخريج آخر لقوله:

مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ. بأن المعنى: ما عليك شيء من حساب رزقهم إن كانوا فقراء، وما من حسابك في الفقر والغني عليهم من شيء. أي أنت مبشر ومنذر ومبلغ للناس جميعًا، سواء منهم الفقير والغنى ، فكيف تطرد فقيرًا لفقره، وتقرب غنيًّا لغناه؟ إنك إن فعلت ذلك كنت من الظالمين ، ومعاذ الله أن يكون ذلك منك . ⁴⁴³ .

وفي هذه الآية دليل على أن الإسلام لا يميّز بين الناس بالمال والرياسة ، بل بالإيمان والعمل الممالح، وإن كانوا فقراء معدمين، وعلى أن الأمراء مطالبون بإعطاء الفقراء حقهم من مجالس العلم ودوره، وألا يمنعوهم عن مجالسة الأغنياء فيها .

٥٣- وَكَذَلِكَ ثَتَا يَعْشَهُمْ بِنَعْسَ لِّقُولُوا أَهُولُا أَهُولُاءَ مَنْ اللَّهُ عَلَهُم مِّن يَشِنَا أَلْسَ اللَّهُ أَغَلُمُ بِالشَّاحِرِينَ . شاءت إرادة الله تعالى، أن يختبر بعض الناس بالغنى والجاه وأن يمنح بعض الناس الهداية والعلم مع فقرهم .

ومن الناس من لم يدرك هذه الحكمة السامية في توزيع أرزاق العباد ، فالمال رزق والهداية رزق والتقوى رزق والله أعلم حيث يوزع أرزاقه ومواهبه .

وقال الدكتور سيد طنطاوى:

ومعنى الآية: ومثل ذلك الفَتَن ، أى الابتلاء والاختبار ، جعلنا بعض البشر فتنة لبعض ليترتب على هذا الفَتْن أن يقول المفتونون الأقوياء فى شأن الضعفاء: أهولاء الصعاليك خصّهم الله بالإيمان من بيننا ! وقد ردّ عليهم بقوله: أَلْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ . أى أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم ، فيوفقهم ويهديهم سبل السلام ويضرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى مسراط مستقيم (٤٠٠).

وقد ذكر القرآن أن هذا المعنى في كثير من آياته ، مثل: وَقَالَ الَّذِينَ كَفُرُواْ لِلَّذِينَ وَامَنُواْ لُوْ كَانَ خَيْرًا هُ سَنَقُونَا إِنَّهِ رَاذٍ لَمْ يَهَمُدُواْ بِهِ نَسَيُّولُونَ هَلَا إِفْكَ قَدِيمٌ . (الأحقاد ١٠١).

وفي قصم الأنبياء السابقين ، نجد الأغنياء يقولون لنوح عليه السلام: وَمَا نَرَاكَ البُّعَكَ إِلاَّ الَّلِينَ هُمُّ أَزَائِكَ بَادِى الرَّأَى وَمَا نَرَى كَكُمْ عَلَيْا مِن فَصْل بَلْ نَطْتُكُمْ كَافِيقَ . (حود: ٧٧) .

وفى سورة الكهف يقول الله تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَنْتُونَ رَبَّهُم بِالْفَدَاةِ وَالْسَشِّى بُرِيدُونَ وَجَهُهُ وَلاَ تَعَدُّ عَبَّاكَ عَنْهُمْ تُوبِيدُ زِينَةَ الْحَيَّاةِ الذُّنَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْلَنَا قَلَيْهُ عَن ذِكْرِنَا وَالَّذِعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا * وَقُل الْحَقُّ مِن ذَكَكُمْ فَمَن شَاءً فَلْيُومِن وَمَن شَاءً فَلْيَكُفُّر . (الكهن : ٢٨ : ٢٥) . ﴿ وَإِذَا جَآةَ لَا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إِعَائِنِنَا فَقُلْ سَلَامُ عَلَيَّكُمُّ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ ٱلرَّحْسَةَ ۚ أَنَّدُمَنَّ عَمِلَ مِنكُمْ شُوّمُ الْبِجَهَا لَهِ ثُمَّوَاكِمِ مِنْ جَلْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمُ ۖ ۞ وَكَذَاكِ نُفَصِّلُ ٱلْآئِنِ وَلِتَسْتَيِنَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ ﴾

المفرداتء

بعد الله بسَفَةٍ وسوء رأى.

وبتستبين ، ولتتضم.

سبيل الجرمين عطريق أهل الذنوب.

التفسيره

30 – وَإِذَا جَامَكُ الَّذِينَ يُوْمِئُونَ بَابَاتِنَا قُفُلُ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَبَّ رُبُّكُمْ مَكَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَلَهُ مَنْ عَبِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يِجَهَالَةٍ ثُمَّ نَابَ مِن يَعْدِهِ وَأَصْلَعَ قَالَهُ فَقُورٌ رَّجِيمٌ. ذهب يعض المفسرين إلى أنَّ هذه الآية تخص السابقين إلى الإسلام الذين سخر منهم الكبراء والأشراف ، فقد أمر الرسول ﷺ أن يبدأهم بالسلام ، وأن يبشرهم بما لذم الله يه نفسه من رحمة عباده وقبول تويتهم ، متى تابوا وأصلحوا .

قال الإمام الشوكاني في فتح القدير:

وَإِذَا جَاءَكُ الَّذِينَ يُولُونُونَ بِآيَاتُنَا: هم الذين نهاه الله عن طردهم وهم المستضعفون من المؤمنين قُلُن سَلاَمٌ عَلَيكُمْ . تطييبًا لشواطرهم وإكرامًا لهم، وقد كان الذبي ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا رأهم بدأهم بالسلام.

كُتُبُ رُنُكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ. أى أوجب ذلك على نفسه إيجاب فضل وإحسان، وقيل: كتب ذلك في اللوح المعقوظ، وقيل: هذا من جملة ما أمره الله سبحانه، بإبلاغه إلى أولئك تبشيرًا يسعة مغفرة الله وعظيم رحمته.

ويرى بعض المُعسرين: أن هذه الآية الكريمة ليست خاصة بالعنهيُّ عن طردهم من ضعفاء المؤمنين.

بل هي دستور عام لجميع المؤمنين المقصِّرين إذا ما تَابوا وأصلحوا.

والمعنى: وإذا جاءك - يا محمد - الذين آمنوا، وقد أصابوا بعض الذنوب، فقل تبشيرًا لهم: سلام عليكم ، أي مسالمة من الله ريكم ، وتلك المسالمة هي أنه تعالى قضى على نفسه بالرحمة لعباده: تفضيلاً ، وذلك أنه من عمل منكم سوءًا أي ذنبا - بجهالة - أي سفه وسوء رأى فشأنه تعالى: أنه غفان للذنوب رحيم بعباده فلا تقنطوا من رحمة الله (١٠٠٠).

ومن المعروف في كتب علوم القرآن أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فالآية عامة لجميع المؤمنين ، وما فيها من رحمة الله بعباده ، وتوبته على المذنبين ، ورحمته بالعصاة، ومغفرته للنادمين ، أمر قد ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة .

فالتوية النصوح، إذا قرنت بالندم على فعل الذنوب، وصدق الالتجاء إلى الله، والانتقال من فعل الذنب، إلى فعل الصلاح وامتثال المأثورات واجتناب المنهيات هذه التوية جديرة بالقبول إن شاء الله.

قىال تعالى: إلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ حَمَلاً صَالِحًا فَأُولِئِكَ يُبَدَّلُ اللهُ سَبَّاتِهِمْ حَسَناتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا وَحِيمًاه وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فِإِنْهُ يَتُوبُ إِلَى اللهُ مَتَابًا . (اللهذيان : ٧٠ : ٧٨) .

وقال عز شأنه: نَبِّي عِبَادِيَ أَنِّي أَلَا الْفُهُورُ الرَّحِيمُ * وأنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأليمُ . (السمر: ٤٩: ٥٠) .

وقال سبحانه: خَافِرِ اللَّابِ وَقَابِلِ النَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لاَ إِلَّهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهَ الْمَصِيرُ . (عاند: ٣):

وقال تعالى: قُلُ يَا عِبَادِى ٱلَّذِينَ أَسْرُقُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْتَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ هُوَ الْفَقُورُ الرَّحِيمُ. (الدِم: ٣٤) .

وقال تعالى: والَّلِينَ إِذَا تَعَلُواْ فَا حِنْدَةً أَوْ ظَلَمُواْ اَنْفُسَهُمْ ذَكُرُواْ اللَّهُ فَاسْتَغْفُرُ وَا لِلنَّوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ اللَّيْوبِ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُعِبِّرًا عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَمْلَمُونَ * أَوْقِكَ جَزَاوُهُمْ مَّغْفِرَةً مِّن رَبِّهِمْ وَجَثَّاتٌ تَحْوِي مِن تَحْقِهَا الأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا وَيْهُمَّ أَجُرُ الْعَاطِينَ . (لَّ عمران : ١٣٥ : ١٣٠) .

وقال تحالى: إِنَّمَا الثَّوبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَثُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأَوْقِيكَ يَثُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . (النساء : ١٧) .

وفى الحديث المحميح يقول النبي ﷺ: «ينزل رينا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فينادى يا عبادى هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تاثب فأتوب عليه ، هل من طالب حاجة فأقضيها له حتى بطلم الفحر ٩٠٩. وهي الحديث الشريف: «إن الله يمد يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويمد يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلم الشمس من مغربها (١٠٠).

وفى القرآن الكريم: إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُعَطَّهِّرِينَ . (البقرة: ٢٢٢).

ه ٥- وَكَلَلِكَ نَفُصُّلُ الآيَاتِ وَقِصْتِينَ سَبِيلُ الْمُجْوِمِينَ . وضَّع الحقُّ سبحانه قاعدة أساسية بالنسبة للدعاة والهداة فالناس جميعًا أمام الله سواء لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى ، الناس يتفاضلون عند الله بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

وموازين الناس عند الله هي مدى اقترابهم من الحق والصدق والخير والمعروف.

وقد رضحت الآيات السابقة أن أبواب الدعوة يجب أن تظل مفتوحة أمام الجميع، وكذلك أبواب المساجد والمعاهد والمدارس، لا ينبغى أن يكون الفقر عائقا لصاحبه عن أن ينال حقه ، وأن يأخذ نصيبه .

إن هذه المبادئ التي حملها وحى السماء إلى الناس في بدء الإسلام قد أرست قيمًا ، ويبنت أسسًا من أسمى ما اهتدت إليها البشرية في تاريخها .

وهذه الآية تعقيب على ما سبق من توضيح الحقائق أمام الأغنياء والفقراء في وقت واحد ومكان واحد .

ومعنى الآية: ومثل ذلك التبيين الواضع في صفة أهل الطاعة وأهل الإجرام تبين سائر الآيات لما له من فوائد كثيرة ، وَتُسْتَبِينَ سَسِلُ الْمُحْرِمِينَ . أي ولأجل أن يظهر بها طريق المجرمين فعندئذ يحذرهم المسلمون ويتحاشونهم لأن طريق المجرمين غير طريق المؤمنين ، ولأن معرفة الغير لا تكفي في هذه الحياة ، بل ينبغي أن نعرف الشرّ حتى نحذره ، ونعرف طريق المجرمين وأعمالهم حتى نتجنب هذا الطريق .

وقد حدَّر القرآن الكريم من الخمر والميسر والكغر والكبر والظلم وسائر المويقات. كما حدُّر من سلوك طريق المجرمين .

قــال تـعـالى: إِنَّ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْمَعْلَى وَالإِحْسَانِ وَإِيمَاءِ فِي الْقَرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُسَكِرِ وَالْبُغْمِ يَعِظْكُمْ لَعَلَّكُمْ وَلَذَّكُوْ وَنَّ . (النصل: ١٠٠) . ﴿ قُلْ إِنِي نَهِيتُ أَنَّ أَعْبُدَ ٱلَذِينَ تَنْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّوَقُلُّا ٱلْيَّعُ ٱهْوَآءَ كُمُّ قَدْ صَلَلْتُ إِذَا وَمَٱلْنَا مِنَ ٱلْمُهْتَذِينَ ۞ قُلْ إِنْ عَلَى بَيْنَةِ مِن زَبِّ وَكَنَّبَتُم بِهِ مَّ مَاعِنْدِى مَا نَسْتَمْجِلُونَ بِهِ عَإِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا يَقْ يَفْسُ ٱلْحَقِّ وَهُو مَٰيْرُ ٱلْفَصِلِينَ ۞ قُل لُوَّأَنَّ عِندِى مَانَسْتَمْجِلُونَ هِهِ لَفُضِى ٱلْأَمْرُ بَيْنِ وَبَيْنَكُمُّ وَالْفَلْلِيدِينَ ۞

المفرداتء

تـــدهــون، تعبدون.

بسيسته، حجة.

يــــقص الحق : يتبم الحكمة .

التفسيره

٥٦ - أَلَّا إِلَى تُهِتُ أَنَّ أَعُبَدَ اللَّهِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لا أَثَّهِمُ أَهُواءَكُمُ قَدْ صَلَلْتُ إِذَا وَما أَنَا مِنَ الْهَمْدِينَ. تستمر سورة الأنعام في بيان حقيقة الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، فالإله واحد ، واحد في ذاته، واحد في أحداد ، واحد في داته، واحد في أحداد في الله .

وهو سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك.

«وقد كان المشركون يدُّعُون رسول الله ﷺ أن يوافقهم على دينهم ، فيوافقوه على دينه ؛ وأن يسجد لألهتهم فيسجدوا لإلهه ،ا كأن ذلك يمكن أن يكون ؛

وكانَّ الشرك والإسلام يجتمعان في قلب! وكان العبودية لله يمكن أن تقوم مع العبودية لسواه، وهو أمر لا يكون أبداله(١٠).

ومعنى الآية: قل يا محمد لهوّلاء المشركين الذين يريدون منك أن تركن إليهم إن الله نهائى ومعرفنى بفضله ، ويما منحنى من عقل مفكر عن عبادة الآلهة التى تعبدونها من دون الله، وقل لهم بكل صراحة وإيجاز وحسم إنى لست متبعا لما تعليه عليكم أهواؤكم وشهواتكم من انقياد للأباطيل، ولو أنى ركنت إليكم لضللت عن الحق وكنت خارجًا عن طائفة المهتدين .

قال الإمام فنحر الدين الرازي في التفسير الكبير:

«اعلم أنه تعالى – لما ذكر في الآية المتقدمة ما يدل على أنَّه يفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين سبيل المجرمين ، ذكر في هذه الآية أنه تعالى نهى عن سلوك سبيلهم فقال :

إنّى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، ويبن أن الذين يعبدونها إنما يعبدونها بناء على محض الهوى والتقليد لا على سبيل الحجة والدليل، لأنها جمادات وأحجار وهى أخس مرتبة من الإنسان بكثير ، وكون الأشرف مشتغلاً بعبادة الأخسّ أمر يدفعه صريح العقل ، وأيضًا فالقوم كانوا ينحتون تلك الأصنام ويركبونها ، ومن العطوم بالبديهة أنه يقبح من هذا العامل الصائع أن يعبد معموله ومصنوعه ، فثبت أن عبادتها مبنية على الهوى ومضادة للدين» أ. هـ .

٥٧ -- قُلْ إِنِّى عَلَ بَيْدُهُ مِّ رَبِّى وَكُلْبُتُم بِهِ ... الآية. والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذي يريدون منك اتباع أهوائهم كيف يتأتى لى ذلك وأنا على شريعة واضحة وملة صحيحة ، لا يعتريها شك ولا يضالطها زيغ لأنها كائنة من ربّى الذي لا يضل ولا ينسى .

والتنوين في كلمة بيئة للتفخيم والتعظيم ، وهي صفة لموصوف معنوف ، أي على حجة بيئة واضحة محقة للحق ومبطلة للباطل فأنا ان أتزحزح عنها أيدًا .

وفي هذا تعريض بالمشركين بأنهم ليسرا على بصيرة من أمرهم، وإنما هم قد اتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم بفير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

مَا صِيدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكُمُ إِلاَّ لِلْهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرَ الْقَاصِلِينَ. أي ليس في مقدوري أن أنزل بكم ما تستعجلونه من العذاب ، وإنما ذلك مرجعه إلى الله وحده ، فهو وحده الذي يقص الحق ويخبر به، وهو وحده الذي يقصل في قضايا خلقه، وهو خير الفاصلين في شئرن عباده، وهو يرى الحكمة في إمهالكم فأمهلكم .

«ويذلك يجرد الرسول — ﷺ - نفسه من أن تكون له قدرة ، أو تدخل في شأن القضاء الذي ينزله الله بعباده ، فهذا من شأن الألوهية وحدها وخصائصها ، وهو بشريوجي إليه ليبلغ وينذر ، لا لينزل قضاء ويفصل ، وكما أن الله سبحانه هو الذي يقص الحق ويخبر به ، فهو كذلك الذي يقضى في الأمر ويفصل فيه .. وليس بعد هذا تنزيه وتجريد لذات الله سبحانه وتعالى وخصائصه ، عن ذوات العبيدي "" . ٥٨- قُل لُوْ أَنْ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِه تَقْعِيَ الأَمْرُ يَنْبِي رَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعَلَمُ بِالطَّالِمِينَ . أي لو كان العذاب الذي تستعجلون به عندى وفي قبضتي لطلبت من ربّي أن يعجل به غضبًا لأجله بسبب كفركم .

قال الزعشري في تفسير الكشاف:

أى لأهلكتكم عاجلاً غضبًا لربِّي ، وامتعاضًا من تكذيبكم به والتخلصت منكم سريعًا . ا. هـ .

تُقْضِيَ الْأَمْرُ آيْنِي وَايْنَكُمْ. بإنزال هذا العذاب بكم والتخلص من كفركم وشرككم.

وُاللَّهُ أَطْفُرُ وِالظَّالِمِينَّ . فهو يمهلهم عن علم ، ويملى لهم عن حكمة ، ويحلم عليهم وهو قادر على أن يجيبهم إلى ما يقترحون ثم ينزل بهم العناب الأليم .

* * *

﴿ ۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْمَنْسِ لَايَعْلَمُهُمَّا إِلَّاهُوَّ وَيَعَلَرُ مَا فِ ٱلْهِرَ وَٱلْبَحْرِ وَمَاتَسَقُطُ مِن وَدَفَتِهِ إِلَّا يَشَلَمُهَا وَلَاحَبَنَةِ فِى ظُلْمُنتِ ٱلْأَرْضِ وَلَازَطْبِ وَلَا يَابِسِ إِلَّا فِ كِنْبِ ثُمِينِ ۞ ﴾

المفردات،

هى كتاب مبين : الكتاب المبين هو علم الله .

التفسيره

٥٩ - وَصِنَهَ مُفَاتِحُ الْفَيْدِ لاَ يُعْلَمُهَا إِلاَّ هُوْ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرَّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفَطُ مِن وَرَقَة إِلاَّ يَعْلَمُهَا ... الآية. تصوَّر هذه الآية علم الله تعالى الشامل المحيط لهذا الكون، فلا ينذ عن علم الله شيء في الزمان ولا في المكان ، في الأرض ولا في السماء ، في البر ولا في البحر، في جوف الأرض ، ولا في طبقات الجدّ ، من حي وميت ويابس ورطب .

أى أن الله سبحانه وتعالى استأثر بعلم الغيب فلا يعلمه أحد سواه ، إنه هو الذى خلق الإنسان، وكتب أجله ورزقه، وشقى أو سعيد، وهو المحيط علمًا بما فى البر والبحر وخصعهما بالذكر لأنهما مشاهدان أمام الإنسان وهما رمز لإحاطة علم الله الشامل بكل ما فى الكون . والمعنى: ويعلم ما في البر والبحر من أجزائهما ، وما ظهر أو خفي فيهما : من الإنسان والمهوان والنبات والسوائل، والجوامد ، والأدهنة والأبخرة ، وعناصرها ونراتها ، ومكونات هذه النرات .

وقد صرح الحق سيحانه بشمول علمه لكل كلى وجزئى، ولكل صفير وكبير ، ولكل دقيق وجليل نقال سبحانه .

وَمَا تَسْقُطُ مِن رَوَقَةٍ إِلاَّ يَعَلَمُهَا ، وَلاَ حَيْةٍ فِي ظُلُمَات الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَاسِ إِلاَّ فِي كِنَابٍ مُّبِينِ. أي وما تسقط ورقة ما من شجرة من الأشجار ، ولا حبة في باطن الأرض وأجوافها ، ولا رطب ولا يابس من الثمار أو غيرها ، إلاّ ويعلمه علمًا تامًا شاملاً ، لأن ذلك مكتوب ومحفوظ في العلم الإلهي الثابت.

ويمكن أن نضيف إلى تفسير هذه الآية ما يأتي:

قامت الشيوعية وأظهرت تبرمها بالأديان ، وادعت أن الإنسان يخطط لنفسه ويمنع مستقبله بعلمه وعمله وظن الناس أن التطور العلمي سيحدد مستقبل الإنسان ، وإذا بالعلماء يصرحون أن الإنسان كلما زاد علمه كلما زاد إدراكه بالجهل، واتساع دائرة ما لا يعلمه . أي أن زيادة العلم تشعر الإنسان بزيادة الجهل بحقائق كثيرة في هذا الكون ، ويذلك تراجعت الفلسفة الشيوعية ، وانسحبت الشيوعية من أوريا الشرقية بعد مرور (٧٠) سبعين عامًا على نشأتها وعاد الإيمان إلى الناس ، وعادت ثقتهم في الإيمان بالغيب .

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر عاد الناس إلى الكنائس في موسكو نفسها، وفي غيرها من البلدان التي كانت شيوعية ، ولم يكن الذاهبون إلى الكنائس من كبار السن فقط بل كان فيهم الشباب والفتيان والفتيان .

يتعلق بهذه الآية أيضًا: أن علم الغيب مقصور على الله تمالى، أما ظن الغيب بأمارات فإنه ممكن لمن يأخذ بأسباب هذه المعرفة كما يحدث عن الراصدين لحركات الرياح والشمس والقمر، حين يخبرون بهبوب الرياح بشدة أو باعتدالها ، ويكسوف الشمس يوم كذا ، ويخسوف القمر ليلة كذا ، وكما يحدث عن علماء الفلك حين يخبرون بزمن نزول المطر ، أو نزول درجة الحرارة أو صعودها .

أو نحو ذلك، فيقع الأمر كما قالوا .. وكما يفعله الأطباء بحكم العادة عندهم إذ يقولون : لمن حلمة ثديها الأيمن سوداء جنينك ذكر ، ولمن حلمة ثديها الأيسر كذلك جنينك أنثى فيقع الأمر كما قالوا . ونحو ذلك مما يخضم لقواعد علمية أو أمارات طنية .

> أما العرَّافون الذين يدعون علم الغيب كقول أحدهم: إنك ستكسب كذا، أو تتزوج فالإنه فهو آثم جاحد.

قال القرطبي في تفسير الآية:

قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه ، إلا من المسطفى من عباده ، والله تعالى يقول: قُلْ لا يَعْلُمُ مَن في السُّمَاوَاتِ والأُرْضِ الْفَيْبِ إِلاَّ اللَّهَ.

ثم قال: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان ولا سيما بالديار المصرية، فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم ، اتخاذ المنجمين ، بل ولقد انضدع كثير من المنتسبين للفقر والدين فلجأوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الأموال، فحصلوا من أقوالهم على السراب ٣٠١.

وقد ورد في السنة المسحيحة النهى عن الذهاب إلى العرافين والمنجمين ، جاء في صحيح مسلم: «من أتى عرَّلْهَا فسأله عن شيءٍ ، لم تقبل له صلاة أريمين ليلة»(٣٠).

وروى البخارى بسنده عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مقاتخ الغيب خمس لا يعلمها إلا إلا الله لا يعلم أحد ما يكون في غدٍ إلا الله، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غذاً ، ولا تدرى نفس بأي أرض تعوت، ولا يدرى أحد متى يجيء المطر (**).

وهذا الحديث يوافق قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةَ وَيُنَزَّلُ الْفَيْتُ وَيَقَلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَلْدِي نَفُسَّ مَاذَا كَكُسِبُ خَدًا وَمَا تَلْزِي نَفْسُ بِأَيُّ أَرْضَ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِرٌ . (لقنان : ٣٤) .

وهنا نجد بعض الناس يتساءلون عن توصلُ العلم إلى معرفة نوع الجنين ، والجواب أن علم الله بما في الأرحام علم شامل يمتدُ إلى معرفة أجله ورزقه وسعادته أو شقاوته وهذه أمور لا يعلمها إلا الله تعالى .

ولا ينبغى أن نطاوع العامة فى محاولة معرفة المستقبل عند العرافين فقد روى الإمام أحمد وغيره عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله الله الله الله عرافاً أو كاهناً فصدَّقه ، فقد كفر بما أنزل على محمد(۱۱). ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّنَكُمْ مِا لَيْلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِثُمُ يَبْمَثُكُمْ فِيدِلِيُقْفَىٰ إَجَلُّ مُسَمِّىٰ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنِيَّكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَهُوَ الْقَاهِرُقُوقَ عِبَادِيَّ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ حَقَّ إِذَا جَلَةً أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ قَوَقَتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ۞ ثُمِّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْفَيْحُمُ وَهُوَ الْمَرَعُ الْمَنْ

المفردات،

يتوهاكم بالليك ، التوفى لغة: قبض الشيء بتمامه، وأكثر ما يستعمل فيه قبض الروح. والمراد منه هنا: الإنامة: أي يُنيمكم في الليل.

جـرحـــــم، كسبتم.

يبمثكم، يوقظكم.

اجهل مسهمي ، وقت محدد لكل واحد ينتهي إليه عمره .

المقالم الفالب.

تواسته ، قُبُضَت رُوحَه .

التفسيره

٩٠ - وَهُوَ اللَّهِى يَتَوَقَاكُم بِاللَّهِل وَيَقَلُمُ مَا جَرَحْم بِالنَّهِارِ ثُمِّ يَتَعَكُمُ فِيهِ رَبَّقْنِى أَجُلٌ مُستَّى ثُمْ إِلَّهِ مُرْجِعُكُم تُمُ يَهُمُ مِنَا كُمنَم تَعلَم المَّهِي عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِيةَ عَلَى اللَّهِيةَ عَلَى اللَّهِيةِ عَلَى اللَّهِيةِ ، وهو سبحانه بيده المُلق والأمر والإيجاد والعدم والموت والحياة .

والإنسان له موتتان صغرى وكبرى فالصغرى النوم والكبرى الموت.

«والنماس صورة من صور الوفاة ، بما يعترى الحواس من غفلة وما يعترى الجسُّ من سهوة ، وما يعترى العقل من سكون ، وما يعترى الوعى من سبات – أى انقطاع – وهو السرَّ الذى لا يعلم البشر كيف يحدث ، وإن عرفوا ظواهره وآثاره» (⁴⁴⁾.

وَيَعْلَمُ مَا جَرَحُم بِالنَّهَارِ . فهو سبحانه مطلع على جميع حركاتكم وسكناتكم ويعلم ما كسبت جوارحكم من الشير والشر .

ثُمُّ يَيْعَثُكُمْ فِيهِ . أي في النهار يعني اليقظة .

ثِيْقْمَىٰي أَجِّلٌ مُّسَمُّى. لأجل أن يقضى كل فرد أجله المسمَّى في علم الله تعالى والمقدر له في هذه الدنيا، فقد جعل سبحانه لأعماركم أجالاً محدودة لا بد من قضائها وإتمامها.

ثُمَّ إِلَهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يَبَّعُكُم بِمَا كُتُمَ لَعُلُمُونَ . أَي: ثم إليه وحده يكون رجوعكم بعد انقضاء حياتكم في هذه الدنيا فيحاسبكم على أعمالكم التي اكتسبتموها فيها، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

فالآية الكريمة تسوق للناس مظهرًا من مظاهر قدرة الله وتبرهن لهم على صحة البعث والحساب يوم القيامة ، لأن النشأة الثانية منزلتها بعد الأولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في أن من قدر على أحدهما فهو قادر على الأخرى .

ومما يتعلق بهذه الآية ما يأتى:

١ - قال تعالى: اللهُ يَتَوْلَى الأَنْفُس حِينَ مَلِيّقا وَالَّتِي أَمْ تُمْتْ فِي مَنَامِهَا فَيَمْسِكُ النِّي قَعَى عَلَيْهَا الْمُوْتَ وَيُرْسِلُ
 الأُخْرَى إِلَى أَجَل مُسمَّى إِنْ فِي ذَلِكَ لَأَيَاتِ لَقُوم يَفْكُرُونَ . (الديد: ٤٢) .

تفيد هذه الآية أن هناك وفاتان ، وفاة صفرى بالنوم ووفاة كبرى بالموت ، وتجتمع أرواح النائمين وأرواح الميتين فى فترة نوم النائم، والله تعالى يمسك روح الميَّت عنده ويرسل روح النائم إلى أجل مسمى ، إلى وقت انقضاء أجله .

- تفصيص الليل بالدوم والنهار بالكسب ، جريًا على المعتاد لأن الغالب أن يكون الدوم ليلاً وأن
 يكون الكسب والممل نهارًا قال تمالى: وَجَمَّلُنَا اللَّيلُ لِبَاسًا » رَجَمَلُنَا النَّهارُ مَعَاشًا . (انتباء ١٠٠٠).

٦٥ - وَهُوَ الْقَاهِرُ قَاقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَقَةٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَقَّفُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُقَرَّطُونَ.
 تصور الآية قدرة الله وهي فوق جميم للقدر.

فهو سبحانه صاحب السلطان القاهر ، وهم تحت سيطرته وقهره، هم ضعاف في قيضة هذا السلطان لا قوة لهم ولا ناصر ، هم عباد والقهر فوقهم . وهم خاضعون له مقهورون .

وهذه هي العبودية المطلقة للألوهية القاهرة.

إن الله تعالى هو الغالب على عباده والمتصرّف فيهم إيجادًا وإعدامًا وإحياءً وإماتة، وتعذيبًا وتنعيمًا إلى غير ذلك من شئون القهر والسلطان : لا يشركه فيها شريك ولا يردُّه عن مراده أحد . وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ خَفَظَةً . أي: ويرسل عليكم ملائكة تحفظ أعمالكم وتحصيها ، وتسجل ما تعملونه من خير أو شر.

قال تتعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿ كُواَمًا كَاتِينِ ۚ . (الانقطار: ١١،١٠) .

وقال سبحانه: مَّا يَلْفِطُ مِن أَوِّل إِلاَّ لَذَيْهِ رَقِبٌ عَيدٌ. (ق: ١٨).

وجاء في كتاب الجوهرة ، وهي منظومة فنية في علم التوحيد :

بكل عبيد كافظون وكُلوا وكاتبون خيرة لدن يسهملوا من أمره شيئًا ولو ذهبل حتى الأنين في العرض كما نُقِل

وتفيد الآية رقابة العق سبحانه على كل نفس، وشعور النفس بأنَّها غير منفردة لحظة واحدة، وغير متروكة: لذاتها لحظة واحدة، فهناك حفيظ عليها رقيب يحصى كل حركة .

قال الزعشري في تفسير الكشاف:

فإن قلت إن الله تعالى غنيُّ بعلمه عن كتابة الملائكة . فما فائدتها .

قلت فيها لطف للعباد لأنهم إذا علموا أنَّ الله رقيب عليهم، والملائكة الذى هم أشرف خلقه، موكُّون بهم يحفظون عليهم أعمالهم، ويكتبونها فى صحائف تعرض على رءوس الأشهاد فى مواقف القيامة ، كان ذلك أرّجر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء (**).

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمُوْتُ تُوقَّةُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يَقْرَطُونَ . أي حتى إذا احتضر أحدكم ، وهان أجله قبضت روحه ملائكتذا الموكلون بذلك حال كونهم لا يتوانون ولا يتأخرون في أداء مهمتهم .

نقل الدكتور محمد سيد طنطاوي عن حاشية الجمل ما يأتي :

قال الجمل : فإن قلت إن هناك آية تقول : اللّهُ يَتُوفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا . وثانية تقول: قُلْ يَتُوفَاكُمْ مُلَكُ الْمَوْبِ اللّذِي وُكُلُ يَكُمُ ثُمْ إِلَى رَبَّكُمُ تُرْجَعُونَ .

والآية التي معنا تقول تُوَفَّتُهُ رُسُلنًا .

فكيف الجمع بين هذه الآيات؟

فالجواب على ذلك أن المتوفّى في الحقيقة هو الله ، فإذا حضر أجل العبد أمر الله حلك العوت بقيض روحه، ولملك الموت أعوان من الملائكة ، فيأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده، فإذا وصلت إلى الحلقوم ترتّى قبضها ملك الموت نفسه ، وقيل المراد من قوله: تُوَفَّهُ رُسُلُنَا . ملك الموت وحده ، وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيمًا له⁰⁰¹ .

٩٢- أُمَّ رَدُّوا إِلَى اللهِ مَولاهُم الْعَقَ آلا لَهُ الْعُكُمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِينَ . ثم رجع الجميع إلى الله تعالى، وأعيد جميع المتوفين – مكلفين وغيرهم – إلى الله مولاهم ومالكهم الحق ، الذى أنشأهم ، والذى أملقهم للحياة ما شاء، ثم رنّهم إليه عند ما شاء ، ليقضى فيهم بحكمه بلا معقب .

أَلاَ لَهُ الْخُكُمُ وَهُرَ أَسْرُعُ الْحَاسِينَ . فهو وحده يحكم ، وهو وحده يحاسب ، وهو لا يبطئ في المكم، ولا يمهل في الجزاء ، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الفكر والرويَّة والقدير .

وكيفية الحساب، لم يرد في شأنها خبر عن المعصوم ﷺ، ولا تحيط بها عقول البشر. فلذا يجب الإيمان بحصول الحساس وتفويض الأمر في كيفيته الى علاَم الفيوس.

* * *

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيهُ مُّرِّن ظُلْتُنتِ ٱلْبَرُوَ ٱلْبَعْ يَتَنَعُونَهُ مَّعَنَّرُعَا وَخُفْيَةٌ لَّمِ ثَا يَحننا مِنْ هَلَاهِ عَلَيْكُونَنَّ مِنَ الشَّلَكِرِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنَهَا وَمِن كُلِ كَرْبِ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ ﴾

المفردات:

ظلمات الير والبحرء شائدهما .

تضرعا وخضية ؛ إعلانًا وإسرارًا.

ك الكرب؛ هو الغم والحزن الذي يأخذ بالنفس - كالكُربة بضم الكاف.

التفسير،

٦٣ - قُلْ مَن يَنَجِّيكُم مَّن ظُلُمَاتِ الْبُرَّ وَالْبَحْرِ تَدعُونَهُ تَعَمَّرُعًا وَخُفَيَةً لِينْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ، من الذى ينجيكم من شدائد البر والبحر عندما تفشاكم بأهوالها المرعبة، وشدائدها المدهشة إنكم فى هذه الحالة تلجأون إلى الله وحده تدعونه إعلانًا وإسرانًا بذلّة وخضوع وإخلاص قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا من هذه الشدائد والدواهى المظلمة لنكونن من المستديمين لشكرك .

قال الزمخشرى في الكشاف: وظلمات البر والبحر مجاز عن مهاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذر كواكب ، أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل. ٦٤- قُلِ اللَّهُ يَنْجَيْكُم مَنْهَا وَمِن كُلُّ كُرْبٍ لُمُّ أَنْمُ تُشْرِكُونَ . قل لهم يا محمد : الله وحده هو الذي ينجيكم من هذه المفاوف والأهوال ، ومن كل غم يتنزل بكم ، لا يشاركه في إنجائكم من ذلك شريك كما تعرفون وتشهدون، ثم أنتم - بعد إنعامه عليكم وإجابة دعائكم - تشركون معه غيره مخلفين بذلك وعدكم ، حانثين في أيمانكم .

فهل يليق بعاقل أن يشرك بالله آلهة تخلّت عنه وقت الشدّة، وهل يليق بعاقل أن يترك شكر الله الذي أسدى له النعمة .

وفى الآية كما نرى دليل من أدلة الإيمان هو دليل الفطرة ، فالإنسان عند الشدة واللهةة والكوارث العظام لا يلجأ إلا إلى الله ، هتى إنّ أحد الملحدين الكافرين كانت له ابنة وحيدة اشتدّ بها المرض وأصبحت على حافة الموت ، ولم ينفع معها علاج ولا دواء ، فجثا الملحد على ركبتيه أمام ابنته وتضرح إلى الله قائلا يا رب اشف ابنتي .

قال تعالى: حتى إذا كُتُم في القُلكِ وَجَرَى بهم بريح عَلِيةً وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتُهَا رِيحَ عَاصِفَ وَجَاءَهُمُ الْمُوْجُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظُلُواْ الْهُمْ أُحِيدًا بِهِمْ وَهُواْ اللَّهُ مُغْلِمِينَ لَهُ اللَّينَ لَكِن أَعْيَتُنا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونُ مِنَ الشَّاكِمِينَ فَهُ النَّينَ لَنُ النَّينَ عَلَى الْفَسِكُم مَناعَ الْمَيْوَ اللَّهَا فَهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنَشِكُمْ إِذَا هُمْ يَنْفُونَ فِي الأَرْضِ بِعَنْرِ الْمَقَى يَالَهُمُ النَّاسُ إِنَّنَا بَهْكُمْ عَلَى الْفُسِكُم مَناعَ الْمَيْاوَ اللَّيَا فَمْ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنَشِكُمْ بِهَا كُشُونَ فِي الأَرْضِ بِعَنْرِ الْمَقْلَ يَالنَّهُمُ النَّاسُ إِنَّنَا بَعْبُكُم عَلَى الْفُسِكُم مُنَاعَ الْمَيْاوَ اللَّيْا فَمْ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنَشِكُمْ

من تنفسير الفخر الرازى،

جاء في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي:

«وأَلمقصود من ذلك أنه عند اجتماع هذه الأساب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله، وهذا الرجوع يحصل ظاهرًا وياطنًا، لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله ، وينقطم رجاؤه عن كل ما سواه وهو المراد من قوله : تَعْرُضًا وَحَفَيْةً .

ثم يقول في مكان آخو:

وولفظ الآية يدل على أنه عند حصول الشدائد، يأتى الإنسان بأمور أحدها الدعاء، وثانيها التُضرُّح، وثالثهما الإخلاص بالقلب، وهو المراد من قوله خفية ورابعها التزام الاستخال بالشكر، ونظير هذه الآية قوله تعالى: وَإِنَّا مَسُكُمُ الشَّرُ فِي البُحرِ صَلَّ مَن تَنْعُونَ إِلاَّ إِنَّاهُ. وبالجملة فعادة أكثر الناس أنهم إذا شاهدوا الأمر الهائل أخلصوا، وإذا انتقلوا إلى الأمن والرفاهية أشركوا به ""ا.

﴿ قُلْ هُوَالْقَادِرُ كَانَ ان يَعْتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقَكُمْ أَوْمِن خَتِ أَرَجُلِكُمْ أَوْمَلِسَكُمْ شِيعًا وُلْيِنَ بَهْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضَ انظُرْكِفَ نُصُرِّفُ ٱلْآيَنتِ لَنَالُهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿ ثَالَهِ مَنْ مُنْكَ وَهُوَالْحَقَّ قُلْ لَسَتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلِ ﴿ لَكُلِ لِنَا أَشَسْتَغَرُّ مِسَوْقَ تَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

لقردات،

أو يلبسكم شيما ؛ أو يخلطكم فرقا مختلفة الأهواء، كل فرقة تشايم هوى .

باس بصف ، البأس، الشدة .

كيف تصرف الآيات؛ كيف نبين ونلون المجج.

بسوكسيسل، بحفيظ.

التفسيره

٩٥- قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَتَحَتْ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن قُوقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْمِسَكُمْ هِبِهَا وَيُلِيقَ بَمُّتَكُم بَأْسَ يَعْدِرِ الطَّرْ كَيْفَ لَمَسْرِفًا الآيَاتِ لَعَلَّهِمْ يَلْقَهُونَ . هذا كلام مستأنف لبيان قدرة الله تعالى على إيقاعهم في المهالك وفيه وعيد ضمنى بعذابهم إن بقوا على شركهم .

والمعنى :

قل يا محمد لهؤلاء الجاحدين: إن الله تعالى قادر على أن يرسل عليكم عذابا عظيما من فوقكم من جهة العلق كما أرسل على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل والحجارة: أو من تحت أرجلكم أي من جهة السفل كالغرق وخسف الأرض ، كما حدث لفرعون وقارون ، أو أن يخلطكم فرقا مختلفة الأهواء: تشايح كل فرقة رأيًا وتناصره، فتصبح الأمة في بلاء وجدال وصراع ، وفي خصومة ونزاع ، فينشب القتال وتأكل الأمة بعضها بعضًا، ويذيق بعضها بأس بعض .

أنظر أيها الرسول الكريم – أو أيها العاقل ، كيف ننوع الآيات والعبر والعظات ، بالترغيب تارة، وبالترهيب أخرى لعلهم يفقهون الحق ويدركون حقيقة الأمر ، فينصرفوا عن الجحود والمكابرة، ويكفوا عن كفرهم وعنادهم .

وفى معنى هذه الآية قوله تعالى: أَفَالَمِسُّمَ أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرُّ أَوْ يُوْمِلُ عَلَيْكُمْ حَاصِيًا ثُمْ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً • أَمْ أَمِسُمُ أَنْ يُعِدَكُمْ لِيهِ تَاوَةً أُخْرَى قَيْرِسِلَ عَلَيْكُمْ فَاصِفًا مَنْ الرَّيعِ فِيَغُوفِكُمْ بِمَا تَقَوْتُمُ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ بِيعًا . (الإسراء ٢٨٠. ٩٠) . وعندما يجد الإنسان آثار الفيضانات المدمرة أو الزلازل والبراكين ، أو آثار القنابل المهاكة أو تسرب الغاز السام من المعامل ، أو إخفاق صاروح في الانطلاق إلى مساره ، أو الحروب التي يذيق الناس بعضهم بأس بعض يتبين جانبًا من المعنى الإلهى في هذه الآية، وأن الإنسان سيظلُّ مربوبًا لقدرة الله القادرة .

والآية خطاب من الله تعالى للمشركين، لكن القرآن معناه عام ولا يحمل وعده أو وعيده على آناس بأعيانهم بل يشمل كل من يتأتى منه الخطاب إلى يوم القيامة .

وعن مجاهد إن الآية عامة في المسلمين والكفار .

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة . أن الله تعالى قد استجاب لدعاء نبينا محمد ﷺ فحفظ الأمة المحمدية من العذاب الإلهي من فوقها أو من تعتها .

لكنه تعالى ابتلاها باختلافها شيعًا ، وإذاقة بعضها بأس بعض عندما تستحق هذا الابتلاء روى البخارى ، عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال:

«لما نزلت هذه الآية: قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبَعَثُ عَلَيْكُمْ هَذَابًا مِّن لَوْقِكُمْ. قال ﷺ «أعوذ بوجهك» ، أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ . قال: «أعوذ بوجهك» ، أَوْ يُلْسِسَكُمْ شِجَّا وَلَلِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضرِ وأيسر» .

وروى مسلم بسنده عن النبى ﷺ قال: «سألت ربّى ثلاثا: سألته ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم .. فمنعنيها» والمراد بالسنة القحط والجدب (۱۰۰۰).

٦٦ - وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لُّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ... الآية .

وكذَّب قومك بالقرآن الذي اشتمل على تصريف الآيات المقتضية للتصديق، وهو الحق المطابق للواقع ، فكيف استهانوا بتكذيبه .

قل لهم يا محمد أُسْتُ عَلِّكُم إِرْكِيلِ. أي: لم يفوض إلى أمركم فأمنعكم من التكنيب وأجبركم على التصديق ، فأنا لست بقيم عليكم ، وإنما منذر وقد بلغتكم رسالة ربَّى ونصحت لكم ولكن لا تعبون الناهىدين . ١٧ - لَكُلُّ نَيْ مُسْتَقُرُ وَسُوفَ تَعَلَمُونَ . قال الراغب : النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو
 أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة:

والمستقر: وقت الاستقرار.

والمعنى: لكل خبر من أخبار القرآن زمان استقرار ، يستقر ويقع فيه مدلوله، وسوف تعلمون حال خبركم في الدنيا والآخرة ومبلغه من الصدق.

أى ستلمسون صدق القرآن عند تحقيق ما وعدكم به فى دنياكم وأخراكم. قال تعالى: وَلَعَعْلُمُنُّ بُلُهُ بَعْدَ حِينٍ .

+ + +

﴿ وَإِنَارَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ٓ اِيَكِنَا فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ حَتَى يَغُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا لَيْسِينَكَ ٱلشَّيْطَانُ فَلانَقَعُدَ بَعْدَ ٱلذِّكَرَىٰ مَعَ ٱلْفَوْمِ الظَّلْمِينَ ۞ وَمَا ظَلَ ٱلَّذِيرَ يَنْقُونَ مِنْ حِسَابِهِ مِنْ شَحْ وَلَكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُ مِنْ يَقُوثُ ۞ ﴾

المضرداتء

ي خ سوش ون يندفعون .

فأمرض منهم، فاتركهم.

واما ينمينك الشيطان : إمَّا ، أصله: «إن» الشرطية المدغمة في «ما» «وما» صلة للتأكيد أي وإن أنساك الشيطان.

بعد التذكر، بعد التذكر.

والكن تذكير ووعظ.

التفسيره

٨٨ – وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي عَايَاتِنَا فَأْعُرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ... الآية.

سبب التزول:

قال ابن جريج إن قريشا كانوا يستهزئون بالقرآن ويقولون فيه إنه سحر ، وشعر وأساطير الأولين ، وما حلا لهم من الأكاذيب .

و المعنى:

فنزلت الآية: تأمر النبي ﷺ أن يعرض عنهم إعراض منكر عليهم إنا سمع ذلك منهم، ولا يجلس معهم ولا يجادلهم ، فجعل النبي ﷺ إذا استهزءوا قام ، فحذروا ، وقالوا لا تستهزئوا فيقرم .

1757

وإذا رأيت أيها النبى الكريم أو أيها المؤمن العاقل ، الذين يخوضون في آياتنا بالتكنيب والطعن والاستهزاء ، فأعرض عنهم ، وانصرف عن مجالسهم ، وأرهم من نفسك التسامى عن مجالستهم، حتى يدخلوا في حديث غيره، فلك حينثذ مجالستهم ، لأن آيات الله من حقها أن تعظم وأن تحترم لا أن تكون محل استهزاء .

وَإِمَّا يُنْسِبِّنُكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقَفُدُ بَعَدُ الدُّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الطَّالِمِنَ . أى: وإما ينسينك الشيطان ما أُمرت به من ترك مجالسة المخاففين على سبيل الفرض والتقدير فلا تقعد بعد التذكر مع القوم الظالمين لأنفسهم بتكنيب آبات ربهم، والاستهزاء بها، وقد جاء الشرط الأول. بإذا لأن خوفهم في الآيات محقق .

وجاء الشرط الثاني. بإن لأن إنساء الشيطان له قد يقع وقد لا يقع.

رأى العلماء في نسيان الرسول

يرى بعض العلماء أن ما جاء فى الآية من نسيان الرسول إنما هو على سبيل الفرض ، إذ لم يقع منه نسيان لترك مجالستهم عندما يشوضون فى آيات القرآن .

ولهذا استعملت إن الشرطية فهى لمجرد الفرض لما ليس محقق الوقوع ، وذلك على حد قوله تمالي: قُدِّ أَهْرَكُتْ يُنْمِّطُنُ مُمَلِّكُ وَتَكُوْنُ مِنْ الْخَاسِينَ . (الزمر: ٢٥) .

ويرى بعض آخر من العلماء. أن الخطاب في الآية للنبئ ﷺ، والعراد غيره من المؤمنين ولكن جهود العلماء على جواز النسيان على النبي ﷺ في الأفعال.

فقد ورد في صحيح البخارى أن النبي ﷺ صلى بالمسلمين الظهر فسلم على رأس ركعتين ، وفي القوم رجل في يديه طول يسمى نر اليدين فقال أَعَصُرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟

فقال النبي ﷺ: كل ذلك لم يكن .

فقال ذو البدين: بل بعض ذلك قد كان ، صليت بنا الظهر ركعتين .

فقال ﷺ لأصحابه: أحق ما يقوله ذر اليدين؟

قالوا: نعم ، فأتم النبي الصالاة أربعا .

ثم قال: إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون . فإذا شك أحدكم فى صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ، ثم ليسجد سجدتين (١٠٠٠) .

وفي الحديث الصحيح: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني» (١٠٠١).

ما يؤخذ من الآية ،

أخذ العلماء من هذه الآية ما يأتي:

١ - وجوب الإعراض عن مجالسة المستهزئين بآيات الله أو برسله.

قَالَ القرطبي: من خاص في آيات الله تركت مجالسته وهجر، مؤمنا كان أو كافرًا.

روى الماكم عن عائشة رضى الله عنها قالت، قال رسول ﷺ: «من وقُر صاحب بدعة فقد أعانه على هدم الإسلام»[۱۰۰]

وقال صاحب التار: وسبب هذا النهى، أن الإقبال على الشائضين والقعود معهم، فيه إقرار لهم على خوضهم ، وإغراء لهم بالتمادي فيه .

قال تعالى: وَقَلْدُ نَوْلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكُفُّرُ بِهَا وَيُسْتَهُوْزُ بِهَا فَلاَ تَقْعُلُواْ مَعُهُمْ طَّى يَخُو ضُواْ فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ إِلِّكُمْ إِذِا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهُ جَامِعُ النَّناقِينَ والكَالِوبِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا . (النساء: ١٤٠).

حواز مجالسة الكفار مع عدم الخوض ، لأنه إنما أمرنا بالإعراض في حالة الخوض، وأيضا فقد
 قال تعالى: حَمَّى يَحُو شُوا فِي حَايثِ فَيْرِهِ .

٣ - استُدلُ بهذه الآية على أن الناسي غير مكلف.

وفي الحديث الشريف: «إن الله رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (١٠٠٠).

٦٩ - وَمَا عَلَى اللَّهِنَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن هَيْءِ وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ .

روى البغوى عن ابن عباس قال : لما نزلت وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم» ... إلخ .

قال المسلمون : كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدًا؟

لئن كان علينا أن نخرج من الحرم كلما استهزءوا بالقرآن، لم نستطيع أن نستقر في المسجد الحرام ونطوف ، فنزلت الآية وَمَا عَلَى النَّهِنَ يَشُونَ مَن حَسَابِهِم مَن شَيْءٍ .

أى: وما على الذين يتقون الله شيء، من حساب الخانضين على ما ارتكبوا من جرائم وآلـًام، ما داموا قد أعرضوا عنهم ، ولكن عليهم مع ترك مجالستهم – أن يذكّروهم ويعظوهم لعل أولئك الخائضين يجتنبون ذلك ويتقون الله في أقوالهم وأفعالهم.

* * *

﴿ وَذَرِ الَّذِيكَ اَتَّحَكُواْ دِينَهُمْ لِعِبًا وَلَهُواْ وَغَنَّتُهُمُ ٱلْحَيَوَةُ ٱلدُّيْأَ وَذَكِّرْ بِعِد أَنْ تُبْسَلَ نَفْشُا بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَمَا مِن دُونِ اللَّهِ وَكِنَّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْكُلُ عَدْلِ لَا يُوْخَذْ مِنْهَا ۗ أُوْلَئِكَ ٱلَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَبِيمٍ وَعَذَابُ أَلِيدُ يُعِمَا كَافُواْ يَكُفُرُونَ فَنْ ﴾

الفردات،

ذر • اترات.

فسرتسها خدعتهم.

تسمسل قسقس؛ الإبسال؛ المنع، ومنه أسد باسل، لأن فريسته لا تقلت منه . ومعنى تُبسَلَ نَفْسٌ تَمْنَم من النجاة.

وان تعدل كل عدران تُقْد نفسها كل قداء .

التفسيره

٧٠ - وَذَرِ الَّذِينَ اتَّحَدُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهُوَّا وَهُرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّر بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ ... الآية.

العني الإجمالي للآية من فتح القدير للشوكاني :

وَذَرِ الَّلِينَ التَّخَذُواْ دِينَهُمْ أَضِا وَلَهُوا . أى اترك هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا أى اترك هؤلاء الذين اتخذوا الدين الحق – الذي كان يجب عليهم العمل به والدخول فيه – لعباً ولهوا ولا تقلق قلبك بهم فإنهم أهل تعنت ، وإن كنت مأمورًا . بإبلاغهم الحجة . وَخُرِّتُهُمُ الْحَيَاةُ اللُّنُهَا . حتى آثروها على الآخرة ، وأنكروا البعث .

وَذَكِّر بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسُ بِمَا كُسَبَتْ . الإبسال تسليم المرء نفسه للهلاك .

فاللحنى: نكّر بالقرآن لعل أحدًا يتذكّر فينجو بنفسه من العذاب قبل أن يحبط بها فلا تجد مخلصًا.

وَإِن تَصْلِلْ كُلُّ عَمْلِ لاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا . وإن بَذَلْتَ تلك النفس التى سُلَّمت للهلاك كل فدية لا يؤخذ منها ذلك العدل حتى تنجو به من الهلاك .

أُوْلِكَ . المتخذون دينهم لعبا ولهوا ، هم اللَّذِينَ أُسِلُواْ بِمَا كَسُواْ . أَى هولاء الذين سُلُموا للهلاك بما كسبوا لُهُمْ هَرَابٌ مَّنْ حَجِيم . وهو الماء المار ، يشربونه فيقطم أمعامهم .

تمهيد ،

حرص المشركون على إبطال دعوة الإسلام بكل سبيل وقد عرضوا على النبي ﷺ أن يترك مجالسة الفقراء ، أو يجعل لهم مجلسًا خاصًا بهم ، وقد رفض القرآن عرضهم ، فاتخذوا هدفًا آخر ، وهو السخرية والاستهزاء بالقرآن، بريدون بذلك صرف المسلمين عن دينهم، وعن كتاب ربّهم، فأمر الله رسوله ألا يبالى بهم ، وأن يمضى في سبيله وتبيلغ رسالة ربّه .

والآية ٧٠ من سورة الأنعام هذه تستعرض عنت المشركين وسوء فعالهم ، وتضع أمامهم أهوال عذاب يوم القيامة ليتصورا هول ما هم قادمون عليه، علَّ هذا أن يسوق لهم العبرة والموعظة النافعة قبل فوات الأوان .

توضيح،

وَفَرِ الَّلِينَ ٱتَّخَدُواْ مِنِيَّمَ لَمِّا وَلَهُوّا . أى اترك يا محمد المشركين الذي جعلوا دينهم شيئًا يشبه اللعب واللهو، حيث عبدوا الأوثان وجعلوها آلهة ، وأباحوا أكل الميتة ، وحرموا البحيرة والسائبة، وغير ذلك من الأمور .

وقبل المحنى: اترك يا محمد هؤلاء الغافلين الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوا به وهو الإسلام لعبًا ولهرًا حيث سخروا من تعاليمه واستهزموا بها .

وَخَرِّتُهُمُ الْضَاةُ اللُّنْيَا . حيث اطمأنوا إليها ، واشتغلوا بلذاتها ، وزعموا أنه لا حياة بعدها .

قال الإمام الرازى ما ملخصه: «ومعنى ذرهم: أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم، ولا تقم لهم فى نظرك وزنًا ، وليس للمراد أن يترك إنذارهم لأنه قال له بعده وَذَكّر بِهِ وإنما المراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم ، لا ترك إنذارهم وتخويفهم ...

وَذَكُّر بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَت لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلاَ ضَفِيعٌ.

وحدَّر بهذا القرآن أو بهذا الدين الناس مخافة أن تهلك نفوسهم بما كسبته من الكفر والمعاصى إذ ليس لها من غير الله نصير أن شفيع يدفع عنها السوء .

وَإِن تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلِ لا يُؤْخَذُ مِنْهَا . العدل عنها الفداء

والمعنى: ومهما قدمت من فداء فلن يؤخذ منها.

قال تعالى: إنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَارُ فَلَن يُقَبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مَّلُءُ الأَرْضِ فَهَا وَلَوْ افْنَدَى بِهِ أُوقِئِك لَهُمْ عَلَمَابٌ إِنْهِمْ وَمَا لَهُم مِّن الْأَصِرِينَ * (ال عمران : ١٩) .

قال الإمام الرازي ما معناه :

إن وجوه الخلاص في الدينا ثلاثة:

١ - وليُّ يتولى الدفاع ودفع المحذور.

٢ — شفيم يشقم للمذنب.

٣ – فدية تقبل منه ليحصل الخلاص بسببها.

وهذه الثلاثة لا تفيد في الآخرة البتة.

فليس أمام العصاة إلا الإبسال، الذي هو الارتهان والاستسلام.

وإذا تصور الإنسان كيفية العقاب على هذا الرجه ، يكاد يرعد إذا أقدم على معاصى الله (١٠٠٠

أَوْلِكُ الَّذِينُ أَبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيم وَعَلَابٌ أَلِيمُ بِمَا كَانُواْ يَكُفُرُونَ . أَى أُولئك الذين حُبسوا للهلاك ومُنعوا من النجاة بسبب كفرهم ومعاصيهم ، لهم فى جهنم شراب من ماء شديد الحرارة ، تتقطع به أمعاؤهم ، ولهم من فوق ذلك عذاب مؤلم بنار تشتعل بأبدانهم بسبب استمراوهم وإصرارهم على كفرهم . ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىّ أَعْقَابِنَا بَعْمَ إِذْ هَدَىٰنَااللَّهُ كَالَّذِى اَسْتَهَوْتُهُ الشَّيَنطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ وَأَصَّحَبُّ يَدَّعُونَهُ وَإِلَى الْهُدَى اتْيَنَأ قُلْ إِنَّ هَدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى أَنْ وَإُمْ يَالِلْسَلِمَ لِرَبِّ الْمَنْلَمِينَ ۖ ﴾

المضردات،

وفره على أعقابنا ، ونرجع إلى الوراء بالعودة إلى الشرك. وسيأتى لذلك مزيد بيان في الشرح. استهوته الشياطين، ذهبت بهواه وعقله .

يدعونه إلى الهدىء المراد بالهدى الطريق الهادى إلى المقصد، جعل نفس الهدى للمبالغة .

التفسيره

٧١- أَوْلُ أَلْدَهُواْ مِن دُونِ اللَّهِ مَالاً يَعْتُعُا وَلاَ يَعْدُلُا ... الآية. ثبت بالقرآن والسنة أن المستركين عرضوا على رسول الله ﷺ المال والجاه والسلطان ، والملك، نظير أن يترك دعوة الإسلام ، فقال كلمته الخالدة لعمد أبي طالب : «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه» .

وقد عرض المشركون مثل هذه العروض على أبى بكر الصديق، وعلى غيره من المسلمين.

جاه في تفسير ابن كثير ، قال السدّى: قال المشركون للمؤمنون اتبعوا سبيلنا . واتركوا دين محمد، فأخزل الله عز وجل :

قُلْ أَلَسُوْراً مِن دُونِ اللهِ مَالاَ يَعْشُونا وَلاَ يَضُونا وَنُردُّ عَلَى أَعْقَابِنا ... والمعنى: قُل يا محمد: المستركين، أو قل أيها العاقل لهؤلاء المسركين، الذي يحاولون ردّ المسلمين عن الإسلام، قل لهم: أَدَعْبِد من دون الله مالا يقدر على نفعنا إن دعوناه ، ولا ضرنا إن تركناه ، ومن شأن الإله الحق أن ينفع ويضر ، فكيف يليق بنا أن نعبد آلهة خالية من النفع والضر؟

وَنُودُ عَلَى أَعْقَائِناً بِعَدْ إِذْ مَمَاناً اللهُ .. أي نرجع إلى الشرك الذي كنا فيه بعد أن هدانا الله إلى الإسلام، وأنقذنا من الكفر والضلال .

يقال لمن رُدُّ عن حاجته ولم يظفر بها: قَدْ ردّ على عقبيه .

قال العلامة أبو السعود: « والتعبير عن الرجوح إلى الشرك بالردّ على الأعقاب، لزيادة تقبيحه، بتصويره بصورة ما هو علم في القبح» 1. هـ.

وهو الرجوع إلى الوراء إدبارًا بغير رؤية موضع القدم.

كَالَّذِي اسْتَهُوْقُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ . وهم الفيلان ، أو مردة البِنَ ، يدعونه باسمه واسم أبيه وأمه فيتبعها ويرى أنه في شيء ، فيصبح وقد ألقته في مضلة من الأرض يهلك فيها عطشًا ، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعيد من دون الله (١٠٠٠) .

خُيْراً لا أي أمسى حيران لا يدري كيف ينجو من المهالك ويصل إلى غايته .

لَهُ أَصْحَابُ يَدْضُونَهُ إِلَى الْهُنْدَى أَلْبَا. أَى له رفاق لم يستجيبوا إلى استهراء الشياطين ، بل ثبتوا على الطريق المستقيم ، وجعلوا يدعونه إلى الطريق المستقيم قائلين له : انتنا لكى تنجو من الهلاك ، ولكنه لحيرته وضلاله لا يجيبهم ولا يأتيهم .

من تفسير ابن كثير:

جاه في تفسير ابن كثير تهذه الآية: إن مثل من يكنر بالله بعد إيمانه، كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق، فضلً الطريق، فضلً الطريق، فضعلوا الطريق، فضعلوا الطريق، فضعلوا يدعونه إليهم، ويقولون: اثننا فإنا على الطريق، فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ، ومحمد ← ﷺ – هو الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام.

قُلْ إِنَّ هَنَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرِنَا لِسُلِمَ لِرَبِّ الْعَلَقِينَ . أَى قل أيها الرسول لدعاة الضلال: إن هدى الله – هو الإسلام – هو الطريق الهادى إلى السلامة فى الدنيا والآخرة ، وما عداه فهو الضلال والخذلان، وأمرنا لنسلم وجوهنا فله رب العالمين . ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَالَّذِى ٓ إِلَّهُ عُشْرُونِ ۞ وَهُوَ الَّذِى خَلَى السَّمَوَنِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيُومَ يَقُولُ كُن فَيكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُثَلَّ يَوَمَ يُنفَحُ فِي الشُّوذِ عَلِمُ الْفَيْبِ وَالشَّهِدَةً وَهُولُلْكِيمُ الْخَيِيرُ ۞ ﴾

التفسيره

٧٧ – وَأَنْ أَلِيمُوا الصَّلاة وَاتَشُوهُ وَهُو اللَّذِي إِلَهِ تُحْشَرُونَ ... وأمرنا بأن تقيم الصلاة ونؤديها في أوقاتها مستوفية لأركانها وشروطها ، وأن نتقى الله ونخشاه ، في أمرنا كله فلا نقصًر في طاعة ولا نلم معصية .

وَهُو الَّذِي إِنَّهِ تُحَشِّرُونَ . أي: تحشرون إليه وحده ، وله الحكم وحده يوم القيامة في المحشر وما بعده ، ولا ينفعكم يومثذ إلا ما قدمتموه من الأعمال الصالحة ورأسها الصلاة والتقوى .

٧٧- وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقَّ وَيَوْمَ يُقُولُ كُن فَيَكُونُ قُولُهُ الْحَقُّ وَلَـهُ الْمُلْكُ ... الآية. أي هو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما – خلقاً مشتملاً على المحكمة الرفيعة ، ومنها أن يُعرف بآياته فيها فيُعبد ويقصد، ولم يخلقها عبثاً وياطلا . وقضاؤه المتصف بالحق والصواب – دائما – تافذ، حين يقول لشيء من الأشياء كُن فِكُونُ . ذلك الشيء ويوجد بأمره فورًا ، وفق تدبيره وإرادته .

وفي آية أخرى يقول سبحانه.

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيُّنَا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . (يس : ٨٢).

قُولَةُ الْحَقُّ. قوله سبحانه هو الحق الكامل ، يأمر بالبعث والحشر فتطبعه الشلائق ، أي فكيف ندعوا من دونه مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرتد على أعقابنا .

وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمُ يُغَجُّ فِي الصَّرِدِ . أي إن الملك لله تعالى وحده في ذلك اليوم فلا ملك لأحد سواه . والصُّور قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء . والثانية للإنشاء .

قال تعالى: وَلُفِحَ فِي الصُّورِ فَصَحِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَفِيحَ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا هُمُ فَيَامٌ يَنظُرُونَ . (الزمر: ٦٨) . واعلم أن الملك دائما للله في الدنيا والآخرة ، ولكن الله أعطى بعض عباده الملك ظاهرًا وصورة في الدنيا، ويوم القيامة لا يجدون لملكهم ظلاً ولا أثرًا ، وفي هذا المعنى قال تعالى: كُنَنِ الْمُمُلُكُ الْيُومَ لِلُهِ الْوَاحِدِ القَهْلِ . (غافر: ١٦) . وقال سبحانه: الْمُلْكُ يُومُلِ الْحَقُّ لِلرَّحْقِ وَكَانَ يُومًا عَلَى الْكَالِحِينَ صَهِرًا ... (الفرتان : ٢٦)

عَالِمْ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ . النيب ما غاب عن الناس فلم يدركوه ، والشهادة الزمور التي يشهدها الناس ويشاهدونها، ويتوصلون إلى علمها .

فافله هو العالم بما غاب ويما حضر من كل شيء.

وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ .

- المكيم - مناحب المكمة في جميم أفعاله .

- الشبير - المطلع على خفايا الأمور وظواهرها.

* * *

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِنْرَهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرُ أَتَتَخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَمُّ إِنِّ أَرَنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينِ ۞ ﴾

لتفسيره

٧٤- و إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَبِيهِ عَازَرَ ٱلصَّحِدُ أَصْنَامًا عَالِهَةً إِنَّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَالَل مُّمِينِ.

بهذه الأية تبدأ قصة إبراهيم عليه السلام ، وقد ذكرت في القرآن أكثر من مرَّة ، لكنها تركز في كل مرة على جانب من جوانب القصة ، وقد كان إبراهيم عليه السلام أمَّة وحده ، فيه أخلاق الرجال وفيه الوفاه والعزيمة ، وفيه جانب البحث والتأمل ومحاولة هداية قومه عن طريق الموار ، وفيه صدق العزيمة ، ولن أردنا أن نسجًل عناوين لقصة إبراهيم فسنجدها كالأتى :

إبراهيم وآية البعث ، إبراهيم يتلطف في دعوة أبيه .

إبراهيم يحطم الأصنام ، إبراهيم يلقى في النار .

إبراهيم وشرود ، إبراهيم يهدى قومه عن طريق الحوار.

إبراهيم في مصر ، إبراهيم يؤمر بذبح إسماعيل .

إبراهيم وإسماعيل في بناء الكعبة ، سلام على إبراهيم .

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِمِ لَأَمِهِ مَازَرَ أَسَّعِدُا أَصَّنَامًا ءَالْهَةَ .. أَى وانكر يا محمد ونكُر قومك ليعتبروا ويتعظوا ، وقت أن قال إبراهيم لأبهه آزر منكرًا عليه عيادة الأصنام .

أتَّتَخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً . أي أتجعلها آلهة لك تعبدها من دون الله الذي خلقك فسواك فعدلك .

وآذر أب لإبراهيم عليه السلام ، كما هو ظاهر النص القرآني، وقيل إن اسم والد إبراهيم «تارع» وقيل كان له اسمان آزر وتارع (۱۰۰۵).

وكان آزر وقومه يعبدون الأصنام ، والشمس ، والقمر والكواكب .

إِنِّى أَرَاكَ وَقُومُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِيْرٍ. أَى إِنَى أَراكَ وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق، ظاهرين ... وفي هذا تبكيتُ وتقريع لهم على هذا المسلك ، الذي يتنافي مع ما يقتضيه العقل السليم والفطرة الصحيحة .

وقد ذكر الألوسي في تفسيره : أن آزر بزنة آدم علم أعجمى لأبي إبراهيم – عليه السلام – وكان من قرية من سواد الكوفة ، وقيل إن آزر لقب لأبي إبراهيم واسمه المقيقي تارخ .

وذكر الشيخ القاسمي في تفسيره:

أن الآية حجة على الشيعة في زعمهم أنه لم يكن أحد من آباء الأنبياء كاهرًا ، وأن آزَرَ عمُّ إبرأهيم لا أبوه ، وذلك لأن الأصل في الإطلاق المقيقة ، ومثله لا يجزم به من غير نقل

كما نقل الشيخ القاسمي أن ثمرة الآية الدلالة على وجوب النمييمة في الدين لا سيما للأقارب فإن من كان أقرب فهو أهم ، ولهذا قال تعالى: زَائِلاًرْ عَشِيْرَكُ الْأَقْرِيقَ .

وقال تعالى: قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا .

وقال ﷺ «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» (١٠٠١).

ولهذا بدأ النبي ﷺ بعلى وخديجة وزيد ثم بسائر قريش ثم بالعرب ثم بالموالي .

ويدا إبراهيم بأبيه ثم بقومه، وتدل الآية على أن النصيحة في الدين ليست من العقوق.

وقد ثبت في المحيح أن رسول الله ﷺ قال:

يلقى إبراهم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول لـه إبراهيم ألم أقل لك لا تعصنى ؟ ، فيقول أبوء ، فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم يا رب أنت وعدتى أن لا تخزنى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الأبعد ، فيقول الله تعالى : إنى حرمت الجنة على الكافرين . (١٠٠٠ . ﴿ وَكَذَلِكَ ثُرِى آبَرُهِيهِ مَلَكُونَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِينِ فَ فَلَمَّا مَا جَنَّ عَلَيْهِ الْجَنْ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمَا الْمُلَّالِ الْمُعْلَى الْمَا الْمُلَا الْمُلَّالِ الْمُلْكِينِ اللَّهِ الْمُلْكَانِ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمُلَا اللَّهُ الْمُلْكَانِ اللَّهُ اللْمُلِلْمُ اللْمُلِلْمُ الللْمُلِلْمُ اللَّهُ اللْمُلِيلُولُ اللللْمُلِيلُولُ اللللْمُلِلْمُ اللْمُلْمُ اللللْمُلِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللللْمُلْمُ اللْمُلْمُلِمُ اللَّهُ اللْمُلْمُلِمُ اللْمُلْمُل

المقردات:

جن عليه الليل؛ سُتُره بظلامه.

الســـان غُرَبُ وغَاب.

بــازهـا، مبتدئًا في الطلوع والظهور.

التفسيره

٧٥ – وَكَذَلِكُ ثُوِى إِبْرَهِمَ مَلَكُوتَ السَّمُواتِ وَالأَوْضِ وَلِيْكُونَ مِنَ الْمُولِينِ. أَى وكما أُرينا إبراهم الحق، وعرفناه ضلال قومه واضحًا ، وأريناه الحق في مخالفتهم ، نُمُوفه ويُظهر له ملك السماوات والأرض ليستدل به على وحدانيتنا .

وجاء في فتح القدير للشوكاني:

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَهِمَ مَلَكُوتَ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ. أي ما فيها من المثلق.

وقيل: كشف الله له عن ذلك حتى رأى إلى العرش ، وإلى أسفل الأرضين ، وقيل رأى من ملكوت السماوات والأرض ما قصه الله في هذه الآية .

تُرِى . أي أريناه ، فهو حكاية حال ماضية . وقد كان آزر وقومه يعبدون الأصنام والكواكب والشمس والقمر فأراد أن يتبههم على الخطأ .

وَلِكُونَ مِنَ أَشُوقِينَ . أَى أَرِيناه ما أَرِيناه من عجائب الفلق ، وغرائب الملكوت ليكون نبيًّا ذا علم، وليكون علمه عن يقين ، لا يخالجه شك في عظمة الله ، وقدرته على كل شيء . ٧٦- فَلَمَّا مِنْ عَلَهِ اللَّيْلُ رَءَا كُوْكِمًا قَالَ هَلْنَ هَلْنَ أَلْلَ قَالَ لاَ أُصِدُّ الْقَلِينَ . كان قوم إبراهيم يعبدون -الأصنام والنجوم والكواكب والقمر والشمس فأراد مُجَازَاتِهمْ تمهيدًا لهدايتهم .

وجن عليه الليل أي ستره بظلامه وتغشاه بظلمته وأصل الجّنَّ الستر عن الحاسة ، يقال جنّه الليل وجن عليه يجنّ جنّا وجنوبًا ، ومنه الجن والجِنّة بالكسر ، لأنّ الجن لا يرى .

والجنَّة بالفتح وهي البستان الذي يستر بأشجاره الأرض.

والمجنّ التي تستر المحارب ، والأجنّة المستورة في بطون أمهاتها، والمجنون الذي غاب عقله و وهب .

ومعنى الآية: فلما ستر الليل بظلامه إبراهيم قال هذا ربّى ، قال ذلك على سبيل الفرض وإرخاء العنان، مجارات مع عباد الأمدنام والكواكب لِيكرٌ عليه بالإبطال ويثبت أن الربّ لا يجوز عليه التغيير والانتقال .

قال الشوكاني في التج القدير: وكان هذا منه عند قصور النظر الأنه في زمن الطقولية ، وقيل أراد قيام الحجة على قرمه كالماكي لما هو عندهم ، وما يعتقدونا لأجل إلزامهم .

وقال الزمخشرى في تفسير الكشاف:

كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن ينبههم على الغطأ في دينهم ، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ، ويعرفهم أنَّ النظر الصحيح مؤدٍ إلى أن شيئًا منها لا يصح أن يكون إلهًا لقيام دليل الحدوث فيها ، وأن ورامها محدثًا أحدثها ، وصانعًا صنعها ، ومدبرًا دبَّر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها .

وقول إبراهيم هَلَّا رُبَّى، قول من ينصف خصمه مع علمه بأنَّه مبطل ، فيحكى قوله ، كما روى غيره ، متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى إلى الحق ، وأنجى من الشغب ، ثم يكرِّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة 1. هـــ .

والقصة كلها درس في عقيدة الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، وبيان قدرة الله الذي لا أول ك ولا آخر بل هو الأول والآخر.

فَلْمَّا أَقُلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الْأَقْلِينَ . فلما غاب النجم قال لا أحب عبادة الأرباب ، المنتقلين من مكان إلى مكان ، ومن حال إلى حال ، لأن الأفول غياب وشأن الإله الحق أن يكون دائم المراقبة لتدبير أمور عباده. ٧٧ – فَلَمَّا رَءًا الْفُمَرَ بَازِغًا قَالَ هَلَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ ثِينَ لَمْ يَهُدِينِ رَبِّي لأَكُونَنُ مِنَ الْقَرْمِ المَّنَالِّينَ. أَى وحين أبصدر إبرهمم القمر – مبتدتًا في الطلوح والظهور قال مستعظمًا شأنه : هَلَا رَبِّي. مجاراة لقرمه فما أَمْل وغاب قال إبراهيم عليه السلام ، إرشادًا لقومه إلى أن يطلبوا الهداية من الله تعالى:

لثن لم يرشدنى ربى إلى الحق ، ويثبتنى عليه ، لأكونن من جملة القوم الذين بُعدوا عن المسراط المستقيم .

وإنما استدل على بطلان كون القمر إليًّا بعد أفوله، ولم يستدل على ذلك بمجرد ظهوره، مع أن أفوله محقق، لأنه أراد أن يقيم استدلاله على المشاهدة لأنها أقوى وأقطع لحجة الخصم.

٧٨ – فَلَمّا رَءَالشّمْسَ بَارِهَدُقَالَ هَذَا رَبّي هَذَا أَكُمْ فَلَمّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَرْمٍ إِنّي بَرِيءٌ مَمّا تَشْرِكُونَ. أي ضعين أبحسر إبراهيم عليه السلام الشعس مبتدئة في الظهور والطلوع، قال مشيرًا إلى الشمس، هذا الذي أبحسره هو ربّي – وهو أكبر من الكراكب، ومن القمر – قال ذلك ليشد انتباههم إلى التأمل والنظر، في التفسيرات الكرفية حتى يصلوا منها إلى معرفة الإله الصانع القدير.

ظُلْمًا أَفَلَتُ قَالَ يَا قَوْمٍ إِلَى بَرِىءٌ مُمَّا تَشْرِكُونَ . أَى فلما غابت الشمس واحتجب ضوءها ، جاهر إبراهيم لقومه بالنتيجة التى يريد الوصول إليها فقال: يا قوم إنّى يرىء من عبادة الأجرام المتفيرة التى يفشاها الأفول ، ويرئ من إشراككم مع الله آلهة آخرى .

لقد تدرج إبراهيم مع قومه في ثلاثة مواقف.

ني عبادة النجم ، ثم عبادة القمر ، ثم في عبادة الشمس .

كما تدرج في أسلوب دعوته لقومه ، وتصريحه بضلالهم .

قال ضاحب الانتصاف:

والدليل على ذلك أنه ترقى في النوية الثالثة إلى تمام المقصود والتصريح بالبراءة منهم ، والتقريع بأنهم على شرك حين تُمَّ قيام المجة ، وُتبلج الحق ويلغ من الظهور غاية المقصود (٣٠٠.

٧٩- إِنِّى وَجَهْتُ وَجَهِى لِلْلِي فَطَر السَّمَارَاتِ وَالْأَوْضَ حَيفًا وَمَا أَنَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. لقد فرغ إبراهيم من الاتجاه نحو آلهة متغيرة ، تظهر وتختفى، واتجه بقلبه نحو الإله الحق ، الذي لا يتغير ولا يتحول ، وأعلن ذلك في صراحة ووضوح قائلاً: إنى وجهت قلبي وفطرتى وعبادتي ، لشالق الكون الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق .

حَنِفًا . ماثلاً عن الأديان الباطلة والعقائد الزائفة كلها إلى الدين الحق.

وَمَا أَنَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . أي ولست من الذين أشركوا مع الله بعض مخلوقاته في عبادته .

وبذلك ثبت أن إبراهيم ليس مع قومه في عقيدتهم .

* * *

﴿ وَمَا جَهُ مَوْمُهُ وَالَ أَتُعَكَجُونِي فِي اللّهِ وَقَدْهَدَنْ وَلَا أَخَافُ مَا أَشْرِكُوك بِهِ إِلّا أَن يَشَاءُ رَبِي شَيْئًا وَسِعَ رَبِي كُلّ شَيْءٍ عِلْمَا أَفَلَا تَنَذَكَرُونَ ﴿ وَكَالَمُ اللّهِ عَلَيْكَمُ مَا أَشْرَكُ مُ اللّهَ عَلَيْكَمُ مَسْلَطَنَا اللّهِ عَلَيْكِمُ مَسْلَطَنَا اللّهِ عَلَيْكُمُ مَسْلَطَنَا اللّهِ عَلَيْكُمُ مَسْلَطَنَا اللّهِ عَلَيْكُمُ مَسْلَطَنَا اللّهِ عَلَيْكُمُ مَسْلَطَنَا اللّهُ عَلَيْكُم اللّهُ عَلَيْكُمُ مَسْلَطَنَا اللّهُ عَلَيْكُم اللّهُ اللّهُ وَعَلَيْكُم اللّهُ مَنْ اللّهُ عَلَيْكُونَ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَهُم اللّهُ مَنْ اللّهُ وَلَيْكُ الْمُنْ وَهُم اللّهُ مَنْ اللّهُ وَهُم اللّهُ عَلَيْكُونَ اللّهُ ﴾

المفردات

وحساجسه قسومسه ؛ وجادله قومه .

وسع ربي كل شيء علمًا ؛ أحاط علمه بكل شيء .

سلطالكاء حمة.

يلبسوا إيمانهم بظلم، لم يخلطوه بشرك.

التطسير،

٨٠ – وَ مَاجِهُ قُوْمُهُ قُولُ أَضَاجُونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَذَانِ ... الآية. أَى جادلوه في التوحيد الذي توصل إليه، وحاولوا أن يقنعوه بصحة اتخاذ الآلهة الأخرى ، وخوَفوه من ضررها وغضبها .

قال: أَتُحَاجُونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانٍ .

أى أتجادلوننى فى شأنه تعالى – وفى أدلة وحدانيته ، والحال أنه سبحانه قد هدانى إلى الدين الحق، وإلى إقامة الدليل عليكم بأنه هو المستحق للعبادة . وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ... أي لا أشاف معبوداتكم ، لأنها جمادات لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع.

إِلاَّ أَن يُشَاءَ رَبِّي هَيْناً . أى لكن إن شاء ربى وقوع شىء ، من الضرر لى بذنب عملته فالأمر إليه، وذلك منه لا من معبوداتكم .

وَسِعَ زَنِّي كُلُ شَيْءٍ عِلْمًا. أى أحاط ربّى علما بكل شيء، فلا يقع في ملكه إلا ما شاء هو، وليست لالهتكم مشيئة حتى أخافها.

أَلْلاَ تَتَذَكّرُونَ . أَى أتعرضون أيها الغاظون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات غير قادرة على شيءٍ مًا ، فلا تتذكرون أنها عاجزة عن إلماق ضور بي ؟

وهذه أمور بدهية ، لكن القوم من طول ما ألفوا الباطل وعبادة الأصنام ، توهموا أن لها قدرة على إلماق الضرر بمن ترك عبادتها .

٨١ – وَكُيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكُمْ وَلاَ تَحَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزُلُ بِهِ مَلِيكُمْ سُلْطَانًا ... الآية أي كيف ساغ لكم أن تطنوا أنى أخاف معبوداتكم الباطلة ، وهي مأمونة الشوف لأنها لا تضرّ ولا تنفع ، وأنتم لا تخافون إشراككم بالله خالقكم ، دون أن يكون معكم على هذا الإشراك حجة أو برهان من العقل أو النقل.

قَالَ الْأُستاذَ سيد قطب في ظلال القرآن:

وأنّه منطق المرّمن الواثق المدرك لحقائق هذا الوجود ، إنه إن كان أحد قمينا بالخوف فليس هو إبراهيم – وليس هو الموّمن الذي يضم يده في يد الله ويمضى على الطريق – وكيف يضاف آلهة عاجزة ، ولا يضافون هم أنهم أشركرا بالله مالم يجعل له سلطانًا ولا قوة من الأشياء والأحياء .

ظَّىُّ القَرِيَشِينِ أَحَقُ بِالأَمْنِ إِن كُمَّمُ تَطَمُّونَ .؟ أي أينا في موقف الأمن من وقوع المكروه الذي تفوفوننا به ؟

قال الشوكاني في فتح القدير:

فَأَى الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُ بِالْأَصْ. ؟ فريق المؤمنين بالله القوى القادر ، الكافرين بالصنع العاجز ، أم فريق المؤمنين بالصنم العاجز الكافرين بالله القوى القادر ؟

فأخبروني أي الفريقين أحق بالأمن وعدم الخوف.

إِنْ كُتُمْ تُعْلَمُونَ . وتعرفون البراهين الصحيحة وتميزونها عن الشبه الباطلة .

٨٢ – الَّذِينَ ءَامَثُواْ وَلَمْ يَلْسُواْ إِكَانُهُم بِظُلْمِ أُوْلِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ . هذا جواب السوّال السابق في الآية قبلها ، وهو تأييد من المالاً الأعلى لسيدنا إبراهيم عليه السلام وييان واضع لمن يستحق الأمن، وهم المؤمنون الذين أخلصوا إيمانهم من الشرك .

أُوْلَٰكِكَ لَهُمُ الأَمْنُ. اليقين والثقة والاطمئنان.

وَهُم مُّهُمَّدُونَ . أي: إلى الطريق المستقيم دون من سواهم .

من السنة الصحيحة:

ودد في البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت: الَّذِينَ وَامْتُواْ وَلَمْ يَلْسُواْ إِيَّالُهُم بِطُلْم، قال الصحابة وأينا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت: إنَّ الشَّرِكُ لَقُلْمِ عَظِيمٌ ١٠٠٠).

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية اللَّينَ ءَامَتُواْ وَلَمْ يَلْسُواْ إِيَّالُهُم يِطْلُم شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله: فأينا لا يظلم نفسه ؟ قال: إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: إِنَّ الشَّرِكُ لَقُلْلُم مَظِيمٌ إِنما هو الشرك. """.

ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة ندرك مدى جدية الصحابة في تلقى أوامر القرآن ونواهيه، لقد كانرا يدركون أنّه أوامر للتنفيذ ، وكانوا يفزعون حين يظنون أن هناك مفارقة بين طاقتهم المحدودة ، ومستوى التكليف المطلوب .

إنه مشهد رائع لهذه النفوس ، التي حملت هذا الدين وكانت ستارًا لقدر الله ، ومنفذًا لمشيئته في واقع الحياة. ﴿ وَيَلْكَ حُجَّتُنَا ٓ النَّيْتُ كَا إِنَّا الْمِنْعَ الْمَالِمُ وَمَدِّ فَضُهُ وَرَجَعَةٍ مَن فَشَا أَمُ إِنَّ رَبُكَ حَكِيدُ عَلِيدُ ﴿ وَوَ قِلْمَا لَهُ إِنَّ وَلَهُ عَلَيْنَا مِن فَبَلَّ عَلَيْنَا مِن فَبَلَّ مَن وُرَعَى وَوَ هَمَ مَن وَهَ مُون وَ وَكَذَلِكَ جَزِى وَمِن ذُرِيَتَيْتِهِ وَاوُدَ وَسُلْتَهَمْن وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَمْرُونَ وَكَذَلِكَ جَزِى الْمُحَدِينَ فَ وَوَمَرُونَ وَكَذَلِكَ جَزِى الْمُحَدِينَ فَ وَوَكُمْ لِلَكُ مَنْ وَلَيْكُ مَنْ الْمَعْلِينِ فَ وَمِنْ وَلَا اللّهَ عَلَيْنِ اللّهُ وَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْنِ اللّهُ وَلَيْكُ اللّهَ عَلَيْنِ اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْنِ اللّهُ وَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ وَلِي اللّهُ عَلَيْنِ اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ وَلَيْنَ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَيْكُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

المفردات،

حجتنا اليناها إبراهيم : أي أدلتنا التي أرشدنا إبراهيم إليها .

مكيسم عليم: بالغ المكمة واسع العلم.

وهم بالمنا.

واجتب ينساهم ، أي اخترناهم واصطفيناهم .

مسسسواط؛ أي طريق جمعه صرط وأصله سراط.

الحد معلم المعلم ويقال حبط عمله يحبط حبوطًا . أي بمل وسقط ثوابه .

اق تأس واتبع طريقهم بالاقتداء . والهاء للوقف .

التفسيره

٨٣- وَتِلْكُ خُجِّتَنَا ءَاتِنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قُوهِ مَزَلُعُهُ مُرَجَاتِ مِنْ نَشَاءُ إِنَّ بَلْكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . هذه الآية إشارة إلى تلك الدلائل التى أرشد الله إبراهيم إلى الاحتجاج بها على وحدانية الله وإبطال شرك قومه الذي كانوا عاكفين عليه ، وهي تبدأ من قوله تعالى : وَكَذَلِكُ مُرى إِبْرَاهِيمَ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وفي هذا إشادة بمكانة إبراهيم عليه السلام، وبالدلائل التي أرشده الله إليها.

وقد عدد الإمام الرازي وجوه نعم الله على إبراهيم وإحسانه إليه .

فَأُرِنُها : قوله تعالى: رَتِلْكَ خُجِّنَا عَالْيَنَاهَا إِلْرَاهِمِ . والمراد إنا نحن آتيناه تلك الحجة ، وهديناه إليها، وأوقفنا عقله على حقيقتها .

وثانها : أنه تعالى خصُّه بالرفعة والاتصال إلى الدرجات العالية وهي قوله : نُرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نُشَآءُ. وثالها : أنه جعله عزيزًا في الدنيا وذلك لأنه – تعالى – جعل أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل من نسله وذريته .

ويتقرر معنى الآية على النحو الآتي :

وتلك الحجة التى لا يمكن نقضها أو مغالبتها فى إثبات الحق ، وتزييف الباطل ، أعطيناها ، إبراهيم وأطمناه إياها ، فلما قدَّم إبراهيم أدلته على توحيد الله ، ويطلان عبادة الأصنام ، علت حجته وارتفعت منزلته ، وسقطت حجة المشركين ويهت الذي كفر .

وهكذا يرفع الله من يشاء درجات متصرفًا في هذه بحكمته وعلمه :

نَرْفَعُ فَرَجَاتِ مِنْ نَضَاءً . لقد كانت سعادة إبراهيم ورفعته في وضوح حجته ، وتبليغ رسالته وكشف بطلان عبادة الأصنام .

يقول الإمام الشافعي: إن سعادة العالِم في حجة تتبختر اتضاحًا أو في شبهة تتضاءل افتضاحًا.

ويقول الإمام الرازى : فى هذه الآية دليل على أن كمال السعادة فى الصفات الروحانية لا فى الصفات الجسمانية .

فقد رفع الله قدر إبراهيم حين أتاه الله الحجة والبينة.

إِنَّ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . أي بالغ الحكمة وواسع العلم بحال خلقه فيعلم حال من شاء رفعه .

٨٤ - رُوَهُمَّنا لَهُ إِسْعَاقُ وَيُعْفُوبَ كُلاً هُلَيْنا .. الآية. أي وهبنا لإبراهيم قضلاً منا وكرما : إسحاق وهو ولده من زوجته سارة ، ويعقوب وهو ابن إسحاق لتقر عينه ببقاء عقبه إذ في رؤية أبناء الأبناء سرور للنفس وراحة للفؤاد ، وقد تريّى يعقوب في حجر إبراهيم فنسب إليه ، وهو ابن ابنه وليس ابنه.

كُلُّ هَنَهًا . أي كل من إسماق ويعقوب هديناه الهداية الكبري فقد جعلنا كلاُّ منهما نبيًّا .

وَنُوحًا هَلَيْنَا مِن قَبْلُ . أي وهدينا نوحا – النبي السابق على إبراهيم – إلى التوحيد والدعوة إليه.

وقد امتن الله على إبراهيم بالهداية في أصوله ، والهداية في ذريته وهذه من أكبر النعم .

قال الإمام ابن كثير: «وكل من نوح وإبراهيم له خصوصية عظيمة أما نوح فإن الله لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به وهم الذين صحبوه في السفينة ، جعل الله ذريته هم الباقين ، فالناس كلهم من ذريته ، وأما الخليل إبراهيم ظم يبعث الله بعده نبيًا إلا من ذريته ، كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا لُوحًا وَإِبْرَاهِمَ وَجَمَلًنا فِي ذُرِيْهِهَا النَّبُومُّ والْكِمَابُ . (الحيد: ٢١) .

ثم قال تحالى: وَمِن ذُرِّتِهِ دَاوُدٌ وَسُلَيْمَانُ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونُ وَكَلَلِكَ نَجْرِى الْمُحْمِينَ . وسيذكر هنا سبعة عشر نبيًا غير إبراهيم عليه السلام ، أحسنوا أداء الرسالة فأحسن الله لهم الجزاء ، وخلّد ذكرهم ومآذرهم ، ومثل ذلك الجزاء الحسن . يجزى الله به كل محسن ، قال تعالى: طَلْ جَزَاءُ الإخْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (الرسن: ٦٠) .

٨٥ – رَزَكَرِيًّا وَيَعْمَى وَعِبَسَى وَإِلَّاسَ كُلِّ مِّن الصَّالِحِينَ . أى وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، فكل واحد من هؤلاء الأنبياء من جملة الصالحين المستقيمين .

٨٦ – رَإِسْمَاهِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ . أَى فضلنا كلَّ واحد من هولاء بالنبوة على سائر العالمين في عصره فالأنبياء أفضل البشر .

والمذكور من الرسل في هذه الآيات من أول قوله تعالى : وتلك حُبِّنَنا ثمانية عشر نبيا هم من الأنبياء الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً وهناك سبعة آخرون يجب الإيمان بهم تفصيلاً ، وقد ذكروا في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، وهؤلاء السبعة جمعهم نظمًا في منظومة فنية في علم التوحيد من قال: ٨٧ - وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَفُرَّيَّاتِهِمْ وَأَخْوَانِهِمْ وَاجْتَيْنَاهُمْ وَهَكَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم . أى ومن آباء هؤلاء الأنبياء وذرياتهم وإخوانهم من هديناه إلى الطريق المستقيم فمن هنا للتبعيض .

وَاجْتَبَيْنَاهُم . أي قريناهم واخترناهم .

٨٨ – ذَلِكَ هُدَى اللهُ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاهُ مِنْ عِادِهِ ... الآية. أي ذلك الاجتباء والهداية والتفضيل المقهوم مما تقدم إنما هو هدى الله ، يرشد إليه من يشاء هدايته من عباده وهم المستعدون لذلك .

وَلَوْ أَهْرَكُواْ لَعَمِطْ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . ولو فرض أن أشرك بالله أولئك المهديون المختارون لبطل وسقط عنهم ثواب ما كانوا يعملونه من أعمال صالحة . فكيف بغيرهم .

قَالَ ابن كثير: في هذه الآية تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم لملابسته، كقوله تعالى: وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلْهُكَ وَإِلَى النَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَيْنَ أَشْرَكُمَ لِيَصْبَعْنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْشَاسِرِينَ . (الزمر: ٢٥).

٨٩- أُوْلَفِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ والْحُكُمْ وَالنُّبُّوَّةَ .. الآية. أولئك: أي هؤلاء الأنبياء المذكورون سابقًا.

الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ . أي جنسه المتحقق في ضمن أي فرد كان من أفراد الكتب السماوية .

والمراد بإيتائه: التقهيم التام لما اشتمل عليه من حقائق وأحكام ، وذلك أعمّ من أن يكون بالإنزال ابتداء أو بالإيراث بقاءً، فإن المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين .

والْحُكَمّ. أي المكمة وهي علم الكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام أو الإصابة في القول والعمل، أو القضاء بين الناس بالحق .

وَالنُّبُوَّةُ . الرسالة .

قَانِ يَكُفُرُ بِهَا مُوْلاًءَ فَقَدُ رُكُلُنا بِهَا قَرْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ . فإن يكفر بهذه الثلاث التي اجتمعت فيك يا محمد هزلاء المستركون من أهل مكة ، فلن يضرك كفرهم ، لاننا قد وفقنا للإيمان بها قرماً كراماً ليسرا بها بكافرين في وقت من الأوقات ، وإنما هم مستمرون على الإيمان بك والتصديق برسالتك وهم أصحاب الذبي صلى المهاجرين والأنصار وقد وفقناهم لحمل الرسالة حتى كأنهم موكلون بها .

٩٠ - أُولِّكِ اللَّذِينَ مَدَى اللَّهُ فَيَهْاهُمْ أَفْتَهِ ... الآية. أي هؤلاء الأنبياء الذين وفقهم الله تعالى إلى
 سنهج الحق والخير فأقتد بهم يا محمد ، وسر على طريقتهم من الترحيد وأصول الدين لأن دعوة
 الأنبياء في أصولها واحدة .

قُل لاَ أَشْلَكُمْ مَلْيَهِ أَجْرًا . أى قل أيها الرسول الكريم لمن بعثت إليهم لا أطلب منكم على ما أدعوكم إليه من خير ، وما أبلغكم إياه من قرآن أجرًا قليلاً أو كثيرًا .

إِنْ مُوَ إِلَّا يُرَخُرُ مِلْمَالُمِينَ . أَى ما القرآن إلا عظة وإرشاد للثقلين : الإنس والجن وهو تذكير للخلق كافة ، الموجودين عند نزوله ومن سيوجد من بعد .

+++

﴿وَمَافَدُوْا اللّهَ حَقَّ فَدْرِهِ عِلِمْ قَالُواْ مَا أَذَلَ اللّهُ عَلَى بَشُرِ مِن شَيْءٌ قُلْ مَنْ أَذَلَ الْكِحَتَبُ الّذِي جَاءَهِ عِمُوسَى فَوْلَا وَتَعْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَقَتُمُ مَا لَتَ مَعْمُونَ مُونَ عَنْ مَوْفَ اللّهِ وَهَا الْكَحَتُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ وَهَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ وَهَا اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ وَمَنْ حَوْلَما وَاللّهِ مَنْ فَوْمَنُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ وَمَنْ حَوْلَما وَاللّهِ مَنْ فَوْمَنُونَ اللّهُ اللّهُ وَمَنْ مَنْ اللّهُ وَمَا اللّهُ عَلَى اللّهُ مَنْ اللّهُ وَمَنْ مَنْ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَمَنْ عَلَى اللّهُ مَنْ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَمَنْ عَلَى اللّهُ وَمَنْ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللل

المفردات

وما قدروا الله حق قدره، وما عظَّموه حق تعظيمه .

قسسراط معين عجمع قرطاس وهو الورق ويقال له قُرطاس وقُرطاس أيضا.

فس خموشهم: في باطلهم.

يسلم عسي ون: يلهون.

أم المسمقمسودى • مكة سميت بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم وأعظم القرى شأذًا ، وقيل: لأنها مكان أول بيت وضع للناس .

السيسترى؛ اختلق والفرية الكذبة.

عسداب السهسون ، أي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدّة وإهانة ، وإضافته إلى الهون لعراقته فيه .

في المنافي و منفردين جمم فرد .

ما خولتاكم: ما أعطيناكم.

وراء ظــهــوركــم ؛ في الدنيا .

تقطع بهتكم، تشتت جمعكم.

شسال عسنسكسم؛ شماع ويطل.

التفسيره

٩١ - وَمَا قَلَرُواَ اللَّهَ حَقَّ قَلْدِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَلَزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن ضَيْءٍ ... الآية.

والمعنى: ما عظموا الله حق تعظيمه، وما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده وفي الرحمة بهم، بل أُخلُّوا بحقوقه إخلالاً عظيمًا، إذ أنكروا بعثة الرسل ، وإنزال الكتب ، وقالوا تلك المقالة الشنعاء ، ما أنزل الله على بشر شيئًا من الأشياء ، قاصدين بهذا القول : الطعن في نبوة النبي ﷺ، وفي أن القرآن من عند الله .

قُلْ مَنْ أَنْزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُلَّى لَلْنَاسِ. أي قل لهم يا محمد ردًا عليهم من الذي أنزل القوراة على موسى .

لُورًا . أي أنزلنا التوراة واضحة في نفسها تضيء للناس طريق العلم .

وُهُدَى لَنَّاسٍ. والتوراة مرشدة للناس إلى الطريق المستقيم وهي هداية تعصمهم من الأباطيل والضلالة.

تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا . أَى تجعلون هذا الكتاب الذي أنزله الله نورًا وهداية للناس

أوراقًا مكتوبة مُفَرَقة ، لتتمكنوا من إظهار ما تريدون منها ، ومن إخفاء الكثير منها على حسب ما تعليه عليكم مصالحكم ، وشهواتكم .

والمراد من هذه الجملة ذم المحرفين لكتب الله وتوبيخهم على هذا الفعل الشنيع.

وَعُلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنْعُمُ وَلا عَابَاوُكُمْ.

قال الشوكاني : والذي عُلُموه هو الذي أخيرهم به نبينا ﷺ من الأمور التي أوحى الله إليه بها، هإنها اشتملت على ما يعلموه من كتبهم ، ولا على لسان أنبيائهم ، ولا علمه آبارُهم .

قُلِ اللَّهُ . أَي أَدْرُلِ الله .

ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ . في باطلهم يصنعون صنع الصبيان الذين يلعبون .

وفی آمره – ﷺ _ بأن یجیب عنهم ، إشعار بأن الجواب متعین لا یمکن غیره ، وتنبیه علی أنهم بهتوا بحیث أنهم لا یقدرون علی الجواب .

ملحق في مكية الآية أو مدنيتها:

للمفسرين في هذه الآية قولان:

الأول أن الآية مكية فسورة الأنعام كلها مكية ، والسياق كله حديث عن المشركين الذين قالوا:
 مَا آنزُلُ اللَّهُ فَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ

وإنما الزمهم الله بإنزال التوارة لأنهم كانوا يعرفون ذلك ولا ينكرون أن الله قد أنزل الثوراة على موسى .

وقد اختار هذا الرأي ابن جرير الطبري وابن كثير .

إلرأى الثانئ أن هذه الآية مدينة ، وكرن سورة الأنعام مكية لا يمنع من وجود بعض آيات مدنية
 منها كما نص عليه كلير من العلماء .

جاء في لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ما يأتي :

أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير مرسلاً قال:

جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف فخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ؛ أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين – وكان حبراً سمينًا – هَغضب وقال: هل أنزل الله على يشر من شيء؟ فقال له أصحابه: ويحك ولا على موسى ، فأنزل الله: وَمَا قَدُرُوا اللهُ حَقِّ قَلْرُه. (١٠٠).

والمتأمل في سياق الآية يجد أن الغطاب كان موجها إلى أهل مكة ، وتفيدنا كُتب علوم القرآن أن المشركين كانوا يلجئون إلى اليهود يسألونهم عن محمد ودينه وربما وجُه اليهود إلى النبي ﷺ أسئلة على لسان المشركين فقد قال اليهود للمشركين ، أسألوه عن الروح وعن ذي القرنين وعن أهل الكفف .

إذا علمنا هذا ترجح لدينا أن الآية مكية وقد التفت الفطاب فيها لليهود باعتبارهم عنصر الشغب الذي يقف وراء مشركي مكة .

«وتوجيه الخطاب إلى اليهود لا يتنافى مع كون الآية مكية ، لأنه ليس بلازم أن يكون كل قرآن مكى خطابًا لغير اليهود. ١٠٠٥.

٣ ٩ - وَهَلَا كِتَبُ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَسُلِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ... الآية .

وهذا القرآن كتاب أنزلناه على قلبك يا محمد وهذا الكتاب من صفاته أنه مُبارَكُ . أي كثير
 الفوائد لاشتماله على منافع الدين والدنيا .

فقد اشتمل القرآن على أشرف العلوم وأكملها وهي معرفة ذات افقه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه كما اشتمل على بيان السبيل إلى طهارة الأخلاق وتزكية النفس ؛ وتشريع العبادات والمعاملات كما يقول الإمام الرازى في تفسيره ، ثم قد جرت سنة افقه بأن الباحث في القرآن والمتمسك به يجعل له عز الدنيا وسعادة الآخرة .

مُّصَلَّقُ الَّذِي يَيْنَ يَعْنَهِ. موافق للكتب التي سبقته في التوحيد وفي تنزيه الله ، وفي أصول المِقائد. وَ تُشَادُ أَمُّ اللَّذِي وَمَنْ حَمَّلُهَا .

أى ولتنذر بهذا الكتاب أُمُّ القُوَى : مكة وَمَنْ حَوَلَهَا : من أَطراف الأرض شرقا وغربنا لعموم بعثته - ﷺ – قال تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْ حَبَّا إِلَىكَ قُرْءَانَّ عَرَبِيًّا لَتُسْرَرُ أَمُّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وتُسْرَدَ يُومُ الْحَمْعِ لاَ رَبِبَ فِيهِ . .

وسميت مكة بأم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس ، ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومكان حجُهم ، ولأنها أعظم القرى شأنا وغيرها كالتبع لها ، كما يتبع الغرع الأصل . وقد ثبتت عموم بعثته ﷺ بالكتاب والسنَّة وإجماع الأمة .

قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَأَفَّةٌ لَّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَلْبِيرًا ... الآية . (سبأ : ٢٨) .

وروى البخارى أن رسول الله ﷺ قال:

أعطيت خمسًا لم يعطهنٌ نبيٌ قبلي :

۱ -- نصرت بالرعب مسيرة شهر .

٢ - وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورًا .

٣ – وأحلَّت لى الغنائم .

£ - وأعطيت الشفاعة .

وأرسل كل نبى إلى قومه خاصة ويعثث إلى الناس عامة.

وقد أجمعت الأمة الإسلامية على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم.

قال السيد رضيد رضا في تفسير المنار: « وزعم بعض اليهود المتقدمين وغيرهم أن المراد بمن حولها بلاد العرب، واستدلوا به على أن بعثة النبي ﷺ خاصة بقومه من العرب، والاستدلال باطال وإن سلّم التضميمن المذكور فإن إرساله إلى قومه لا ينافي إرساله إلى غيرهم، وقد ثبتت عموم رسالته من آيات أخرى . ا. ه.

وإذا تأملت وجدت أن النبى ﷺ ذكر لقومه عندما جمعهم أنه رسول الله إليهم خاصة وإلى الناس عامة.

ومن الأبلة على عموم رسالته قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا رَحْمَةَ لِلْعَالَمِينَ ... (الأنبياء:١٠٧).

وَاللَّذِينَ يُوْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ يُوْمُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِقُونَ . أَى والذين يرُمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب يؤمنون بهذا الكتاب الذي أنزله الله هداية ورحمة لأن من صدَّق بالآخرة خاف العاقبة، وحرص على العمل المسالح الذي ينفعه .

وُهُمْ كُلِّي صَلاَمِهِمْ يُحَافِظُونَ . أي يؤدونها في أوقاتها مقيمين لأركانها وآدابها في خشوع واطمئنان، وخصت الصلاة بالذكر لكونها أشرف العبادات وأعظمها خطرًا بعد الإيمان .

فهي عماد الدين ، وسبيل إلى طهارة النفس ونظافة القلب وهي الصلة بين المؤمن وريَّه ، قال

تعالى: اثلُ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةِ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُعَكَرِ وَلَذِكُرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعَسَّمُونَ .. (العنتيوت: ٤٤) .

٩٣ - وَمَنْ أَظْلُمْ مِمَّنِ الْفَرَى عَلَ اللَّهِ كَلِبًا ... الآية .

قال الإمام الشوكاني في فتح القدير:

أى كيف تقولون ما أنزل الله على بشر من شيء ، وذلك يستلزم تكذيب الأنبياء ، عليهم السلام، ولا أحد أظلم ممن افترى على الله كنبًا ، فزعم أنه نبي، وليس بنبي، أن كذب على الله في شيء من الأشياء.

أَوْ قَالَ أُوحِمَ إِنَّى وَثَمَ يُوحَ إِلَّهِ هَيْءٌ . أَو ادعى نزول الوحى عليه ، ولم ينزل عليه شيء ، وقد صان الله أنبياءه عما تزعمون عليهم ، وإنما هذا شأن الكذابين رءوس الضلال ، كمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسيّ وسجاح .

وَمَن قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا آنَزَلَ اللّهُ. أَى ولا أحد أطلم – أيضًا – ممن قال بانى قادر على أن أنزل قرآنًا مثل الذى أنزله الله ، كالذين حكى القرآن عنهم : وَإِذَا تُعْلَى مَلْهِم ءَايَاتُنَا قَالُواْ قَد سَمِعْنَا لُوْ نَشَاءُ لُقُلْنَا مِثْلَ مَذَا إِلاَّ مُذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوْلِينَ ... (الأندان ٢٠١) .

وهدهات أن يكون لأحد قدرة على الإنتيان بمثل القرآن فليس هى مقدور بشر أن يأتى بمثله قال تعالى : وَلَوْ كَانَ مِنْ صِدِ خَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْطِلاَلًا كَيْمِرًا . (النساء : 1/). وقال سبحانه : قُلِ لُّينِ اجْتَمَعَتِ الإِسُ وَالْحِنُّ عَلَى أَن يَالُّواْ بِحِفْلِ هَلَا الْقُرْمَانِ لاَ يَأْلُونَ بِمِنْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْشَهُمْ لِيُعْمَى طَهِيرًا . (الإساء : 1/4)

وَلُوْ تَوَى إِلِّهِ الطَّالِمُونَ فِي مُفَوَاتِ الْمُوتِ. أى ولو ترى أيها الرسول الكريم أو أيها العاقل حالة أولئك الظالمين وهم في غمرات الموت أى في شدائده وكرياته وسكراته لرأيت شيئًا فظيمًا هائلا ترتعد منه الأبدان ، هجواب الشرط محذوف .

وَالْمَلَاكِكَةُ بَاسِطُواْ أَنْدِيهِمُ أَخْرِجُوا أَنْفَسُكُمُ . أى والملائكة الموكلون بقيض أرواحهم باسطوا أيديهم إليهم بالإمانة والعذاب قاتلين على سبيل التوبيخ والزجر: أخرجوا إلينا أرواحكم من أجسادكم وسلموها إلينا .

وقبل المسى : أخرجوا أنفسكم من هذه الغمرات التى وقعتم فيها ، أو أخرجوا أنفسكم من أيدينا وخلصوها من العذاب . وفى آية أُخرى يقول الله تعالى : وَأَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَلَّى الَّذِينَ كَفُرُواْ الْمَلاكَكَةُ يَشْرِيُونَ وَجُوهُهُمْ وَأَنْبَارُهُمْ. (الأنفال : ٥٠) .

الُوْم تُعْوَرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بَمَا كُسَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْعَقُ وَكُسُمْ عَنْ عَائِمِ مُسْتَكُبُرُونَ . أى تقول لهم الملائكة اليوم تجزون عذاب الذل والهوان بسبب أنكم كنتم فى دنياكم تفترون على الله الكنب فتتكرون إنزال الله كتبه على رسله ويسبب ادعائكم أن لله شركاء ، ويسبب إعراضُكم عن التأمل فى آيات الله ويسبب إعراضُكم عن التأمل فى آيات الله ولترون جزاء وفاقًا .

٩٤ – وَلَقَدْ جِعْمُونَا فَرَادَى كُمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ ... الآية. من شأن القرآن أن ينقل المشاهد إلى ما يريد عرضه أمامه أنه واقع مشاهد .

فالآية السابقة عرضت مشهد الملائكة وهي تستخرج أرواح الظالمين.

وهذه الآية نقلت المشاهد إلى مشاهد القيامة وقد بعث الله الظائمين فرادى مجرَّدين من أموالهم وسلطانهم وأملهم وأولادهم .

ومضمون الآية :

ويقول الله للظالمين: ولقد جثتمونا للحساب والجزاء منعزلين ومنفردين عن الأموال والأولاد وعن كل ما جمعتموه في الدنيا من متاع . أو منفردين عن الأصنام والأوثان التي زعمتم أنها شفعاؤكم عند الله .

كما أوجدناكم - في أول حياتكم الأولى - بدون مال ولا متاع ولا ولد.

وَتَرَكَّتُم مَّا حَوَّاتَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ . أي وتركتم ما أعطيناكم من النعم في الدنيا ، ولم تحملوا منها معكم شيئًا.

وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءُكُمُ اللِّينَ زَعَنَمُ أَلَّهُمْ لِيكُمْ شُرَكُاءُ أَى ويقال لهم توبيخًا وتقريمًا على شركهم: وما نبصر معكم من زعمتم أنهم سيشقعون لكم عند الله تعالى من الأوثان والأصنام الذين توهمتم أنهم شركاء لله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة . منكم كما يستحقها الله تعالى - وقد حكى القرآن عن المشركين قولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَ لِكُمْ إِلاَ لِكُونُ إِنْ اللّهِ زُلْقَى . (الزمر: ٣) .

اكنهم لم يجدوا أثرًا للأصنام، ولا لشفاعتهم ولا لعبادتهم لهم.

لَّقَد تَّقَطُّعُ يَنْكُمُّ . أي انفصمت الروابط بينكم ، وتشتت جمعكم

وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَرْعُمُونَ . أى ذهب وضاع عنكم ، ما كنتم تزعمون في الدنيا ، من أن الأصنام شفعاء لكم عند الله ، ومن أنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب .

* * *

﴿ إِنَّ اللهُ فَالِقُ الْمَتِ وَالنَّوَى لَّ يُعَرِّجُ الْمُعَ مِنَ الْمَتِيتِ وَعُمْجُ الْمَتِيتِ مِنَ الْحَيْ ذَلِكُمُ اللهُ فَالَّذَ تُوْفَكُونَ اللهِ عَلَيْ اللهَ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ وَهُوالْذِى جَمَلَ النَّكُمُ النَّجُومَ لِلْهَتَدُوا بِهِ فِي ظُلْمُنتِ الْبَرُ وَالْبَحْرُ قَدْ فَصَلَّنَا الْاَيْمِ اللهِ عَلَيْمُ اللَّهُ وَالْبَحْرُ قَدْ فَصَلَّنَا الْاَيْمِ اللهِ عَلَيْمُ اللهُ وَالْبَحْرُ قَدْ فَصَلَّنَا الْاَيْمِ وَهُوالْذِى جَمَلَ لَكُمُ النَّجُومَ لِلْهَتَدُوا بِهِ فِي ظُلْمُنتِ الْبَرُ وَالْبَحْرُ قَدْ فَصَلَّنَا الْاَيْمَ وَهُوالْذِى الْمَنْ السَّمَةِ مَنَّ فَصَلَّمَ اللهُ وَالْبَحْرُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ الل

المقردات ،

هــالــــق ؛ الفَلْق؛ الشق.

المستمسوي، ما في داخل الثمرة؛ تمراً أو غيره.

يخرج الحي من الميت: يخرج النبات الحي من التربة الميتة، والزرع من الحب، والشجر من النوى .

تـــؤهـــكــون: أي تصرفون يقال أفكه عن الأمر يأفكه أي صرفه عنه إلى غيره.

هالى الإصباح ، الإصباح في الأصل مصدر أصبح سمى به الصبح، وفائق الإصباح أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو عن بياض النهار.

سحك السكن كل ما يسكن إليه ويؤنس به، والسكن الرحمة.

حسب بالباء مصدر حسب أي يحسب بهما الأوقات.

همستقرومستودع : أى ذلكم استقرار فى الأصلاب، أو فوق الأرض، واستيداع فى الأرحام أو تحت الأرض .

خُطْ رأا: أي شيئا أخضر، يقال هو أخضر وخضر.

متراك با الى بعضه فوق بعض.

قبيت وهو كالعنقود للعنب.

داني التناول.

مشتبها وغير متشابه، بعضه متشابه في الهيئة والطعم، ويعضه غير متشابه.

إذا أشـــمـــــا إذا أخرج ثمره صغيرًا.

ويسط معدما ينضج.

التفسيره

٩٥ - إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنُّوَى ... الآيـة .

تستعرض الآيات دلائل القدرة الإلهية، وآثار رحمة الله في إعمار الكون، وسوق المطر وإنبات النبات وتسخير الشمس والقمر، وهذه من لطائف القرآن وخصائصه، فهو لم يجمع الآيات الكونية في سررة واحدة، وإنما كان يتخلل حديثه لفت الأنظار إلى آثار القدرة، ونحن في الآيات السابقة شاهدتا أملة الوحداينة، ونفى الشركاء، وتفرد الإله بالألوهية.

وهنا نجد أدلة القدرة والعظمة، وبيان أن وراء هذا الكون البديع بدًا حانية تصفظ توازنه، وتمدّم بعقومات الحياة وبصنوف النعم. قال تعالى: وَمَا بِكُم مِّن نَّعَمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّا مَسَّكُمُ المُثَرُّ وَإِلَيْهِ تَجَأَرُونَ ... (الدمل: ٣٠).

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبُّ وَالنَّوَى .

إن الله رحده هو الذي يشق الحبة اليابسة كالحنطة فيخرج منها النبات الأخضر النامي، وكذلك الزروع على اختلاف أصنافها والله وحده هو الذي يشق النواة الصلبة فيخرج منها النخلة والشجرة النامية. وفي ذلك أكبر دلالة على قدرة الله التى لا تحدّ وعلي أنه هو المستحق للعبادة لا غيره.

ونجد عجائب في طبيعة الشجرة أو النخلة.

كما يذكر الإمام فخر النين الرازي في تفسير الآية قائلاً:

إنه إذا وقعت الحبة أو النواة في الأرض الرطبة ثم مربها قدر من الماء أظهر الله تعالى في تلك الحبة والنواة من أعلاها شقا ومن أسقلها شقا آخر، فالأول يخرج منه الشجرة الصاعدة إلى الهواء، والثاني يخرج منه الشجرة الهابطة في الأرض. وهنا عجائب.

لأن الذي يغومن في الأرض أطراف بسيطة في غاية الدقة واللطاقة، ولكنها تفوص في الأرض الصلبة بقدرة الله العزيز المكيم. لتكون الجذور التي تثبت الشجرة أمام الأعاصير والرياح.

وفى تكوين الورقة الواحدة وما فيها من عروق وأوتار دليل من دلائل القدرة الإلهية. وكل ذلك إنما ظهر من كيفية خلقه تلك الورقة من الحبة والنواة.

يُخْرِجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيَّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيَّتِ مِنَ الْحَيِّ.

أي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات والشجر مما لا ينمو كالنطفة والحبة.

وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ.

فهو يضرج الضلايا الميتة من النبات والحيوان، كما يضرج الأظافر والشعر. ويقايا الغذاء من الضلايا الحية من الإنسان والحيوان، وحينما يموت النبات والحيوان والإنسان، تتحلل أجسامها جميعا فتعود إلى العناصر الترابية التي كانت قد تكونت منها وهي بضعة عشر عنصرًا على اختلاف في النسب بين الحيوان والنبات.

ذَلْكُمُ اللَّهُ .

أى مناتع ذلك الصنع العجيب هو الله ذو القدرة العجيبة، المستحق للعبادة دون سواه.

فَأَنِّي تُوثَفَكُونَ.

فكيف تُصرفون عن الحق مع ما ترون من كمال قدرته ويديع صنعه؟.

وكيف تصرفون عن عبادة الله إلى عبادة آلهة أخرى؟

٩٦ - فَالنُّ الإصْبَاح.

أي فالق ظلمة الإصباح وهى الغبش عن بياض النهار حيث يضيء الوجود، ويستنير الكون ويستفيد الناس من ظلام الليل بالهدوء والسكن، ومن نور النهار بالسعى والعمل.

وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَّنَا.

يسكن فيه الناس عن الحركة في معاشهم، ويستريحون من التعب والنصب.

وَالشُّمُّسَ وَالْقَمَرَ حُسَّبَانًا.

أى وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب مقدر لايتغير ولا يتبدل ويهما تحسب الأوقات، التي ترّدي فيها العبادات والمعاملات.

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

أى ذلك الذي تقدم من ظهور الإصباح ، وجعل الليل سكنا والشمس والقعر حسبانا جار وحاصل، بتقدير الأفريز. الذي أحسن كل شيء خلقه وأبدع تصويره.

الْعَلِيمِ. الذي وسع علمه كل شيء فالا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وقد وردت هذه الخاتمة كثيرًا في القرآن، بعد ذكر خلق الليل والنهار والشمس والقمر مما يدل دلالة واضحة. على أن نظام هذه الأفلاك والشمس والقمر والنجوم والكولكب والفضاء والهواء والليل والنهار من أقوى الأدلة على سعة علم الله وعظيم تدبيره.

وقد بين الإمام الرازى في تفسيره الكبير: أن في الآية أنواعًا من الأدلة على وجود الصانع وكمال قدرته، منها فلق الحب والنوى، ومنها حركة الأفلاك التي ينتج عنها فلق ظلمة الليل بنور الصبح، وهذه أعظم في كمال القدرة من فلق الحب والنوى، لأن الأحوال الفلكية أعظم في القلوب وأكثر وقعًا من الأحوال الأرضية.

٩٧ - وَهُوَ الَّذِي جَمَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْمَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْهِرِ وَالْبَحْرِ ... الآية .

هذا لون من ألوان قدرته تعالى وأنعمه على عباده ومعنى الآية:

وهو الذي جعل وأنشأ لكم هذه الكراكب النيرة لتهتدرا بها إلى الطرق والمسالك خلال سيركم في ظلمات اللهل بالبر والبحر حيث لاترون شمسًا ولا قمرًا .

ومن آثار النجوم، أنها زينة للسماء وأيضًا هى رجوم للشياطين وشهبًا تقذف بها الجن قال تعالى: إِنَّا زَيِّنَا السَّمَاءَ اللَّهُمَّا وَلَيْهِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطُونَ مِلْرِهِ * لاَ يُسْتَعُونَ إِلَى الْمَلاِ الأَعْلَى وَيُقَلَّفُونَ مِن كُلِّ جَابِ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبْ * إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْحَظْفَةَ أَلْتَكُمْ شِهَابُ ثَاقِبَ وقال عز شأنه: وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنيَا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلسَّياطِين ... (الملك: ٥).

قَدْ فَصَّلْنَا الأَيَّاتِ لِقُوْم يَعْلَمُونَ.

أى: وقد وضحنا وبينا الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى ، ورحمته بعباده ، لقوم يعلمون وجه الاستدلال بها ، فيعملون بموجب علمهم ، ويزدادون إيمانًا على إيمانهم .

٩٨ - وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن لَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ... الآية .

أى وهو سبحانه الذي أوجدكم من نفس واحد هي نفس أبيكم آدم عليه السلام قال تعالى:

يَا أَلِّهَا النَّاسُ اللَّهُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَفَكُمَ مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثْ مِنْهُمَا رِجَالاً كَلِيراً وَيِسَاءً... الآية. (النساء: ١) .

وفى هذه الجملة تذكير بنعم الله على خلقه فإن رجوع الناس إلى أصل واحد أقرب إلى التواد والتراحم.

وفي خطبته على في حجة الوداع إشارة إلى هذا المعنى حيث قال ﷺ:

«أيها الناس إن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

وقىال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا تَحَلَقَنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأَلْغَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِل لِتَعَارُلُوا إِنَّ أَكُرُمُكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَّقَاكُمْ إِنَّ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ... (المجواد: ١٣) .

فَمُسْتَمِّرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ : أي فلكم مستقر على ظهر الأرض، ومستودع في باطن الأرض.

وقيل المستقرُّ ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب.

٩٩ - وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاعْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ... الآية .

هذا تذكير بنعمة أخرى من نعم الله الجليلة، الدالة على كمال قدرته.

والمعنى: وهو سبحانه الذى أنزل من السحاب ماءً فأخرجنا بسبب ذلك كل صنف من أصناف النبات والثمار الممتلفة في الكم والكيف والطعوم والألوان . قال تعالى: وَفِي الْأَرْضِ قِطْعُ شَجَارِوَاتٌ وَجَنَّاتٌ مَنْ أَعَابٍ وَزَرَعُ وَنَخِيلٌ صِنْوَانَ وَغَيْر صِنْوَانِ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدِ وَلَفَشَلُ بُعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي الاُكُولِينُ فِي ذَلِكَ لاَيَّاتِ لَقُومٍ يَشْلُونَ.. (الدحد: ٤) .

فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا.

هذا تفصيل لأنواع مًا يخرج من الأرض، أي فأخرجنا من النبات الذي لا ساق له، نباتًا غضًا أخضر، وهو ما تشعب من أصل النبات الشارج من الحيّة.

تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَوَاكِبًا.

أى نخرج من ذلك النبات الأخضر حبا ركب بعضه فوق بعض كما في السنبل من القمع والشعير.

وَمِنَ النَّخُلِ مِن طَلْعِهَا لِنُوَانَّ دَانِيَّةً.

الفُّلُغ : أول ما يخرج ويبدو من ثمر النخل كالكيزان، أي ويخرج بأمر الله تمالي من طلع النخل عنوقه وهي عناقيد البلح .

والقنوان جمع قنو وهو العرجون بما فيه الشماريخ، والدانية القريبة التي ينالها القائم والقاعد.

قال الزجاج: المعنى منها دانية، ومنها بعيدة، فحذف الثانية.

وفي التفسير الوسيط: أي : ومن طلع النخل، قنوان يحمل تعرها ويكون في متناول الأيدي وهو الداني القريب، أن في غير متناول الأيدي وهو البعيد، ونبه على الأولى لزيادة النعمة فيها.

وَجَنَّاتِ مِّنْ أَعْنَابِ.

هذه الجملة معطوفة على نَبَات كُلِّ شَيْء.

أي فأخرجنا بهذا الماء نبات كل شيء وأخرجنا به جنات كائنة من أعناب.

والتمر والعنب هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز وريما كانا خيار الثمار في الدنيا، قال تعالى: وَجَمَلُنَا فِهَا جَنَّاتٍ مَّن نُجِيلٍ وَأَعَنابٍ. (يس: ٣٤)

وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْعَبِهًا وَخَيْرَ مُعَشَابِهِ.

أى وأخرجنا الزيتون والرمان متشابها في المجم واللون وغير متشابه في الطعم. مما يدل على كمال القدرة وحكمة المهدع الخالق جل جلاله.

الظُّرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ.

أى انظروا نظر اعتبار إلى ثمر الزيتون والرمان إذا أخرج ثمره، كيف يخرجه ضنئيلاً لايكاد ينتفع به، وإلى يُعْمِد أى وإلى حال إدراكه ونضجه حيث يصبح ذا نفع عظيم واذة كاملة وملاءمة للجسم كل الملاءمة.

إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لِأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ.

إن فيما ذكرنا من أنواع النبات والثمار وفيما أمرتم بالنظر إليه لدلائل عظيمة على وجود القادر الحكيم، لُقُوْم يُوامِّونُ . ويصدقون أن الذي أخرج أنواع النهات والثمار المشاهدة أمامكم قادر على البعث والنشور وإحياء الموتى للحساب والجزاء.

قال تعالى:

وَمِنْ عَايَاتِهِ أَلْكَ تَرَى الأَرْضَ حَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَكَ عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزْتَ وَرَاتْ إِنَّ الَّذِي أَحَيَاهَا لَمُحْي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلُّ هَيْءِ قَلِيرُ. (هسلت: ٣٩).

* * *

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكًا ۚ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُم ۗ وَخَوْلُالُهُ بَنِينَ وَبَنَاتِمٍ بِغَيْرِعِلْمِ سُبْحَسَنَهُ وَتَعَلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۖ ۞﴾

المفرداتء

العسن المراد بهم الشياطين ، أو ما يعمهم والملائكة .

وخسرهوا : أي اختلقوا، وافتروا.

التفسيره

١٠٠ - وَجَعَلُواْ لِلَّهِ هُرَكَاءَ الْجِنِّ...الآية .

عدد الله سبحانه وتعالى فيما سبق عددًا من أنعمه على عباده التى تقتضى الاعتراف له بالألوهية، وتفرّده سبحانه عن الشريك، لأنه هو الذي يخلق وينعم وحده .

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ .

أى جعلوا الجن شركاء فله فعيدوهم وعظموهم كما عيدوه تعالى وعظموه.

و في المراد بالجن هنا أقو ال:

الأول : الملائكة حيث عبدوهم وقالوا إنهم بنات الله وتسميتهم جنًا مجازًا لاستتارهم عن الأعين كالجن .

الثاني: أن المراد بالجن هذا الشياطين، حيث أطاعرهم كما يطاع الله.

الثالث: أن المراد بالجن هنا إبليس فقد عبده قوم وسموه ربًّا ومنهم من سماه إله الشر والظلمة وخص البارى بأنَّه إله الغير والنور.

وقد تكون العبادة حقيقة وقد تكون مجازًا قال تعالى:

أَلَمْ أَطَهَدُ إِلَكُمْ يَابَعِي عَادَمَ أَن الْأَصْدُوا الشَّيْطَان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُو تُعِينٌ ه وَأَن اعْدُولِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. (س : ١١٠٦٠). * مَنْقَفْتُ

أي اتخذوا له سبحانه شركاء، وقد خلقهم وحده فلا يصبح أن يعبد سواه.

وجملة رَخَلَقُهُمْ. حال من فاعل جعلوا أي وجعلوا لله شركاء الجن والحال أنهم قد علموا أن الله وحده مو الذي خلقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق.

وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَيَنَاتٍ بِغَيْرٍ عِلْمٍ.

أى واختلقوا وافتروا فله سبحانه بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقوابن، بل عن جهل خالص بافله وبعظمته، إذ لا ينبغى ما دام إلهًا أن يكون له بنون وبنات أو صاحبة أو أن يشاركه أحد في خلقه، فلا يحوز أن ينسب إليه تعالى إلا ما قام الدليل على صحته.

وفي هذا تنبيه على تنزيه الله تعالى عن افتراء المفترين حيث ادعى المشركون أن الملائكة بنات الله، وادعى اليهود أن عزيرًا ابن الله، وادعت النصاري أن المسيح ابن الله.

سُيْحَالَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ.

سُبْحَالُه. أي تنزيها له وتقديسًا

وَتَعَالَى. أي تباعد وارتفع عن قولهم الباطل

عَمَّا يَصِفُونَ. عما يصفه به هؤلاء الضالون من الأنداد والأولاد والنظراء والشركاء.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَنَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَنَّ يَكُونُ لُهُ وَلَدُّ وَلَدَّ تَكُنُ لَهُ صَنَحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيَّ وَهُو يِكُلِّ شَىّ هِ عَلِيمٌ ۞ ذَلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَهُ إِلَّهُ مِنَّ خَلِقُ كُلِ شَيِّ وَ فَاعْبُدُوهُ عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَا تُدَّرِكُ ٱلاَبْصَدُرُوهُ وَيُدْرِكُ ٱلاَبْصَدَرُ وَهُو ٱللَّا مِسَدَّرُ وَهُو ٱللَّطِيفُ المَيْبِدُ ۞﴾

المفردات

بيديج السموات والأرض: منشتهما ابتداءً من غير مثال سبق وهو صيغة مبالغة. من بدعه؛ بمعنى: اخترعه. أنسى يسكسون شمة وشمه، من أين يكون له ولد. أو كيف يكون له ولد؟

مستحسيسة، زيمة

وكسسميه مسلسل اتستعمل هذه الكلمة بمعنى: حفيظ ويمعنى: من يوكل إليه الأمر، ومن يتولاه. وكل تصم إرادته هذا.

لاتسدركسة الأيصسار؛ إدراك الشيء؛ الوصول إليه، والإحاملة به.

الأبعم مسلم النظر والإبصار على النظر والإبصار النظر وقد يطلق على العين. لأنها معل النظر والإبصار المسلم على النظر والإبصار النظر والإبصار المسلم على النظر والمسلم على

التفسيره

١٠١ -- بَلِيعُ السَّمُواتِ وَالأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لُهُ صَاحِبَّةً... الآية. الله سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق ولابثريك يعينه.

أَنِّى يَكُونُ لُهُ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبٌّ. أَى كيف يكون له ولد كما يزعمون، ولم تكن له زوجة يأتى منها الولد.

وَخَلَقَ كُلَّ هُيَّءٍ أَى وخلق كل شيء من الموجودات، ومنهم الملائكة والمسيح وعزير.

وَهُوْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. أى عالم بكل المعلومات، لا تخفى عليه خافية، وقد وسع علمه جميع الهخلوةات.

و في الآية دليل على نفي الولد عن الله تعالى من وجوه :

- ١- أن الله هو خالق السماوات والأرض، ومن كان كذلك لايصع أن يكون له وله، لأن ما ادعوه ولئاً،
 لا يقدر على مثل ذلك، ومن شأن الولد أن يكون قادرًا على مثل ما يقدر عليه أبوه.
 - ٢ من شأن الولد أن يتولد من ذكر وأنثى متجانسين، والله تعالى ليس له زوجة.
- ٣ إن الله وحده هو العليم بكل خلقه، وما زعموه ولدًا ليس كذلك. فلا يصلح أن يكون ولدًا لله. لأنه فقد صفته، وهي العلم بكل شيء.
- ١٠٧ ذَلِكُمُ اللَّهُ رُبُكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاصْدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. أَى ذلكم المتصف بالأوصاف العلية السابقة هو ريكم لا ربّ لكم غيره.
 - لاً إِلَّهُ إِلاَّ هُو . هو الإله المستحق للعبادة وحده لا من زعمتم من الشركاء.
- عَالِقُ كُلَّ شَيْءٌ فَاشْلُوهُ. هِ الصَالَق لكل شيء، أي ما كان منه وما يكون، وإذا كان الأمر كذلك فاعبدوا الله وحده غير مشركين به ولا متخذين له ولدًا.
- وَهُوَ عَلَى كُلُّ هُيْءٍ وَكِيلٌ. أَى وهو مع تلك الصفات الجليلة، رقيب على عباده حفيظ عليهم يدبر أمورهم، ويمسك بنظام هذا الكون كله بما فيه ومن فيه ليعصمه من الخلل قال تعالى: إِنَّ اللَّهُ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَوْضَ أَن تُوَولاً وَقِين وَالْعَارِهُ أَصْمَكُهُمَا مِنْ أَحَوْمِ نَ بَعِدِهٍ إِنَّهُ كَانَ خَيِمًا غَلُورًا. (فاطر: ٤١).
- ١٠٢ لا تُشْوِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُو يُهْرِكُ الأَبْصَارُ وَهُو الشَّطِفُ الْخَبِيرُ. أي لاتبلغ كنه حقيقته الأبصار، فالمنفى هو الإدراك والإحاطة به، ويراه المؤمنون في الآخرة لقوله تعالى: وُجُوهُ يُؤمنِدٍ نُاصِرَةُ * إِلَى رَبَهَا كَاظِنَهُ ... (القيامة ٢٢ ٣٧).
- وقد استدل المعتزلة بالآية ١٠٣ من سورة الأنعام هذه على امتناع رؤية البشر لله تعالى في الأخرة.
- أما أهل السنة. فيرون أن رؤية الله تعالى ممنوعة فى الدنيا لأن عيوننا فانية والله باقروالفانى لا يرى الباقى فإذا كان يوم القيامة ودخل المؤمنون الجنة منحوا أبصارًا باقية، وكانت رؤيتهم لله تعالى رؤية تكريم وإنعام، وقد ثبتت بالكتاب والسنّة.
- قال الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير: والرؤية في الآخرة قد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواترًا لاطك فيه ولا شبهة.

وقال الإمام ابن كثير : تواترت الأخبار عن النبى ﷺ أن المؤمنين يرون الله فى الدار الآخرة فى العرصات وفى روضات الجنات .

وقد روى الشيخان عن جرير بن عبد الله البجلي قال:

كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر وقال: إنكم سترون ريكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غرويها خافعلوا. ثم قراً وُسَّمِّ وُبَكِّهُ بِلِّكُ قَبِلُ طُلُوع الشَّمْسِ وَلَبِلِ الفُرْوبِ(١٠٠٠.

وأرى أن المكلف يكفيه أن يؤمن بالله ربا وخالفًا ورازقًا وأن يؤمن بأنه متصف إجمالاً بكل كمال ومنزه إجمالاً عن كل نقص، أما الغلاف حول نفى الرؤية أو ثبوتها، وأشهاه ذلك فيكفى المسلم فيه تغويض الأمر إلى الله تعالى ويكفيه أن يقول كما قال القرآن الكريم وَاثنًا بِهِ كُلِّ مَنْ عِبْورَبّنَا وَمَا يَذَكُرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلُهِابِ (ال عمران: ٧).

* * *

﴿ فَدْجَاءَكُمْ بَصَآرُ مِن زَيْحُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِةِ وَمَنْ عَمِى فَمَلَيْهَ أَوَمَا أَذَا عَلَيْكُم عِفِيظِ اللهِ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ آلْآينتِ وَلِيقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنَيْيَنَمُ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ اللهُ مَا أَوْجِي إِلَيْكَ مِن ذَيِكَ لاَ إِلَهُ إِلَّا مُؤْوَا عَرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ اللهُ وَلَوْشَاءً اللهُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِم وَكِيلِ اللهِ اللهُ اللهُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِم وَكِيلِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِم وَكِيلِ اللهُ اللهُ

المضردات:

بم النفس والقلب أما البصرة وهي: النور الذي تبصر به النفس والقلب أما البصرة فهو نور العين. وأطلقت البصائر على آيات القرآن، تشييهًا لها بها، في إظهار الحق.

تعسرها الأسسات، نبينها أو ننقلها من نوع إلى نوع، مأخوذ من الصرف والتصريف وهو نقل الشيء من حال إلى حال.

درست الكتب الإلهية المتقدمة .

مستسمي كأساء حارسًا من حفظه بمعنى حرسه .

التفسيره

١٠٤ - قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِكُمْ فَعَنْ أَبْصَرُ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِى فَعَلَيْهَا ... الآية. أى قد جاءتكم حجج ويراهين واضحة من عقلها أبصر الحق، وذلك فيما أورده القرآن في هذه السورة وفي غيرها.

قال الدكتور عمد سيد طنطاوى في تفسير الآية: البصائر جمع بصيرة وهي للقلب بمنزلة البصر للعين، فهي النور الذي يبصر به القلب، كما أن البصر هو النور الذي تبصر به العين، والمراد بها آيات القرآن ودلائله التي يغرق بها بين الهدى والضلالة، أي قد جاءكم أيها الناس من ريكم وشالقكم هذا القرآن بأياته وحجمه وهداياته لكي تعيزوا بين العق والباطل، وتتبعوا الصراط المستقيم ١٠٠١.

فَمْنْ أَهْمَرَ فَلِنَفْسِهِ. أى فمن أيصر الحق وعلمه يواسطة تلك البصائر وأمن به فنفع ذلك راجع لنفسه عائد عليها، إذ أنه بذلك يرزق سعادة الدنيا، والنجاة في الأهرة.

وَمَنْ صَمِي فَعَلَهَا. ومن تعامى عن الحق، ولم يذعن للحجة ولم يتعقلها، فضرر ذلك عائد على نفسه، راجع إليها إذ أنه سيعاقب على ذلك، بالحذاب في نار جهنم.

وقريب من هذه الآية قوله تعالى: إِنْ أَحَسَنَعُمْ أَحَسَنَعُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَائَمُ فَلَهَا ... الآية (الإسراء: ٧). وقوله عز شائد: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ... الآية (فسنت: ٤١).

والمتتمت الآية بقوله تعالى: رُمَّا أَلَا مَلِيَّمُ بِسَغِيقٍ. أى است رقيبًا عليكم أحمىى عليكم أعمالكم، وأحفظكم من الضلال وإنما على الهلاغ والإنذان وقد فعلت.

١٠٥ - وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الأَيَاتِ وَلِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنْبَيَّنَهُ لِقُوم يَعْلَمُونَ .

لقد صرف الله في آيات القرآن الكريم، ولوَّن في أساليبه وحججه حيث اشتمل على الوعد والوعيد والوصف وبيان قدرة الله وأدلة عظمته وآثاره في خلق السماوات والأرض وما فيهما. وفي خلق الإنسان والحيوان والنبات وسائر الموجودات.

وَكُلَالِكُ لُهُرِّفُ الآيَات. أى وكما فصلنا الآيات الدالة على التوحيد فى هذه السورة تفصيلاً بديمًا محكمًا، نفصل الآيات ونبينها وننوعها فى كل موطن لتقوم المجة على الجاحدين، وليزداد المؤمنون إيمانًا على إيمانهم. وَلِيُّولُوا فَرُسُّتَ. وسوف يقول المشركين إذا سمعوا هذا البيان إنك يا محمد لم تأت بهذا من عند الله. وإنما درست علم أهل الكتاب وتعلمت منهم . وجعلة . وَلِيُّولُوا فَرَسْتَ. جملة معترضة بين ما قبلها و ما بعدها، للمسارعة إلى تسلية النبي ﷺ عن معارضتهم.

فإن المراد منها ألا يعتدُّ بما يقولون من الأكاذيب والتهم الباطلة.

قال الفرّاء:

وَلْهُولُوا دَرَسْتَ. معناه تعلمت من اليهود لأنهم كانوا معروفين عند أهل مكة بالمعرفة والعلم.

وفي قراءة فَارَسْتُ. بزيادة الألف وفتح التاء أي دارست غيرك ممن يعلم الأخبار الماضية
 كأهل الكتاب من المدارسة بين الإثنين أي قرأت عليهم وقرءوا عليك. وهاتان القراءتان متواترتان.

وَنَشِيَّهُ لِقُومٍ يَسُلُمُونَ. والمعنى ولنبين ونوضح هذا القرآن لقوم يعلمون الحق فيتبعونه والباطل فيجتنبونه، فهم المنتفعون به دون سواهم.

١٠٦ - أبِّعُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبُكَ لاَ إِلَهُ إِلاَّ هُو وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . أمره الله تعالى ألا يشغل خاطره بهم، وألا يبال بافتراتهم وكذبهم، بل عليه أن يشغل نفسه بتبليغ الوحى اعتقادًا وقولاً وعملاً مع الإعراض عن المشركين وجملة لا إله إلا هو معترضة لتأكيد إيجاب الاتباع.

١٠٧ - وَلُوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بَوَكِيلٍ. أى أن الله تعالى قادر على أن يجعلهم كلهم مؤمنين غير مشركين فالأمر بيده، ولكنه تركهم لما يدور عليه أمر التكليف وهو الاختيار.

ولما تركهم لاختيارهم، لم يحسنوا الانتفاع بآياته فتخلِّي عن معونتهم.

وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا. أي رقيبًا يحصى أعمالهم ويجازيهم عليها.

وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلِ. أي قيم بما فيه نفعهم فتجلبه إليهم.

والمراد: دع أمرهم لنا فنحن أعلم بأعمالهم، وأقدر على جزائهم، ولا تشغل نفسك بغير تبليغهم إِنْ غَلِكَ إِلاَّ الْكُرَّغُ. (الشريق: ٤٨٤). ﴿ وَلَا نَسُبُّوا اللَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلَّمِ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أَمَّةٍ عَلَهُ مَلَوْنَ هِنَّ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ لَكُلِّ أَمَّةٍ عَلَهُمْ وَكُمْ أَنَّهُ عَلَيْهُمْ مِيمَا كَافُا يَهْمَلُونَ هُ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَمْدَ أَيْمَنُونَ هُمْ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَمْدَ أَيْمَنُ مَا اللَّهِ عَلَيْهُ مَرَّكُمْ أَنَّهُمَ إِذَا جَمَّةَ لَكُونَ فَي وَنَقَلِبُ أَنْهَا إِذَا مَنْ مَنْ وَنَقَلِبُ أَنْفِ مَنْ مُؤْمَنُونَ هُمْ كُمَا لَا يُؤْمِنُوا إِبِهِ الْوَلَ مَنْ وَوَنَذَرُهُمْ فَي فَا فَي اللَّهُ مَنْ وَنَذَرُهُمْ فَي فَا فَي اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ وَلَاللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُولِلَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُلِمُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ

المفردات

ولا تسيح وا ، السُّب ؛ الشُّتم .

عـــــدوا : اعتداءً وتجاوزا للحق .

جسد أيمانهم ، أي بقدر جهدهم وطاقتهم في أيمانهم .

وتقلب أفئدتهم ، ونحول قلويهم .

ي ع م ه ون : يَتَحِيرُونَ .

التفسيره

١٠٨ - وَلاَ تَسُواً اللَّذِينَ يَدْعُونَ مَن دُونِ اللَّهِ فَيَسُوا اللّٰهَ عَدْوًا إِخْدِ عِلْمِ... الآية . أى: ولاتسبوا أيها
 المؤمنون آلهة المشركين الباطلة، فيترتب على ذلك أن يسبّ المشركون معبودكم الحق جهلاً منهم
 وضلالاً:

سبب النزول،

روى معمر عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أوثان الكفان فيسب الكفّار الله عدوًا بغير علم هنزلت . ١٩٠٨

وقال ابن عباس : قالت قريش لأبي طالب: إما أن تنهى مصدًا وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها، وإما أن نُسُبُ إلهه ونَهُجُورُه فنزات الآية .

قال صاحب الكشاف: فإن قلت سبّ الآلهة الباطلة حق وطاعة، فكيف صح النهى عنه، وإنما يصح النهى عن المعاصى؟ قلت ربُّ طاعة علم أنها تؤدِّى إلى مفسدة، فتخرج عن أن تكون طاعة فيجب النهى عنها لأنها معصية لا لأنها طاعة، كالنهى عن المنكر هو من أجل الطاعات، فإذا علم أنه يؤدى إلى زيادة الش انقلب إلى معصية، ووجب النهى عنه كما يجب النهى عن المنكر.

وقال السيوطي : «وقد يستدل بهذه الآية على سقوط وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا خيف من ذلك مفسدة أقوى. وكذا كلّ فعل مطلوب ترتب على فعله مفسدة أقوى منه».

وقال الشوكاني في فتح القدير: «وغي هذه الآية دليل علي أن الداعي إلى الحق والناهي عن الباطل إذا هشي أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرم، ومخالفة حق ووقوع في باطل أشدٌ، كان الترك أولى به، بل كان واجبًا عليه»(١٠٠)

قَالَ الْقَرَّفِي: قال العلماء وهذه الآية الكريمة حكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في متعة وهيف أن يسب الإسلام أو النبي أو الله تعالى، فلا يحلّ لمسلم أن يسبّ صلبانهم، ولا بينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يرْدي إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على المعصية.

وفي الآية دليل على وجوب سد الذرائع (٢٠٠)

كَذَلِكَ زَيَّا لِكُنُّ أُمَّةً مُعَلِّمَهُمْ. أى مثل ذلك التزيين الذي حمل المشركين على الدفاع عن عقائدهم الباطلة جهلاً منهم وعدوانًا، زينا لكل أمة من الأمم عملهم من الخير والشر، والإيمان والكفر، فقد مضت سنتنا في أعلاق البشر أن يستحسنوا ما تعوَّدوه، وأن يتعلقوا بما ألفوه. قال ابن عباس: زَيْنًا لأهل الطاعة الطاعة، ولأهل الكفر الكفر.

ثُمَّ إِلَى رَبُّهِم مَّرْجِعُهُمْ لِيَسْتُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمُلُونَ. ثم إلى مالك أمرهم رجوعهم بالبعث بعد الموت، فيخبرهم ويجزيهم بما كانوا يعملونه باختيارهم من طاعة أو معصية، وفقًا لما تأثرت به نفوسهم، وكسبته أيديهم من دواعى هذه الأعمال، وهو وعيد بالجزاء والعذاب.

جاء في الفسر الوسيط. بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: وقد دلت الآية الكريمة على أن الأعمال تظهر لبعض الناس في الدنيا بغير صورتها المقيقية التي تكون لها في الآخرة . فالكفر والمعاصى، تبدو في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس الكفرة والعصاة.

والإيمان والطاعات تظهر لديهم فيها على العكس من ذلك ولذا قال ﷺ (حُفُت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات). فإذا بعثوا يوم القيامة عرُقهم الله الأعمال بحقائقها وجزاهم على تقصيرهم، وهذا هو قوله سبحانه.

لُمَّ إِلَى رَبِّهِم مُرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّتُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

٩ - ١ - وَٱقْسَمُوا بِاللَّهِ حَهْدُ أَيْمَالِهِمْ قَيْنِ جَامَتُهُمْ وَاللَّهُ لَوْضُونْ بِهَا.. الآية. أى أقسم أولئك المشركون بالله مجتهدين في أيمانهم مؤكدين إياها بأقصى ألوان التأكيد. معلنين أنهم لئن جاءتهم آية من الآيات الكونية التي المتعددها عليك يا محمد ليؤمنن بها أنها من عند الله، وأنك صادق فيما تبلغه عن ربك.

سبب الترول:

أخرج ابن جرير الطيري بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال: كلّم نفر من قريش رسول الله قفالوا يا محمد: تخبرنا أن موسى كان معه عصما ضرب بها الحجر، فانفجرت منه النتا عشرة عينًا، وتخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا بأية من الآيات حتى نصدًتك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أي شيء تحبون أن آتيكم بهء؟

قالوا : تجعل لنا الصفا ذهبًا، فقال لهم: «فإن فعلت تصدقوني»؛ قالوا نعم، والله لئن فعلت لنتحنك أحمده ث.

فقام رسول الله ﷺ يدعو شجاءه جبريل فقال له إن شئت أصبح الصفا نمبًا على أن يحذبهم الله إذا لم يزمنوا، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فقال ﷺ بل أتركهم حتى يتوب تائبهم، فأنزل الله تمالى قوله:

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَتِن جَاعَتُهُمْ ءَايَةً لَّوْتُبِنَّ بِهَا. إلى قوله تعالى: وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَحَهُلُونَ. (الأنعام: ١١١).

للله إِنَّمَا الأَيَّاتُ عِندَ اللَّهِ. أَى قَلَ لَهُم يَا مَصَدَ إِنْ أَمَرِ الْمَعْجِزَاتِ وَالأَمْوِرِ الخَارِقَةُ لَلْعَادَةَ التَّى اقترحتم الإيمان عقب مجيئها. عند الله لا عندى فهو وحده القادر على الإنتيان بها دوني، وهو سبحانه يأتي بالآيات حسب حكمته ومشيئته إن شاء أتى بها وإن شاء منعها. أما أنا فليس ذلك إلى.

وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَلِهَا إِذَا جَامَتُ لاَ يُوْمُونَ. وما يدريكم أيها المؤمنون الراغبون هي إنزال الآيات والمعجزات طممًا في إيمان هولاء المشركين. أنها إذا جاءت لايصندقون بها !!

فأنا أعلم أنهم لا يؤمنون، وأنتم لا تعلمون ذلك ولذا توقعتم إيمانهم.

قال الزعشرى في تفسير الكشاف: يعنى أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يرْمنون بها وأنقم لا تدرون بذلك. وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيشها.

١١٠ ــ وَتُقَلِّبُ أَلْفِنَتَهُمْ وَأَبْصَارِهُمْ كُمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلُ مَرَّةٍ ... الآية. أى ونحول قلويهم عن الإيمان
 كما لم يؤمنوا بما أنزل من القرآن أول مرة .

جاء في حاشية المباوى على الجلالين: وهو استئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال هو الله لا غيره، فمن أراد له الهدى حرّل قلبه لله تعالى ومن أراد الشقاوة حول قلبه لها.

وقال الشوكاني في فتح القدير : وَنَقَلُّ أَقِيدَتَهُمْ وَأَبْصَارِهُم. معطوف على لاَ يَوْمُنُونَ.

والمعنى: نقلب أفئدتهم وأبصارهم يوم القيامة على لهب النار وحرّ الجمر،

كَمَا لَمْ يُوْمِنُوا : في الدنها .

وَنَذَرُهُم. : أي : تمهلهم ولا تعاقبهم .

فِي ظُفْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ : أي : ونتركهم في ضالالهم يتخبطون ويترددون متحيرين .

وقد دل قوله تعالى: وَلَلْرُهُم فِي طُغَانِهِمَ يَعْمَهُونَ. على أنْ تقليبه تعالى لأفئدتهم وأبعسارهم ليس بطريق الإجبار والقهر، بل بأن يخلَّيهم وما انطوت عليه نفوسهم في الطغيان .

إن الله تعالى ألهم الإنسان رشده ومنحه العقل والإرادة والاختيار، فإذا سار في طريق الغير والحق يسر له ذلك وأعانه وشرح صدره وأمنه بالهدى والتوفيق، وإذا تكبر الإنسان على هداية السماء وأعرض عنها، سلب الله عنه الهدى عقوية على إعراضه فائله لا يظلم أحدًا من خلقه.

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَطْلِمُ النَّاسَ شَيُّنا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. (يونس: ٤٤) .

وقد علم الله منهم البعد عن الاستجابة إلى دعوة الله والبعد عن الإيمان برسوله حتى لو أنزل إليهم ملائكة السماء عياناً، وأحيا لهم الموتى فكلموهم وأخبروهم بصدق محمد، وجمع لهم كل شيء من الخلائق عياناً ومشاهدة وأعطاهم جميع الآيات التى اقترحوها ما كانوا ليرمنوا إلا من سبقت له الهداية والمشيئة من الله بالهداية. قال تمالى: رَلَوْ أَنْنَا نَزْلُنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَاكِكَةَ رَكَلْمَهُمْ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلُ شَيْءٍ فَبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَعْقِلُونَ. (الانساء ١٠١٠).

وهذه الآية الكريمة يبدأ بها الجزء الثامن إن شاء الله والحمد لله حمدًا كثيرًا طببًا مباركًا فيه كما يرضى رينا ويحب. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

* * *

تم تفسير الجزء السابع، ويليه تفسير الجزء الثامن إن شاء الله رب العالمين.

اللهم رَبَّنا عَاتِنا مِن لَّذُنكَ رَحْمَةً وَهَيَّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . (الكهف: ١٠) .

اللهم يسر لنا إتمام هذا العمل حتى نكمل تفسير كتابك الكريم على النحو الذي تحبُّه وترضاه، وهب لنا الإخلاص والتوفيق والقبول لنا وللقارئين وسائر المؤمنين.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحيه وسلم.



كلمة الختام

أحَّى الْمُؤْمِنُ :

لقد دار الزمان دورته، وجرّيت البشرية نظمًا وضعية من صنع البشر، ثم أفاقت فوجدت أنها. أحطأت كثيرًا.

ونحن المسلمين أولى الناس بالعودة إلى تراثنا وديننا وكتاب رينا فهو الهدى والنور.

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ إنه ستكون قتن، قلنا ما المخلص منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخير ما بعدكم، وحكم ما بينكم وهو الجدّ ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، لم تسمعه الجن حتى قالت إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدى إلى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا.

أشى المؤمن ، نحن هي حاجة إلى مدارسة القرآن وفهمه واستكنان هديه وروحه وحكمته فهو النور والهدى والدواء والشفاء قال تعالى: وُلتُوْلُ مِنَ القُرْعَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِينَ. (الإسراء: ٨٧).

ضى القرآن الكريم شفاء لأهراضنا ، ودواء لمشاكلنا ونور يضمىء لنا الطريق ، وهى هدى النبي ﷺ وعمله وسنته وأقواله وأفعاله نبراس ونموذج يقتدى به قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُوِل اللّه أَسْرَةُ مُصَنَةٌ لُمَن كَانَ يُرْجُو اللّهَ وَالْوَمْ الأَّجُرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا. (الأحزاب: ٢١) .

وهذه الصحوة الإسلامية فجر جديد، وروح جديد، ونور جديد يحتاج منا مدارسة القرآن وتلاوته وحفظه وترتيك وتجويده والتغنى به وفى الحديث الشريف: «اقرءوا القرآن فإن الله يأجركم بكل حرف منه عشر حسنات» (۱۱۰۰).

أخى المؤمن المهد هو المحافظة على الصلاة والطهارة وإقامة أركان الإسلام والتوية النصوح فضع يدك في يد الله، ولتكن بيعة صادقة وعهد لله صادق على طاعة الله ومرضاته وسلوك الطريق المستقيم، وثق أنك ستجد الأمان والرضا والسعادة في طاعة الله وفي حبّ كتاب الله وفي الاقتداء بعدى رسول الله عَيْن قال رجل يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً وأقلل فيه لعلى أعيه، فقال له النبي عَيْن «قل آمنت بالله ثم استقم» (١٠٠٠). وقىال تعالى: إِنَّ اللَّهِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمُّ اسْتَقَمُوا تَسَوَّلُ عَلَهِمْ الْمَلَاكِكَةُ أَلَا تَحَالُوا وَلَا تَحَوَّلُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الْهِى تَحْتُمْ توصَلُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاوْتُحُمْ فِي الْحَيَّاةِ اللَّهُ وَعِيلَ الْآخِوةِ وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْفُونَ* ثُولًا مُنْ خَفُّودٍ رَّحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً مَمِّن مَعَالِمَى اللّهِ وَعَهِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلا تَسْتُوي الْحَسَنَة وَلا السَّيِّةِ الْفَعْ بِاللَّى هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا اللّذِي بَيْنَكَ وَيَبَتُهُ عَلَاهً وَلِيُّ حَمِيمٌ * وَمَا يَلْقَامَا إِلاَ اللّهِي بَيْنَكَ وَيَبَتُهُ عَلَاهً وَلِيُّ حَمِيمٌ * وَمَا يَلْقَامَا إِلْأَ اللّهِي مَسْرُواْ وَمَا يُلْقَامَا إلا ذُو خَطْ عَلِيمٍ . (فسلت: ٣٠ : ٣٠) .

وصلِّ افله على سيدتا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *



خرَج احادیثه الاستاذ یکمال، سمیط فهمی

(١) تفسير الطبري ٧ / ٣ .

(٢) من رغب عن سنتي قليس مني :

رواه البخاري في النكاح (۲۷- ۵) ومسلم في النكاح (۱ ۱۵۰)، والنساني في النكاح (۳۲۱۷)، وأحمد (۲۳۱۷)، ۱۳۳۲۸. (۲۳۳۱). روواه ابن ماجة في النكاح (۱۸۶۳) والفظ والنكاح من سنتي فمن لم يممل بسنتي فليس مفي.. الحديث. كلهم من حديث آنس. روزاه أحمد (۲۲۹۳۳) عن مجاهد عن رجل من الأنصار. ورواه الدارمي في النكاح (۲۱۹۳) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) إلى إذا أصبت اللحم التشرت للنساء:

(٤) كنا تغزو مع النبي 難 رئيس معنا نساء:

رراه البخاري في تفسير القرآن (٤١٦٥) وفي التكاح (٥٩٧٦) ومسلم في التكاح (٤٠٤٥) وأحمد في مسدو (٣٩٧٦) من حديث عبدالله رضي الله عنه قال كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء فقلنا ألا خفتمس فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزرج المرأة بالثوب ثم قرآ (يا أيها الذين آمنوا لا تمرموا طيبات ما أهل الله لكم).

(٥) أو نزل أول شيء لا تشربوا الحمر ثقالوا لا ندع الحمر:

رواه البخاري في فضائل القرآن (۴۹۹ع) من حديث يوسف بن ماهك قال إننى عند مائشة أم المؤمنين رضى الله منها إن جا وها عراقى فقال في الكفن غير قالت ويما يصرك أنه لع أم المؤمنين أريض مصحفاك ثالث ام قال العلى أولف القرآن طبه فإنه يقرأ غير مؤلف قالت وما يصرك أنه قرآت قبل إنما نار أول ما نزل منه سورة من المقصل فيها ذكر الهنة والنار متني إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل العلال والحرام ولو نزل أول شرء لا تشريوا الفعرد لقالوا لا ندح المصر أبدا ولو نزل لا تزفز القالوا لا ندح الزنا أبدا لقد نزل بمكة على مصد ﷺ وإنى لجارية أنساحة موحدم والساعة أسمى وأمرا وما نزلت سورة البذرة والنسام إلا وأنا عنده قال فأخريت له المصحف فاشك عليه أي السور.

(٧) الفتاوي للإمام الأكبر محمود شلتوت. ص ٢٩٤ دار القلم.

(V) البحر المحيط £ / 10.

(٨) يا أيها الناس إن الله يبغض الخمر:

رواه مسلم (۹۷۸) من حديث أبي سعيد العدري قال سمعت رسول الله ﷺ يضطب بالعدينة قال يا أبها الناس إن الله تعلق بمرض بالقمر رامل الله سينزل فيها أمرا فتن كان علده منها طيء فليبعه ولينتقع به قال ضا لبننا إلا يسيرا حتى قال النبي ﷺ إن الله تعالى حرم القمر فعن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبع قال فاستقبل الناس بدا كان عنده منها في طريق المدينة فستكوما.

(٩) أما علمت أن الله حرمها:

رواه مالك في الموطأ كتباب الأشرية (١٥٩٨) ومسلم في العساقاة (١٥٧٩) والنسائي في اليودو (١٥٩٤) والدارمي في الأشرية (٢٠١٣) في اليبور (٢٥١١) وأحد في مسنده (٢١٦) من عديد ابن عباس أن رجلاً لعدى لرسول الش 義 راوية خصر نقال له رسول الشرقية هل علمت أن الله قد حرمها قال لا فسار إنساناً فقال له رسول الشرقية من سارية فقال أمرية بويجها فقال إن الذي حرم طريها قال فقتل الدوائة حتى ذهب ما فيها.

(۱۰) کل مسکر خبر:

رواه مسلم (۲۰۰۳)، وأحمد (۵۸۱۵)، والترمذي (۱۸۲۱)، وأبو داود (۲۲۷۹).

(11) البر ما اطمأنت إليه النفس:

ر واه مسلم فى البر (٣٥ ٥٣) والقرمذى فى الزهد (٣٣٩م) والدارص فى الرقاق (٣٨٩٩) وأحمد فى مسلده (٣٧١٧) عن الذواس بن سممان الأنصارى قال سألت رسول 仙 震奏 عن البر والإثم فقال البر حسن الفلق والإثم ما حاك فى مسدك وكرفت أن يطلم عليه الذاس.

(17) لعن الله الحمر:

رواه أبو داود في كتاب الأشرية (٣٦٧٤)، وأحمد في مسنده حديث رقم (٣٧٧١) وابن ساجة في كتاب الأشرية (شرية (٣٢٨) إبن ساجة في كتاب الأشرية (شرية (٣٢٨)) الأشرية (شرية (٣٢٨)) الأشرية (شرية الأشرية في كتاب الأشرية (شرية) الأشرية هذا حديث غريب من حديث التي في كتاب البيوم (شرية هذا حديث غريب من حديث التي في التي التي في التي التي وي وي التي وي وي التي التي وي التي وي التي وي التي وي التي وي التي وي التي التي وي التي وي التي وي التي وي التي التي وي التي وي التي وي التي ال

(١٣) الو ما اطمئنت إليه النفس:

ثقدم تخريجه.

(١٤) لا ضرر ولا ضرار:

رواه أحمد في مسئده (٣٣٦/٥) وابن ماجة في الأحكام (٢٣٤/٠) من حديث عبادة بن المماحد. قال البوصيري في الزوائد حديث عبادة من المساده. قال البوصيري في الزوائد حديث عبادة منا إسراء ماجة فيما تقدم الزوائد المنافذ ماجد المحقى من حديث ابن عباس قال البوصيري في الزوائد في إسادة حجاد الجعفى مقمم بروراه الدارقطني (٢٣٨/١) والحدكم في المستدرة (٢٨/٣) والبيهقي (٢٨/٣) من حديث أبي حديد الحدري. قال البيهقي: تقرم بعضادات بن محمد الداروردي. قال: وهو ضعيفة دروراه مالك في الدولة لكناب الأقضية (٣١) والبيهقي (١/٩/١) من حديث يعيي المنازئي مرسالا رهو أمحمها. وروي الصديث من طرق أكدري كليزة، وكالها لا تطو من ضعف.

(١٥) الإحسان أن تعبد الله:

رواء البخباري في الإيمان ح (٥٠). وفي تقسير القرآن ح (٧٧٧)، ومسلم في الإيمان ح (٨، ٩). والترمذي في الإيمان (ج) ١٢٠٠، والنسائي في الإيمان ح (١٩٥٠، ٤٩١٩)، أيو راود في السنة ع (١٩٣٥)، وإبن ماجة في المقدمة ح (٦٣،)، ٢٤٠)، وأحمد حر (٢٣٠، ٧٣١، ١٩٧٣، ١٩٢٨)، من حديث أبني هرورة، ومن حديث عمر بن الغطاب. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح،

(١٩) خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم:

رواه البخارى في بد الخاق (۲۳۲) ومسلم في الدج (۱۹۹۸) والترمذي في الدج (۱۹۲۷) والنسائق في مناسك الدج (۱۸۲۷) وابن ماجة في الفناسك (۲۰۷۷) والدارمي في الفناسك (۱۸۱۷) واحد في مسنده (۲۳۵۳) من حديث عائشة رخص الله عنها عن النبي گلا قال خمس فياسق يقتل في الحرم الفأرة والعقوب والحديا والغراب والكاب العقور، روراه مالك في العربا في كتاب الدج (۱۸۰ من حديث عربة بن الزبير يرفع.

(١٧) تفسير ابن كثير ٢ / ٩٩ .

(۱۸) تفسير د / محمد سيد طنطاوى: صورة المالدة ص ٣٩١، نقلا عن تفسير الآية الكريمة لفطنيلة الشيخ محمد أبو رهرة مجلة لواء الإسلام العدد السادس من السنة ٢٢ .

(١٩) هو الطهور ماؤه الحل ميتنه:

روأه مالك فى الموطأ كتاب الطبارة (٤٣) وأبو دارد فى الطهارة (٨٣) والترمذى فى الطهارة (٩٦) والنسائى فى الطهارة (٥٩) فى السباء (٣٣٧) وابن ماجة فى الطهارة (٣٨٧) والدارمى فى الطهارة (٣٧٧) وفى الصعيد (٢٠١١) وأحمد فى مسنده (٨٥٩ه) من حديث أبى مريرة قال سأل رجل الذبى ﷺ فقال با رسول الله إننا تركب البحس وتحمل معنا القليل من الماء فارت توضأنا به عطاشنا أفتتريضاً بماء البحر فقال رسول الله ﷺ هى الطهور ماؤه الحل ميتند، وقال الترمذى: حسن محمين.

(۲۰) أحلت لنا ميتان الحوت والجراد:

رواه ابن ماجة فى المديد (٢٣١٨) وفى الأطعمة (٢٣١٤) وأممد فى مسنده (٢٩٠٠) من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله 難 قال أحلت لكم ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال.

(٢١) ليس الإيمان بالتمتى:

ذكره السيوطى فى الجامع الصغير (٧٧٠) وعزاه لابن النجار والديلمى فى مسند الفردوس عن أنس. وقال السيوطى فى «الدر المنثور»: وأخرج ابن أبى شيبة عن المسن قال: إن الإيمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى، إن الإيمان ما وقر فى القلب وصدته العمل فذكره مكناء موقوفاً.

(٢٢) أو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا:

رواه البخارى في تفسير القرآن (٤٦٦١) وفي الرقاق (١٤٨٦) ومسلم في المسلاة (٤٢٦) والنسائي في السهو (١٣٣٨) وابن ماجة في الزمد (٤٦٩١) والدارمي في الرقاق (٢٧٣٥) وأحمد في مسنده (١٥٥٨٦) من حديث أنس رضي الله عنه قال خطب رسول الش ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال لو تطمون ما أعلم لضحكتم ثلهلا وابكيتم كثيرا قال فغطي أمسحاب رسول الله في وجرههم لهم هنين فقال رجل مَنْ أَبِي قال فلان فنزات هذه الآية (لا تسألوا عن أشهاء إن تبد لكم تسرّكم). ورواه البخارى في الجمعة (١٤٤٤) وفي للنكاح (١٣٧٥) وبالله في الدوطأ كتاب النداء المعلاؤ (١٤٤٤) والنسائي في الكسوف (١٤٤٤) من حدول عاشق رضي الله عنها أن رسول الله في قال يا أمّ محمد ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أن امته تزني يا أمّة محمد في تطمون ما أعلم فضمكتم قلهلا وليكيثم كليرا، ورواه البخارى في الوقائة (١٤٨٥) والترمندي في الزديد (١٩٦٧) وأحمد في مسنده (١٩٧٤) من حديث أبي فريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله في لي تطمون ما أعلم المسحكتم قليلا وليكيتم كليرا، ورواه الترمذي في الزديد (١٣٢٧) وابن ماجة في الزدهد (١٤٩٠) رأحمد في مسنده (١٩٠٤) من حديث أبي فر قال - قال رسول الله فيه : إنى أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون أن المساء أطند رحق لها أن تقط ما فيها موضع أبع أمساء إلا وملك وأضع جنهت ساجدا لله والله أو تطمون ما أعلم لفسكتم قليلا وليكيتم كليرا وما تلذتم بالنساء على الفرشات والهرجتم إلى المعدات تجأرون إلى الله والله لودت أني

(٢٣) لا تسألوني عن شيء إلا أخبر تكم به ما دمت في مقامي:

رواه البخاري في الاعتمام (۱۹۷۹) وسطم في القضائل (۲۳۵۹) وأحمد في مسنده (۱۷۲۴۸) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي قل مرح حين زاغت الشمن فصلى للظهر قاما سلم قام على الدنير فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أمررا عظاما ثم قال من أحيد أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالك لا تسألوني عن شيء إلا أميرتكم به ما دمت في مقامي هذا قال أن نش فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله فلل أين يقول سلوني فقال أن نشقام إليه رجل فقال أين مند علي رسول الله قال أبول حدالة قال ثم أكثر أن يقول سلوني شهراك عمد على ركبته فقال وضيات بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحد فل رسول قال فمكن رسول الله قال المحد فل المساوني فيراك على مركبة والله في عرض هذا الحاكم المتحد على البقر و قال أول تأكثر أن يقول المتحد على العبد فال وسول الله فلا المتحد الله المتحد الله أن كانور و أن الأولى والذر

(۲٤) تفسير القرطبي ٦ / ٣٢٣ .

(٥ ٢) زيدة الطسير من فتح القدير: محمد سليمان الأشقر طأولي الكويت.

(٢٦) إن أعظم السلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم:

رواه البخاري في الاعتصام (٢٧٦٩) ومسلم في الفضائل (٣٣٥٨) وأبو باود في السنة (٤٦١٠) وأحد (٢٥٢١، ١٥٤٨) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٧٧) دروني ما تركتم:

رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٧٨)، ومسلم في الفضائل (١٣٣٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٩) والنسائي في المناسك (٢٦١٩) وابن ملجة في المقدمة (٢) وأحمد (٧٣٧) من حديث أبي هريرة.

(28) إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها :

ذكره المهندي في كنز العمال (۱۹۸۰) ونسبه للطبراني وأبي نعيم في الحلية والدارقطني في السنن. قال الهيئمي في المجمع: عن أبي تطلبة قال: قال رسول الله ﷺ إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهي عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وغفل عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها. رواه الطبراني في الكبير وهو هكذا في هذه الرياية وكأن يعض الرواة غن أن هذا معني وسكت فرواها كذلك والله أعلم ورجاله رجال المصحيح.

(٢٩) نهى رسول الله عن الأغلوطات:

أهرجه أبر داود فى العام (٣٦٦٥) وأحمد (٢٣١٧٦) من حديث معاوية. ورواه أحمد فى مسنده حديث رقم (٣٣١٧٥) عن رجل من أصحاب النبي. تنبيه: ذكروه بلفظ (البغلوطات). قال المناوى فى الفيض: وفيه عبدالله بن سعد قال أبر حاتم مجهول قال ابن القطان صدق أبو حاتم فو لم يقله لقلناه وذكره الساجي فى ضعفاء الشام.

(۴ ٧) يا صاحب الحوض هل ترد حوضك السياع:

رواه مالك في الموطأ كتاب الطهارة (٤٥) من حديث يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب أن عمر بن الشطاب خرج في ركب فههم عمرو بن الحاص حتي وردوا حوضا فقال عمرو بن العاص لصاحب الحوض يا صاحب الحوض هل ترد حوشك السباح فقال عمر بن الفطاب يا صاحب الحوض لا تخيرنا فإنا نرد على السباح وترد عليناً.

. (٣١) تفسير سورة المائدة، د. محمد سيد طبطاوي ص ٤١٣ غ نقلا عن تفسير القاسمي. باختصار.

(٣٢) إن أول من سيب السوالب:

رواه أحمد في مسنده (۲۶۶) من حديث عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال إن أول من سبب السوائب وعبد الأحسنام أبر خزاعة عمور بن عامر وإنى رأيته يجر المعاده في النار والحديث رواه البخارى في الجمعة (۱۲۷) وفي تفسير القرآن (۲۶۷) وسلم في الكسوف (۱۳۰) والنسائي في الكسوف (۱۳۶۷) من حديث عائشة رضمي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ وأن جونم يحطم بعضها ورأيت عمرا يجر قصبه ويعا أول من سيب السرائب، ورواه البخارى في المناقب (۲۷۷) وقم نظم نظم المنافبة التي كانوا يصدي مديد ن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغت ولا يعلنها أخمد من النائس والسائبة التي كانوا يصديونها لأكلوغتهم فلا يحمل عليها شيء قال وقال أبو هريرة قال الذي ﷺ والذي كان عدم و بن لما الخوافية والي أبو هريرة عال الذي ﷺ وأيت معين مربعا الذي ﷺ وأيت عمور بن عامر بن لمن الغزائي وجرة قصبة في النار ركان أول من سيب السوائب.

(٣٣) فتح القدير للشوكاني.

(٣٤) أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية:

رواه الترمذي في الفتن (١٩٦٨)، وفي تفسير القرآن ح (٥٠٦٦)، وأبو داود في الملاحم ح (٤٣٦٩)، وابن ماجة في الفتن ح (٤٠٠٠)، وأحمد ح (١٩٧١، ٢٠، ٢١، ٤٥) من حديث أمي بكن الصديق، وقال الترمذي: حسن محموح.

(٣٥) يل التمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر:

رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤١) والترمذي في تقسير القرآن (٢٠٥٨) من حديث أبى أمهة الشعباني قال سألت أبنا ثطبة المفشى فقات با أبا لطبة كيف تقول في منه الآية (عليكم أنفسكم) قال أما والله اقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله ﷺ قتال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إثار بايت شما مطاعاً وهرى متبعا وينها عرقية وإعجاب كل ذي رأى برأيه فطيك يعنى ينفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام السبور الصبور فيه مثل قبض على الجمر للمحافر فيهم طل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله وزادني غيره قال يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر

(٣٦) خرج رجل من بني سهم مع تميم الدارى:

رواه البخارى فى الرممايا (٧٧٠) وأبو داود فى الأقضية (٣٦٠٦) والترمذى فى تقسير القرآن (٢٥٠٩، ٣٠٦٠) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج رجل من بنى سهم مع تميم النارى وعدى بن بداه فمات السهمى بأرض ليس بها مسلم ظما قدما بتركته فقدرا جاما من فضة مخوصا من نعب فأحلفهما رسول نقه ﷺ ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناء من تميم وعدى فقام رجلان من أوليانه فحلفا (لشهادتنا أحق من شهادتهما) وإن الجام لمساحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية (با أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت).

(۳۷) تفسير الكشاف ۱ / ۳۹۰ .

(٣٨) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢ / ٩٧٧. دار الشروق.

(٣٩) تفسير ابن كثير ٢ / ١٩٥ باختصار.

(ه ٤) للمسير الآلوسي ٣ / ١٩٩ .

(13) تفسير الفخر الرازي.

(٢٤) تفسير القرطبي ٦ / ٣٦٤.

(٤٣) تفسير ابن جرير الطبري ٧ / ١٣٥ .

(\$ ٤) تفسير ابن کثير ٢ / ١٩٩.

(20) تفسير ابن كثير ٢ / ١٩٩.

(٩ ٤) تفسير صفوة البيان لمعاني القرآن لقطيلة الشيخ حسنين علوف ص ٢٩٣ .

(٤٧) إنكم محشورون حفاة عراة غرلا:

رياه المبغاري في أحداديث الأنبياء (٢٣٩٣) رسطم في البعنة (٢٨٩٠) والترمذي في صفة القيامة (٢٤٤٧) وفي تفسير الدوان (٢٣٩٧) والمستقد في المبغارة (٢٠٩٧) من (٢٤٤٧) والمن تفسير (٢٩٤١) والمن نفي المبغارة الإسلامي عن النبي هي التيام الإنكامي المبغرة على المبغارة المبغرة ال

(42) زاد المسير في علم النفسير لابن الجوزي ٢ / ٢٧٤.

(9 ٤) تفسير سورة المائدة، د. محمد سيد طنطاوي ص ٢٦٤.

(٥٥) التفسير الوسيط: (تفسير سورة المائدة) د. طنطاوى ص ٢٦٤ نقلا عن تفسير الفخر الرازى ٢١/ ١٣٨.

(١٥) في ظلال القرآن ٧ - ٢٤، ط ٢.

(٢٥) في ظلال القرآن ٧ - ٤٣.

(٣٣) وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك:

رراه البخاري في تفسير القرآن (٤٤٧٧) ومصلم في الإيمان (٨٦)، من حديث عبد الله بن مسعود قال سأات النهي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجمل لله ندا وهي خلقك قلت إن ذلك لعظيم قلت ثم أي قال وأن تقتل وادك تضاف أن يطمم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك.

(£ 0) نفسير الألوسي ٧ / ٩١.

(00) التغسير الوسيط: د. طنطاوي نقلا عن تفسير سورة الأنعام للشيخ محمد أبر زهرة، مجلة لواء الإسلام السنة 23 العدد الخامس ص. 247.

(٣٥) في ظلال القرآن: سيد قطب الجزء السابع صفحة ٣٨ ١ ١ المجلد ٢ .

(٥٧) لو أن أولكم وآخركم:

رواه مسلم فی البر والصلة والأداب (۲۷۷٪)، والترمذی فی صفة القیامة (۲۵۹٪) وأحد، ۸۱/۲۰، کلامما عن أمی ذر رضی الله عند، وأوله عند مسلم وأحدد: یا عبادی إنی حرمت للظلم علی نفسی. وعند الترمذی: یا عبادی کلکم ضال إلا من هدیته، وقال الترمذی: حدیث حسن.

(٥٨) لفسير القرطبي ٦ / ٣٩٤.

(٥٩) لا تمروا على قرى القوم اللين ظلموا أنفسهم:

رياء البختاري في الصلاة ح (٤٠٥) وفي أحاديث الأنبياء ح (٢٦٣، ٢٩٦٠)، وفي المفازي ح (٤٠٧٦، ٢٠٩٦)، وفي تفسير القرآن ح (٤٣٣٣)، ومسلم في الزهد ح (٢٩٦٩، ٢٩٩٣)، وأحمد (٤٣٣٣، ٢٠٩٠). من حديث عبدالله بن عمر بلفظ: لا تدخلوا على هزلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين... الحديث.

(٦٠) التفسير الكبير: فخر الدين الرازي ٤ / ١٤.

(٩١) يَنْزَلُ اللهِ إِلَى سماء الدَّنيا :

(۲ ۲) ان رحمتی تغلب غضیی:

رواه البخارى في بدء الفلق (۱۹۹۶) وفي للتوحيد (۱۷۵۶، ۱۹۵۳، ۷۵۰۳، ۷۵۰۳) ومسلم في للتوپة (۲۷۵۱) والتردخوي في للدعوات (۲۵۰۳) وابن ساجة في المقدمة (۱۸۹۹) وفي للزهد (۱۳۵۹) وأحمد في مسنده (۷۵۷۷) من حديث آجي هرورة عن النبي 選手 قال لما قضي الله الفاق كتب كتابا عنده غلبت أو قال سيقت رحمتي غضبي فهو عنده فوق المدة د

(٩٣) أن امرأة بفيا رأت كليا في يوم حار يطيف بئر:

رواه مسلم في السلام (۲۲۶) وأحمد (۲۰۲۰)، من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببتر قد أنبع لساته من العطش فنزعت موقها فغفر لها.

(٦٤) في كل كبد رطبة أجر:

رواه البخارى في المساقاة (۲۳۲۷) وفي المظالم (۲۶۲۷) وفي الأدب (۲۰۰۹) ومسلم في السلام (۲۲۶۶) وماك في الموطأ كتابه الجامع (۲۷۷) وأبو داور في المهاد ((۲۵۰۰) وأحد في مسانه (۲۵۰۸) من حديث أبي مريرة رفض الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بهذا بين بيشي فاشتند عليه المعاش فنزل بترا فشرب منها لم خرج فإذا مو بكلب يلهت يأكل الشرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بن فعالاً عشف ثم أسكه بفيه ثم رقي فسقى الكالب فشكر الله له ففتر له تالوا با رسول الله وإن لنا في الهجائم أبو اقال في كل كبد دولية أجور

(ه ٣) تفسير سورة الألعام، د. محمد سيد طنطاوي . ص ١٨ .

(٦٦) في طلال القرآن ٢ / ١٠٥٥ .

(٧٧) يا خلام إنى أعلمك:

رواه الترمذى فى صفة القيامة (٢٥١٦) وأحمد فى مسنده (٢٦١٤) من حديث ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يرما فقال با غلام أبني أعلمات كلمات لحفظ الله يحفظك اصفظ الله تجده تجدهك إذا سأنت غاساً لله أوانا استخده فاستمن باست علما من المنتقط المنتقط الله تجده تجده التوقيق المنتقط على أن يضويها بناك علما من أن يك يضويها بناك على المنتقط على أن يضويها بناكم ما له ينظم و تكتبه الله لكون المنتقط على أن يضويها بناكم المنتقط تكني ويقد من الألالم ويقدن المنتقط على المنتقط على المنتقط على المنتقط على المنتقط تلا المنتقط كنت رواه أبر القاسم بن بشران في أسالية، وكذا القضاعى عن أبى هريرة رضى الله عنه، ورواه اللهزائي في الكبير عن ابن عباس بلفظ كنت رديف رسول الله ﷺ فاتقط إلى بقال يا غلام احفظ الله يحفظك المنتقط المنتقط المنتقط كنات فل أن الملك كلم مجمياً أرادوا أن ينفول بيشى اله يقدروا عليه، أن أزادوا أن يضورك بشى ام يقضه الله عليك لم يقدروا عليه، وفي علم أن ما المسرد أن الفرى كلم يقدروا عليه، وفي علم أن ما المسرد على المنتوب المنتوب على المنتوب على المناس المنتوب والم عن المسرد على المنتوب على المناس وأن مع المسرد على المنتوب عالم المنتوب على المنتوب عالم المنتوب عالم المنتوب عالم المنتوب عالى المنتوب على المنتوب عالى المنتوب على المنتوب على المنتوب على المنتوب عالى المنتوب على ال

يسرا، وأورده الضياء فى المختارة وهو حسز، وله شاهد رواه عبد بن حميد عن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه بلظظ يا ابن عباس احفظ الله يحفظك، ولحفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، وذكره معلولا بسند شعيف، برواه أحمد والطبرانى وغيرهما بسند أصع رجالا وأفرى، قال فى المقاصد وقد يسطت الكلام عليه فى تخريج الأربعين

(٩٨) اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت:

رواه البخارى فى الأذان (٤٨٤) وفى الدعوات (٣٣٠٠) وفى القدر (١٦١٥) وفى الاعتصام (٧٩٢٧) ومسلم فى المساجد (٩٩٠) وأبو داود فى المسلاة (١٠٥٠) والنسانى فى السهو (١٣٤١) والدارمى فى الصلاة (١٣٤٩) وأحد فى مسلده (١٧٦٧٣) من حديث رواه كاتب المغيرة بن شعبة قال أملى على المغيرة بن شعبة فى كتاب إلى معارية أن النبي ﷺ كان يقول فى دبر كل مسلاة مكتوبة لا إلى إلا الله وحده لا شريك له . ئه الملك وله الحمد وهــو على كل شىء قدير اللهم لا ماتم لما أعطيت ولا معطى لما منحت ولا يغنغ ذا الجد منك الجد.

(99) فتح القدير للشوكاني.

(، ٧) سورة الألعام والأهداف الأولى للإسلام: للشيخ محمد المدني ص ٥ .

(٧١) هذا المعنى مستخلص من تفسير في ظلال القرآن ٢ / ٦١ ، ١ ، ٦٢ ، ١ .

(٧٧) حاشية الجمل ٢ / ١٥.

(۷۷) في خلال القرآن ٢ / ٣٢٠٠ ١.

(٧٤) تفسير الآلوسي ٣ / ١٢١.

(٧٥) تفسير الكشاف ٢ / ١٣.

(٧٦) انظر تفسير الخازن. وتفسير الآلوسي ٧ / ٥٢٥ .

(٧٧) تفسير المتار ٧ / ٣٤٧.

(٧٨) مجلة لواء الإسلام لسنة ٢٣ العدد ٩ تفسير القرآن للشيخ محمد أبو زهرة .

(٧٩) من مات فقد قامت قيامته:

قال العراقي في تضريح الإحباء: أعرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العوت من حديث أنس بسند ضعيف. قال العجلوني في كشف العراق في كشف القالمات وزياد الناس بسند ضعيف. قال العجلوني في كشف القالم الناس وفعه بالفظ إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته والطبراني عن المنبورة بناس والمناس الناس المنبورة بناس المنبورة بناس المنبورة بناس المنبورة المنبورة فيها علقمة فلما بغن أما هذا فقد قامت قيامته وروى عن أنس أكثروا ذكر العوت فإنكم إن تذكرتموه في غني كدره عليكم وإن تذكرتموه في غني الكنز المنبورة في غني كدره، وإن تذكرتموه في ضيق وسعه عليكم، الدوت القيامة، إذا المنبورة قامت قيامته برى ما له من غير وش وقال رواه المسكري في الأمثال – عن أنس، وفهه داود بن الممبر حكله – عن عنبه بن عبدالرية بن المنبورة المنبورة عن من تدارة المنبورة في شيئر بن عبدالرية ولكن ولا المقاصد من اللايلمي المنبورة في المناس، وفي المقاصد من اللايلمي من النور وفي المقاصد من للايلمي من أنس وفي المقاصد من للايلمي عن أنس وفي المقاصد من الايلمي

(٨٠) أعرُ دون الحقوق إلى أهلها يوم القيامة

رواه مسلم في الدر (٧٥٨٧) والترمذي في صفة القيامة (٢٤٢٠) وأحمد في مسنده (٧١٦٣) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لتؤثّنُ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة . حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.

(٨٩) إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب:

رواه أحمد في مسنده (١٦٨٦٠) من حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على

معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا رسول ش 養 إذا ما نسوا ما نكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون). قال المناوى في فيض القدير: قال الهيلامي: رواه الطبراني عن شيخه الوليد بن العباس للمصرى، وهو شمعيف. وقال العراقي إستاده هسر،، وتبعه المؤلف فرمز لحسنه.

(٨٧) تفسير أبي السعود: المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المجلد الثاني ص ١٣٥.

(٨٣) عبد الكريم المخطيب: التفسير القرآني للقرآن المجلد الثاني البحزء السابع ص ١٨٧.

(٨٤) المرجع السابق.

(٨٥) في ظلال القرآن المجلد الثاني ص ١٩١٠ ، والتفسير الوسيط: تفسير سورة الأنعام، د. محمد سيد طنطاوي ص ١٩١٠ ،
 و تفسير ابن كاير ٢/ ١٩٤٤ .

(٨٦) تفسير سورة الألعام، د. محمد سيد طنطاوي مفتى الليار المصرية الطبعة الرابعة ص ١٩١٠.

(٨٧) تفسير سورة الأنعام، د. محمد سيد طبطاوي ص ٢ ٩ ٩ .

(٨٨) النفسير الوسيط، تأليف ثجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الحزب الرابع عشر ص ١٧٥٠ ، ١٧٥١.

(٨٩) ينزل الله إلى السماء الدنيا:

تقدم تشريجه .

(٩٠) إن الله عز رجل يسط يده بالليل:

رواه مسلم في التوية ح (١٩٥٤)، وأحمد ح (١٨٧٠٨، ١٨٧٣).

(91) في قلال القرآن. سيد قطب، انجلد ٢ ص ١٩٠٩ .

(٩٢) في ظلال القرآن: سيد قطب المجلد الثاني ص ٩١١.

(٩٢) تفسير القرطبي ٧ / ٣ .

(9.4) من أتى عراقًا فسأله عن شيء لم تقيل له صلاة:

مسلم في السلام (٢٢٧ع)، وأحمد ح (١٦٠٤١، ٢٢١٢٨)، عن يعض أزواج النبي ﷺ

(49) مقاتيح الغيب عمس لا يعلمها إلا الله:

رواه البخاري في تنسير القرآن (۲۰۷۷: ۲۹۷) د ۲۰۷۸) وفي التوحيد (۲۳۷۷) وأحمد في مستده (۲۰۷۷) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن الذي ﷺ قال مذاتي القبي خمس لا يطمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله.

(٩٦) من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر:

رواه أحمد في مسنده (٩٠٥٧) من حديث أبي هريرة والحسن عن النبي ﷺ قال من أتي كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

(٩٧) في ظلال القرآن: سيد قطب، المجلد الثاني ص ١١٢١.

(٩٨) تفسير الكشاف ٢ / ٣٣ .

(٩٩) حاشية الجمل على الجلالين ٢ / ٥٠ .

(۹ ۹ ۹) تفسير الفخر الرازي ۲ / ۹۲ يتصرف.

(١٠١) انظر تفسير ابن كثير وبه طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة عقب تفسير الآية.

(١٠٢) أقصرت المبلاة أم نسيت:

رواه البخارى فى الصلاة (۱۸۰۳) وفى الأنان (۱۸۷۶) وفى الجمعة (۱۲۷۹، ۱۲۲۹) وفى الأدب (۱۰۰۱) وفى أخيار الأحاد (۱۰۲۰) (۱۸۷۰) وفى أخيار الأحاد (۱۲۷۰) وبسام فى الصلاة (۱۲۰۹) وبالد فى الصلاة (۱۰۰۱) وبالد فى الصلاة (۱۲۰۹) وبالد فى الصلاة (۱۲۰۹) وبالد فى الصلاة (۱۲۰۹) وبالد المهور (۱۲۹۰) وبالد المهور المهور (۱۲۹۰) وبالد المهور (۱۲۹۰) وبالد المهور (۱۲۹۰) وبالد المهور (۱۲۹۰) وبالد المهور (۱۲۹۱) وبالد المهور (۱۲۹۱) وبالد ما وبالد المهور (۱۲۹۱) وبالد المهور (۱۲۵۱) وبالد المهور (۱۳۵۱) وبالد المهور (۱۲۵۱) وبالد المهور (۱۲۵۱) وبالد المهور (۱۲۵۱) وبالد المهور (۱۲۵۱) وبالد المهور (۱۳۵) وبالد المهور (۱۳

(٢٠٣) إنَّا أَنَا يَشَر أَلسَى كَمَا تُنسُونَ فَإِذَا نسيت:

أنظر ما قبله:

(٤٠٤) من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام:

ذكره السيرطى فى الجامع الصندير (٩٠٨٧) ورمز لضعفه. قال العراقى فى تغريج الإحياء: رواه ابن عدى من حديث عاششة، والطبرانى فى الأوسط، وأبر نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضميفة قال ابن الجوزى: كلها موضوعة. وذكره الفنتى فى تذكرة الموضوعات.

(ه ١٠) إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان:

رواه ابن ماجة في الطلاق (٢٠٤٣) من حديث أبي تر الفقاري قال قال رسول الله ﷺ إن الله تجاوز عن أمتي الفطأ والنسيان وما استكرهرا عليه. ورواه ابن ماجة في الطلاق (٢٠٤٥) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع. والظاهر أنه منقطع بدليل زيادة عبيد بن نمير في الطريق الثاني وليس ببعيد أن يكون السقط من جهة الوليد بن مسلم فإنه كان

يدلس. قال المناوى في فيض القدير: (عن ابن عباس) قال الزيلعي: سنده ضعيف ورواه الطيراني باللفظ المذكور وقال الهيثمي وفيه محمد بن مصفى وثقه أبو حاتم وفيه كلام لا يضر ويقية رجاله رجال الصحيح وقال ابن حجر أخرجه الفضل التميمي في فوائده بإسناده وابن ماجة بلفظ رفع بدل وضع ورجاله ثقات إلا أنه أعل بعلة غير قادحة فإنه من رواية الوليد عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس وقد رواه بشر بن بكر عن الأوزاعي فزاد عبيد بن عمير بن عطاء وابن عباس وأخرجه الحاكم والدارقطتي انتهى. وذكره الهيثمي في المحمم من حديث ثويان عن رسول الله ﷺ قال. إن الله تجاوز عن أمتى ثلاثة الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه. وقال: رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو ضعيف. قال المناوي في فيض القدير: (ثربان) رمز المصنف لصحته وهو غير صحيح فقد تعقبه الهيثمي بأن فيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو ضعيف ا. هـ وقصاري أمر الحديث أن النووي ذكر في الطلاق من الروضة أنه حسن ولم يسلم له ذلك بل اعترض باختلاف فيه وتباين الروايات ويقول ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه هذه أحاديث منكرة كأنها موضوعة وذكر عبدالله بن أحمد في العلل أن أباه أنكره وثقل الخلال عن أحمد من زعم أن الخطأ والنسيان مرفوع فقد خالف الكتاب والسنة وقال ابن نصر. هذا الحديث ليس له سند يحتج بمثله ا. هـ. وقد خفى هذا الحديث عن الإمام ابن الهمام فقال: هذا الحديث يذكره الفقهاء بهذا اللفظ ولا يوجد في شيء من كتب الحديث. وذكره الهيثمي في المجمع من حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال مثله مثل حديث قبله عن النبي ﷺ: وضع عن أمتى الفطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. وقال. رواه الطبرائي في الأوسط وقيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف. وذكره الهيثمي في المجمع من حديث عمر عن النبي ﷺ قال مثله. قلت مثل حديث قبله عن النبي ﷺ: وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال رواه الطهراني في الأوسط وفيه محمد بن مصفى وثقه أبو حاتم وغيره وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح.

(1 • 1) د. محمد سيد طنطاوي، تفسير سورة الأنعام ص 1 £ 1 نقلا عن تفسير الفخر الرازي £ / 20، مع التصرف والتنظيم.

(١٠٧) فعج القدير للشوكاني.

(١٠٨) فتح القدير للشوكاني.

(٩ • ٩) وايداً عِن تعول:

رواه البخاري في الزكاة (١٤٦٧) وفي النقات (١٥٥٥) ومسلم في الزكاة (١٠٤٧) وأبو داود في الزكاة (١٩٧١)
١٩٧١) والترحيق في الزكاة (١٩٧١) والنسائق في الزكاة (١٩٥٧) وأحد في مسنده (١٩١٥) من حديث أبي مديرية وضي
١٩٧١) والترحيق في الزكاة (١٩٥٧) والنسائق في الزكاة (١٩٥٧) وأحد في مسنده (١٩٨١) ومسلم
١٩٥١) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه عن الذي ﷺ قال الديد العليا خير من اليد السفلي وابداً بمن تحول
١٩٥١) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه عن الذي ﷺ قال الديد العليا خير من اليد السفلي وابداً بمن تحول
١٩٥١) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه عن الذي ﷺ قال الديد العليا خير من اليد السفلي وابداً بمن تحول
١٩٥٤) من حديث عن مسنده (٢٧٧٧) من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ يا بن أدم إلى باتبدال المضلي حديث المنتفق عن مسنده
خير لك وإن تسمك بشر لك ولا تلام على كفاف وابداً بمن تحول واليد العليا خير من اليد السفلي ورياه أحمد في مسنده
١٤٥١) من حديث القعقاع بن حكيم قال كتب عبدالعزيز بن موران إلى ابن عمر أن ارفع إلى حاجتك قال فكتب إليه ابن
المرد ان رسول الله ﷺ كان يقول إن الد العليا غير من الد السفلي وإبدأ بمن تحول والمت أسألك خينا ولا أبو دينا ورقية
المدينة تمول وابداً المبلغ غير من الد السفلي وإبداً بمن رسول الله ﷺ أفضل المسنة عن ظهر
المدير ورواه أحدة عن مسنده (١٤٤٧) من حديث جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ أفضل المسنة عن ظهر
المدينة غير أبوا بدلياً غير من الدور السفل.

(١ ٩ ١) قال يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة:

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يلقي إبراهيم أباه آذر يوم القيامة وعلى وجه آزر فترة رغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تدمنني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيفول إبراهيم يا رب إنك وعدتنى أن لا تشزينى يوم يبعثون فأى هزى أخزى من أبى الأبعد فيقول الله تعالي إنى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار.

(١ ٩ ٩) الانتصاف على الكشاف لأحمد بن المنير ٢ / ٥٠ .

(١٩٢) أينا لم يظلم :

رياه البخارى فى الإيمان (٣٧) وفى أماديث الأديباء (٢٣٠، ١٣٤٨، ٣٤٤٩) وفى التفسير (٣٤٦، ٤٧٧٦) وفى استتابة البرتيين (١٩٣٨، ١٩٣٧) ومسلم فى الإيمان (١٧٤) والتريذى فى تفسير القرآن (٢٠١٧) وأحد فى مسلم (٤٧٧٨، ٢٨٧٨) من حديث عبدالله قال لما نزات (اللدين آمناو إمم يليسوا إيمانهم بظلم) قال أمدعاب رسول الله ﷺ أينا لم يظلم فأذون الله عز وبل (إن الشرك لظام عظيم)

(١١٣) إنه ليس الذي تعنون:

تقدم في الذي أنبله.

(١٩٤) إن الله ينفض الحبر السمين:

قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف فذكره.

(110) د. محمد سيد طنطاوي تفسير سورة الأنعام ص 172 الطبعة الرابعة.

(١١٩) إنكم سترون ريكم:

رواه البخارى فى التفسير ح (٥٨١)، وفي التوحيد ح (٤٤٤٠)، ومسلم فى الإيمان ح (١٨٣) من حديث أبى سعيد الخدرى.

(١٩٧) د. محمد سيد طنطاوي تفسير صورة الأنعام الطبعة الرابعة ص ٢، ٢ .

(۱۱۸) انظر تفسر ابن کلیر.

(١١٩) فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسر تأليف محمد بن محمد الشوكاني وفاته بصنعاء ١٧٥٠ هـ دار الفكر ٧/ ١٥٠.

(١٢٠) تفسير القرطي ٧ / ٢٠.

(٩ ٢ ١) اقروا القرآن، فإنكم توجرون عليه:

قال السيوطى في الدر المنثور: وأخرج محمد بن نصر وأبو جعفر النحاس في كتاب الوقف والابتداء والعطيب في تاريخه بابد نصر السجرى في الإبانة عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الش ﷺ «اقرموا القرآن، فإنكم تؤجرون عليه. أما إنى لا أقبل (الم) حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وبعم عشر، نثلك لألانون، ورواه الترمذي في فضائل القرآن ((۲۹۹) من حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ من قرأ جرفا من كتاب الله قاله به جسنة والحسنة بعشراً أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف ومهم حرف، وقال الترمؤدي: حسن مصميع غريب

(٢ ٢ ١) قل آمنت بالله لم استقم :

رواه مسلم فى الإيمان (۲۸) والترمذى فى الزهد (۲۲۰۰) وابن ماجة فى الفتن (۲۹۷۷) وأحدد فى مستده حديث رقم (۱۸۹۹-۱۹۹۹، ۱۶۹۹، ۱۸۹۹۸) والدارمى فى الرقاق (۲۷۱۱،۲۷۱) من حديث سفيان بن عبدالله الثقفى. وقال الترمذى: حسن صحيح .

* * *

نتمت الهوامش وتخريج الأحاديث بحمد الله ويها تم (الهزء السابع)

فهرس موضوعات (محتويات الكتاب)

رقم الصفحة	أُول الآيات	رقم الآية
1109	﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين أمنوا اليهود	AY
1109	﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع	۸۳
1104	﴿ وما لنسا لا ندومن بسالله ومساجساءنسا مسن الحق ﴾	AE
1101	﴿ فَأَتَابِهِمَ اللهِ بِمَا قَالُوا جِنَاتَ تَحْرِي مِنْ تَحْتُهَا الْأَنْهَارِ ﴾	٨٥
1104	﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولنك أصحاب الجحيم	7.4
3777	﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمنوا لاتحرموا طيبات ما أَحَلُ الله لكم	AV
3771	﴿ ركل ما رزق كم الله حسلالا طيبًا	AA
1177	﴿لا يسوَّا عَسدُكُ مِ الله بسالسلسف و فسى أيمانكسم ﴾	
1179	﴿يب أيسها السديس أمستسوا إنما الخمس والميسس ﴾	4+
1175	﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء	41
1175	﴿ وأطيعه عدوا الله وأطيعه والسروسول واحبذروا	44
1174	﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾	44
1177	﴿ يِمَا أَيِهَا الذِّينَ آمنوا ليبلونكم الله بشيء من المديد ﴾	48
1177	﴿ يَمَا أَيْمِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتَلُوا الصَّيْدُ وَأَنْتُمْ صَرِمْ	90
1177	وأحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة	97
1147	﴿جِعَلَ اللهُ الكِعِيبَةِ البِينَ المرامِ قيهامِا لِلنَّاسِ﴾	47
1146	﴿اعلموا أنَّ الله شديد العقباب وأن الله غفور رحهم﴾	٩٨
1146	﴿ ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾	99
1148	﴿قُلُ لَا يُستَوَى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث	1
PA11	﴿ يا أيها الذين أمنوا لا تصألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوَّكم ﴾	1.1
7111	﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين	1.7
119.	﴿ما جعل الله من يحيرة ولا سائية ولا وصيلة ولا حام	1.4
114-	﴿ وَإِذَا قَسِيلَ لَهِم تَعَالُوا إِلَى مَا أَسْرُلُ اللهُ وَإِلَى الرسولِ	١٠٤
1117	﴿ يِا أَيُهَا الذِّينَ آمنوا عليكم أَنفُسكم لا يضركم من صَل إِنَا اهتبيتم ﴾	1.0
1198	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا شَهَادَة بِينَكُم إِذَا حَضِر أَحِدِكُم الموتِ ﴾	1.7
1198	﴿ فَإِن عَثْر عَلَى أَنْهِمَا اسْتَحِقًا إِثْمًا فَأَخْرَانَ يَقْوِمَانَ مِقَامَهِما ﴾	1.7
1198	﴿ ذَلِكَ أَدِنْسَى أَنْ يَسَأْتُمُوا بِسَالشَهِادَةَ عَلَى وَهِهِهَا ﴾	۱۰۸
1144	ويدوم ينجمنع الله البرسيل فنيتقبول مناذا أجبيتم ﴾	1-9
1194	﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عَيْسَى ابِنْ مِرِيمِ الْذَكِرِ نَعْمَتَى عَلَيْكُ وَعَلَى وَالدِّتْكِ ﴾	11.
1194	إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والبتك ٩	

رقم الصفحة	أول الأيات	رقم الآية
17+1	﴿ وإِذَا أُوحِيتِ إِلَى الحواريينِ أَنْ أَمِنُوا بِي وِيرِسُولِي ﴾	111
17.4	﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيونَ يَا عَيْسَى أَبْنَ مَرِيمٍ هَلَ يَسْتَعَلِيعٍ رَبِّكُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْنَا مَانُدَةً ﴾	117
17-7	﴿قالوا نريد أن تأكل منها وتطمئن قلوينا ونعلم أن قد صدقتنا	117
17.7	﴿قال عيسى ابن مريم اللهم رينا أنزل علينا مائدة من السماء﴾	118
1707	﴿قَسَالَ اللهُ إِنْسَى مُسْتَرَاسِهِمَا عَمَامِيمُكُمْ﴾	110
17.7	﴿ وَإِذْ قَالَ الله يِا عَيْسَى ابِنْ مَرِيمَ أَأَنْتَ قَالَتَ لَلْنَاسَ	111
17.7	﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وريكم﴾	117
17.7	﴿إِن تَــحــنبِــهــم فـــإنــهــم عـــبــادك﴾	114
17.4	﴿قسال الله هذا يسوم يستنفسع العسادةين عسدةهم	119
17.9	﴿ الله مسلك السسمساوات والأرض ومسا فسيسهسن ﴾	17.
1717	تفسير سورة الأنعام	
3/7/	دروس من سورة الأنمام	
1777	﴿ الحمــد لــلـــه الــذى خــلــق الســمــــاوات والأرض﴾	١ ١
1777	﴿ هسو الدِّي خاسقتكم من طين ثم قضى أجلا ﴾	۲]
1777	﴿ وهــــو الله فـــى الســـمــاوات وفـــى الأرض	٣
1771	﴿ومسا تسأتسيسهم مسن أيسة مسن أيسات ريسهسم	٤
1771	﴿ فَصَفَد كَسَدُ بِمِسِوا بِسِالِعِقَ لِمَا جِسَاءِ هُسِم ﴾	0
1774	﴿أَلَم يسروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن	ا ۲
1771	﴿ وَلُو مَرْلَمْنَا عَلَيْكَ كَتَابًا فَي قَرَطَاسَ فَلَمْسُوهِ بِأَيْدِيهِم ﴾	V
1771	﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر	٨
1771	﴿وابق جــعــلــنــا ه مــلــكــا لجعــلــنــاه رجــلا﴾	٩
1748	﴿واسقت استسهري بسرسسل مسن قسيسلك	\· \
١٢٣٤	﴿قـــل سيروا قــــى الأرض قـــم انـــظ ـــروا﴾	11
1777	﴿ قَــل لَمِنْ مُسَا قَــي السيمساوات والأرض قبل شه ﴾	17
1777	﴿ وله منا سكن فني الليل والنهار وهو السميع العليم	14
1777	﴿قـــل أغير الله أتــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٤
1777	﴿قُلْ إِنْيَ لَحُنَافَ إِنْ عَصَيْتَ رِيْسَيْ عَنَابِ يَنْوَمَ عَظْيِمْ﴾	10
1777	﴿مـن يصسرف عـنسه يـومسئـذ فبقـد رحـمـه﴾	17
1371	﴿ وَإِنْ يَمْسُكُ اللَّهُ بَضْبَارَ فَسَالًا كَسَاشَيْفَ لَسَهُ إِلَّا هُسُو ﴾	17
1371	﴿ وه السقاه و الساده ﴾	1.4
1371	﴿قَـــل أَى شــــيء أكبر شــــهــــادة قــــل الله﴾	19

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1754	﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	٧٠
1787	ومسن أطلبم من افترى عملس الله كسديسا	۲۱ ا
1787	وريوم نمشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم	77
7371	وثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين	77
1754	وانظر كيدف كدنيوا عملس أنفسهم	48
1787	﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾	Y0
1727	وره ــم يـــنــهــرن عــنــه ويــنــاون عــنــه♦	47
140.	﴿واســـو تــــرى إذ وقـــفــوا عـــلـــى الـــنـــار﴾	44
140.	﴿ بِسَل بِسِدَا لَسَهِم مِسَا كَسَانَسُوا يَسْفُسُونَ مِسْ قَسِيلَ	4.4
140.	﴿وقالدوا إن همي إلا حميماتها المدنسيا	79
1404	﴿والسوتسرى إذ وقسفسوا عسلسى ريسهسم﴾	٣٠
1404	♦ السنيان كنيان إسلاماء الله ♦	71
1404	﴿ رما المساة السدنسيسا إلا لسعب ولسهسو	44
1400	﴿ قَد نَـعِـلَـم إنــه لـيـحــزنك الـذي يـقسواــون ﴾	44
1700	﴿والقد كذبت رسل من قبكك فصيروا﴾	4.8
1400	﴿وَإِنْ كَـــانْ كَبِر عَــطَــيك إعـــراهَــهــم﴾	٣٥ (
1709	﴿إِنْمَا يَسِــــَ جِــِيبِ السِّدْيِسِينَ يَسِّــمَــُونَ﴾	47
177.	﴿وقالدوا لـولا نــزل عــلــيــه آيــة مــن ريــه﴾	۳۷
177.	﴿وما من داية في الأرض ولا طائر يطير بجناهيه	4.4
3771	﴿والذين كذبوا بالسائنا صم ويكم في الظلمات	44
3571	﴿ قِبَلَ أَرَابِيتِكُم إِنْ أَتَاكُم عَذَابِ اللهُ أَو أَتَتَكُم الساعة	٤٠
3771	﴿بِلَ إِياء تَدعُونَ فَيكشَفَ مَا تَدعُونَ إِلَيْهُ إِنْ شَاء﴾	٤١
1770	﴿ واحدة عد أرسط السنا إلى أمم مدن قصيصلك ﴾	2.4
1770	﴿ فَــالــولا إذ جِــاءهــم بِــأســنــا تضــرعــوا﴾	٤٣
1777	﴿ فَصَلَحَ مِنَا نَصِينًا مُنْ الْكُنِينِ اللَّهِ ﴾	٤٤
1777	﴿فَيَقَدُ طِيعِ دَائِسِ الْنَقِسُومِ الْنِدَيْسِنُ ظُلِمِسُوا﴾	٤٥
1774	﴿قَلَ أُرأَيِـتُم إِنْ أَحُدُ الله سمعكم وأيمساركم﴾	٤٦
1771	﴿قَالَ أَرَابِتَكُمُ إِنْ أَتَاكُمُ عَذَابِ اللهُ بَغَيَّةَ أَوْجِهُرَةً﴾	٤٧
1770	وما نسرسال المرسلين إلا ميشريان ومنذريان	٤٨
1770	﴿ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون	٤٩
1771	﴿قُلُ لا أَقْسُولُ لَلْكُمْ عَصْنَدِي خَلِزَاتُسِنَ اللهُ﴾	٥٠

رقم الصفحة	أول الأيات	رقم الآية
1777	﴿وأندرب الذين يخافون أن يستشروا إلى ريسهم	٥١
١٢٧٤	﴿ولا تطرد الذين يدعون ريهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه	٥٢
۱۲۷٤	﴿وكذلك فستنسا بسعض هسم بسبعض	94
1777	﴿ وإذا جِاءك اللَّذِينَ يُسْمُ مُنْدُونَ بِسَأَيْسَا تَسْنَا ﴾	٥٤
1777	وك الآي ال الآي ال الآي ال الآي ال	00
۱۲۸۰	﴿ قَمَلَ إِنْسَى مُنْهَدِتَ أَنْ أَعْهِدَ الدَّيْسِ تُدَعُونَ مِنْ دُونَ اللهِ ﴾	٥٦
۱۲۸۰	﴿ قَسَل إِنْسِي عَسَلَسَي بِسِيسَةَ مِينَ رِيسِي وَكَذَيِسَتِم بِسِهِ ﴾	٥٧
144.	﴿قُلْ لِسُو أَنْ عَنْدَى مِنَا تَسْتُنْ مِنْ بِنَهُ﴾	٥٨
1747	﴿وعسنده مستساتع السفسيب لا يسعسا مسهسا إلاً حسو	. 04
1740	﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾	٦.
1740	﴿ وهــــر الــــقــــاهــــر فــــوق عــــــاده ﴾	7.1
1740	وثـــــم ردوا إلى الله مــــولاهــــم المق	7.7
١٧٨٨	وقل من يستم يسكم من ظلمات البر والسحر •	7.4
1444	﴿قَـل الله يستـجـيـكـم مستـهـا ومسن كسل كسرب﴾	٦٤
179.	﴿قُلْ هِلَوَ النَّقَادِرِ عَلَى أَنْ يَبِعَثُ عَلَيْكُمَ عَدَالِنَا﴾	٦٥
174.	﴿ وكسندب بسسه قسسومك وهسسو العق	77
179.	ولسكيل نبيب مستنقس وسيوف تسعيل ميون	٦٧
1797	﴿وَإِذَا رَأِيتَ النَّيْنَ يَسْمُونَ فَي آيَاتَنَا فَأَعْرِضَ عَنْهُم	٦٨
1797	﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ﴾	34
1790	﴿ وَذَرِ السَّدِيسِ الشَّحَدُوا دِيسَنَهِمَ لَسَعَبُمًا وَلَسَهِوًا ﴾	
1444	﴿ قَـل أَنْدَعُوا مِنْ دُونَ اللهُ مِنَا لا يَسْفَعِنْنَا وَلا يَضْرِنَنَا ﴾	٧١
14	﴿ وَأَنْ أَقْدَ مِنْ مُنْ مُنْ المنسلاة والسقدوه ﴾	٧٧
14	﴿ وهبو السدَّى خسلسق السمساوات والأرض بسالحق ﴾	٧٣
14.1	﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتشخذ أمننامًا آلهة ﴾	٧٤
17.7	﴿ وكنذلك تـرى إسراهـيـم مـلـكـوت السمــاوات والأرض ﴾	٧٥
14.4	﴿ فَلَمَا مِنْ عَلَيْهِ اللَّيْلِ رأَى كَوْكُمِا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾	٧٦
14.4	﴿ فَسَلَّمُ مِنْ السَّقَيْمِ لِينَازِعُهَا قَسَالُ هِنَا رَبِّي ﴾	٧٧
14.4	﴿ فَلَمُ مَا رأى الشَّمَسُ بِارْغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَر ﴾	V۸
14.4	وُإِنِّي وجِهِت وجِهِي للذي قطر السماوات والأرض حنيفًا﴾	V4
14.1	﴿ وصاجَّه قومه قال أتصاجون في الله وقد هدان	۸٠
18.7	﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله	۸۱

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
14.1	﴿ الدين وامد وا ولم يلبسوا إيمانهم بطلم	۸۲
14.4	﴿ وتلك حجتنا أتيناها إسراهيم على قومه ﴾	۸۳
14.4	﴿ ووهينا له إسماق ويعقوب كالا هدينا ونوحا هدينا من قبل	Λ£
14.4	﴿وزكــريــا ويــحــيــى وعــيســى وإلــيــاس	٨٥
14.4	﴿وإسماعسيسل والسيسسع ويسونس واسوطسا	٨٦
14.4	﴿ ومن آبائهم ونرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم	AY
14.4	﴿ذلك هـدى السلـه يسهدى بسه مـن يشاء مـن عـبـاده	۸۸
14.4	﴿ أُولِنْكَ الدِّينَ ءاتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾	۸۹
14.4	﴿أُولِكُ السَّدِيسَ هَدِي اللهُ فَسِيسِهِ داهِمِ اقْسَتَهِ مِنْ اللهِ	۹٠
1414	﴿ ومــــا تـــدروا الله حــدق قــدره	٩١
1717	﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾	94
1717	﴿ ومسن أظلم مسمسن افستسرى علسي الله كذبها ﴾	٩٣
1717	﴿والقد جنتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة	98
144.	﴿إِنَ اللهُ فَــــالـــق الحبِّ والــــــــــــــــــــــــــى﴾	90
144.	﴿ فسائدة الإصبياح وجعل السيدل سكندا ﴾	47
177.	﴿وهدو الدذي جعل لكم السنجوم لتسهندوا بسها	٩٧
177.	﴿ وهـــو الـــذي أنشــاًكــم مــن نــفس واحــدة	٩٨
177.	﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء	44
1441	﴿ وجعما وا شه شركاء الجنّ وها قهم ﴾	١
1771	(بحيسع السمساوات والأرض أنسى يكون لمه ولد	1.1
1771	﴿ ذَلَكُمُ اللَّهُ رِيكُمُ لَا إِلَّهُ إِلَّا هُو شَالَقَ كُلُّ شَيَّءَ فَاعْدِدُوهُ﴾	1.7
1447	﴿لا تسدركسه الأبمسار وهسو يسدرك الأبمسار	1.4
144.	﴿قد جاءكم يصائر من ريكم قمن أيصر فلنفسه	١٠٤
177.	﴿ وكدذك نمسرف الآيسات ولسيسقسولسوا درست	1.0
144.	﴿ السبع مسايدوهس إلسيك مسن ربك لا إلسه إلا هسو ﴾	1.7
177.	﴿ والو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا	1.4
1777	﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾	1.4
1777	﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم للن جاءتهم آية ليؤمنن بها	1.9
1777	﴿ونقلب أفندتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾	11.
1884	كلمة الختام	-
١٣٤١	تخریج آحادیث وهوامش	_
1071	فهرس الموضوعات	

تم تفسير الجزء السابع ويليه تفسير الجزء الثامن إن شاء الله تعالى

تفسيرالقرآن الكريم

الجزء الثامن من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



بِ الْقَوَالَ مُوَالَحِيهِ

﴿ ﴿ وَلَوْ أَنْنَا زَنَّا لِنَا إِلَيْمِ مُالْمَلَتِكِ كَذَوْكُمْ مُمُ الْمُونَّى وَحَمَرْنَا عَلَيْمٍ مُكَلَّ فَى وَفَعُكُ مَا كَانُواْ لِيُوْمِنُواْ إِلَّا آنَ يَشَانَهُ اللَّهُ وُلِيَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ يَجْهَلُونَ ۞ ﴾

المضردات ا

حشرنا أجمعنا وعرضنا.

التغسيره

١ ١ ٩ – وَلَوْ أَنْنَا نَوْلُنَاۚ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكُلَّمَهُمُ الْمَوْنَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ... الآية .

كان أهل مكة يقترحون على النبي ﷺ أن يأتيهم بآيات ومعجزات كونية غير ما أيده الله بها.

والقرآن هنا يبين أن الإيمان يقين يهدى إليه التفتح للحق ، والانقياء له ، وأهل مكة قد صمُّوا آذانهم عن سماع أملة الحق .

فلو نزلت إليهم الملائكة ، حتى يروهم عيانًا ، ويسمعوا تأبيدهم لرسالة محمد ﷺ ، ويخبروهم نصدة .

وَكُلُّمُهُمُ الْمُؤتِّي . الذين ماتوا من قومهم شاهدين بصدق نبوة محمد ﷺ .

وَحَشَرُنَا عَلَهُمْ كُلُ شَيْءٍ قُلِاً . أي: وجمعنا كل شيء من الآيات الكونية ، مقابلة ومواجهة ، أو جماعة جماعة وقبيلة قبيلة .

مًّا كَانُوا ثُرِيْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ . أي : لو فعلنا كل ذلك ؛ ما استقام لهم الإيمان ؛ لسوء استعدادهم وفساد فعلرتهم ، إلا أن يشاء الله إيمانهم فيرُمنوا – وهو سبحانه – القادر على كل شيء .

وَلَكِنَّ أَكْثُرُهُمْ يَجْهَلُونَ . فيقترحون الآيات سفهًا ، دون رغبة في الإيمان .

وأجاز بعضهم أن يكون المعنى : ولكنّ أكثر المسلمين يجهلون أنّهم لا يؤمنون فلنا يقترحون نزول الآيات طمعًا في إيمانهم ، وصدق الله العقليم إذ يقول :

صَاَصْرِفُ عَنْ عَايَاتِيَ اللَّينَ يَتَكَثّرُونَ هِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَإِن يَرُوا كُلُّ عَايَةٍ لاَ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرُوا سَبِيلَ اللَّهِ لِلهِ لاَ يَتَبْحَدُوهُ صَبِيلًا وَإِن يَرُوا صَبِيلَ الْفَيْ يَتَجَدُّوهُ صَبِيلًا ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَذَنُوا الْإِنْكَ وَكُانُوا عَقَهَا خَالِمُونَ . (الأعراف: ١٠٦).

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَمَلُنَا لِكُلِّ بَيِّ عَدُوَّا شَيَطِينَ أَلْإِنِس وَٱلْحِنِّ يُوْجِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ زُخْرُكَ ٱلْقَدِّلِ عُرُورًا وَلَوْسَاءَ رَبَّكَ مَافَمَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَايْفَتُرُونَ فَكَ وَلِنَصَغَيْ إلَيْهِ أَنْعِدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ إَلَّا فَخِرَة وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيقَةً يُولُوا مَاهُم مُّقَقَّرَفُون ك

لفردات:

شــيــاطين ، جمع شيطان ، وهم المتمردون من الجن أو الإنس . ه

يه پېسوحسس، يوسوس .

رْحُوف القول ؛ أي : القول المزين ظاهره ، الباطل باطنه .

واستصفى، والتميل.

أفسشسدة، قلوب.

ولي قتر فوا، وليكتسبوا القبائح.

التفسيره

١١٧ - وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ تِي عَدُوا هَيَاطِينَ الإِنسِ وَاخِن يُوحِي بَعْضُهُم إلَى بَعْن وَخُرُكَ الْقَوْل عُرُوراً... الآية.
 ١١٧ - وكذلك جَعَلْنَا لِكُلِّ تِي عَدُوا هَيَاطِينَ الإِنسِ وَاخِن يُوحِي بَعْضُهُم إلَى بَعْن وَخُرُكَ الْقَوْل عُرُوراً... الآية.
 نم هذه تسلية لرسول الله ﷺ فقد كذبت رُسلٌ من قبله ، وكأنما تواطأ الكفار ، وتواصوا على تكذيب المرسلين.

والمعنى: وكما جعلنا لك يا محمد أعداءً يخالفونك ويعادونك -- جعلنا لكل نبى من قبلك أيضًا أعداء من شياطين الإنس والجن ذوى الضرار ، يُلقى بعضهم إلى بعض القول المزيّن ظاهره الفاسد باطنه ، ومن ذلك ما ألقاه شياطين الجنّ في نفوس شياطين مكة ، من اقتراح آيات ومعجزات خاصة على رسول الله ﷺ

وقد وردت في تفسير ابن كثير عدة روايات ، تغيد أن النبي ﷺ أمر المسلمين أن يستعيدوا بالله من شياطين الإنس والجن ، فقد قال ﷺ لأبي نر : «يا أبا نر ، هل تعوذن بالله من شياطين الجن والإنس؟» قال أبو نر : لا يا رسول الله ثم قال : وهل للإنس من شياطين ؟ قال : «نعم هم شر من شياطين الجن» ⁽¹⁾. قال أبن كثير: ومجموع روايات هذا الحديث تفيد قوته وصحته.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَلَرَّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ .

أى: ولو شاء ربك ألا يفعل هؤلاء الشياطين ما فعُلُوه ، من معاداة الأنبياء ، ومن الإيحاء بالقول الباطل : لتم له ذلك ، ولكنّه تعالى تعليّ عنهم ؛ لانصرافهم عنك .

فدعهم يا محمد وما يفترون من الكفر، وغيره من ألوان الشرور فسوف يعلمون سوء عاقبتهم.

١٣ - وَلِتَصْفَى إِلَيْهِ أَفْتِدَةُ الْلَهِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيقَتْرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ... الآية .

هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى : يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ...

والمعنى: يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروا به الضعفاء ، ولتميل إلى هذا الزخرف البالمال في القول ، قلوب الذين لا يؤمنون بالأخرة ، لموافقته لأهواتهم وشهواتهم ، وليرضَوْه لأنفسهم ، وليكتسبوا ما هم مكتسبون ، من الأعمال السيئة ، فإن الله سيجازيهم عليها بما يستحقونه .

قال أبوحيان التوحيدي في تفسير الآية :

وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة ؛ لأنه أولاً يكون الخداع ، فيكون الميل ، فيكون الرضا ، فيكون الاقتراف . فكل واحد مسبب عما قبله .

وقد جعل القرآن عدم إيمانهم بالآهرة ، سببًا لإصفائهم إلى شياطين الإنس والجنّ ، وما يزهرفونه لهم من الكفر والمعاصى : لأنهم لو كانوا يعتقدون البعث والحساب والجزاء ؛ لفكّروا فيما يلقيه الشياطين ، ولضافوا سوء عاقبته .

* * *

﴿أَفَضَيْرَاللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَالَّذِى آَزَلَ إِلْتَكُمُّ الْكِنْبَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ اتَبْنَهُمُ الْكِنْبَ يَعْلَمُونَا أَنْتُمُنَزَلُّ مِن زَبِكَ بِالْتِّيِّ فَلَا تَتُكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَّذِينَ ۞ وَتَمَّتَ كِلمَتُ رَبِّكَ صِدْفًا وَعَذَلاً لَا مُبَرِلَ لِكِلمِنَتِدْ وَهُوَ السِّيعِةُ الْفَلِيمُ۞﴾

المضردات ء

أبتشئ ، أطلب .

حكماء حاكما يفصل بيني وبينكم.

مفسلاء مبنا.

المترين، الشاكين.

التفسيره

١ ١ - أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتِهِي حَكُمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ... الآية .

روى أن مشركى مكة قالوا لرسول اش 義 ، اجعل بيننا حكمًا من أحبار اليهود ، أو من أساتفة النصاري ، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزل قوله تعالى :

أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَعِي حَكَّمًا ١١ ... الآية .

والمعنى: قل لهم يا محمد: أيصح غير الله حكمًا يفصل بينى وبينكم ، فيظهر باطلكم ، الذى اعتمدتم فيه على زخارف الشياطين ، ويبين الحق الذى جئت به مؤيدًا بالبراهين ، وهو سبحانه الذى أنزل إليكم القرآن مفصلاً ومبينًا فيه الحق والباطل ،. ولا حكم خير منه 18

وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَوَّلٌ مِّن رَّبُّكَ بِالْحَقِّ .

أى : والذين آتيناهم الكتاب ، أى : التوراة والإنجيل ، من اليهود والنصارى ، يعلمون علم اليقين ، أن هذا القرآن منزل عليك من ربك بالحق : لأنهم يجدون فى كتبهم البشارات التى تبشر بك ، ولأن هذا القرآن الذى أنزله الله عليك ، مصدق لكتبهم ومهيمن عليها .

لَّلاَ تَكُونَنُ مِنَ الْمُعْتَرِينَ . أي : من الشاكِّين ؛ لأن عدم اعتراف بعضهم بذلك ، مرده إلى الحسد والجعود، وهذا النهى إنما هو زيادة في التوكيد ، وتثبيت اليقين .

قال ابن كثير : وهذا كقوله تعالى : قَانِ كُنتَ فِي شَكَّ مُمَّا أَنزَلْنَا وَلَيْكَ فَاشَأَلِ الَّذِينَ يَقَرَعُونَ الْكِتَابَ مِن قَلِلكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْمَقْ مِن رَّبُكَ فَلاَ تَكُونَ مِن المُمْقَرِينَ . (يونس : 44) .

قال: وهذا شرط والشرط لا يقتضى وقوعه ، ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا أشكّ ولا أسأل» ".
وقيل: المُمِلَابُ هذا لكل أحد ، على معنى : أن الأدلة على كون القرآن منزلاً بالحق من الله سبحانه
وتعالى، قد بلغت من الوضوح والقوة ، بحيث لا تترك مجالاً للأفتراء والشك فيها من أحد من العقلاء .

فكأنه يقول : فلا تكن – أيها العاقل – من المتشككين ، في كون القرآن مذزلٌ في ريك بالحق ، وأنه هو الحكم بين الرسول ويين الكافرين . وقيل : الخطاب للنبي على والمقصود أمته ؛ لأنه - على - حاشاه من الشك .

١٥ - وَنَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

المراد بكلمة ربك : القرآن الكريم ، وفي قراءة (كُلِمَاتُ رُبُك) أي : أن هذا القرآن كامل من حيث ذاته ، صادقًا في أخباره ويعده ويعيده ، عادلاً في أحكامه ، فقد بلغ الغاية القصوي في ذلك ، لا مبدّل لهذا الكتاب، فهو معقوظ بعناية الله تعالى من عبث العابقين ، وتبديل المبدلين. وإنما تكفّل الله بحفظ القرآن دون غيره ؛ لأنه تضمّن شريعة الله الباقية إلى قيام الساعة ، المسالحة لكل زمان ومكان ، بخلاف ما تقدمه من الكتب ، فإنه كان لوقت محدود .

وَهُوَ السَّحِيُّ الْعَلِيمُ . أي : السَّحِيُّ لكل ما في شأنه أن يسمع ، الْعَلِيمُ بكلَّ ما يسرون ، وما يعلنون ، وفي لازم ذلك الجزاء الحالي ، وإثابة الطائع وتعذيب العاصي .

+ + +

﴿ وَإِن تُعِلِعٌ أَكَثَرَ مَن فِ ٱلْأَرْضِ يُعِندُلُوكَ عَن سَكِيلِ اللَّهِ إِن يَتَبِعُونَ إِلَّا الطَّفَّ وَإِنْ هُمُمُ إِلَّا اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُواللَّهُ الللللِّلْمُ الللِيلِمُ اللللْمُواللَّهُ اللللْمُولَى اللللْمُولِمُ اللللْمُولَاللَّهُ اللَّهُ اللللْمُولَاللَّهُ الللْمُولَاللِلْمُولَاللَّالِمُ الللْمُولَالِمُ الللْمُولُولُولَ الللِمِنْ اللللِّهُ الللْمُولُولُولُولَ

المفردات ،

إن يتبعون إلا الغلق، ما يتبعون في عقائدهم وأحوالهم إلا التخمين الباطل.

وان هم إلا يخرصون ، وما هم إلا يكذبون على الله سبحانه . وأصل الخرص : الظن والتخمين . ومنه خرص النخل وهو تقدير ما عليها من التمر ظنا .

التفسيره

١٩ ٧ – وَإِن تُطِعُ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ... الآية .

المراد بأكثر من في الأرض: أهل الكتاب الذين تركوا هداية أنبيائهم ، وضلوا ضلالاً بعيدًا ، وكذلك أم الوثنية .

والمعنى : وَإِنْ تُطعُ أَكُثُرُ مَن فِي الأَرْضِ . في عقائدهم وأهوائهم .

يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . وهو الدين القويم الذي شرعه الله لعباده .

وبحوز أن يكون العنى : أن الطبيعة الغالبة في البشر هي اتباع الظنون والأهواء ؛ لأن طلب الحق متعب. والكثيرون لا يصبرون على مشقة البحث والتمحيص ، والقليلون هم الذين يتبعون اليقين في أحكامهم.

إِن يَتْجُونَ إِلاَّ الظَّنَ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخُومُونَ . ما يتبع أكثر الناس إلا الظن المفضى إلى البناطل ، الذي لا يستند إلى دليل ، وما هم إلا يكنبون في عَزْق أحكامهم إليه تعالى افتراءُ وزورًا .

ومن ذلك زعمهم : أن الله اتخذ ولدا ، وأن الأوفان تقريهم إلى الله زلفي ، وأن الله أحل أكل الميتة ، وشرع البحيرة والسائدية .

قال الإمام الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»:

وَإِن تُعلِعُ أَكْثَرُ مَن فِي الأَرْضِ يُفِيلُوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ.

لأن عادة الله في خلقه جرت على أن الحق لا يكون إلا بيد الأقلين ، أما أكثر الناس فإنهم يتبعون في أمور الدين أهواءهم .

إِن يُتِّبُونَ إِلاَّ الظَّنَّ . الذي لا أصل له ، وهو ظنهم أن معبوداتهم تستحق العبادة ، وأنها تقريهم إلى الله. وَإِنْ هُمْ إِلاَّ أَيْضُرُصُونَ . أي : يحدسون ويقدّرون ، ا هـ

والغرص والتغمين والتقدير بمعنى واحد ، وهو جائز في بعض المعاملات ، وفي تقدير الزكاة في الرطب والعنب ، بتقديرهما تمرًا أو زيبيًا ، وإخراج الزكاة وفقا لهذا التقدير .

إلا أن هذه الأمور لا تجوز في العقائد؛ لأنها لا تبني إلا على الدليل القطعي .

١١٧ - إِنَّ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين .

هذه الآية تقرير للآية السابقة ، وتأكيد لما ينيده مضمونها ، أى : إنَّ ربك الذى لا تخفى عليه خافية، هو أعلم منك ومن سائر خلقه ، بمن يضل عن طريق الحق ، وهو أعلم منك ومن سائر الخلق أيضا بالمهتدين السالكين .

لقد قررت الآيات ما يأتي:

١ - تكفل الله بحفظ كتابه من التغيير والتبديل.

٢ -- الطبيعة الغالبة في البشر هي اتباع الظنون والأهواء ؛ لأن طلب الحق متعب ، والكثيرون لا يصبرون
 على مشقة البحث والتمحيص ، والقليلون هم الذين يتبعون اليقين في أحكامهم .

٣ - الله وحده هو الذي يعلم الضالين والمهتدين من عباده.

* * *

﴿ فَكُلُواْمِمَّا أَذِكِ ٱسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِعَائِنِهِ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا لَكُمُّ أَلَا تَأْكُواْ مِمَّا ذُكِرُ ٱسْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّاحَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِ رَثْدُ إِلَيْةً وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُسِلُونَ يَأْهُواْ إِنِهِم بِغَيْرِ عِلَيْهِ إِنِّ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ إِلَّهُمْ تَدِينَ ۞﴾

التفسير

١٨ ٥ - فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ السَّمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ .

كان المشركين المكين يأكلون الميتة ، ويأكلون مما ذكر اسم أوثانهم عليه عند ذبحه ، ويعتنعون عن ذبح البحيرة والسائبة والوصيلة والحام من الإبل ، ويحرّمون ذبحها ، وقد ناقشهم القرآن في هذه السورة كثيرًا في أمر ذبائحهم الباطلة ، وتشريعاتهم الباطلة ، التي يزعمون أن الله شرح لهم ما أحلوا وما حرموا .

فأنزل الله هذه الآية آمرًا المسلمين أن يخالفوهم ، فيأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح .

والمعنى: لا تحرموا مما ذكر اسم الله عليه شيئًا على أنفسكم ، ولا تمتنعوا عن أكله تديئًا لأن كل ما ذكر الذابح عليه اسم الله فهي حلال ، إن كان مما أباح الله أكله .

روى أبو داود بسنده عن ابن عباس . قال : أتى ناس إلى النبى – ﷺ – فقالو) : يا رسول الله ، إنا نأكل ما نقتل ، ولا نأكل ما يقتل الله ، فأنزل الله – فَكُلُواْ مِنَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ... إلى قوله : وَإِنْ أَطَعُتُمُومُمُّ إِنْكُمْ لَمُشْرِكُونَ .

وكان المشركون يستحلون الميتة ويرون أن الله هو الذي قتلها فهي أولى بالأكل.

فخاطب الله المسلمين بهذه الآيات مشرعًا للمسلمين ناقضًا لتشريعات المشركين.

١٩٩ - وَمَا لَكُمْ أَلا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُر رُتُمْ إِلَيْهِ ...

أى : أيُّ مانع يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، وأى فائدة تعود عليكم من ذلك ؟ فالاستفهام هنا إنكاريٌّ ، الدفع التحرج من تناوله ، إذا كان مما حرمه المشركين زيرًا ، وافتراءٌ على الله ، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، فإنها حالال في شرع الله ، كسائر ما يذبح مذكورًا عليه اسم الله . وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مًا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ . أي : بين لكم المحرمات من الأطعمة ، بيانًا مفصًلاً يدفع الشك ويزيل الشبهة ، بقوله تعالى : حُرَّمتُ عَلَيْكُمْ الْعَبِثَةُ وَاللَّمُ وَلَحَجُ الْجَزِيرِ وَمَا أَهُلُ الْخِيرُ الْ

فكونوا عند حدود الله فلا تعتدوها .

إِلاَّ مَا وَشُطُورُتُمْ إِلَيِّهِ. أَى : لكن ما اشعاررتم إلى أكله من المحرمات ، فإنه حلال لكم ، بقدر الضرورة التي تحيا بها النفس .

وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُصِلُّونَ بِأَهْوَ آثِهِم بِفَيْرِ عِلْمٍ.

وإن كثيرًا من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام ، بأهوائهم الزائفة ، وشهواتهم الباطلة ، بَغير مستند إلى وحى الله تعالى . «وهكذا في كثير من الشعوب تحريمات راجعة إلى الهرى والجهل». إنَّ رَبِّكَ مُو أَعْلُمُ بِالْمُسْلِينَ .

أى: أعلم منك يا محمد ومن كل مخلوق بالمتجاوزين لحدود الحق إلى الباطل ، والحلال والحرام.

قال تعالى : وَلاَ تَقُولُوا لِهَا تَصِفُ ٱلْسِتَتُكُمُ الْكَلِبَ هَلَا خَلالٌ وَهَلَا خَرَامٌ تُنْفَرُوا عَلَى اللهِ الكَلِبَ إِنَّ اللَّهِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَلِبَ لاَ يُفْلِحُونَ . (النس ١٩١٦).

* * *

﴿وَذَرُوا ظَلِهِرَ ٱلْإِشْرِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُحْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِ فُونَ ۞ وَلَا تَأْحُلُوا مِثَالَةً يُثَكِّرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ الْفِسَقُّ وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَا إِنِهِمْ لِيُجَدِلُوكُمْ وَلِذَا أَطَعْتُمُوهُمْ إِلَّكُمْ لَشْتَرُونَ ۞ ﴾

المفردات،

وفروا ، واتركوا .

ظاهر الاثم وماطنه ، أي : الذنب التلاهر والخفي .

ي تتره من الإساءة أكثر .

التفسيره

٠ ٢ ٩ - وَذُرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِئَةً ... الآية .

واتركوا الذئب ظاهره وباطنه ، جهرة وخفية ، أي : اتركوا جميم المعاصى .

إِنَّ اللَّذِينَ يَكُسِّونَ الْإِلْمُ صَيُّحَرُونَ بِمَا كَالُوا يُعَمَّلُونَ . إِن الذين يرتكبون المعاصمي ظاهرة أو باطنة ، *سيجزون بما يستحقونه من عقوبات . وَلاَ يُظْلِمُ رَبُّكُ أَحَدًا . (الكهمِ يَهُ ٤٩).

٢١ - وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ... الآية .

أى: لا تأكلوا – أيها المسلمون – من أى حيوان لم يذكر عليه اسم الله عند ذيحه ، بأن ذكر عليه اسم غيره، أو ذكر اسم مع اسمه ، أو كان من الميتة .

وإن الأكل منه ؛ خروج عن طاعة الله تعالى ، وإثم .

وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِمَوْحُونَ إِلَى أَوْلِيَا وَهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ... أي : يلقون إليهم بالشبه ويخبرونهم ما يستندون إليه في مجادلتكم كقولهم : (أنتم لا تأكلون مما قتل الله ، وتأكلون مما قتلتم أنتم).

ذبيحة المسلم ،

إنْ ترك المسلم التسمية عمدًا حرم أكله عند الجمهور، وإن تركها ناسيًا لم يضّر.

وقال الشافعي وغيره: التسمية مستحبة وليست ولجبة ، وإن تركها المسلم ولو عمدًا لم يخسّر: فإن اسم الله على لسان كل مسلم .

وقيل: الآية واردة في الميتة التي لم تذبح أصلا ، وفيما ذبح لغير الله .

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ .

أي : من ترك طاعة الله تعالى إلى طاعة غيره ؛ فقد أشرك بالله .

t * *

﴿ أَوْ مَنَ كَانَ مَيْسَنَا فَأَخْيَيْنَتُهُ وَجَمَلْنَا لَهُنُوْزًا يَمْشِى بِدِهِ فِ ٱلنَّاسِ كَمَن مَّنْكُوف ٱلظُّلُسُنِ لَيْسَ مِخَارِجٍ مِِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَنفِينَ مَاكَانُواْ يَشْمَلُونَ ۖ أَنَّهُ ﴾

المقردات ء

أومن كان ميتا فأحييناه؛ أو من كان كافرا فهديناه؟ جعل الكفر موتا ، والهدابة إحياءً.

التفسيره

٢٧ ١ - أَوَ مَن كَانَ مَيَّا فَأَحْيَبَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مُثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لِيُسَ بِخَارِجٍ مُنْهَا... الآية.

الآية تمثيل بليغ للمؤمن والكافر ، والمقصود منها : تثبيت المؤمنين ؛ حتى لا يفكّروا في متابعة المشركين.

والمعنى : لستم أيها المسلمون مثل المشركين حتى تتبعوهم فى جاهليتهم : فإن الله أحياكم بالهداية، بعد موتكم الروحى بالكفر والشرك ، وأنعم عليكم بأن جعل لكم نررًا تمشون به فى الناس ، بما أنزله إليكم من أنوار القرآن والهدى النبرى ، فهل يصح لكم أن تتبعوا من يعيشون فى الظلمات .

وخلاصة القصود:

أو من كان في غيه وضلاله ميدًا ، فأحييناه بالهدى ودين الحق ، كمن صفته أنه غارق في الظلمات ليس بضارج منها ؟!

والنور: عبارة عن الهداية والإيمان، وقيل: هو القرآن، وقيل: الحكمة.

وجمهور المفسرين يرون أن المثل في الآية عام لكل مؤمن ولكل كافر ، وقيل : إن العراد بعن أحياه الله وهداه : عمر بن الخطاب ، ويمن بقى فى الظلمات أبو جهل بن هشام .

قَالَ الشوكاني : كاذا ميتين في ضلالتهما، فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزُّه، وأقر أبا جهل في ضلالته وموته.

وذلك أن رسول الله ﷺ دعا فقال:

«اللهم ، أعز الإسلام يأبي جهل بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب» فاستجيب له في عمر بن الخطاب . وقيل : نزلت في عمار بن ياس وأبي جهل ، وقيل : في حمزة وأبي جهل وعند التأمل نرى :

أن الآية عامة في كل من هداه الله إلى الإيمان بعد أن كان كافرًا ، وفي كل من بقى على ضلالته ، ريدخل في ذلك هؤلاء المذكورون دخولاً أوليًا .

كَذَلِكَ زُيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون . أي : مثل ذلك التزيين الذي تضمّنته الآية ، وهو تزيين الهدى للمؤمنين ، وظلمات الشرى للضالين ، قد زين الكافرين ما كانوا يعلمونه من الأثام ، كعداوة النبي ﷺ ، وذبح القرابين لفير الله ، وتحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، وغير ذلك من المنكرات .

﴿وَكَذَلِكَجَعَلَنَافِى كُلِ قَرْيَةٍ أَكْثِيرَمُجْرِ مِيهَ اليَمْكُرُواْ فِيهَا ُّومَا يَمْكُرُونَ إِلَّا إِنَّاشِيمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ ﴾

التفسيره

١٢٣ - وَكَذَلِك جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرَمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ... الآية.

للعنى : ركما جعلنا فى قريتك مكة رؤساء دعاة إلى الكفر وإلى عداوتك ؛ جعلنا فى كل قرية من قرى الرسل من قبلك ، رؤساء من المجرمين مثلهم : ليمكروا فيها ، ويتجبروا على الناس ، ثم كانت العاقبة للرسل، فلا تبتئس يا محمد بما يصبيك من زعماء مكة ، فتلك طبيعة الحياة فى كل عصر ، أن يكون زعماء الأمم وكبراؤها ، أشد الناس عداوة للرسل والمصلحين .

قال ابن كثير: والمراد بالمكر هذا: دعارُهم غيرهم إلى الضلالة ، بزخرف من المقال والقمال.

وفي التفسير الوسيط: وإنما جعل الله أكابر المجرمين في كل قرية: ليمكروا فيها ؛ امتحانًا لعباده، كما امتحنهم بشياطين البنَّ حتى يظهر الصادق في أيمانه من الكاذب ، ويجزى الله كلاً بما هر أهله وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : ... وَجَمَلُنا بَعْمَنُكُمْ لِنَشْقُ شَلَّةً .. (الفرقان: ٢٠).

وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ .

وما يعود وبال مكرهم إلا عليهم ، ولكنهم لانطماس بصيرتهم ؛ لا يشعرون بأنَّ مكرهم سيعود ضروه عليهم ، بل يتوهمون أنَّهم سينجون في مكرهم بقيرهم من الأنبياء والمصلحين .

والآية مسوقة لتسلية الرسول عما يلقاه من مكر عتاة المشركين.

* * *

﴿ وَلِذَاجَآءَ تَهُمْ مَانِيَّةٌ قَالُواْ لَنَ نُوْمِنَ حَقَّ نُوَّقَ مِشْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ الْعَالَمُ حَيْثُ يَجَعَلُ رِسَالَتَهُ مَسْيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَاللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُا بِمَا كَانُواْ يَسْكُونَ ١ ٢٠٠٠ ﴾

اللف دات ء

أجرموا ، اكتسبوا جرما ، والجرم : الذنب .

سنقسار: ذل وهوان.

التفسير،

٩٢٤ - وَإِذَا جَاءَتُهُم عَايَةٌ قَالُواْ أَنْ تُوْمِنَ حَتَى تُوتَى مِثلُ مَا أُوتِى رُسلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالتَهُ.. الآية.
هذه الآية استمرار في مناقشة أهل مكة ، ومجابهة للظالمين والمتكبرين منهم عن الاستجابة للهدى.

سبب النزول ،

قال مقاتل بن سليمان نزلت في أبي جهل ، وذلك أنه قال : زاحمنا بنو عبد مناف في الشُّرف ، حتى إذا صرنا كفرسَّ رهان ، قالوا : منا نبى يوحى إليه .. والله ، لا نؤمن به ، ولا نتبعه أبدًا ، إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه ؛ قأنزل الله سبحانه الآية .

وروى أنَّ الوليد بن المخيرة قال للنبي ﷺ: لو كانت النبوة حقًا لكنت أنا أولى بها منك ؛ لأنّي أكبر منك سنًا وأكثر مالا ؛ فأذزل الله هذه الآية .

والمعنى : وإذا أنزلت على النبي صلى النبي الله الإيمان بما جاءهم به ؛ امتنعوا عن الإيمان المناد واستكبارًا .

وقالوا: ان نؤمن حتى نؤتى من الوجى مثل ما أوتى رسل الله ، وتكون لنا نبوة ، كما لينى عبد مناف نبوة ، وإلا فلن نؤمن بمحمد .

اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتُهُ .

الله سبحانه وتعالى يفتار لرسالته المعدن السليم ، والقلب النظيف ، الذي لا يحمل المقد ولا العسد ولا الكبر.

ثم إنَّ الرسالة منهٌ من الله وفضل ، والله يختص برحمته من يشاء .

قال الآلوسي ،

وجملة اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رسَالَتَهُ استثناف بياني .

والمُعنى: إنَّ منصب الرسالة ، ليس مما ينال بما يزعمونه من كثرة المال والولد ، وتعاضد الأسباب والعدد ، وإنما ينال بفضائل نفسانية ، ونفس قدسية ، أفاضها الله تعالى ، بمحض الكرم والجود ، على من كمل استعداده . اهـ .

لقد اصطفى الله لرسالته الأنبياء والمرسلين ، واختار أولى العزم من الرسل ، فجعلهم قدرة وأسوة ؛ لأنهم كانوا أكثر تحملاً وجهادًا وتضحية ، قال تعالى : فَاصْبِرْ كُمَا صَبَرْ أُولُوا الْقُوْم مِنَ الرُّسُل . (الأحقاف: ٢٥) . وأولو العزم من الرسل خمسة : إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، وقد أتمَ الله الرسالات بمحمد ﷺ ومذحه من المزاليا الخلقية والنفسية وغيرها ، ما جعله رحمة للحالمين .

روى الإمام مسلم في كتاب الفضائل عن وائلة بن الأسقع أن رسول الله على قال:

إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل . واصطفى من بنى إسماعيل كنانه ، واصطفى من بنى كنانة قريشًا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفى من بنى هاشم محمدًا - 義 - " .

سَيُصِيبُ اللَّذِينَ أَجْرَمُوا صَفَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَلَابٌ شَدِيدُ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ .

قَالَ القرطبي : الصُّفار : الضيم والذل والهوان .

و المحنى : سيمنيب أولئك المستكبرين المجرمين ، ذلة وموان شديد ثابت لهم عند الله في الدنها والآخرة. بدل للعزة التي طلبوها بالاشتراك في النبوة ، ويصبيهم إلى جانب ذلك عذاب شديد بسبب مكرهم بنبي الهدى ولا بحيق المكر السُيِّع إلا بأمله .

* * *

﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِ يَهُ يَشَرَحْ صَدْرُ مُوالِّا سَلَيْ وَمَن يُسِرِدُ أَن يُعْضِلُهُ يَجْعَلُ صَدْرُهُ. ضَيَيِّنَا حَجَا كَأَمَا يَصَعَدُ فِي السَّمَلَةِ حَكَذَ اللّهِ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَ الّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ ۞ ﴿ وَهَلَذَا صِرَفُ رَبِكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَلْنَ الْآيَلَةِ لِقَوْمِ يَذَكُرُونَ ۞ ﴿ لَكُمْ دَارُ السَّلَاءِ عِندَرَيِّهِمْ وَهُو وَلِيْهُمْ بِمَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ ﴾

المفردات ،

حسرجا ، شدة الضيق ، وفعله : حُرِحُ حَرَجًا ، من باب تَعِبَ تَعَيَّا . وقد وُصِفَ الصَّدرُ بالحَرَج الذي هو المصدر، للمبالغة ، والمراد : أنه شديد الضيق .

السرجس: العذاب، أو ما لا غير فيه.

دار السلام ، دار المسألة ، والمراديها : الجنة ،

التفسيره

١٧٥ - لَهَن يُودِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشرَحْ صَدْرَةُ للإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدَ أَنْ يُعْبِلُهُ يَجْعَلُ صَدْرَةُ طَيَّقًا حَرَجًا كَأَلْمَا يَمُعُدُ
 في السَّمَاء ... الآية .

الشرح في اللغة معناه: الفتح والشق. وشَرْحُ الصَّدْرِ للإسلام : كناية عن جعل النفس قابلة للحق ، مُهَيَّأُةً لطها له فيها ، مُحَصَّنَةً مما يعنعه وينافيه .

آخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ سئل عن هذه الآية : كيف يشرح صدره ؟ فقال : «نور يقذف فينشرح له وينفسح»، قالوا : فهل لذلك من أمارة يُعرف بها ؟ فقال : «نعم الإنابة إلى دار الخلود ، والإعراض عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت» (®).

والمعنى: من يرد الله هدايته ؛ يشرح صدره للحق ، ويهيئ نفسه لقبول الإسلام ، لما علمه من حسن استعداده رسعيه في قبوله ، ومن يرد أن يضله ويبعده عن الحق ؛ يجعل صدره ضيقًا شديد الضيق ؛ لتمسكه بضلاله لا يدفي به بديلاً .

كَأَنَّمَا يَصُّعْدُ فِي السَّمَاءِ .

فإن من صعد في السماء يحس بأشد الضيق، وقرب الاختناق ، لقلة الهواء، وهذا التشبيه من معجزات القرآن، وكذلك من يُدّعي إلى الإسلام، وقد قدّر عليه الضلال أي : يجد أشد الضيق لذلك .

قال أبو السعود: شبه ضبق صدره بالحق، بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه ، فإن صعود السماء ، مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة ، وفيه تنبيه على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود ، وقبل معناه: كأنّما يقصاعد إلى السماء ، نبرًا عن الحق وتباعدًا في الهرب .

كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُوْمِنُونَ .

أي: مثل جمل الصدر ضيقًا حرجًا بالإسلام ، يجمل الله الرَّجُسَ وهو العذاب أو التذلان أو اللعنة على الذين لا يؤمدون ، فيترك الشيطان مسلمًا عليهم ، ولا يلطف يهم .

وخلاصة الآية: أنُّ من تقرب إلى الله ؛ أعانه ، ومن بعد عنه ؛ خذله .

٢٦ - وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصْلُنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكُّرُونَ .

وهذا دين ربَّك الذي ارتضاه وهو الإسلام مُسْتَعِبمًا لا عوج فيه ، ولا ميل فيه ، إلى إفراط أو تفريط في الاعتقادات والأخلاق والأعمال .

قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمِ يَدُّكُّرُونَ .

أى : جعلناها بينة واضحة مفصِّلة، لقوم يتذكرون ما فيها من هدايات وإرشادات فيعملون بها : لينالوا السعادة في الدنيا والأخرة . ١٧٧ - لَهُمْ دَارُ السَّلام عِندَ رَبِّهمْ وَهُوَ وَلِّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

أى: هؤلاء المتذكرين المتقين لهم دار السلامة من كل المكاره فى جوار ريهم وكفائته، وهو مولاهم وناصرهم بسبب أعمالهم الصالحة .

قال تعالى : فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِى لَهُم مِّن قُرَّةٍ أَكْبُن جَزَاءً بِمَا كَالُواْ يَعْمَلُونَ . (السجدة : ١٧).

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَيِعَا يَنَمَعْشَرَا لِجِنِ قَدِ اسْتَكَمَّرَتُمُ مِنَ ٱلْإِنْ وَقَالَ أَوْلِيَ ٱوَّهُمْ مِنَ ٱلْإِنْ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ مَعْضُ عَابِهُ عَنِى وَبَلَعْنَا أَجَلَنا الَّذِي ٱجَّلْتَ أَنَّا اللَّالَ النَّارُ فِيهَا إِلَّا مَاشَاءًا اللَّهُ إِنَّرَبِكَ حَكِيمُ عَلِيمٌ ۞ وَكَنَاكِ ثُولِي بَعْضَ الظَّلِمِينَ بَعْضًا مِمَاكَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ ﴾

المفردات :

يا معشر المعش الجماعة المقتلطون بالعِشرة .

منشواكم ، مقركم ومآلكم .

التفسيره

١ ٢٨ - وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكُثُرُتُم مِّنَ الإِنس ... الآية .

تشير هذه الآيات إلى حوار بين الله سبحانه وتعالى وبين من خرج عن طاعته من الإنس والجن.

والمعنى: وذكّر يا محمد الشلاقق ، يوم يحشر الله الإنس والجن ، إلى ساحة القيامة ، فيريّع شياطين الجنّ قائلاً لهم: يا جماعة الجن المفسدين ، قد استكثرتم من إغواء الإنس ، وإشلالهم حتى صاروا فى حكم الأتباع لكم ، فلم تكتفوا بضلالكم وكفركم ، بل تجارزتموه إلى إغراء الإنس .

وَقَالَ أُوْلِيَاوُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ .

قال الذين أطاعوهم من الإنس:

لقد استمتعنا بارتكاب الملذات وإشباع الشهوات ، التي زينتها لنا الجن ، واستمتعت الجن بطاعة الإنس لهم .

قال أبو السعود:

أى: انتقع الإنسن بالجن بأن دلُوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها ، وقيل : بأن ألقوا إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة . وأما انتفاع الجن بالإنس ، فإن الإنس صاروا أتباعًا لهم ، وأطاعوهم ، وحمنًلوا مرادهم بقبول ما ألقوه إليهم .

وقيل: استمتاع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم من المفاوز، والمفاوف ، واستمتاعهم بالإنس ، اعتزامهم بأنّهم قادرون على إجارتهم .

وبعد هذا الإقرار الذي لم يجدوا عنه محيصًا قالوا في ندامة وحسرة:

وَبَلَقْنَا أَجَكَا الَّذِي أَجُّلْتَ لَنَا .

أي: يوم القيامة الذي أجلته لمسابنا وجزائنا ، حيث بُعثنا ، وظهرت لنا قبائح أعمالنا ، التي نستحق العقاب عليها ، لتركنا مىراطك المستقيم .

قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ .

قال الله تعالى: النار منزكم ، ومحمل إقامتكم الدائمة ، فأنتم خالدون فيها في كل وقت ، إلاّ في وقت مشيئة الله بخلاف ذلك : لأن الأمور كلها متروكة إليه وخاضعة لمشيئته .

عن ابن عباس قال: في هذه الآية: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، لا ينزلهم جنة ولا نارًا.

قال أبو السعود : إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ .

روى عن ابن عباس أنه قال: استثنى الله تعالى قومًا ، قد سبق فى علمه أنهم يُسلمون ويصدُّقون النبى ﷺ ، وقبل المعنى : الأوقات التى ينتقلون فيها من النار إلى الزمهرين، فقد روى أنهم يدخلون واديًا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض ، فيتعاوون ، ويطلبون الردُ إلى الجحيم ؛ وقبل : يفتح لهم وهم في الذار باب إلى الجنة فيسرعون نحوه ، حتى إذا ما وصلوا إليه سدَّ عليهم الباب .

وقد ورد في تفسير المنار ، دراسة مستفيضة حول فناء النار بمن فيها . وهي مسألة خلافية بين العلماء .

ومعنى الآية: إلا وقت مشيئة الله فناء النار وزاول عذابها .

إِنَّ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ .

أى: حَكِيمٌ في عقاب الظالمين ، عَلِيمٌ بما في صدورهم فلا تخفي عليه خافية .

٩ ٢ ١ - وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِين بَعضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ .

أي: ومثل ما سبق من تمكين الجنّ من الإنس وإضلالهم ، لما بينهم من التناسب والمشاكلة ، نولّى يمض للظالمين من الإنس بعضًا آخر منهم ، بأن تجعلهم يزيغون لهم السيئات .

قال الشوكاني:

نسلُّطُ ظَلَمة الدِن على ظلمة الإنس ، ونسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله .

عن الأعمش قال: إذا فسد الزمان؛ أمّر عليهم شرارهم ، وقال فضيل ابن عياض: إذا رأيت ظائمًا ينتقم من ظالم فقف وانظر متمجبًا .

وقال الإمام الرازى : والآية تدل على أن الرعية متى كانوا ظالمين ، فالله تمالى يُسلط عليهم ظالمًا مثلهم ، فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظلم .

* * *

﴿ يَهُ عَشَرَ اَلِينِ وَالْإِنِسِ اَلْمَا يَأْتِكُمْ رَسُلُ مِنكُمْ يَفْصُونَ عَلَيْكُمْ اَلِنِي وَشُذِرُ وَلَكُمْ لِنَّاةَ يَوْمِكُمْ هَذَاً قَالُواْ شَهِدًا عَلَىّ اَنْفُسِنَا وَمَرَّتَهُ كُلُتِوَةُ اللَّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى اَنْفُسِهِمْ اَنْهُمْ كَانُوا كَنْفِرِينَ هُ فَالْكَ أَنْ لَمْ يَكُنُ زَبُكَ مُهْ لِلْكَ اَلْقُرَىٰ فِظْلُو وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ آلَكُ وَلِكُ إِلَا مَرَجَتُ مِنَا عَكِلُواْ وَمَا رَبُّكَ مِنْ فِلْ عِلَى مَنَا يَسْعَلُونَ اللَّهُ الْعَلْمُونَ

المفردات ء

يا معشر و المعشر جماعة أمرهم واحد.

يقصون، يتلبن.

وشرتهم، وخدعتهم،

التقسيره

٣٠٠ - يَامَعْشَرَ الْمِنْ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ وُسُلُّ مَنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ عَايَاتِي ويُسلِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا ... الآمة.

جاءت هذه الآية لتقريع الإنس والجن على معاصيهم.

جاء في تفسير الطيري:

« وهذا خبر من الله جل ثناؤه، عما هو قائل يوم القيامة ، لهؤلاء العادلين به ، من مشركى الإنس والجن، يخبر أنه تمالى يقول لهم : يَامُعشَر الْحِنَّ وَالإنس أَلَمْ يَأْلِكُمْ رُسُلٌ مَّنكُمْ يُقَصَّونَ عَلَيكُمْ ءَايَاتِي .

يقول : يخبرونكم بما أوحى إليهم ، من تنبيهى إياكم على مواضع حججى ، وتعريفى لكم أدلتى على ترحيدى ، وتصديق أنبياتى والعلم بأمرى ، والانتهاء إلى حدودى .

ويُسلِرُونَكُمْ لِقَاءَيَوْمِكُمْ صَلّاً. يقول: يحذرونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا ، وعقابى على معصيتكم إياى ، فتنتهوا عن معاصىً . وهذا من الله تعالى تقريع لهم ، وتوبيخ على ما سلف منهم فى الدُنيا من الفسوق والمعاصى ، ومعناه : قد أتأكم رسل منكم ينهونكم على خطإ ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة ، وينذرونكم وعيد الله فلم تقبلوا ولم تتذكروا ». ا هـ .

قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَيْ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتُهُمُ آلحَيَاةُ آلتُنْهَا وَشَهِدُواْ عَلَيْ أَنْفُسِهمْ أَنَّهُمْ كَالُواْ كَالْوِينَ . (الانعام: ١٣٠).

تمكي الآية موقفًا من مواقف القيامة ، حين يويِّخ الله جماعة المكذبين بالرسل من الإنس والجن.

ولا يملك كفّار الإنس والجن ، إلا أن يعترفوا على أنفسهم ، بأن الرسل قد بشروهم وأنذروهم ، ولم يقصروا في تبليفهم وإرشادهم .

ولكن الكفار غرّتهم الحياة الدنياء من الشهوات والمال والجاه وحب الرياسة ، فاستحبوا العمى على الهدى ، وياعوا أخرتهم بدنياهم .

وشهدوا على أنفسهم أمام الله يوم القيامة ، أنهم كانوا كافرين في الدنيا بما جاءتهم به الرسل.

والآية تشتمل على التحذير للسامعين في الدنيا؛ حتى لا يتعرضوا لمثل هذه المواقف، في يوم الحشر والحساب.

ونلاحظ أن مشاهد الآخرة متعددة . ومواقف الحساب كثيرة . فأحيانًا ينكر الكفار شركهم بالله ، ويقولون: وَاللَّهِ رَبَّنَا مُا كُنَّا مُشْرِكُينُ (الأنعام : ٢٣) . وحينا آخر يعترفون بخطئهم وغرورهم ، ويشهدون على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين، وهو دليل على شدة خوفهم واضطراب أحوالهم ، كما ذكر ذلك الإمام الزمخشرى في تفسير الكشاف .

" ١٣١ - ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ .

المعنى: ذلك الذى ذكرناه لك يا محمد ، من إتيان الرسل يقصُّون على الأمم آيات الله ، سببه أن ربك لم يكن من شأنه ، ولا من سنته فى تربية خلقه ، أن يهلك القرى من أجل أى ظلم فعلوه ، قبل أن ينيهوا على بطلانه ، وينهرا عنه بواسطة الأنبياء والمرسلين . كما فى قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَكُنَاهُم بِعَلَابٍ مِّن قَلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لُوْلاً أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَشَيِّعَ عَايَاتِكَ مِن قَبْل أَن نُلْلُ وَنَعْزَى . (44: ١٣٤).

فسائدة :

جمهور العلماء يرون أنّ الرسل جميعًا من الإنس.

وقال مقاتل والضحاك : أرسل الله رسلا من الجن كما أرسل من الإنس.

وقال السيد رشيد رضا في تفسير المنار:

وجملة القول في الخلاف: أنه ليس في المسألة نمن قطعي ، والظواهر التي استدل بها الجمهور يمكن أن تكون خاصة برسل الإنس ؛ لأن الكلام معهم ، وليست أقوى من ظاهر ما استدل به من قال : إن الرسل من الفريقين ، والجن عالم غيبي ، لا نعرف عنه إلاً ما ورد به النص ، وقد دل القرآن والسنة على رسالة نبينا معمد ﷺ ، فنحن نؤمن بما ورد ، ونقوض الأمر فيما عدا ذلك إلى الله تعالى .

٣٢ ٥ - وَلِكُلُّ دَرْجَاتٌ مِّمًّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلِ عَمًّا يَعْمَلُونَ .

أي : ولكل من الجن والإنس درجات ومنازل متفاوتة في الآمرة ، في الجنة والثار بحسب أعمالهم صالحة كانت أو سيئة ، أو من أجل أعمالهم ، إذ الجزاء من جنس العمل .

وُمَا رَبُّكُ يُعَافِلُ عُمَّا يَعَمُّونَ . بل هو عالم بأعمالهم ، ومحصيها عليهم ، وسيجازيهم عليها جزاء عادلاً، بعا يستحقونه من ثواس وعقاس .

* * *

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْفَقَ أَدُوَالرَّحْمَةً إِن يَشَكَأْ يُلَّهِبْكُمْ وَيَسْتَظِفْ مِنْ بَعْلِكُمْ مَّايَشُكَآهُ كُمَّا آلْشَا أَكُمْ مِن ذُرِيكِةِ فَوْمِ اَلْحَدِيثِ ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونِ لَا يَّوْمَا آلْتُدبِمُعْجِزِنِ ۞ قُلْيَغَوْمِ آهْ مَلُواٰ ظَنَ مَكَاتِكُمْ إِنِّ عَامِلٌّ فَسَوْفَ تَعْلَمُونِ مَن تَكُونُ لُهُ عَقِبَهُ ٱلذَّارِّ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُونِ ۖ ﴾

المفردات،

وما أنتم بمحجزين ، وما أنتم بمحجزين طالبكم .. فلا تقدرون على الإفلات من عقابه الذي توعدكم به . اعملوا على مكانتكم ، اعملوا على تمكنكم فيما أنتم فيه ، بقدر ما تستطيعون .

التفسيره

١٣٣ - وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ الآية .

أى: هو سبحانه مستغن عن خلقه لا يحتاج إليهم ولا إلى عبادتهم ، لا ينفعه إيمانهم ولا يشرُه كفرهم، ومع كونه غنيًا عنهم ، فهو تو رحمة يهم ، والرحمة يهم مع كمال الغنى عنهم ، هو غاية الكرم والفضل.

أخرج الإمام مسلم في مسجيحه حديثًا قدسيًّا رواه أبو ذرَّ جاء فيه :

«. یا عبادی ، إنكم لن تبلغوا ضرّی فتضروین ، وان تبلغوا نفعی فتنفعونی .. یا عبادی ، لو أن أواكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا علی أتقی قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك فی ملكی شیئًا .. یا عبادی، لو أنْ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا علی أفجر قلب رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكی شیئًا. یا عبادی، لو أنْ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، اجتمعوا فی صعید واحد نسألونی فأعطیت كلاً مسألته، ما نقص ذلك من ملكی شیئًا .. » الحدیث ^{۱۸}.

قال الآلوسى: رفى هذه الآية تنبيه على أن ما سبق ذكره من إرسال الرسل ليس لنفعه ، بل رحمة منه بالعباد .

إِن يَشَأْ يُلْعِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ .

أى: إن يشأ يهلككم أيها العباد العصاة ، فيستأصلكم بالعذاب ، ويأتى بخلف لكم من بعدكم أطرح منكم ، فهو سبحانه قادر على ذلك .

قال تحالى: يَا أَيُهَا اثنَاسِ أَنْهُمُ الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ واللَّهُ هُوَ الْفَيقُ الْحَمِيدُ • إِن يَشَأَ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِيَحَلْقٍ جَدِيدٍ • وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ . (فالمر: ١٥ - ١٧)

كُمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةٍ قَوْم ءَاخَرِينَ .

أى: مثلما أنشأكم من نسل قوم آخرين ، لم يكونوا على مثل صفتكم ، وهم أهل سفينة نوح عليه المسلاة والسلام.

١٣٤ - إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لاتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ .

أى: إن ما توعدون من أمر القيامة والحساب والعقاب والثواب، لواقع لا شك فيه.

وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ .

أى: بجاعليه عاجزا عنكم ، غير قادر على إدراككم ، فهو سيحانه القادر على الإعادة إذا صاروا ترابًا و عظامًا نخره كما قال تعالى : إِنَّمَا تُوعَمُونُ لَصَادِقُ ه وَإِنَّ اللَّيْنِ ثَلِ النَّرِينَ: ﴿ ٦٠ ﴾ .

٥٣١ - قُلْ يَاقُوم احْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبُهُ النَّار إِنَّهُ لاَ يُقْلِحُ الطَّالِمُونَ.

أى: اثبتوا على ما أنتم عليه فإنى غير مبال بكم ، ولا مكترث بكنركم ، بل إنى عامل جهد طائقى ، على تثبيت دعوتى إلى الله تمالى ، فسوف تعلمون بعد حين ، من تكون له العاقبة الحسنى فى عده الدنيا ، من النصر ووراقة الأرض ، ومن له النصر فى الآخرة .

إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الطَّالِمُونَ.

أى: لا يظفر بمراده من كفر بالله تعالى ، وأشرك به سبحانه .

قال ابن كثير:

وقد أنجز الله موعده لرسوله ﷺ مكن له في البلاد ، وحكمه في نواصمي مخالفيه من العباد، وقتح له مكة ، وأظهره على من كتّبه من قومه ، واستقرّ أمره على سائر جزيرة العرب ، وكل ذلك في حياته ، ثم فتحت الأقاليم والأمصار بعد وفاته ، قال تعالى : إِنّا لَنَعَمْرُ رُسَلَنَا وَاللَّهِينَ عَامَثُواْ فِي الْحَيَاةِ اللَّيُّا وَيَومَ يَقُومُ الْأَنْهَادُ . (هَا فَي الْحَيَاةِ اللَّيُّا وَيَومَ يَقُومُ اللَّهَادُ . (غافر: ٥١).

* * *

﴿ وَجَمَانُواْ يَقِهِ مِمَّا ذَرَاً مِنَ الْحَسَرُثِ وَالْأَنْعَكِيرِ نَصِيبُ فَقَالُواْ هَكَذَا يِلَهِ مِزَعْسِهِمْ وَهَلَذَا لِشُرَكَآيِنَ ۚ فَمَاكَاتَ لِشُرَكَآيِهِمْ فَكَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَاكَاتِ لِيَوْفَهُوَيَصِلُ إِلَى شُرَكَآيِهِ مَنَّسَآمَا يَدَكُمُونَ ۖ

المفرداتء

ذراً بخلق.

المرث، الزرع والثمار.

نسييًا، جزءًا.

التفسيره

٩٣٩ - وَجَعَلُواْ ثِلَّهِ مِمَّا ذَرّاً مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ لَصِيبًا فَقَالُواْ هَلَا لِلّهِ بزَعْمِهمْ وَهَذَا لِشُرَكَاتَنا الآية .

تبدأ الآيات التالية حديثاً عن مساوئ الجاهلية وأوهام المشركين ، التى تتعلق بمآكلهم ومشاربهم , ونذورهم وذبائحهم وتقاليدهم ، فتناقشهم فى كل ذلك مناقشة منطقية حكيمة ، وترد عليهم فيما أحلوه وحرموه بدون علم ولا دليل .

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرَّثِ وَالْأَلْعَامِ لَصِيبًا .

أى : جعلوا لله تعالى مما خلق من زروعهم ، وثمار أشجارهم ، ونتاج دوابُهم ، نصيبًا ينفقونه على الفقراه والمساكين والمحتاجين ، وجعلوا لألهتهم نصيبًا من ذلك ، يصرفونه إلى سدنتها والقائمين بخدمتها.

ولكنهم إذا رأوا ما عينوه لله أزكى ، وأكثر نماءً مما عينوه لألهتهم ، عكسوا فجعلوا ما لله لألهتهم ، وما لألهتهم لله تعالى ، وقالوا : الله غنى عن ذلك ، وإذا رأوا ما عينوه لألهتهم أزكى مما عينوه لله تعالى ، فإنهم يتركونه لألهتهم ، حبًّا وإيثارًا لها .

سَاءَ مَا يَحْكُمُون .

أي: ساء وقبح حكمهم وقسمتهم ، حيث آثروا مضلوفًا عاجزًا عن كل شيء ، على خالق قادر على كل شيء ، فهم بجانب عملهم الفاسد من أساسه ، لم يعدلوا في القسمة .

* * *

﴿ وَكَنَالِكَ نَنَّكَ لِكَثِيرِ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ فَتَلَ أَوْلَندِهِمْ شُرَكَا َوُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيكِيسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْشَكَاهَ ٱللَّهُ مَافَعَكُوهُ فَذَرْهُمُ وَمَايُفَةُ رُونَ ﴾

المفردات :

شركاؤهم ، أي : أولياؤهم من الشياطين .

ليردوهم؛ ليهلكوهم.

وليلبسواء وليخلطول

التفسيره

١٣٧ - وَكَلَلِكَ زُيْنَ لِكَثِيرِ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَاوُهُمْ لِيُردُوهُمْ وَلِيلبسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ... الآية

أى: حسن الشياطين في أعين أهل الجاهلية قتل الأولاد ، وقيل : شركاؤهم ها هنا : هم الذين كانوا يخدمون الأوثان – من الكهنة وسدنة الأصنام – زينوا لهم دفن البنات مخافة السبي والحاجة ، وقتل الأولاد؛ مخافة الفقر، وكنان الرجبل يحلف بالله لثن واحد لـه كذا من الذكور لينحرن أجدهم، كما فطه عبد المطلب حينما نذر أن يتبح آخر أبنائه، إذا بلغ عددهم عشرة بنين.

لِرُدُوهُمْ . أي: ليهلكوهم ، من الردى وهو الهلاك ، يقال : ردى - كرضى - أي : هلك

وَلِيَنْيِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ .

أي: ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام ، أو ما وجب عليهم أن تدينوا به .

وَلِيَلْبِسُواْ . مأخوذ من اللبس بمعنى : الخلط بين الأشياء ، التي يشبه بعضها بعض .

يقال: لبس الحق بالباطل، ولبست عليه الأمر، خلطته عليه، وجعلته مشتبها حتى لا يعرف جهته.

وَلُوْ شَاءً اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ .

أى: وإن شاء الله عدم فعلهم ذلك : لعصمهم منه ، ولكنَّه خلاَّهم وما يفطون ؛ لأنه علم منهم إصرارهم على ضلالهم وكفرهم .

فَلَوْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ .

أى: فاتركهم وافترامهم على الله الكذب؛ فإن ذلك لا يضرك.

قال أبو السعود : الذاء شاء الفصيحة : لأنها أقصحت عن جواب شرط ، مقدر ، أي : إذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تحالى ، فدعهم وافترامهم ، أو ما يفترينه من الإفك ، فإن فيما شاء الله تعالى حكمًا بالغة ، إنما تعلى لهم : ليزدادوا إثما ، ولهم عذاب مهين ، وفيه من شدة الرعيد ما لا يخفى ً

* * *

﴿ وَقَالُوا هَنَدِيهِ أَنْهَنَدُ وَحَرَثُ حِجْرٌ لَا يَطْهَمُهُمَا إِلَّا مَن نَشَاهُ بِرَعَمِهِمَ وَأَنْهَدُ حُرِّمَت ظُهُورُهَا وَأَنْهَدُّ لَا يَذَكُرُونَ اسْدَ اللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآةً عَلَيْهُ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا نَفْتُرُونَ فَقَدُونَ ﴿ ﴾

المقردات ،

حسرت، زرع.

حنجيره محجور محرم،

بزعمهم: أي بادعائهم من غير حجة.

التفسيره

١٣٨ - وَقَالُواْ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجٌّ لا يَفْعَمُهَا إِلاَّ مَن نُشَاء يزَعْمِهمْ الآية .

تحكي هذه الآية نرعًا آخر من جهالاتهم وكفرهم ، وافترائهم الكذب على الله تعالى .

والمحنى: ومن بين أوهام المشركين وضلالتهم ، أنهم يقتطعون بعض أنحامهم وأقواتهم من الحبوب وغيرها ، ويقولون : هذه الأنعام وتلك الزروع حجّر ، وهى كلمة بزنة فعل بمعنى : مفّعُول ، أى : محجورة علينا أي : محرمة معنوعة ، لا يأكل منها إلا من نشاء ، يعنون خدم الأوثان من الرجال دون النساء ، أى : لا يأكل منها إلا خدم الأوثان والرجال فقط.

وَ أَنْعَامٌ خُرَّمَتٌ ظُهُورُهَا ,

حرَّم المشركون طائفة من الجمال على أنفسهم وتركوها للمرعى منها ما يأتى:

١ -- البحيرة: التي تلد خمسة أبطن آخرها ذكر ، كانوا يشقون أذنها ويتركونها لآلهتهم .

٧- السائية: اسم للناقة التي يتركها صاحبها فلا تنحر؛ لأنها نجت في الحرب، أو نذرها للأصنام.

 ٣- الوصيلة: اسم للناقة التي تلد أول ما تلد أنثى ثم تثنى بأنثى ،كانوا يتركونها للأمسام: لأنها وصلت أخاما.

الحام: اسم للفحل إذا لقح وك ولده قالوا: حمى ظهره فلا يركب، ويترك حتى يموت.

قال تعالى : مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن يَحِيرَةٍ وَلاَ سَاتِيةَ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنْ الَّذِينَ كَفُرُواْ يَقَتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثُولُهُمْ لاَ يَعْقَلُونَ . (المائدة : ١٠٣)

وَأَتْعَامُ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا . عند الذبح بل يذكرون أسماء أصنامهم .

وقيل: معناها: لا يحجون عليها؛ لأن الحج لا يخلو عن ذكر الله تعالى.

الْعِرَاءُ عَلَيْهِ . أي : كذبوا بادعائهم أن هذا من دين الله .

سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتُرُونَ . أي : سيعاقبهم الله بسبب افترائهم الكذب على الله تعالى .

﴿ وَقَالُواْ مَافِ بُطُونِ هَلَاهِ وَالْأَشَكِ عَالِصَدَةٌ لِنَّكُودِنَا وَتُحَكَّرُمُّ عَلَىٓ اَزْوَجِنَا الْ وَإِن يَكُن مَيْنَةَ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاهُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمُّ إِنَّهُ. حَكِيمُ عَلِيدٌ ﴿ اللَّهِ ﴾

التفسيره

١٣٩ – وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَلِهِ الأَنْعَامِ مَالِصَةٌ لَذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مُنِيَّةً فَهُمْ فِيهِ شُركَاهُ سَيَجْرِيهِمْ وَصُفَهُمْ إِلَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ .

وقال مؤلاء المشركون عن الأجنة التي في بطون البحيرة والسائبة .. إذا نزل الجنين حيًّا فأكله حلال للرجال دون النساء ، وإن نزل ميثًا فأكله حلال للرجال والنساء على السواء .

قَالَ ابن هباس : كانت الشاة إذا ولدت ذكرًا نبحوه فكان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى تركوها لم تنبح وإن كانت ميثة كانوا فيها شركاء .

وَمُحَرُّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا .

وهن النساء ، ويدخل في ذلك البنات والأخرات ونحوهن . وقيل : هو اللبن جعلوه حلالاً للذكور ومحرمًا على النساء .

سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ .

أى : سيعاقبهم الله جزاءً لهم على وصفهم الكنب ، وحكايتهم إياه على الله سبحانه ، بادعاتهم أنه تعالى أحل وحرّم ما أحلوه وحرموه ، كما في قوله تعالى : وَمَعِفُ ٱلْسِّبُهُمُ ٱلْكَلِبُ . (النمل: ٦٢) .

قَالَ الآلوسى: هذا كما قال بعض المطقين من بليغ الكلام ويديمه ، فإنهم يقولون : كلامه يصف الكذب إذا كنب ، وعينه تصف السحر أى : ساحرة . وقدّه يصف الرشاقة بمعنى : رشيق ، مبالغة ، حتى كأن من سمعه أو رآه وصف له ذلك بما يشرحه له .

إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . أي : عظيم الحكمة والتعلم .

وإن الإنسان ليحجب ، كيف تحمل هؤلاء المشركين تضحيات وأعباء مادية ، وخسائر في سبيل عقيدتهم الفاسدة ؟ وأمامهم نور القرآن وهديه ، يرسم لهم الطريق الواضح المستقيم ، فيصمُون آذانهم عن الاستماع إليه .

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَسَلُوا أَوْلَلَاهُمْ سَفَهُا بِغَيْرِ عِلْمِ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْرَآة عَلَى اللّهِ قَدْضِكُواْ وَمَا كَافُوا مُهْتَذِينَ ۞ ﴾

بلفردات ،

ځسير؛ څاپ.

سفها: السفاهة: الخفة والجهالة.

التفسيره

ه ٤ ١- قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمِ ... الآية .

والمعنى: قد خاب هزلاء المشركين ، الذين وأدوا بناتهم : مخافة العار والفضيحة ، وقتلوا بعض الذكور من الأبناء : مخافة الفقر والحاجة ، وقد فعلوا ذلك سفهًا أي : بسبب الطيش والخفة ، لا لحجة عقلية ولا شرعية .

فلو نشأت البنت على الفضيلة لما زلَّت في كبرها.

قال عكرمة: نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر، فقد كانوا يتدون بناتهم ؛ مخافة السبى والعان وأولادهم؛ خشية الفقر، جهلاً منهم بأن الله هو الرازق لأولادهم وحده.

وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ .

من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى ، وغيرها من الحيوانات التي حرِّموها على أنفسهم .

الْعِرَاءُ عَلَى اللَّهِ. كذبًا عليه فإن الله لم يحرم من هذا شيئًا.

قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَاتُواْ مُهْتَدِينَ

أى: انحرفوا عن طريق الحق والصواب، ولم يكونوا مهندين لسوء سلوكهم، وفساد قلويهم.

دوى البخارى عن ابن عباس قال: وإذا سرَّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام: قَلدْ حَسِرَ اللَّذِينَ قَلُوا أَوْلَا مُعَمَّم سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْم وَحَرَّمُواْ مَا رَقَهُمُ اللّه الخِراءَ عَلَى اللّهِ قَدْ صَلُواْ وَمَا كَانُواْ مُهَلِينَ

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى ٓ ٱلشَّاجَنَّتِ مَّعَهُ وشَنتِ وَغَيْرَ مَعَهُ وشَنتِ وَٱلنَّخْلَ وَٱلْزَعَ عُنْلِقًا أَكُلُهُ وَٱلذَّيْتُوكَ وَٱلرُّعَاكَ مُتَسَّحِهُ وَغَيْرَ مُتَّكَيهٍ فِكُواْ مِن تَمَرِ مِعِ إِذَا ٱلْسَمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُ مُيْوَمَ حَصَادِمِ لِمَ لَا تَشْرِقُوا أَ إِثَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ اللَّهُ ﴾

المضردات ،

ج نسات، بساتين.

سسعسسروشسات؛ مرفوعات على ما يحملها.

ولا تسسسراسسوا: ولا تجاوزوا الحد في الإنفاق.

التفسيره

١ \$ ١ - وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ... الآية .

يلفت القرآن النظر إلى بديع صنع الله في خلقه ، ريعدد النَّعم ، ويلمس شفاف القلوب ؛ ليحركها تحو النظر إلى بديع صنع الله .

والمحمى : هو الله الذى خلق بساتين مختلفة ، بعضها مرفوعات على ما يحملها من العوائش مثل : الكرم، ويعض الزروع والبطيخ ، ويعضها متروكات بدون عرائش مثل : النخل وسائر الأشجار .

والنُّخْلَ والزُّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ .

أى: وأنشأ النخل والزرع ، والعراد بالزرع : جميع الحبوب التي يقتات بها ، مختلفا ثمره وحبًه : في الهيئة وفي الطعم .

وَالرَّيْتُونَ وِالرُّمَّانَ مُعَشَابِهًا وَغَيْرَ مُعَشَابِهِ .

أى: رأنشاً – سبحانه وتعالى – الزيتون والرمّان: متشابهًا في الثمر والشكل والهيئة والطعم واللون والحجم ، وغير متشابه في ذلك ؛ إبداعًا في الطق والإعجاز.

كُلُواْ مِن لَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ .

أى: كلوا من ثمر تلك الزروع والأشجار التي أنشأها لكم، شاكرين الله على ذلك، والأمر هذا للإباحة

وقائدة التقييد بقوله : إِذَا أَفُرَر . إباحة الأكل قبل النصوج والإدراك من نحو الفول الأخضر والباقلاء والفريك، للاستمتاع بنعم الله ، والطعام في مراحل نموه المبكرة حيث تكون له نكهة ولذة تستحق الشكر والعمد لله

قال القرطبي: وفيه أدلة على وجود الله ، وعلى عظيم المنة علينا:

١ - فلو شاء إذ خلقنا ألا يخلق لنا غذاء ، وإذا خلقه ألا يكون جميل المنظر ، طيب الطعم ، وإذ خلقه كذلك ألا
 يكون سهل الجنى ، فلم يكن عليه أن يقعل ذلك ابتداء ! لأنه لا يجب عليه شيء .

Y – ومن دليل القدرة: أن يكون الماء الذى من شأنه الرسوب يصعد بقدرة الله الواحد علام الغيوب من أسائل الشجرة إلى أعاليها ، حتى إذا انتهى إلى آخرها نشأت فيها أوراق ليست من جنسها ، وثمر خارج من صفته : الجرم الوافر ، واللون الزاهر ، والجنى الجديد ، والطعم اللذيذ ، فأين الطبائع وأجناسها ، وأين الفلاسفة وأسسها ، هل هى فى قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الإتقان ؟ أو ترتب هذا الترتيب العجيب ؟ كلا. لا يتم غن المقول إلا لحى قادر عالم مريد ، فسبحان من له فى كل شىء آية ونهاية !.

و وَالْوَا حَشَّهُ يُوْمُ حَصَادِهِ. قبل: هي هي ذي ذكاة الزرع والثمار، والزكاة لم تفرض إلا في المدينة ، فقالوا: هذه الآية مدنية في سورة مكية .

ورأى بعض العلماء أن المراد بهذا الحق: الصدقة برجه عام على المستحقين لها ، بأن يوزع صاحب الزرع منه عند حصاده ، على المساكين والبائسين ما يسد حاجتهم ، بدون إسراف أو تقتير ، وأصحاب هذا الرأى فسروا هذا الحق بالصدقة الواجبة ، من غير تحديد للمقدار ، وليس بالزكاة المفروضة ؛ لأن الآية مكية والزكاة إنما فرضت بالمدينة (4).

وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ .

أى: لا تتجاوزوا الحدّ في الأكل أو في التصدّق، فخير الأمور الوسط وشر الأمور الشطط.

فلا يجوز أن يشتد البخل، ولا أن يعظم الإتفاق حتى يترك الإنسان أولاده فقراء.

قال ابن جربج: نزلت في ثابت بن قيس ١٩٠ ، قطع خمسمائة نظلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئًا إلى منزله كقوله تعالى : وُلاَ تُبَسُطُهَا كُلُّ الْبُسُطِي 1 هـ .

والإسلام دين وسط لا غلو فيه ولا تغريط ، بل فيه وسطية واعتدال . قال تحالى : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمُ أُمَّةُ وَسَطًا . (البقرة : ١٤٣) وقال تعالى : وَاللَّذِينَ إِذَا أَنْقُولًا لَمْ يُسْرِقُواْ وَلَمْ يَقَدُّواْ وَكَانَ يَيْنَ ذَلِكَ قُوامًا . (الفرقان: ١٧)

﴿ رَمِنَ ٱلْأَنْعَلَيْ حَمُولَةً وَفَنْ شَأْكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَلَيْعُواخُطُونِ ٱلشَّيْطُلِيْ إِنَّهُ لَكُمُّ عَمُدُّوَّمُبِينٌ ۞ ﴾

المفردات ء

حبولة ، تميل الأثقال .

هرشاء ما يفرش للذبح.

التفسيره

١٤٢ - وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَلُهُ وَفَرْشًا ... الآية.

أي : وأنشأ لكم من الأنعام وهي الأصناف الثمانية الآتي ذكرها - حمولة وقرشًا .

والحمولة: ما يحمل عليها وهو يختص بالإبل.

والقرش : ما يتقد من الوبر والصوف والشعر فراشًا يقترشه الناس .

وقيل: الحمولة: الإبل ، والفرش: الغنم ، وقيل: الحمولة ، كبار الإبل ، والفرش: صغارها التي لا يحمل عليها بل تركب وتضجع للذبع .

كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ .

أى : من هذه الثمار والزروع والأنعام وغيرها ، وانتفعوا منها بسائر أنواع الانتفاع المشروعة .

وَلاَ تَتِّبُواْ خُشُواتِ الشَّيْطَانِ. ولا تتبعوا وساوس الشيطان وطرقه في التحريم والتحليل كما اتبعها أهل الحاهلية .

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مِّينٌ .

أي: إنه بينّ العداوة لكم ، حريص على إغرائكم وإغرائكم ، والشيطان جنس ، يشمل كل شياطين الإنس والجنّ من يحلّون الحرام ويحرمون الحلال من الحكام وذوى السلطان ؛ تمقيقاً للشهوات والنزوات .

المفردات،

أثورج ، جمع زيج . ويطلق على كل واحد من القرينين : الذكر والأنثى فى الحيرانات المتزاوجة ، ويطلق أيضًا على مجموعهما . والمراد الأولى .

،یت سی میسر تبشونی و آخیرونی .

التفسيره

١٤٣ - لَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الْعَبَّأَنِ الْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ الْنَيْنِ . . . الآية .

الزوج يطلق على العفرد إذا كان آخر من جنسه يزواجه ، ويحصل منهما النسل ، وكذا يطلق على الالنين فهو مشترك والعراد هنا الأول .

والمعنى: ثمانية أصناف خلقها الله لكم ؛ لتنتفعوا بها ، أكالاً وركوبًا وحملاً وحلبًا وغير ذلك .

وهذه الأسناف الثمانية أربعة ذكور من الإبل والبقر والغنم والمعز.

وأربعة إناث من كل منها.

ثم فصُّل هذه الأصناف فقال :

مِّنَ الضَّأْنِ الْنَيْنِ .

أى: من الضأن زوجين اثنين هما: الكبش والنعجة .

وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ .

أي : ومن المعز زوجين : ذكر وأنثى هما : التيس والعنز.

قُلْ عَالذَّكُويْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنفَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنفِين .

أى: قل لهم يا محمد ، لهؤلاء الذين يحرّمون ذكور الأنمام تارة ، وإناثها تارة أجرى ، وينسبون ذلك إلى الله افتراء عليه – قل لهم : أكان التحريم في الضأن والمعز وغيرهما من الأنمام بسبب الذكورة ؟

أم كان بسبب الأنوثة ؟ أم هو بسبب الوجود في الرحم ؟

فإن كان التحريم بسبب الذكورة ؛ لزم تحريم جميع الذكور، وهم لم يفعلوا ذلك .

وإن كان التحريم بسبب الأنوثة ؛ لزم تحريم جميع الإناث ولم يفعلوا ذلك أيضًا .

وإن كان التحريم بسبب اشتمال الرحم على الجنين : لزمهم تحريم جميع الذكور وجميع الإناث : لأن الكل يشتمل عليه الرحم ولم يفعلوا ذلك .

ومثل ذلك يقال في الإبل والبقر الآتبين.

لَبُنُونِي بِعِلْمِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ .

أى : أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى ، جاءت به الأنبياء عليهم السلام ، إن كنتم صادقين فيما زعمتموه ، من أن التحليل والتحريم هما من عند الله .

£ 1 – وَمِنَ الإِمَا التَّمْنِ وَمِنَ الْفَقَرِ الثَّمِنِ قُلْ عَاللَّهُ كَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأَنفَيْنِ أَمَّا الفَّمَلَتُ عَلَمُ أَرَحَامُ الأَنفَيْنِ ... الآية. أي : وأنشأ لكم من الإِما لثنين هما : الجمل والثاقة .

وُمِنَ الْبَقَرِ الْنَيْنِ. هما الثور والبقرة .

قل لهم يا محمد أكان التحريم بسبب الذكورة في هذين الصنفين ؟ أم كان بسبب الأنوثة فيها .

قال الآلوسي:

«إنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة ، وإذائها تارة ، وأولادها كيفعا كانت تارة أغرى ، مُسُندين ذلك كله إلى الله .

وإنما كرر في هذه الآية ، ما ذكر في الآية السابقة ؛ لزيادة الإلزام والتبكيت والإفحام »

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا.

یعنی : إذا لم یکن بودکم مستند علم ، فهل کنتم حاضرین مشاهدین حین ومعاکم الله ، وأمرکم بهذا التحریم ؟ والماصل أن العلم بالتحريم ، إما أن يكون عن رسول أخبرهم به ، وإما أن يكون عن مشاهدة لله وسماع منه تعالى ... وكلا الأمرين منتف .

ويذلك يبطل تحريمهم ما حرموه عن الله تعالى.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ الْعَرَى عَلَى اللَّهِ كَلَبًا لَّيْعِيلُّ النَّاسَ بِفَيْرِ عِلْمٍ .

أى : لا أحد أظلم من هؤلاء المشركين الذين ينسبون إلى الله تحريم ما لم يحرمه .

قال أبو السعود : والمراد كبراؤهم المُغْرَرُون لذلك ، أو عمر بن لحى بن قمعة ، وهو المؤسس لهذا الش. أو الكلّ ؛ لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى .

ولا يقدح في ظلمهم كون بعضهم مخترعين له ، ويعضهم مقتدين بهم .

إِنَّ اللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الطَّالِمِينَ .

أى: لا يهديهم إلى طريق الحق ، بسبب ظلمهم وإيثارهم طريق الغي، على طريق الرشد .

وفي هذه الآية بهان عِظُمُ إِثْم من يحرم شيئًا مما خلقه الله بغير مستند صحيح.

* * *

﴿ قُلَ لَا آَجِدُ فِ مَا أُوحِي إِلَىٰ عُرَمًا عَلَ طَاعِدِ يَطْعَمُهُ ثَمَّ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْسَتَةً أَوْدَمَا مَسْفُوحُا أَوْلَحْمَ خِن يُرِوَ إِلَىٰ ثُمْرِجِسُّ أَوْنِسْقَا أُجِلَ لِفَيْرِاللَّهِ بِدِّ. فَصَنِ آضْطُلَ غَيْرَ بَسلِغ وَلَا عَادِ فِإِنَّ رَبِّكَ عَفُورٌ تَرْجَدُ فَقَى وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَا وُاحْرَمْنَا حَكَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَو وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْفَسَرِ حَرَّمَنَا عَلَيْهِمْ شُمُومَهُمَا ۚ إِلَّا مَاحَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَابَ آوْمَا أَخْتَلَطَ بِعَظْمٌ ذَٰلِكَ جَزَيْنَهُم بِبَغْيِمٌ فَ إِلَىٰ اَسْكِيثُونَ ۖ هَا فَإِن كَذَّ لِوَكَفَتُلَ رَبُّكُمْ مَوْرَهُمَ تَوْسِعَوْولَا يُرَدُّ بَأَشْدُءَ مِنْ الْقَوْمِ الْمُحْرِمِينَ الْقَ

المفردات ،

طاعم يعطم معه ا آكل يأكله ، من ذكر وأنثى .

مسيعت وخياه أي: سائلا.

ن خروجا عما أحله الله .

أهل المقير الله به: ذكر اسم غير الله تعالى عليه ، عند ذبحه .

هـ مـ ن اشبط على: فمن حملته الضرورة على تناول شيء من ذلك .

ولا عسماد: أي : ولا متجاوز قدر الغرورة .

ك له أن الله عن الله عنه الله أن الله أصبح من الإبل ، والسباع ، والطيور .

أوالمعواليـــــا ؛ أي : وإلا الشحرم التي تغطى الأمعاء .

ب ب ق رو ب ب ف ب ب ق این: بسیب قالمهم .

التفسيره

ه ٤ ١ - قُل لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى ظَاعِمٍ يَطْعَمُهُ .. الآية .

نزلت هذه الآية ، ردًّا على أهل مكة حين حرموا على أنفسهم أنواعًا من الحيوانات ، وحرموا على إناثهم أصنافًا لم يحرموها على الذكور ، فنزل الوحى جوابًا لهؤلاء المشركين ؛ ليقول لهم : إن التحريم لا يكون إلاّ برحى ، وأنا لا أجد فيما أوحاء الله إلى من الوحى ، تحريم أى نوع من أنواع الحيوانات ؛ إلا الأصناف الآتية: ١ – المُعِنَّة : وهو الحيوان الذي زهقت روحه بغير نبح شرعى .

- ٢ اللام المسقوح: أي : الدم الجارئ أما غير المسقوح فهو معقوعته ، كالدم الذي يبقى في العروق بعد
 الذبح، وكذلك الكبد والطحال فإنهما دمان غير سائلين .
- ٣ شم اختزير ومثل لمم المنزير شحمه وغضاريف ؛ فإن جميع أجزائه قدر نجس ولو نبح ؛ لتعوده أكل
 النجاسات أو لأنه خبيث محظور شرعًا .
- ٤ فسقا أهل لغير الله به : أى : دبح على الأصنام. وإنما سمى ذلك فسقًا ؛ لتوغله في الفسق ، والخروج عن الشريعة الصحيحة ، ومنه قوله تعالى: وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَراسُمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ فِيشَقّ . (الانعام: ١٢١).
 قَمَن اخْتَكُرُ عُيْرٌ بَاخَ وَلاَ عَاد .

و الأهنى: فأى شخص أصابته الضرورة ، على تناول شىء من المحرمات السابقة ؛ لحفظ الحياة ، بسبب نقده الطعام الحلال ، فإنه رخمى له فى ذلك .

بشرط ألا يكرن باغيًا على مضطر آخر مثله ، أن غير طالب له للذّته ، وألا يتجاوز – فيما يتناوله – مقدار الضرورة ، التي تحفظ عليه حياته ، حتى يصل إلى مكان يجد به الطعام الحلال ، وعَادٍ اسم فاعل بمعنى متمد ومنه قوله تمالى : بُلُ أَنُمُ قُومٌ عَادُونٌ . (الشعراء : ١٦٦٦) .

فَإِنَّ رَبُّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

أى: فإن الله عظيم المففرة والرحمة ، لا يؤاخذ المضطّر على تناول شىء من ذلك ؛ لأنه أباحه له ؛ لمفقد حياته .

من كالام المفسرين

قائل ابن كثير: الغرض من سياق الآية: الرزّ على المشركين ، الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تمريم المحرمات على أنفسهم ، بآرائهم الفاسدة ، من البحيرة ، والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، فأمر الله المحرمات على أنفسهم ، بأنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم ، وأن الذي حرمه الله هو الميتة وما ذكر معها ، وما عدا ذلك فلم يحرّم ، وإنما هو معفقً مسكوت عنه ، فكيف تزعمون أنه حرام ، ومن أين خرّمتموه ولم يحرمه الله ، وعلى هذا فلا يثبغى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا ، كما جاء النّهي عن أكل المعر الأهلية، واحوم السباع وكل ذي مخلِ من الطهر.

من تفسير القرطبي

ذكر القرطبي عدة أقوال في تفسير الآية ثم قال:

إن أكثر أمل العلم والفقه والأثر على أن هذه الآية مكية ، وكل محرَّم حرمه الرسول ﷺ أو جاء في الكتاب ، مضموم إليها ، فهو زيادة حكم من الله تعالى على لسان نبيه .

فقد نزلت سورة المائدة في المدينة ، وزيد فيها بعض المحرمات : كالمنشقة ، والموقوذة والمتردية. والنظيمة ، ا هـ ، باختصار .

قال الإمام الشافعي : إن الكفار لما حرموا ما أحل الله ، وأحلوا ما حرمه الله ، وكانوا على المضادّة والمحادّة، جاءت هذه الآية مناقضة لغرضهم ، فكأنه قال سيحانه : لا جلال إلا ما حرمتموه ، ولا حرام إلا ما أحللتموه ، نازل منزلة من يقول لك : لا تأكل اليوم حلاوة ، فتقول : لا أكل اليوم إلا الصلاوة ، والغرض المضادة لا النفى والإثبات على الحقيقة . فهو سبحانه ، لم يقمد حلٌّ ما وراء الميتة ، والدم ، واحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به : إذ القمد إثبات التحريم لا إثبات الحل .

قَالَ إمام الحَرِمِينَ : وهذا في غاية العسن ، ولو لا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنّا نستجيز مخالفة مالك رضي الله عنه في حصر المحرمات فهما ذكرته الآية\!! .

٣ ٤ ١ - وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ... الآية .

أى: رعلى اليهود دون غيرهم بسبب ظلمهم ، حرم الله جميع ماله إصبع غير منفرج ، كالإبل والتعام والأوز والهط.

قَالْ مجاهد : كُلُّ ذِي ظُفُر . هو كل شيء لم تنفرج قوائمه من البهائم ، وما انفرج أكلته اليهود .

قال: انفرجت قوائم الدجاج والعصافير، فيهود تأكله ، ولم ينفرج هف البحير ولا النعامة ، ولا قائمة الأورّ، فلا تأكل اليهود الإبل ، ولا النمام ، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته كذلك .

وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا .

و الشَّحَم : هو المادة الدهنية التي تكون في الحيوان ، ويها يكون لحمه سمينًا ، والعرب تسمى سنام البحير، ويهامُن البطن : شحمًا ، وغلبٍ إطلاق الشَّحم على ما يكون فوق أمعاء الحيوان .

والمعنى: كما حرمنا على اليهود كل ذى ظفر ، فقد حرمنا عليهم كذلك من البقر والفنم شحرمهما الزائدة التي تنتزع بسهولة . ثم استثنى سبحانه من الشحوم المحرمة على اليهود ما يأتي :

إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا .

أى: إلا الدهون التي توجد قوق ظهور البقر والفتم أُو الْحَوَّايَّا . وهي العباعر التي يجتمع فهها البعر، فما هملته من الشعم غير حرام .

أَوْ مَا اخْتَلُطَ بِعَظمٍ.

ما لصق بالعظام من الشحوم في جميع مواضع الحيوان ، ومنه الإلية فإنها لاصقة بعجب الذنب. وهو آخر فقرات الظهر.

ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِيَغْيِهِمْ.

أى: ذلك التحريم الذى حكمنا به عليهم إنثُنَا الزمناهم به ، بسبب بغيهم وظلمهم وتعدّيهم حدود الله تمالى . قَالْ قَادَة: وإنما حرم عليهم ما ليس بخبيث عقوبة لهم وتشديدًا عليهم . ا هـ .

إن اليهود قتلوا الأنبياء وأكلوا الربا ، وأكلوا أموال الناس بالباطل كما قال تعالى :

فَبِظُلْمِ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيَّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَّهُمْ .. (النساء: ١٦٠)

وكانوا كلما أثرا معصية ، عرقبوا بتحريم شيء مما أحلّ لهم ، وهم ينكرون ويدعون أنها كانت محرمة على الأمم قبلهم .

وَإِنَّا لَصَادِقُونَ .

هذا إخبار من الله عز وجل بأنه صادق في كل ما بينه ، ومنه بيان صدقه فيما أحلٌ وحرّم بالنسبة لليهود.

ولما حرم الله الشحوم على اليهود ، تحايلت على ذلك فأذابوها ثم باعوها وأكلوا ثمنها ، وما حرم الله شيئًا إلا حرم بهمه ، وحرم أكل ثمنه ، مثل : الخمر والميتة والخنزير والأصنام .

جاه في تفسير ابن كثير: عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: لعن الله اليهود. – ثلاثا – إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها ، وإن الله لم يحرم على قوم أكل شيء إلا عليهم ثبنه (١١).

١٤٧ - فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعةٍ ... الآية .

فإن كذبك اليهود ، وقيل : المراد : فإن كذبك المشركون ، الذين قسموا الأنعام إلى تلك الأقسام ، وحللوا بعضها وحرموا بعضها .

فَقُل رُّأكُمُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعةٍ . ومن رحمته حلمه عنكم ، وعدم معاجلته لكم بالعقوبة .

وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

ولا يمنع عقابه عن القوم المصّرين على إجرامهم ، المستمرين على اقتراف المنكرات ، وارتكاب السنات. ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ اَشَرَقُوا لَوْسَاءَ اللهُ مَا أَشَرَكَنَا وَلاَءَابَا أَوْنَا وَلاحَرَّمَنا مِن شَيْءُ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَنِّى ذَاقُوا بَأْسَتُ اللهُ هَلَ هَلَ عِندَكُم مِن عَلْمِ

فَتُوْرِكُونَ اللّهِ مَنْ اللّهِ عَلَى الطَّنَ وَإِن أَنشَرُ إِلاَ تَقْرُصُونَ اللهُ قَلْ فَلَيْ الْحُبَعُةُ الْبَلِينَةُ

فَلُوْشَاءَ لَهُ مَن مَنْ مُمَا اللّهِ مَن اللّهِ مَنْ اللّهِ مَنْ اللّهِ مِن اللّهِ مِن اللّهِ مَن اللّهِ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهِ مَن اللّهِ مِن اللّهِ مَن اللّهِ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهِ مِن اللّهُ مِن اللّهِ مِن اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ الل

المفردات

تحصر مسون تقدرون تقديرا خاطئا.

الحجة المسائشة : أي : التامة ؛ بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، مع تسليم العقل.

هــــا حضروا،

وهمېرېهمېمداون، آي: وهم يُسوُون به غيره .

التفسيره

١٤٨ - سَيقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُنَا ... الآية .

تحكى هذه الآيات شبهات قديمة حديثة ، يتملل بها مرتكبو المعاصمى والشرك ، يحاولون تحفيف الذنب على أنفسهم هيدعون أن هذا قضاء الله وقدره ، ولا معقب لأمره وعلى لسان هؤلاء المشركين حكى القرآن عنهم ما ياتى : وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِنْتُهُ قَالُواْ وَجَذْنًا عَلَيْهَا عَائِمًا وَاللَّهُ أَمْرًا بِيَا قُلْ إِنْ اللَّهُ لاَ يَأْمُو بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ وَ فَلْ أَمْرَ رَبِّى بِالْقُسِطْ وَأَقِيمُواْ وَجُوفَكُمْ حِيدُ كُلُّ مَسْجِدِ وَادْهُوهُ مُخْلِعِينَ لَهُ النَّمِي مَا لاَ

والآيات هذا تحكى اعتذار المشركين ، عندما يفحمهم النبي ﷺ بالصجة والبرهان ،سيقولين : لو شاء الله نحرًم شيئًا مما الله ألا نشرك به أيضا . ولو شاء ألا نحرًم شيئًا مما الله ألا نشرك به نحن منا هذا التحريم ، فما وقع منا فهو بمشيئة الله ورضاه ، أرادوا بذلك ، أنهم على الحق المشروع المرضى عند الله تعالى وإلا لما وقع منهم ؛ لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ، وقد كذبوا في هذا الاحتجاج ؛ هإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعاصى ، قال تعالى : ... ولا يُوسَى لَهِنَادٍ والْكُمْرُ . (الزمر: ٧) .

كَلَلِكَ كَلُّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ.

أي : بمثل هذه الحجة كذَّب الذين من قبلهم بالمرسلين إليهم .

حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا .

أى: حتى نزل بهم العذاب وأحاط بهم الهلاك . ولو كان هذا الشرك وغيره من قبائحهم مرضيًّا عندم سبحانه ، لما أذاق أسلافهم المكتبين عذابه ونقمته ولما أخذهم أخذ عزيز مقتدر .

قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمِ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا .

أى: قل لهم يا محمد: هل يوجد لديكم دليل يدل على أن الله رضى منكم أن تشركوا به وتحللوا وتحرموا من دونه ؟

وأما مجرد وقوع الفساد منكم فالا يدل على رضاه عنكم.

إِنْ تَتْبِعُونَ إِلَّا الطَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ .

أى: أنتم استم على شيءٍ ما من العلم ، بل ما تتبعون في أقـوالكم وأعمالكم وعقائدكم إلا الظن ، الذي هو محل الخطأ ومكان الجهيل ، فالظن لا يغني عـن الحق شيئًا ، وأنتم تخرصون ، أي : تتوهمون مجرد توهم .

٩ ٤ ٩ - قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلُوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ .

أى : البينة الواضحة التى بلغت أعلى درجات العلم والقوة والمتانة والكمال ، والتى تنقطع عندها معانيرهم ، وتبطل شبههم وظنونهم وترهماتهم .

فَلُوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ .

أى: لو شاء هدايتكم جميعًا لفعل؛ لأنه لا يعجزه شيءٌ ، ولكنه لم يشأ ذلك ، بل شاء هداية البعض؛ لأنهم صرفوا اختيارهم إلى سلوك طريق الحق ، وشاء ضلالة آخرين ؛ لأنهم صرفوا اختيارهم إلى سلوك طريق الباطل.

إن مشيئة الله لم تجبر أحدًا على طاعة أو معصية وقضاء الله وقدره هو علمه بكل ما هو كائن قبل أن يكون وليس العلم صفة تأثير وجبر .

ولقد شاءت إرادة الله أن يجعل في البشر الاستعداد للخير والشر، غير أن سُنَّة الله اقتضت أن من يفتح عينه يرى النور ومن يغمضها لا يراه ، كذلك من يفتح قلبه لإدراك دلائل الإيمان : يهتدى ومن يحجب قلبه عنها : يضل : سُنَّة اللَّم الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْل رُلَّن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّه بَدِيلاً (النقع: ٢٣) . إن الله لم يشأ أن يجبر أحدًا على طاعته أن معصيته ، قال تعالى : فَلْوَ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجَمْوِينَ . فهى مِسْتة المنح والتيسير ، وليست مشيئة الإلجاء والتسخير ، فدن سلك طريق الهدى ؛ يسر الله له ذلك قال تعالى : فُأمًّا بْنُ أَضْفَى والنَّقَى » وَصَدَّقُ بِالْحُسْنَى» فَنُسُيسُراً فَلْيَسْرَى . (البيل ٥ - ٧) .

• ١٥ - قُلْ هَلُمٌ شُهَدَاءَكُمُ اللَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ... الآية .

أى: قل لهم يا محمد: أحضروا من يشهد لكم ويعاونكم ، في إثبات أن الله حرم عليكم ما حرمتموه على أنفسكم وعلى أزواجكم !!

وهم كيراؤهم الذين أسسوا ضلالهم.

والمقصود من إحضارهم: تفضيحهم وإلزامهم الحجة ، وإظاهر أنه لا متمسك لهم كمقلدين.

فَإِنْ شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدُ مَعَهُمْ .

أى: فلا تصدقهم فإنه كذب بحت وافتراء صرف، ولا تقبل شهادتهم ؛ لأنها نتيجة اتباع الهوى.

وَلاَ تَشْبِعْ أَمْوَاءَ الَّذِينَ كَلُّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَاهِمْ يَمْدِلُون .

أى: ولا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكنيب آيات الله ، وبين الكفر بالأغرة ، وبين جملهم لله عنيلاً، أى: شريكًا ، مع أنه سبحانه هو الضائق لكل شيء ؛ لأن هذه الصفات لا تؤهلهم لشهادة الحق ، ولا للثقة بهم، وإنما للاحتقار في الدنيا ، ولسوء المذاب في الآخرة .

وكان مقتضى السياق أن يقول : ولا تتبعهم ولكنه وضع الظاهر موضع الضمير ؛ للدلالة على أن من كذب بآيات الله ، وعدل به غيره فهو متبع للهرى لا غير ، وأن من اتبع المجة لا يكون إلا مصدقا بها ٣٠٠.

المفردات،

تحصافواء أقبلوا وأحضرول

السطسواحش، ما عظم قبحه من المعاصى.

وساكم يه: أمركم وألزمكم يه.

المسسسطاه؛ أي : يبلغ قوته البدنية والعقلية ويحسن التصرف.

بالقسط: بالعدل وعدم الجور.

هـــاهـــنهائـــواه فاصدُقوا في القول . ويحمد الله أوهواه ريما طلب الله منكم من العدل وتأدية أحكام الشرع ، أوقوا وأثموا .

الملكم تذكرون ، لكي تتعظوا .

التفسيره

١٥١- قُلْ تَعَالُواْ أَتُلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... الآية .

تأتى هذه الآية في أعقاب توجيه المشركين ومناقشتهم ، حتى إذا استبان لهم الطريق ووضح: الحجة، أمر الله رسوله أن يدعوهم : ليوضح لهم المحرمات ، ويرشدهم إلى الواجبات .

قُلْ تَعَالُواْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ..

أى : قل لهم يا محمد : أقبلوا ، وأحضروا إلىّ ؛ لأقرأ لكم الآيات المشتملة على ما حرم الله عليكم وما رجبه .

أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا .

أوصيكم ألا تشركوا مع الله في عبادتكم آلهة أخرى ، بل خمسُّوه وحده بالعبادة والخضوع والطاعة ، فإنه هو الخالق لكل شيء .

والنهى عن الإشراك يقتضى الأمر بالإهلامس وصدق النية والبعد عن الرياء ، وقد ساق القرآن مئات الآيات التي تدعو إلى الإيمان ، وتنفر من الشرك ، وتقيم الأدلة الساطعة والبراهين الدامغة على وحدانية الله عز وجل .

قال تعالى:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... (الإخلاس: ١)

وقال سبحانه :

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَوَارًا وَجَعَلَ عِلاَلَهَا أَلْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَينَ ٱلْبَعْرِينِ حَاجِرًا أَوِلَهُ مَعَ ٱللَّهِ بَلَ أَكْثَرُهُمْ* لاَ يَعْلَمُونَ . (النسل: ٢١)

وقال عن شأنه : لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ... (الأنبياء: ٢٢)

وقتال تعالى : وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَنْدِ وِإِنَّا لَمُوسِعُونَ ه وَالأَرْضَ فَرَهْنَاهَا فَيَعَمَ الْمَاهِدُونَ ه وَمِن كُلُّ شَيْء خَلَقْنَا زُوجَيْنِ لَمُلَكُمْ تَذَكُّرُونَ ه فَيْرُواْ إِلَى اللَّهِ إِلَى لَكُم مَنْهُ لَدِيرٌ مَّيِنٌ ه وَلاَ نَجْمَعُواْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَا عَاصَرَ إِلَى لَكُم مَنْهُ لَدِيرٌ فَيْنِيِّ (الداريات: ٤٧ - ٩٥).

وقال تعالى: إِنَّ اللَّهُ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء... (النساء: ١١٦)

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... (الإسراء: ٢٣)

أي : أحسنوا إليهما إحسانًا وذلك بالبربهما، وامتثال أمرهما ونهيهما، وفيه نهي عن عقوقهما.

وقد جاءت الوصية بالوالدين بعد النهى عن الشرك : تنبيهًا على أهمية بر الوالدين ، وتحذيرًا من عقوق الوالدين خصوصًا في حالة الكبر والضعف ، حيث يكون الأب أو الأم في أسرً الحاجة إلى الرعابة النفسية أو المادية ، وهو نوع من تكافل الأجيال وردّ الجميل ، ولا يوفّق لإكرام والديه إلاّ من يُردّ له الجميل من تريته وفي المديث الشريف : «عفوا : تعف نسازكم ، ويزُّرا آيامكم : تبرّكم أينازكم» ⁰⁷ .

وفى الربح الثنائى من سورة الإسراء قدم القرآن ٢٦ وصية وأدبا بدأها بنائدعوة إلى التوحيد وعدم الشرك وثناها بالدعوة إلى بر الوالدين . حيث قال تعالى :

وَقَعْنَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِبِّاهُ وَبِالْوَالِنَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّ يَلْفَنَّ عِبَدُكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَّ فَلاَ تَقُل لَّهُمَّا أَنْ وَلاَ تَهْرُهُمَا وَقُل لَهُمَا قَدْلاً كَبِيمًا ، وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلَّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رُبُّ ارْحَمْهُمَا كَمَا وَكَيْبِانِي صَعِيرًا. (الاسراء ٢٠ ، ٢٧)

وَلاَ تَفْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ لَّحْنُ نَوْزُقْكُمْ وَإِيَّاهُمْ.

الإملاق: الفقر.

وكانت الجاهلية تفعل ذلك بالذكور والإناث : خشية الإملاق وتفعله بالإناث : خشية العار ، فبين الله أنَّه هو الرزاق للوائد والولد وكل الكاننات الحية قال تعالى: وَمَا مِن دَايَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزَقُهَا. (مهند ٢).

والمعنى: لا تقتلوا أولادكم المعار من أجل الفقر فنحن قد تكفلنا برزقكم ورزقهم.

وهى سورة الإسراء قال تعالى : وَلاَ تَقْفُلُواْ أَوْلاَدُكُمْ خَشْيَةً إِمَادَقِ نَّحَنُ نَرَوْقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَفْلُهُمْ كَانَ خِيقًا خَبِيرًا . (الإسراء : ٣١)

وفي سورة الإسراء قدّم رزق الأولاد على الآباء؛ للإشارة إلى أن الوك الضميف يرزق أصلاً والأب يرزق تبمًا .

فالله يرزق الأب تابعًا لرزق الابن.

وقد ورد فى هدى السنة أن رجلاً اشتكى للنبى ﷺ ؛ لأنه يعمل ويكدح ويطعم أخاه الذي لا يعمل ، فقال له النبي ﷺ : «لملك به ترزق» (١٠) .

وَ لاَ تَقْرَبُواْ الْفُواحِشَ.

وكل قول أو فعل تستقبحه العقول فهو فاحشة يجب البعد عنها ، كالسرقة والزنى ، والنميمة وشهادة الزور .

مَا ظَهُرُ مِنْهَا وَمَا يَطَنَى

قال أبر السعود : أي : ما يقعل منها علانية في الموانيت كما هو دأب أراذلهم ، وما يفعل سرًا باتشاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم .

ونجد القرآن ينهى عن الاقتراب من الفواحش؛ لأن من حام حرل الحما يوشك أن يقع فيه ، ولأنه إذا حصل النهى عن الاقتراب من الشيء ، فلأن ينهى عن قطه من باب أولى .

وقريب من ذلك قوله تعالى:

وَلاَ تَقْرَبُواْ الزُّلَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةٌ وَسَاءَ سَبِيلاً . (الإسداء: ٣٧)

وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ.

أى: ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها ، بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد ، إلا إذا فعلت ما يوجب قتلها كالقصاص أو الربّة أو الزني بعد الزواج .

روى الشيخان عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال :

«لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة » (۵۰، ؟

قال الشوكاني: ومن الحق قتلها قصامنًا ، وقتلها بسبب زنى المحصن ، وقتلها بسبب الردّة ، وهذه هي الأسباب التي ورد الشرع بها .

ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

أى: ذلكم الذي ذكرناه لكم من وصايا جليلة ، وتكاليف حكيمة ، وصاكم الله به ، وطلبه منكم ، لعلكم تستعملون عقولكم في أداء هذه الجقوق الثابتة ، المتجاوية مع الفطرة ، وهذه الحقوق الخمسة المذكورة في الآية الكريمة ، هم . :

١ - توحيد الله.

٢ - الإحسان إلى الوالدين.

٣ - عدم قتل الأولاد.

٤ - الابتعاد عن القواحش.

٥ - عدم قتل النفس إلا بالحق .

وأداء هذه الوصايا يتفق مع العقل والفطرة السليمة .

٢٥٢ - وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْلَهُ ... الآية .

هذه وصية سادسة تتعلق بالمعاملة الحسنة لليتيم . وقد تعرض القرآن المكى والمدنى للوصية باليتيم ورعايته ، والمحافظة على ماله وعدم خلط ماله يمال الوصق : توطئة لأكل مال اليتيم ، ولما تكررت هذه الوصايا : تعرج المسلمون من خلط أموال اليتيم بأموالهم فأنزل الله تعالى : وَيُسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَكَامَى قُلُ إِصْبَاكَ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تَخَالِطُوهُمْ فَإِضْوَاتُكُمْ وَاللَّهَ يَعْلَمُ الْمُفْسِدُ مِنْ الْمُصْلِح ...

وهذا في سورة الأنعام يقول الله تعالى:

وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .

أي: لا تتعرضوا له بخصلة من الخصال أو بوجه من الوجوه إلا بالخصلة التي هي أحسن.

لأن الوصى ربما احتال بالحيلة لأكل مال اليتيم . فنهوا عن ذلك لكن إذا كان اقتراب الوصى من مال اليتيم وسيلة لتثميره وتنميته بطريقة حسنة ؛ فيجوز الاقتراب حينتذ ما دام فى صالح اليتيم ونفعه وزيادة ماله .

حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدُّهُ .

أي: احقظوا ماله حتى يبلغ الحلم فإذا بلغ العلم رشيدًا عاقلاً حسنًا للتصرف ، دفع الوصمى إليه ماله، وقد وردت هذه المعاني في صدر سورة النساء . قال تعالى :

وَالْبَنُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النَّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مَّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالُهُمْ ... (النساء: ٦)

أى: اختبروا اليتيم في مرحلة الصباء بأن تعطوه مبلغًا مناسبًا ليتصرف فيه برأيه وحكمته ، فإذا أحسن التصرف فزيدوه ومكّنوه من التصرف في ماله جزئيًّا ، حتَّى إذا بلغ سن الرشد عاقلاً محسنًا للتصرف فادفعوا إليه ماله .

وبلاحظ أن القرآن دائمًا يذكّر المُؤمن بالله ورقابته ، فإن الوصى قد يتلاعب فى الدفاتر ويزيّف الحسابات ، فيكرن منضبطًا أمام المجلس الحسبى وأمثاله من مجالس المحاسبين والرقباء ، لكن هذاك رقابة الله وحسابه قال تعالى:

فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَ الَّهُمْ فَأَهْمِلُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا . (النساء: ٦)

أى: يجِب إشهاد الشهود على دفع الوصى مال اليتيم إليه ، مع علمه أن هشاك رقبابة من الله الذي لا تشفى عليه خافية ، وهو سريع الحساب سبحانه وتعالى .

وَأَوْفُواْ الْكَيْلُ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ .

لا غنى للناس عن الكيل والويزن ، وقد تكريت وصايا القرآن بوغاء الكيل والميزان ، وحثت السنة المحلهرة على عدم تطفيف الكيل والميزان ؛ لأن المجائر لا يكاد يأخذ إلاّ الشيء المطفيف قال تعالى · وَيُلْ لَلْمُطَّفِّينَ «الْمِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَه وَإِذَا كَالُوهُمْ أُو وَنُوهُمْ يُغْسِرُونَ هَ الاَ يَظُنُّ أُوْلِيَكَ آلَهُم مُعُولُونَه يُوْمَ عَظِيم هَ يَوْمَ يُقُسُمُ النَّاسُ لِرَبَّ الْعَالَمِينَ . (عسلفين : ١- ١)

وعلى لسان نبى الله شعيب يقول القرآن الكريم:

أَوْقُواْ الْكَيْلَ وَلاَ تَكُولُواْ مِنَ الْمُخْسِرِينَ ه وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ه وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْوَاْ في الأَرْض مُفْسِدِينَ . (الشعراء: ١٨٩ – ١٨٣) .

لاَ تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا .

أى : إن قواعد الشريعة مبنية على رفع الحرج فلا تكليف إلا بما يطاق قال تعالى: لاَ يُكَلِّفُ اللهُ لَفُسًا إلاَّ مَا عَالَهُمَا . (الملاق: ٧) .

فالغبن اليسير في الكيل والوزن وغير ذلك مما لا يمكن التحرز منه معفو عنه.

قال أبرالسعود : لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسُمَهَا : إلا ما يسعها ولا يعسر عليها ، وهو اعتراض جيء به عقيب الأمر بالعدل: ثلايذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراهه معقو عنكم.

وإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَى .

القرآن هذا يرتفع بالضمير البشرى إلى مستوى سامى رفيع ، على هدى من العقيدة فى الله بأن يكلفه ﴾ بتحرى العدل في كل أحواله ولو إزاء أقرب المقربين إليه .

قال الشوكاني في فتح القلير: إذَا قُلْتُمْ فَاغْدِلُوا. في خبر أن شهادة أو جرح أو تعديل، فاعدلوا فيه وتحرّوا الصواب ولا تتمصبوا في ذلك لقريب ، ولا على بعيد ، ولا تعيلوا إلى صديق ، ولا على عدو ، بل سوُّوا بين الناس وَلَو كَانَ ، المقول فيه ،أوالمقول له ذَا قُرْنَي ، أي : صاحب قرابة لكم .

وهكذا نجد القرآن يسمو بآداب هذه الأمّة ويقدم لها النصائح التي تجدلها تقول الحق خالصًا لوجه ألله ولو كانت الشهادة على النفس أو على الوالدين أو على الأفريين فينبغى أن تؤدى بالحق ، والحق المجرد الخالص .

قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَتُواْ كُونُواْ قُوامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْعَلَى أَنفُسِكُمْ أَو الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ . (النساء: ١٣٥).

وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ .

أي : إذا عاهدتم الله ، أو عاهدتم بالله فأوفوا . وكونوا أوفياء مع الله في كل ما عهد إليكم به من العبادات والمعاملات وغيرها .

ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَذَكُّرُونَ .

أى : ذلكم المتلو عليكم فى هذه الآية من الأوامر والنواهى ؛ وصناكم الله به فى كتابه ؛ رجاء أن تتذكروا وتمتبروا وتمملوا بما أمرتم به .

وجاء في تفسير أبي السعود ما يأتي :

لَعَلْكُم تَذَكَّرُونَ .

تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه ، وقرئ بتشديد الذال .

وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار.

عن ابن عباس رضى الله عنه : هذه آيات محكمات لم ينسخهن ّشىء من جميع الكتب ، وهن محرمات على بنى آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة . ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار : والذى نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شىء فى التوراة . بسم الله الرحمن الرحيم :

قُّلْ تَعَالَوْاْ أَثْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَ تُشْرِكُواْ بِه هَيْنَا وَبِالْوَالِيدِيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقَشُلُواْ أَوْلُوهُ وَمَا لَكُواْ وَلَهُمْ وَلَا يَقْشُلُواْ أَوْلُمُواْ أَلْفُسُ الْبِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقْ ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَكُمْ تَعْلِلُونَ وَلاَ تَقْرُبُواْ مَالَ الْنِيمِ إِلاَّ بِالْبِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَنْلُغَ أَشْلَهُ وَأَوْلُواْ الْكَيْلُ وَالْمِيوْانَ بِالْفِيسْطِ لاَ لَكُلْفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وإذَا قُلْتُمْ فَاصْلُواْ وَلوَ كَانَ ذَا قُرْبَى وَيَهْفِوا اللَّهِ أَوْلُواْ فَإِنْكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَقَلْكُمْ تَلْكُوْونَ. (العَلم: ١٥٠، ١٥٠)

﴿ وَأَنَّ هَلَا اصِرَطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَبِعُوهُ وَلَا تَنْبِعُواْ السُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ عَ ذَلِكُمْ وَصَّنَكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقُونَ ﴿ ﴾

١٥٣ - وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ... الآية .

أى ولأن هذا الذى وصيتكم به من الأرامر والنواهى طريقى ودينى الذى لا اعوجاج فيه فمن الواجب عليكم أن تتبعوه وتعملوا به .

وجاء في تفسير أبي السعود ما يأتي :

وَأَنَّ هَذَا مِرَاطِي . إشارة إلى ما ذكر في الأيتين من الأمر والنهى قاله مقاتل ، وقيل : إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات الترحيد والنبرّة وبيان الشريعة .

وقال الشوكاني في فتح القدير :

وَأَنَّهُ هَلَا صِرَاطِي مُسْتَعِيمًا . السبيل الموصل إلى رضائى ، وهو دين الله ، ثم أمرهم باتباعه ونهاهم عن غيره فقال :

فَاتَّبُعُوهُ وَلاَ تَتَبِعُواْ السُّهُلَ .

أى : الأديان المتباينة طرقها .

فَتَفَرُّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ .

أى: عن سبيل الله المستقيم الذي هو دين الإسلام ، وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية. وسائر الملل ، والبدع والضلالات من الأهواء والشنوذ.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال:

خطُ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال: هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ:

وَأَنَّ هَٰلَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا . ١٧٠ ورواه الدارقطني وابن ماجه أيضًا .

ومُسْتَقِيمًا . حال مؤكدة

وقد أفرد الله سيحانه وتعالى -- الصراط المستقيم .

وهو سبيل الله ، وجمع السبل المخالفة له ؛ لأن الحق ولحد ، والباحال ما خالفه وهو كثير فيشمل الأديان الباطلة ،والبدع الفاسدة ، والشيهات الزائفة ، والفرق الضالة وغيرها .

ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْقُونَ .

أى: هذا الذى تقدم – وهو اتباع دين الله والابتعاد عن غيره من الأديان والنُحل الباطلة – هو الذى أمركم الله بالحرص عليه والسير على منهاجه ، رجاء أن تكونوا من الناجين المتقين .

* * *

﴿ ثُمَّةَ اَتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنْبَ نَمَامًا عَلَى الَّذِي آَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَقَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِ مُ يُؤْمِنُونَ ﷺ ﴾

المفردات

تنامًا على الله على الله على الله على كل من أحسن القيام به . أن على موسى الذي أحسن تبليفه. التقسير :

٤ ٥ ١ - ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ... الآية .

أي: ثم آتينا وأعطينا موسى التوراة: لإتمام النعمة والكرامة ، على كل من أحسن القيام بما اشتملت عليه من تكاليف أو إتمامًا للنعمة على موسى الذي أحسن تبليم التوراة .

وَتَفْصِيلاً لَّكُلُّ شَيءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً .

أى: جاءت الثوراة بيانًا وتفصيلاً لكل ما يحتاج إليه في الدين والدنيا ، وإرشادًا إلى طريق الغير ورحمة واسعة .

لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِم يُوْمِنُونَ .

أى : لعل قوم موسى وسائد أمل الكتاب يصدقون بيوم الجزاء ، ويقدّمون العمل الصالح الذي ينقعهم في هذا الهوم .

وفي هذه الآية إخبار من الله تعالى بأن الوصايا التي تقدم ذكرها ثابتة في الكتب المتقدمة ، ومنها النوراة . ﴿ وَهَذَا كِنْنَ أَنْ لَنَهُمُبَارَكُ فَاتَبِعُوا وَاتَقُوا اَمَلَكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ اَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِنْبُ عَلَى طَآيِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَاعَن دِرَاسَتِهِم لَفَنفِلِينَ ﴿ اَوْتَقُولُوا لَوْ أَنَآ أُولَ عَلَيْنَا الْكِنَبُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمٌ فَقَدْ بَآهَ كُمْ يَيِنَةٌ مِنْ تَوْحَكُمْ وَهُدَى وَرَحَمةً فَفَرْ عَنْ أَسْمَةِ فِي النِّي يَشْلِفُونَ عَنْ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهُ السَمَةِ فِي النِّي يَشْلِفُونَ عَنْ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهُ السَمَةِ فِي النَّيْنَ يَشْلِفُونَ عَنْ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهُ السَمَةِ فِي النَّهِ يَعْمَلُونَ عَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهُ السَمَةِ فِي النَّهِ يَعْمَلُونَ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْدَ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلْمَ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَنْهُمْ اللَّهُ عَلْمُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْدُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ عَنْهُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُولُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ اللَّهُ عَالَهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ الْعَلَيْكُمْ اللَّهُ الْ

المغردات :

دراستهم ، قراءة كتبهم .

وسدها عثها ؛ أعرض عثها ، أو صرف الناس عنها ،

التفسيره

ه ١٥ - وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارِكٌ ... الآية .

أى : وهذا القرآن ، كتاب الله العظيم ، أوحيناه إلى محمد ﷺ ، كثير المنافع والخير دنيا وأخرى . فَارْجُو وُ رَقُوْ الْمُلَكُمْ رُوْ حُمُونَ .

أي: اعملوا بما فيه من الأوامر والنَّواهي والأحكام.

وَاتَّقُواْ . مشالفته والتكذيب بما فيه ؛ رجاء أن تعمكم رحمة الله .

٩ ٥ ٩ - أَنْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَالِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ... الآية .

أى: أنزلنا إليكم -- معشر العرب – كتابًا ينطق بلغتكم : حشية أن تقولوا معتذرين يوم القيامة : إنما أنزل ذلك الكتاب – التوراة والإنجيل – على طائفتين من قبلنا ، وهما اليهود والنصارى ، وتخصيص الإنزال بكتابيهما : لأنهما اللذان اشتهرا من بين سائر الكتب السماوية السابقة ، قبل نزول القرآن .

وَإِنْ كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ .

أي: وإننا معشر العرب كنا منصرفين عن مطالعة تلك الكتب وقراءتها .

في هذه الآية قطم الأعذار، وإثبات الحجة عليهم، حيث نزل القرآن بلغة سهلة ميسرة، هي العربية.

٧ ٥ ١ - أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ... الآية .

أى: لثلا تقولوا معتذرين بأمر آخر ، لن أنَّا أنزل علينا الكتابُ كما أنزل على اليهود والنصاري – لمسرنا أكثر هداية إلى الحق منهم ، وذلك لجودة إدراكنا ، وتوقد أذهاننا ، وتفتح قلوينا .

فَهَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رِّبُّكُمْ .

أي : كتاب أنزله على نبيكم ، وهو منكم يا معشر العرب .

فلا تعتنروا بالأعذار الهاطلة ، فالقرآن فيه حجة واضحة على ما شرعه الله من الأحكام ، وإرشاد بين إلى طريق الحق .

وَهُدِّي وَرَحْمَةٌ .

أى: القرآن هداية لكم إلى طريق الحق ، ورحمة لمن يعمل ؛ بما اشتمل عليه من توجيهات وإرشادات. فَمَنْ أَطْلَمُ مِنَّ كُلُّبٌ بَآيَاتِ اللَّهِ وَسَدُفَ عُنْهَا .

أى: لا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله وأعرض عنها بعد أن جاءته بيِّناتها الكاملة ، وهداياتها الشاملة.

سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِلُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِلُونَ .

صَدُفَ عَنْهَا. أعرض عنها غير متفكر فيها ، أو صرف الناس عنها ، وصدهم عن سبيلها فجمع بين الضلال ، والإضلال .

والمُعنى: سنماقب الذين يعرضون عن أتباع آياتنا ، ويمسرفون الناس عنها بأسوإ العذاب وأشده بسبب تكنيبهم لأياتنا وإعراضهم عنها .

* * *

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَآ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلَتِيكَةُ أَوْيَأْتِي رَبُّكَ أَوْيَـأَقِتَ بَعْضُ ءَايَنتِ رَبِّكَ أَيْوَمَ يَأْقِ بَعْضُ ءَايَنتِ رَبِّكَ لَا يَنعَمُ نَفْسًا إِيمَنَهُا لَرْ تَكُنَّ ءَامَنتَ مِن قَبْلُ أَوْكَسَبَتَ فِي إِيمنيهَا خَيْراً قُلِ انتظرهٔ إِنّا أَمْنَظِرُونَ فَهِ ﴾

المفردات :

ينظرون، ينتظرون .

التفسير

٨ ٥ ١ - هَلْ يَنظُرونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ... الآية .

أي: ماذا ينتظر هؤلاء المشركون بعد أن قدمنا لهم كل الدلائل والبينات الداعية إلى الإيمان.

إنهم سيظلون في غيُّهم إلى أن تنزل عليهم ملائكة الموت فتقبض أرواحهم.

أَوْ يُأْتِيَ رَبُّكَ . يوم القيامة ؛ لفصل القضاء بينهم .

أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتٍ رَبُّكَ .

أي: أمارات الساعة الدالة على مجيئها.

أو العراد: الآيات والمعجزات التي اقترحهما على رسول الله ﷺ كما ورد في قوله تعالى: وَقَالُواْ أَنَّ تُوْمِنُ لَك تُوْمِنُ لَكَ حَتَى تَفْجَرُ لَنَامِنَ الأَرْصِ يَمِوعًا وَأَو تَكُونَ لَكَ جَنَّهُ مِّن تَجْيِلُ وَعَبَدٍ فَضَجَّر الأَفْهَارَ عِلاَلْهَا فَضِيرًا وَأَوْ تُسْقِطُ الشّمَاءَ كَمَا زَحْمِتَ عَلَيْنَا كِمِنَّا أَوْ تَأْبِي بِاللَّهِ وَالْمُلاَكِمَةِ قَيلاً وَأَوْ يَكُونُ لَكَ يَيْتُ مِّنْ وَمُوفِّواً وَتَوَلَّى فِي السَّمَاءِ وَلَن تُوْمِنَ لُوقِكًا حَتَّى تُوْرُكُ عَلَيْنَا كِمَانًا تَقْرَفُهُ قُلْ مُنْهِمَانَ رَبِّي هَلُّ كُنتُ إِلاَّ يَشَرَا وَسُولا . (الإسراد: ٥٠ – ٩٣)

والراجح أن المراد بآيات الله هذا: هو العلامات الصغرى والكبرى ليوم القيامة.

قال أبو السعود في تفسير الآية :

وقيل : إن المراد . بإتهانه تعالى : إتيان كل آياته بمعنى : آيات القيامة ، والهلاك الكلى بقرينة ما بعده من إتيان بمض آياته تعالى على أن المراد به :

أشراط الساعة التى هى الدخان ، وداية الأرض ، وخسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، والدَّجال ، وطلوح الشمس من مغريها ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى عليه السلام ، ونار تخرج من عدن ، كما نطق به العديث الشريف المشهور ٣٠٠ .

يُوْمَ يَأْتِي بُعْضُ ءَايَاتِ رَبُّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِجَالَهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَالِهَا تَعْرًا .

أى: عند مجىء أشراط الساعة وعلاماتها ، يذهب التكليف فلا ينفع الإيمان حينتذ نفساً كافرة ، لم تكن آمنت قبل ظهورها ، ولا ينفع العمل المسالح نفسًا مرثمنة تعمله عند ظهور هذه الأشراط ؛ لأن وقت التكليف الاختيارى قد فات ، ووجود الإنسان فى هذه الدنيا أساسه الاعتبار والابتلاء والامتحان ، فإنا عمل فى مرحلة التكليف الاجتيارى قبل عمله ، أما إذا عمل بعد ظهور علامات الموت أن علامات القيامة فلا يقبل منه ،

من كلام المفسرين

قال الطبرى:

معنى الآبة: لا ينفع كافرًا لم يكن آمن قبل الطلوع - أى : طلوع الشمس من مغربها - إيمانً بعد الطلوع، ولا ينفع مؤمدًا لم يكن عمل صالحًا قبل الطلوع عملٌ بعد الطلوع : لأن حكم الإيمان والعمل العمالح حينتذ. حكم من آمن أو عمل عند الغرغرة، وذلك لا يفيد شبدًا ، كما قال تعالى : فَلْمُ يُلكُ يَفْعُهُمْ إِكَانُهُمْ لَمَّا رأوا أَبأَسَاً، (غافر: ٨٥).

وكما ثبت في الحديث الصحيح: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر».

وقال الشوكاني في فتح القدير:

يُومٌ يَأْتِي يَعْشُ وَايَاتِ رَبِّكَ . يرم تأتي الآيات التي اقترجرها ، وهي التي تضملرُهم إلى الإيمان ، كطلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة التي تكلمهم .

لاَ يَشْخُ فُشُمًا إِكَالُهَا . لارتفاع التكليف بذلك : لأن الكلَّ يرون الحق رأى العين فيؤمنون جميمًا ، فلا ينغمهم حينئذ الإيمان .

لُمْ تَكُنُّ ءَامَنَتَ مِن قَبَلُ. أي : من قبل مجيء بعض الآيات فأمًّا التي قد كانت آمنت من قبل مجيء بعض الآيات : فإيمانها ينفعها .

أَوْ كُسَبَتْ فِي إِيَّالِهَا خَسِّرًا . بعمل صالح قدمته ، فمن آمن من قبل فقط ، ولم يكسب خيرًا فـي إيمانه ، أن كسب خيرًا ولم يؤمن ؛ فإن ذلك غير نافعة .

قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها – ثم قرأ الآية –» (١٠٠) .

قُلِ انعَظِرواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ .

رهذا تهديد للمشركين.

أى: قل لهم يا محمد: انتظروا ما تنتظرونه من إتيان الأصور الثلاثة وهـى: «الملائكة ، أو ربُّه ، أو بعض آيات ربُّك» لتروا أي شيء تنتظرون ، فإنا منتظرون معكم؛ لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ مَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيعَا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي ثَنَّ إِنَّمَا آَثُرُهُمْ إِلَى السَّحُمُ يَلَيْتُهُم عِاكَانُواْ مِنْعُلُونَ ﴿ ﴾

المردات :

شيحا، فرقا متعددة.

يتبتهم، يخبرهم ويعلمهم.

التفسيره

٩ ٥ ١- إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لُسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ... الآية .

أى: إن الذين فرَّقوا دينهم بأن المتلفوا فيه مع وحدته في نفسه فجعلوه أهواء متفوقة ، وهذاهب متهاينة وَكَّالُواْ شِيَّهَا . أي: فرقًا ونحلاً تتبع كل فرقة إمامًا لها على حسب أهوائها ومتعها ومنافعها ، بدون نظر إلى المق.

وقوله : لُسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ .

أي : أنت يريء منهم ، محميُّ الجناب عن مذاهبهم الباطلة .

أن لست من هدایتهم إلى التوحید فى شىء ، إذ هم قد انطمست تلویهم فأمىبحوا لا یستجیبون لمن یدعوهم إلى الهدى .

إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَالُواْ يَفْعَلُونَ .

أى : ما أمرهم ومال حالهم إلاً إلى الله وحده ، فيجازيهم على أعمالهم وعقائدهم الباطلة بما ستحقدن .

قال تعالى: إِنَّ اللَّينَ ءَامَتُوا وَ اللَّينَ هَادُواْ وَالصَّابِينَ والنَّمَارَى وَالنَّجُوسَ وَالَّينَ أَهْرَكُواْ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَسَهُمْ يُومَ الْقَيْامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلُّ شَيْءٍ فَهِيدٌ . (الحج: ١٧) .

وجاء في فتح القدير للشوكاني ما ملخَّصه :

إِنَّ اللَّيِنَ وُرُّقُواْ فِيَهُمْ . جِعلوا دينهم متقرقًا فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ، والمراد بهم : اليهود والنصارى والمشركون ، عبد بعضُهم الصنم ، ويعضهم الملائكة ، وكل من ابتدع وجاء يما لم يأمر به الله .

شِيَّعًا . فرقًا وأحزابًا .

فتصندُق على كل قوم كان أمرهم في الدين واحدًا مجتمعًا ، ثم اتبع كل جماعة منهم رأى كبيرٍ من كبراتهم يخالف الصواب ويباين الحقُّ.

لُسْتَ مِنْهُمْ فِي هَيْء .

أي: أنت بريء من بدعهم وافتراقهم، وإنما عليك الإنذار.

إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ. فهو مُجازِلهم بما تقتضيه مشيئته .

ثُمُّ هو يوم القيامة يُنبُّنُّهُم . أي : يشيرهم .

بِهَا كَانُواْ يَشْعَلُونَ . من الأعمال التي تخالف ما شرعه الله لهم وأوجبه عليهم .

* * *

﴿ مَن جَلَةَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَدُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۚ وَمَن جَلَّةَ بِٱلسَّيِشَةِ فَلَايُجْزَى إِلَّامِثْلَهَا وَهُمْ لَايُظْلَنُونَ ﴿ ﴾

التفسيره

٩ ٩ - مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْقَالِهَا ... الآية .

أى: من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنة ، فله عشر حسنات أمثالها في الجسُّن ، فضلاً من الله وكرمًا.

وقد جاء الوعد يسبعين ، ويسبعمائة، ويغير حساب ولذلك قيل : المراد بذكر العشر : بيان الكثرة لا العمر في العدد الشاص^(١).

وَمَن جَاءَ بِالسَّيْمَةِ فَلا يُجْزَى إلا مِثْلُهَا .

أي: ومن عمل عملاً سيئًا من شرك وغيره ، فعقابه مماثل لما عمل عدلاً .

وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ . بنقص شيء من ثرابهم أو الزيادة في عقابهم .

روى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : وإذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها : فإن عملها فاكتبوها بعثلها ، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد أن يعمل حسنة قلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة، (٣٠٠)

قال الشوكاني في فتح القدير:

مَن جَاءَ بِالْحَسَمَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَثْقَائِهَا . وهذا ما أرجبه الله تعالى على نفسه ، وقد يزيد ، كمثل حبة أنبتت سبع سنائل ، وورد في بعض الحسنات أن فاعلها يجازي عليها بغير حساب (١٠٠).

وَ مَن جَاءَ بِالسَّيِّةِ. من الأعمال السيئة فَلاَ بَجُرَى إِلاَّ مِثْلُهَا . من دون زيادة عليها ، على قدرها في الخقة والعظم ، فيجزى على سيئة الشرك بخلوده في النار ، وفاعل المعصية من المسلمين يجازي عليها بمثلها مما ورد تقديره من العقوبات .

وهذا إن لم يتب ، أما إذا تاب ، أن غلبت حسناته سيئاته ، أن تغمده الله برحمته ، وتفضل عليه بمغفرته فلا مجازاة .

وَهُمْ. أَى: من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة لاَ يُطْلُمُونَ . ينقص ثـواب حسنـات المحسنين ، ولا يزيادة عقوبات المسيئين .

* * *

المفردات ،

دينا قيماء دينا مستقيماً: لا عوج فيه.

حسيدا: ماثلا عن الأديان الباطلة.

ونسكسى، عبادتي.

أبخى رياء أطلب.

والاتسزر، ولا تحمل.

وازرة ، نفس آثمة .

صلائمة علقاء يخلف بعضكم بعضا.

ليهلوكم؛ ليمتحنكم ويختبركم.

التفسيره

٩ ٩ ٩ - قُلْ إِلَّنِي هَذَانِي رَبِّي إِلَى صِراَطٍ مُسْتَقِيم ... الآية .

أى: قل يا محمد لهؤلاء الذين فرُقُوا دينهم وكانوا شيعًا ، ولغيرهم ممن أرسلت إليهم - قل لهم جميعًا: لقد هدائي خالقي وربَّى إلى دين الإسلام الذي ارتضاه اعباده .

دِينًا قِبِّمًا . هو الدين المستقيم الذي لا عوج فيه .

مُّلُّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا .

إن هذا الدين الذي هو الصراط المستقيم ، الذي هداني إليه ربى ، هو الدين القيّم ، المتفق مع ملة إبراهيم .

حَيِفًا . مبتعدًا عن كل دين باطل ، ماثلاً إلى الحق .

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

ولم يكن إبراهيم في عقيدته مشركًا مع الله آلهة أخرى في أي شأن من شئونه .

قال أبو السعود في تفسيره:

مدرح بذلك ردًّا على الذين يدعون أنهم على ملته عليه السلام ، من أهل مكة واليهود والمشركين حيث قالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله .

١٦٢ - قُلُ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

أى قل لهم يا محمد أيضًا : إِنَّ صَلاَتِي . التي أتوجه بها إلى ربى .

وَلُسُكِي . آي : عبادتي وتقربي إليه وهو من عطف العام على الخاص ، وقيل : النسك : النبح : جمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تعالى : فُصَلُّ لرِّبُكَ وَلُسُوِّ . (الكوير : ٢)

رقيل: معناه: إن مملاتي وحجّى.

وقيل: المراد بالنسك: ذبائح الحج والعمرة.

وُمَحْيَايٌ وَمَمَاتِي . أي : حياتي وموتي .

وقال الشُّوكاني : أي : ما أعمله في حياتي من أعمال الغير ، ومن أعمال الخير بعد الممات ، بالوصية بالصنقات وأنواع القريات ، وقيل : نفس الحياة ونفس الموت .

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أي : خالصًا له . فأنا متجرد تجردًا كاملاً لفائقي ورازقي بكل خالجة في القلب ، ويكل حركة في هذه الحياة .

١٦٣ - لاَ شَرِيكَ لَهُ ... الآية .

أي : لا أشرك به شيئًا في صلاتي ولا نسكي ، ولا محياي ولا مماتي ..

وَبِلَاكَ أُمِرْتُ . أي : بذلك القول الطيب وبذلك العمل الشالص أمرت .

وَأَنَا أَوِّلُ الْمُسْلِمِينَ .

وأنا أول المنقادين المسارعين ، الممتثلين لأوامر الله ، والمنتهين عن نواهيه من هذه الأمة .

قال الشوكاني:

وَأَنَا أُوِّلُ الْمُسْلِمِينَ .. أي : أوَّل مسلمي أمته .

عن على أن النبي صلى الله عن على أن السلاة قال:

«وجهت وجهی للذی فطر السماوات والأرض حنیفا وما أنا من المشرکین ، إن صلاتی ونسکی ومحیای ومماتی نشرب العالمین ، لا شریك له ویذلك آمرت وأنا أول المسلمین » "'.

\$ ٦٠ - قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْهِ ... الآية .

أى: كيف أطلب غير الله ربًّا مستقلاً ، وأترك عبادة الله أو كيف أطلب شريكًا لله فأعبدهما ممًا ، والحال أنّه رب كل شيء ، والذي تدعونني إلى عبادته مربوب له ، ومخلوق مثلي لا يقدر على نفع ولا ضر.

وَلاَ تُكْسِبُ كُلُّ نَفْسِ إِلاَّ عَلَيْهَا .

كانوا يقولون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم: فبين القرآن هنا أن ما يعمله العاملون من خير وشر لا يعود إلاَّ عليهم ، قرابًا أن عقابًا .

وَلاَ تَوْدِ وَاذِرَةٌ وِزْدَ أُخْرَى .

أى : ولا تممل نفس مذنبة ، ولا غير مذنبة ، ذنب نفس أخرى ، وإنما تتحمل الآثمة وحدها عقوية إثمها، الذي ارتكبته بالمباشرة أو بالتسبب .

قال القرطبي: وأصل الوزر الثقل ومنه قوله تعالى: وَوَصَفْنَا عَنكُ وِزُرُكَ . وهو الذنب كما في قوله تعالى: وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَلْوَارُهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ. (الأنمام: ٣١)

وقال الشوكاني :

وفى هـذه الآية ردُّ لما كانت عليه الجاهلية من مؤاخذة القريب بذنب قريبه ، والواحد من القبيلة بذنب الآخر.

وهى الآية الأخرى: يَيْخُولُواْ أَوْزَاوُهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَادٍ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرٍ عِلْم. (النحل: ٢٠). ثُمُّ إِلَى رَبِّكُم مُرْجِعُكُمْ يُغَيِّسُكُم بِمَا كُتُمْمَ فِيهِ تَحْتَلُونَةً .

أى: أنكم بالموت ترجعون إلى الله ، وهو مالك أموركم فى الآخرة فيعلمكم بأعمالكم ، ليتبين لكم ما كنتم فيه من غرور وباطل مخالف للحق ويجازيكم عليه .

١٦٥ – وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ ... الآية .

أي: وهو الله الذي جعلكم تعمرون الأرض أمة تخلف أمة ، وقرنًا بعد قرن ، وخلفًا بعد خلف .

والخطاب على هذا عام لجميم البشر.

أو هو الذي جعلكم خلفاء الأمم السابقة ، والخطاب على هذا للمؤمنين .

وقيل: المراد: إن هذا النوع الإنساني خلفاء الله في أرضه.

وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فُوقَ يَعْضِ دَرَجَاتٍ. في الشلق والرزق والقوة والفضل والعلم إلى درجات.

لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ .

أى: ليختبركم فيما آتاكم من تلك الأمور، هل يقوم الغنى بحق المال؟ وهل يصبر الفقير على الحرمان؟ قال أبو السعود:

أي: ليعاملكم معاملة من يبتليكم ؛ لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده .

إِنَّ رَبُّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ .

أى : عقابه سريح الإتيان ، لمن لم يبراع حقيق ما آناه الله تعـالى ولم يشكره : لأن كل آت قريب ، أن سريح التمام عند إرادته لتعاليه عن استعمال المبلدي والآلات .

وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمُ .

أى: كثير الغفران والرحمة المن آمن بالله ورسله وكتبه ، واتبع أوامره وهديه .

وقد أكدّ الله الجملة الثانية ، أشد من تأكيده الأراى ، وهذا يبين أن رحمة الله تعالى أعظم من غضيه، روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الغلق كتب في كتاب عنده فرق العرش: إن رحمتي تغلب غضبيي، "".

وهذا ختام هذه السورة الكريمة القى عنيت بتثبيت عقيدة التوحيد ، وتغنيد شبهات المشركين ، وقد وردت أنها نزلت جملة واحدة وشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد .

والحمد الله رب العالمين. وصلى اللهم على سيدنا محمد النبي الأميُّ وعلى آله وصحبه وسلم.

تم تفسير هذه السورة : ليلة الإثنين لاشوال ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩١/٤/٢٢م . بجامعة السلطان قابوس بمسقط سلطنة عمان والحمد لله الذي ينممته تتم الصالحات



بين يلدى سورة الأعراف (٢٤)

سورة الأعراف هي السورة السابعة في الترتيب المصحفي وهي إحدى السور التي يدثت ببعض حروف التهجي (المص) ولم يتقدم عليها من هذا النوع سوى ثلاث سور سبقتها في تاريخ النزول وهي ن، ق، ص،

ويبلغ عدد السور التي بدئت بحروف التهجي تسعا وعشرين سورة ، وكلها سور مكية ما عدا البقرة وآل عمران . وعدد آيات سورة الأعراف (٢٠٦) آيات ، وعدد كلماتها (٣٣١٥) كلمة .

١ - معنى هواتح السور ،

ليس لهذه الفواتح في اللغة العربية معان مستقلة ، ولم يرد من طريق صحيح عن النبي ﷺ بيان للمراد منها ، بيد أنه قد أثرت عن السلف آراء متعددة في معاني هذه العروف ، وهذه الآراء على كثرتها ترجع إلى رأيين اثنين .

أحمدهما : أنها جميعا مما استأثر الله به ولا يعلم معناه أحد سواه ، وهذا رأى كثير من المسحابة والتابعين .

وثانيها : أن لها معنى ، وقد ذهبوا في معناها مذاهب شتى .

١ - فمنهم من قال: إنها أسماء للسور التي بدئت بها أو أن كلا منها علامة على انتهاء سورة والشروع في
 أخرى.

٢ -- ومنهم من قال: إنها «رمون» ليعض أسماء الله تعالى وصفاته.

- ومنهم من قال: إن المقصود منها هو تنبيه السامعين وإيقاظهم ، وسياسة النفوس المعرضة عن القرآن
 واستدراجها للاستماع إليه واستمالة العقول بشيء غريب على السمع للإنتباء والإصغاء للقرآن .

وأشهر آراء علماء البلاغة والبيان أن هذه الحروف ذكرت للتحدى وبيان إعجاز القرآن وأن الفلق عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التى يتضاطبون بها ، وفي هذا دلالة على أنه ليس من صنع بشر بل تنزيل من حكيم حميد .

ويرى ابن جرير الطبرى أن أفضل الآراء في معنى فواتح السور هو اشتمالها على جميع الوجوه التي ذكرها العلماء في معانيها . فهي أسماء للسورة ، وهي رموز ، وهي حروف للتنبية والتحدى . إلخ . وسورة الأعراف هي السورة المكية الثانية في ترتيب المصحف ، وهي تتسم بتلك السمات العامة التي أسلفنا الإشارة إليها في الحديث عن سورة الأنمام .

ثم تتميز بطابعها الخاص بعد ذلك من ناحية الموضوعات التي تعالجها والسياق الذي تسير فيه.

وموضوع السورة الرئيس هو الإنذار .. إنذار من يتولون غير الله ومن يكذبون بآيات الله ومن يستجرون عن طاعة الله ، ومن ينسون الله ومن لا يشكرون نعمته . إنذارهم هلاك الدنيا وعذاب الآخرة ، ذلك فوق الغزى والغوان والنسيان .

تبدأ السورة بالإنذار، ثم تسلك بهذا المعنى سبلاً شتى وتتصرف فيه تصرفات كثيرة وترسم له صورًا متعددة وتئمس به المشاعر لمسات مختلفة . فتارة يأغذ السياق شكل القصة : قصة أدم مع إبليس ، ثم قصص نوح وهود وصالح وشعيب وموسى مع أقوامهم ؛ لتنتهى كل قصة بالعذاب والنكال لمن يخالفون عن أمر الله ، وتارة يأخذ شكل مشهد من مشاهد القيامة أو مشاهد الاحتضار تنكشف فيه مصائر المكتبين المتكبرين ، ومصائر الطائمين لله رب العالمين .

ويتخلل القصص والمشاهد ما يتسق مع الجو العام من توجيه الأنظار والقلوب ومن الدعوة إلى القوية والإنابة قبل أن بحل العقاب ويتحقق الإنذار ومن الإشارة إلى عواقب المكذبين من الأمم المالية التي حق عليها النذير .

ويرد كل ذلك في تناسق مطلق بين السياق والقصة أو السياق والمشهد ، أو السياق والتوجيهات ، فتبدو القصمص والمشاهد والتوجيهات كلها أجزاء من هذا السياق العام ملونة بلونه ، مطللة بجوه محققة للغرض الذي يتجه إليه موضوع السورة الرئيس من البدء للختام .

٢ - مقاصد السورة ومزاياها :

مهدت سورة الأعراف لمقاصدها ببيان عظمة الكتاب ، وجلال هدايته وقوة حجته في توضيح الدعوة وإنذار المضالفين بها .

ثم تناولت أهداف الدعوة في مكة ، وهي تقرير رسالة الإسلام وبيان أصول هذه الدعوة : توحيد الله في العبادة والتشريع ، وتقرير البعث والجزاء ، وتقرير الوحي والرسالة بوجه عام ، وتقرير رسالة محمد ﷺ بوجه خاص ، وتلك هي أصول الدعوة الدينية التي كانت لأجلها جميم الرسالات الإلهية .

وقد سلكت السورة في طريقة عرض هذه المقائق أسلويين بارزين أحدهما : أسلوب التذكير بالنمم والآخر : أسلوب التخويف من العذاب والنقم . أما أسلوب التذكير بالنعم فنزاه وإضحًا في لفتها أنظار الناس إلى ما يلمسونه ويحسونه من نعمة تمكينهم في الأرض ونعمة خلقهم وتصويرهم في أحسن تقويم ، ونعمة تمتع الإنسان بما في هذا الكون من خيرات سخرها الله له .

أما أسلوب الإنذار والتخويف فهو ظاهر في جو السورة ، وفي قصص الأنبياء فيها وقد استغرق هذا القصص أكثر من نصفها ، وقد ساقت لنا السورة ما دار بين الأنبياء وأقوامهم ، وسجلت السورة جزاء المكتبين بأمر الله الخارجين على دعوة رسله وهدايتهم ، وهي ظاهرة تكررت الإشارة إليها في سور القرآن المكتبين بأمر الله الكرة من قبلهم .

٣ - عرض إجمالي لأجزاء السورة :

سورة الأعراف أول سورة طريلة نزلت من القرآن الكريم وهي أطول سورة في المكي ، وهي أول سورة عربة من المكي ، وهي أول سورة عربة : عرضت ! لتقصيل في قصص الأنبياء مع أمعهم ، وقد نزلت بين جملتين من السور المكية : يكثر في الجملة التي تعرف بسور «المفصل» (٢٠٠ . ويكثر في الجملة التي نزلت بعدها السور المتين» ٢٠٠ .

وتطالعنا سورة الأعراف بالحديث عن عظمة القرآن، وتأمرنا باتباعه وتحذرنا من مخالفته، وتحثنا على العمل الذي تثقل به موازيننا يوم القيامة (") في بداية تعد براعة استهلال أو عنوان لما تشمل عليه السورة، وهي سمة غالبة في سور القرآن حيث نجد الآيات الأولى منها عنوانا معبرا عن أهدافها وسماتها،

وفي أول سورة الأعراف يقول سبحانه:

النَّمَضَ ٥ كِتَابُ أَنْوِلَ إِلَيْكَ لَلاَ يَكُن فِي صَلْوِكَ حَرَجٌ مَنْهُ فِسَلِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُوْمِينَ ٥ البَّهُوا مَا أَنْوِلَ إِلَيْكُم مِّن زَيَّكُمْ ولاَ تَكِمُوا مِن دُولِهَ أَوْلِيَاءَ قِلْيلاً مَا فَلَكُرُونَ . (الأعراف: ١٠ – ٣).

ثم ساقت لذا السررة بأسلوب منطقى بليغ قصة آدم مع إبليس . وكيف أن إبليس قد خدعه بأن أغراه بالأكل من الشجرة المحرمة . فلما أكل منها هو وزوجته .

بَدَتْ ثُهُمَا سُوْءَاتُهُمَا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ . (الأعراف: ٢٢).

ثم وجهت إلى بني آدم نداء في أواخر هذا الربع نهتهم فيه عن الاستجابة لوسوسة الشيطان.

قال تعالى: يَابَنِى آمَهَ لاَ يُفْتِننَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبُويَكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنِزُعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُريَهُمَا سَوءَالهِمَاه إِنَّهُ يَرَاكُم هُو وَقِبِلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرُولُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أُولِيَاءً لِلْإِينَ لَا يُؤْمِنُونَ... (الأعراف: ٧٧) . وفى الربع الثانى منها نراها تأمرنا بأن نأخذ زينتنا عند كل مسجد ، وتخبرنا بأن الله – تعالى – قد أباح لنا أن نتمتع بالطيبات التى أحلها لنا ، وتبشرنا بحسن العاقبة متى اتبعنا الرسل الذين أرسلهم الله لهدايتنا ، ثم تسوق لنا فى بضع آيات عاقبة المكذبين لرسل الله ، وكيف أن كل أمة من أمم الكفر عندما تقف بين يدى الله للحصاب تلعن أختها .

قال تعالى: كُلَمًا دَخَلَت أَمَّةٌ لَعَتَ أَخْتَهَا حَتَى إِفَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيمًا قَالَتَ أَخْرَاهُمْ لُأُولَاهُمْ رَبَّنَا هُؤَلاَءِ أَضَلُونَ فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِغْفًا مِنَ الثَّارِهِ قَالَ لِكِلَّ ضِغْفَ وَلَكُون لاَ تَعْلَمُونَ وَقَالَتَ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ لَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَصْلَعِ فَلُولُولُ الشَّذَابَ بِهَا كَتَشُونُكُونَ . (الأعراف: ٣٨٠ و ٢٩) .

ثم تبين السورة بعد ذلك عاقبة المؤمنين فتقول :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَ تَكَلُّفُ نَفَسُ إِلاَّ وُسْعَهَا أُولِيكَ أَصْحَابُ الجَسَّةِ خُدُ فِيهَا خَالِلُونَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَ تَكَلُّفُ نَفَسُ إِلاَّ وُسْعَهَا أُولِيكَ أَصْحَابُ الجَسَّةِ

وفي أواخر هذا الربع وفي أوائل الربع الثالث منها نراها تسوق لنا تلك المحاورات التي تدور بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ، وتحكى لنا ما يحصل بينهم من نداءات ومجادلات ، تنتهى بأن يقول أصحاب النار لأصحاب الجنة على سبيل التذلل والتوسل:

أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ.

فيجيبهم أصداب الجنة :

إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ و اللِّينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَهُوَّا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الذُّنَّةِ .. (الأعراف: ٠٠،٥٠).

ثم تسوق لنا السورة بعد ذلك جانبًا من مظاهر نعم الله على خلقه ، وتدعونا إلى شكره عليها : لكي يزيدنا من فضله .

وفى الربح الرابع منها وفى أواخر الثالث تحدثنا عن قصة نوح مع قومه ، ثم عن قصة هود مع قومه ، ثم عن قصة صالح مع قومه ، ثم عن قصة لوط مع قومه ، ثم عن قصة شعيب مع قومه ، ولقد ساقت لذا خلال حديثها عن هؤلاء الأنبياء مع أقوامهم من العبر والعظات ما يهدى القلوب ، ويشفى الصدور ويحمل المقلاء على الاستجابة لهدى الأنبياء والمرسلين .

أما في الربع الضامس منها فقد بينت لنا سن الله في خلقه ، ومن مظاهر هذه السنن أنه -سبحانه-لا يعاقب قومًا إلا بعد الابتلاء والاختبار ، وأن الناس لر آمنوا واتقوا : لفتع - سبحانه - عليهم بركات من السماء والأرض وأن الذين يأمنون مكر خالقهم هم القوم الضاسوين . قال تعالى: بِلْكَ القُرَى نَفُصَّ عَلَيْكَ مِنْ أَلَنَاهِمَا وَلَقَدْ جَاءَتُهُمْ وُسُلُهُم بِالنَّبَاتِ فَمَا كَأُنُوا لِيوُمِوا بِمَا كَلَّبُوا مِن قَبَلُ كَالِكَ يَطَيُّمُ اللَّهُ عَلَى قلوبِ الكَالْوِينَ ، وَمَا وَجَلْنَا لاَكْتَرْهِم مِّنْ عَهْدٍ وإنْ وَجَدْنَا أَكْتَرْهُمْ أَلْفَاسِقِينَ . (الأعراف: ٢٠١٠،١٠)

ثم عقبت على ذلك ببيان أن الله تعالى قد ساق قصص السابقين ؛ للعظة والاعتبار.

ثم أسهبت السورة في الحديث عن قصة موسى — عليه السلام — فقصت علينا في زهاء سبعين آية — استفرقت الربع السادس والسابع والثامن — ما دار بينه وبين فرعون من محاولات ومناقشات ، وما حصل بينه وبين السحرة من مجادلات ومساجلات لنتهت بأن قال السحرة :

آمَنًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ . (الأعراف: ١٢١ ، ١٢٢) .

ثم حكت لنا ما لقيه موسى من قومه بنى إسرائيل من تكنيب وجهالات ، مما يدل على أصالتهم فى التمرد والمصيان ، وعراقتهم فى الكفر والطغيان .

وفى الربع التاسع منها حدثتنا عن العهد الذى أهذه الله على البشر بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، ثم حدثتنا على التفكير والتدبير فى ملكوت السماوات والأرض ، وبينت لنا أن موعد قيام الساعة لا يعلمه سوى علام الفيوب ، وأن الرسل الكرام وظيفتهم تبليغ رسالات الله ، ثم هم بعد ذلك لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً.

أما في الربح العاشر والأخير فقد امتمت السورة الكريمة بإقامة الأدلة على وحدانية الله ، وأنكرت على المشركين شركهم ، ودعت الذاس إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الشهم :

خُد الْمَفْرَ وأَمْرْ بِالْعُرِفِ وَأَعرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ . (الأعراف: ١٩٩) .

وأمرتهم بأن يكثروا من التضرع والدعاء:

وَاذْكُرُ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِن القَوْل بِالغِدَّو والاصَال وَلاَ تَكن مِّنَ الفَافِلِينَ . وإنَّ الَّذِينَ وعد رَبِّكَ لاَ يَسْتَكَبُرُونَ عَنْ عَبَادَتِه وَيُسَبَّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ . (الاعراف: ٢٠٦. ٢٠٥) .

٤ - قصة آدم ،

ذكرت قصة آدم في سورة البقرة ثم أكملت سورة الأعراف حلقات هذه القصة . وذكرت أن الله خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له : إظهارًا لفضله وتنويها بما يكون له من شأن بعد أن سألوا عن الحكمة في خلقه وقد ركبت فيه الشهوة والفضي ويهما يفسد في الأرض ويسقك الدماء . وذكرت السورة موقف إيليس وإباءه السجود والامتثال لأمر الله ، كما ذكرت قصة تأثر آدم بوسوسة الشيطان ، وإغراثه إياه بالأكل من الشجرة وكيف كانت عاقبة آدم في الهبوط من الراحة والاطمئنان إلى الكد والقعب ، وإلى مكافحة عوامل الشرالتي بنيت الحياة عليها وعلى ما يقابلها من عوامل الغير ، ومطالبة الإنسان بأن يقف مع جانب العقل والرسالة الإلهية اللذين يشدان أزره في التغلب على عوامل الشر.

لقد كان آدم في نعيم الجنة يتمتع بما فيها من كل ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ويتنقل بين أشجارها ويتقيل بالمتعقق ولكن أشجارها ويتقيل بالكن المتعقق والكن المتعلق والكن المتعلق والكن المتعلق والكن المتعلق والكن من الشجرة وأقسم لهما بأنه من الناصحين ، فلما أطاعا الشيطان وأكلا من الشجرة سلب الله عنهما نعمته وحرمهما جنته :

وَنَادَاهُمَا رَبُّهِمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقَل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُو شُبِينٌ . (الأعراف: ٢٢) •

وقد ندم آدم وحواء أشد الندم وتنابا إلى الله توية نصوحًا فتاب الله عليهما وأمرهما أن يهبطا إلى الأرض ؛ ليكرها ويعملا فتعمر الأرض وتنتشر الحياة في جنباتها . وقد حذر الله أدم وذريته من الشيطان وإغرائه ، وبين سبحانه أن على المؤمن أن يلجأ إلى ربه وأن يستمين بهداه وألا يخلد إلى الهوى وألا يمأس من رحمة الله ؛ فقد فتح الله باب التوية على مصراعيه حتى يتوب إليه التائبون ويلجأ إليه المؤمنون . فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

والمؤمن يتسامى بغرائزه وينتصر على شهواته وينهى نفسه عن الهرى ويحملها على طريق الفلاح والاستقامة .

قال تعالى : ونَفْسِ وَمَا سُوَّاها ه فَأَلْهَمُهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ه قد أَقْلَح مِنْ زَكَّاهَا ه وقَد بُر حَابَ مَن هَسَّاهَا (الشمس: ٧ - ١٠)

٥ - نعمة الثياب والزيئة :

تحدثت سورة الأعراف عن نعم الله تعالى على بنى آدم ، ومن هذه النعم نعمة المليس الذى يستر الذاس به عورتهم ، ويحملون به أنفسهم هيأ الله لهم مادته من القطن والصوف والحرير وما إليها وألهمهم بما خلق فيهم من غرائز طرق استنباتها وطرق صناعتها بالغزل والنسيج والفياطة ، ولفت أنظارهم إلى أن تقرى الله فى الانتفاع بثلك النعمة ، واستخدامها فى طاعة الله وشكره ، ويذلك تستر الثياب العورة، وتكون مصدر نعمة لا نقمة .

قال تعالى : يانِي آخمَ قَلْدَ أَنْزِكَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوارِي سَوْءَالِكُمْ وَربِشًا وَلِبَاسُ الثَّقُوى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّه لَعَلَهُمْ يُلَّدُّوُونَ . (الأعولف: ٢٧) . وفي هذا تنبيه إلى أن المضارة الحقة ليست في كشف المفاتن ولا في إظهار العورات وإنما المضارة الحقة في السير على سنة الله وهدي رسله وتعاليم أنبيائه .

توسط الإسلام في شأن الزينة ،

من الآيات المشهورة قوله تعالى :

يَانِني آدَمَ خُلُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِد وَكُلُوا واشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ . (الأعراف: ٣١) .

ومن هذه الآية نلمح سماحة الإسلام ويسره فهو يأمر بالنظافة ويدعو إلى التجمل والتزين ويحث على التمتم بالطبهات . وفي المديث الشريف يقول النبي ﷺ :

«إن الله نظيف يحب النظافة جميل يحب الجمال ، طيب يحب الطيبين» .

وقد جاء الإسلام دينًا وسطًا فقد نهى عن التبذير والإسراف وحذر من الشع والبخل وأمر بالقصد والاعتدال قال تعالى :

لْمُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللَّهِ الَّذِي أَخَرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّلِّياتِ مِنَ الرَّزْق . (الأعراف: ٣٧) .

فهو سبحانه خلق الإنسان بيده ونقع فيه من روحه وفضله على كثير من المطلوقات وسخر له الكون بما فيه من سماء مرفوعة وأرض مبسوطة وجبال راسية ويحار جارية وليل مظلم ونهار مضيء وأمره أن يستمتع بالطيبات وأن يبتعد عن المحرمات فهناك حدود بيّنها الله : فالحلال بيّن والحرامُ بيّن وظاهر، ويبنهما أمور مشتبهات فيها شبهة وإثم فمن ابتعد عن الشبهات ؛ فقد سلم عرضه ودينه ومن وقع في الشبهات ؛ كانت طريقا إلى الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه . وصدق الله العظيم :

قُل إِنَّمَا حَرَّمٌ رَبَّى الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا يَطَنَ والإِثْمَ وَالْبُغْيَ بِغَيْرِ الحقّ . (الأعراف: ٣٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم



﴿ المّعَسَ ۞ كِنْبُ أَزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْدِكَ حَرَجٌ فِنَهُ لِلُمَنِ رَبِهِ. وَذِكْرَىٰ لِلْمُعْ مِنِ رَبِيعُ وَلَا تَنْبِعُوا مِن دُوبِهِ أَوْلِياً أَقِيلًا لَمْ مَن رَبِيعُ وَلَا تَنْبِعُوا مِن دُوبِهِ أَوْلِياً أَقِيلًا مَا اللّهُ مَن رَبِيعُ وَلَا تَنْبِعُوا مِن دُوبِهِ أَوْلِياً أَقِيلًا مَا اللّهُ اللّهُ مَن مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَن اللّهُ مَنْ اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَن اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّه

المفردات :

التندر به ، الإندار الإخبار مع تحريف العاتبة .

وذكسرى، أي : وتذكير.

أولسيساء ، أعوان وتصراء جمع وأي .

كــــــم ، اسم يفيد التكثير.

والقرية تطلق على الموضع الذي يجتمع فيه الناس وعلى الناس معًا. وتطلق على كل منهما كما جاء في قوله تعالى واشَّالُ الْقَرْبَةُ أَي: أَهْل القرية .

بأستا : عذابنا ، بياتًا مصدر وقع الحال معناه : بائتين والبيات : الإغارة على العدو ليلاً والإيقاع به على غرّة . قائلون : ثائمون في وسط النهار ، والقائلة : الظهيرة والنوم في الظهيرة .

دعواهم ؛ الدعوى : ما يدعيه الإنسان وتطلق على القول أيضًا .

الثين أرسل إليهم : هم المرسل إليهم أي : الأمم المُرسَلِين : هم الرسل .

فعلب شيق عن فل مكينٌ يقال: قص الخبر يقصه قصًا: حكاه.

والوزن يومئذ الحق: أي : الوزن الحق أي : الصحيح يكون يومئذ.

تمهيد،

آلمَمن.

هذه فواتح لبعض السور القرآنية ، وقد افتتح الله تعالى بعض السور بالنداء مثل : (يَــّاأَيُهَا الْمُوْمَّلُ) (يَــّاأَيُّهَا الْمُدُّلُ (يَـّالَيُّهَا النَّهُ أَلُقِ اللهُ (يَـّالَيُّهَا النَّينُ وَاسُولُ لا يَـــــــــ

ويعض السور بُدئت بـالقسم ، مثل : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) (والشُّحَى * وَالَّيْلِ إِذَا سَجَى ۚ .) (وَالتَّبِنِ وَالزَّيْتُونِ وَشُورِ سِنِينَ * وَهَذَا النِّبَلَةِ القَّمِينِ . .) .

(وَاللَّهْرِيَاتِ ذُرُواً..) ومثل: (وَالصَّافَاتِ صَفَّ ..) (والطور) ، (والنجم) ، (والفجر) ، (والليل) ، (والعاديات)، (والعصر) ويعض السور بدئت بالثناء وإثبات الحمد لله .

كما في سورة الفاتحة ، (الْمُحمَّدُ لِلَّهِ رُبَّ الْعَالَمِينَ) وكما في سورة الأنمام : الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الطلمات والذور وكما في سورة الكهف (الْعَمَّدُ لِلَّهِ الَّذِينَ أَنزَلَ عَلَيْ جَبِّدِهِ الْكِمَّابِ ..) .

حروف المعجم :

انتتح الله تعالى بعض السور القرآنية بالحروف المقطُّعة وهي حروف المعجم.

فبعض السور بدأ بحرف واحد مثل ن ، قَه ص .

ويعض السور بدأ بحرفين مثل حمم ، طة ، يس .

وبعض السوريدا بثلاثة أحرف مثل الم ، طسم ، الر .

ويعض السور بدأ بأريعة أحرف مثل المن ، الم .

ويعض السور بدأ بخمسة أحرف مثل: حمّ عسق ، كهيعض .

وليس لهذه الأحرف معان مستقلة في اللغة العربية فهي لا تكون جملة مفيدة مستقلة .

وقد تكلم العلماء عن معانيها في كتاب الله تعالى ، وأشهر آراء العلماء تنقسم إلى قسمين .

القسم الأول: هي حروف استأثر الله تعالى بمعرفة معناها.

القسم الثاني : هي حروف لها معنى وتعددت آراء العلماء في تحديد هذا المعنى .

فمنهم من قال: هي أسماء للسورة ، ومنهم من قال: هي حروف تشير إلى أسماء الله تعالى أو صفاته.

ومنهم من قال هى دليل على انتهاء سورة ويداية أخرى، ومنهم من قال: حروف للتحدّى والإعجاز وبيان أن الخافي عاجزون عن الإتيان بعثل هذا القرآن مع أنه مكون من حروف عربية يتضاطبون بها ، فدلً ذلك على أنه ليس من صنع بشر وإنما هو تنزيل من حكيم حميد وأصحاب هذا الرأى يرون أن الحروف المقطعة في فواتح السور مجموعها – بعد حذف المكرر منها – هو ١٤ حرفًا ، ومجموع حروف المعجم في اللغة العربية هو ٨٨ حرفًا . فكأنُ الحق سبحانه يقول : لقد جعلت من نصف الحروف فواتح للسور في هذا الكتاب ، وتركت لكم النصف الثانى ؛ لتصنعوا منه كتابًا مثله إن استطعته .

ولاحظ أصنحاب هذا الرأي أن فواتع السور هوت من كل جنس من الحروف نصف ، فقد حوت نصف الحروف المهموسة ، ونصف الحروف المجهورة ، ونصف الشديدة ، ونصف الرُّحوة ، ونصف المطبقة ، ونصف المنقصة ، وهو لون آخر من ألوان الإعجاز لهذا الكتاب الكريم .

رجوع إلى القرآن الكريم :

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم ، وتتبعنا هذه السور الكريمة ، التي بُدئت بحروف الهجاء ؛ رأينا أنها في الأعم تحدثت عن نزول القرآن الكريم وإعجازه ، فدلُ ذلك على أن هذه الحروف قد ذكرت في بداية هذه السور؛ إشارة إلى التحدي والإعجاز .

اقرأ إن شئت : ألَّم م ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ. البقرة .

آلَمْ وَ اللَّهُ لاَ إِلَهُ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و تَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ... أل عمران .

الممس و كِتَابٌ أَنزِلَ إِلَيْكَ ... الأعراف.

الْر بِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيم. يونس.

الر كِتَابُ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمُّ فُصَّلَتْ مِن لَّذُنْ حَكِيم حَبير. هود.

الْو تِلْكَ ءَايَاتُ الكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبًّا لُّعَلَّكُمْ تَفْقِلُونَ. يوسف.

الْمَوْ لِلْكَ عَايَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أَلزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ. الرعد .

السر كِتَابٌ أَنزَ ثَنَاهُ إِلَيْكَ لِتُحْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور ... إبراهيم .

الْسر تِلْكَ عَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُوْءَانِ مُبِينٍ. المعجد.

طُّه ، مَا أَنزَلُنَا عَلَيْكَ الْقُرِءَانَ لِمُشْقَى . طه .

طسم و بلك عَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . الشعراء .

طسم م يلك عَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ و تَعْلُواْ عَلَيْكَ مِن نُبِّ إِمُوسَىٰ وَقِرْعُونَ بِالْحقّ لِقَوْم يُومِنُونَ. القصص

طُسَ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينِ. النمل.

الْمَ * يِلْكَ عَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدَّى وَرَحْمَةٌ لُّلْمُحْسِنِينَ. لقمان .

صَ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذُّكْرِ. ص.

حم م تَعزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. خاند.

حمم ، تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. نصلت .

حمَّ . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَطْقِلُونَ. الزعرف.

حمم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَلزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُعَلِرِينَ. الدهان.

قَ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ. ق.

أسياب الترول ،

وإذا نظرنا إلى الأسباب العامة لنزول هذه الآيات ، وإلى الجو الذي نزلت فيه رأينا أنها كلها سور مكية، ما عدا البقرة وأل عمران وكلها نزلت تجادل كفار مكة وتصرفهم عن عنادهم ، وتأخذ بايديهم . وتأبيد بايديهم . وأبيابهم إلى مواطن الإعجاز في هذا الكتاب الثالد الذي أنزله الله على نبيه : هداية لهم ونورًا لحياتهم ونظاما لسلوكهم ، ولكنهم صموا أذانهم عن سماعه وقالوا : أساطير الأولين ، وادعوا أنه حديث مفترى ، وأنهم لو شاءوا لقالوا مثله ، إلى غير ذلك مما كانوا يحاولون به صرف الناس عن القرآن والصد عنه ، فبدئت هذه السور بهذا الأسلوب ؛ تأثيرا في قلويهم ولفتًا لأنظارهم . ولا يخفى أن المفاجأة بالفريب الذي لم يؤلف، لها في إرهاف الأسماع وتنبيه الأذهان مالا يحتاج إلى بيان .

سرالإعجازه

ولا يبعد أن يكون الإعجاز في هذه الأحرف هو اشتمالها على جميع الوجوه التي ذكرها العلماء في معانيها.

فهى بداية للسور ، وهى إشارة إلى أسماء الله تحالى أو صفاته ، وهى لون من التنبيه الذي يقرع الأذهان ويلفت الفافلين .

وهي مما أقسم الله به ؛ لبيان شرف القرآن وفضله .

وهي مما استأثر الله بحقيقة المراد منه ، فكل ما ذكره العلماء اجتهاد محمود ؛ لإدراك أسرارها أو حكمة الابتداء بها .

ولا يزال الله يتفضل على عباده صباح مساء بقهم كتابه واستنباط معانيه ، سئل الإمام على رضى الله عنه : هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء ؟ فقال : لا إلا فهما يعطيه الله لرجل في القرآن .

ومدق الله العظيم : قُل تُو كَانَ البُحرُ مِدَادًا لُكُلِمَاتِ رَبِّى لَقِدَ البُحرُ قَبَلَ أَنْ تَفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَقُو جِنَنا بِمِعْلِمِ مُمَدًّا (الكيف: ١٠٩).

التفسيره

١ - التمن.

هذه الأحرف بداية لسورة الأعراف ، وهي مما استأثر الله تعالى بعلمه .

ويجوز أن تكون بداية للسورة ، بمثابة الجرس الذي يقرع فيتنبُّه التلاميذ إلى دخول المدرسة .

أو هي حروف للتحدّي والإعجاز ، أو هي إشارة إلى أسماء الله تعالى أو صفاته ، أو هي اسم خاص بسورة الأعراف والله تعالى أعلم .

٢ - كِتَابُ أَنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ... الآية .

أى: هذا كتاب كريم أنزلناه إليك يا محمد فيه هداية الثقلين ، فبلَّغ تعاليمه للناس ، ولا تحزن أن تُصْبحِر إذا وجِدت من يَحضمهم مسرودًا عنك ، فما عليك إلا البلاغ ، وعلى الله الحساب .

ولقد كان ﷺ يتألم ويحزن : لانصراف قومه عن هداية الله رغم وضوحها وبيانها ، وكان القرآن الكريم يواسيه ويحثه على الصدر والتسلية ، وعدم الحزن ، كما في قوله تعالى : لَمَلْكَ بَاحْعٌ لَفْسَكَ أَلاَ يَكُونُواْ مُؤْمِينَ . (الشمراء : ٣) . وكما في قوله تعالى : وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِينُ صَدَّرْكَ بِمَا يَقُولُونَ . (الحجر: ٩٧) .

وكما في قوله سيحانه : لُّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ... (البقرة : ٢٧٢) .

وكما في قوله تعالى: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاَغُ ... (الشورى: ٤٨).

وقريب من ذلك قوله سبحانه : فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْم الْفَاسِقِينَ . (المائدة : ٢٦) .

وقوله تعالى: فَالاَ تَذْهُبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . (فاطد: ٨).

وقد نسر بعض العلماء الحرج بـالشكّ وهو معنى مجازئ للحرج ، أى : لا يكن فى صدرك شك ولا لبُس فى كون هذا القرآن كتاب الله .

قال الآلوسي :

قوله تعالى : فَلاَ يَكُن فِي صَلْرِكُ حَرَجٌ مُنَّهُ . أَيْ : شك ، وأصله : الضيق واستعماله في الشك مجاز علاقته اللزوم ، فإن الشاك يعتريه ضيق الصدر ، كما أن المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه .

لعُندرَ به .

أي : لتنذر به قومك وسائر الناس .

وَذِكْرَى لِلْمُوْمِنِينَ .

أى: لتذكر به أمل الإيمان والطاعة ذكرى نافعة مؤثرة: لأنهم هم المستحدون لذلك ، وهم المنتفعون بإرشادك ، فالكتاب يذكرهم آنًا بعد آن بريهّم ، وما يحق له من الطاعة .

قال تعالى : وَذَكَّرْ فَإِنَّ اللَّكُرَىٰ تَنفَعُ الْمُومِينَ . (الذاريات : ٥٥) .

وقال تعالى : تَبْصِرَةٌ وَ ذِكْرَىٰ لَكُلٌّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ . (قَ : ٨) .

وقال تعالى: إِنَّمَا يَعَذَّكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ. (الزمر: ٩).

٣ -- البِعُوا مَا أَلزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَبَّكُم ...

أى : اتبحوا القرآن العظيم ، والسنة النبوية معه ؛ لأنها تُبيّنه وتفسّره فقد قال تعالى : وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخَدُرهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنُهُ فَاتَهُواْ … (السدر : ٧).

والآية الكريمة كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين.

قال د . محمد سيد طنطاوي :

أى: اتبعوا أيها الناس ملة الإسلام وأحلُوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وامتثلوا أوامره ، واجتنبوا نواهيه، لأن الذي أنزل عليكم هذه الشريعة هو ربكم ، الذي هو خالقكم ومربيكم ومدبر أموركم ، والعليم بما فيه مصلحتكم .

ولاَ تَعْبُعُوا مِن دُونِهِ أُولِياءً .

أي: أفردوا الله بالألوهية ، ولا تتجاوزونه إلى الشركاء والرؤساء فيما يحللونه ويحرمونه .

قال أبو السعود: ولا تَتَعُوا مِن دُولِهِ ... أي: من دون ربكم الذي أنزل إليكم ما يهديكم إلى الحق.

أُولِهاً . من الجن والإنس بأن تقبلوا منهم ما يلقونه إليكم بطريق الوسوسة والإغواء من الأباطيل ؛ ليضلوكم عن الحق ، ويحملوكم على البدع والأهواء الزائفة .

قَلِيلاً مَّا تَذَكُّرُونَ .

أى: تذكروا قليلاً ما تتذكرون.

قال أبو السعود: وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة ، وقُلِيلاً منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف أو لظرف زمان محذوف ، ومًّا مزيدة ؛ لتأكيد القلة .

أى: تذكروا قليلا ، أو زمانًا قليلاً تتذكرون لا كثيرًا ، حيث لا تتأثرون بذلك ، ولا تعملون بموجبه ، وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ، ويجوز أن يراد بالقلة : العدم ، كما قيل في قوله تعالى : فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُون .

والجملة : قَلِيلاً مَّا تَلَكُّرُونَ . اعتراض تذييلي مسوق ؛ لتقبيح حال المخاطبين .

وقال الشوكاني : قَلِيلاً مَّا تَلَكَّرُون أي : إن البشر يتذكرون الحق في شأن الإيمان قليلاً ، وينسون ذلك أو يجهلونه كثيرًا .

﴿ وَكُم مِّن قَوْيَةٍ أَهْلَكُنَاهَا فَجَاءَهَا بَأَسْنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَالِلُونَ .

قال أبو السعود:

هذا شروع في إنذارهم بما جرى على الأمم الماضية بسبب إعراضهم عن دين الله تعالى ، وإصرارهم على اتباع دين آباتهم . والمعنى : ركثيرًا من القرئ الظالمة أردنا إملاكها ، فنزل على بعضها عذاينا في وقت نوم أهلها بالليل، كما حصل لقوم لوط ، ونزل على بعضها في وقت استراحة أهلها بالنهار كما حصل لقوم شعيب .

قَالَ الشُّوكَانِي في فتح القديرِ : أَوْ هُمُ قَالِمُونَ والقيلولَة : هي نوم نصف النهار ، وقيل : هي مجرد الاستراحة في ذلك الوقت ؛ لشدة الحرَّ من دون نوم ، وخصَّ الوقتين ؛ لأنهما وقت السكون والدَّعة .

فمجىء العذاب فيهما أشدٌ وأفظع .

وقال د. طنطاوى :

ومن العبر التي ترّخذ من هذه الآية أن العاقل هو الذي يحافظ على أداء الأوامر واجتناب النواهي ، ولا يأمن صفو الليالي ، ورخاء الأبام ، بل يعيش حياته وصلته بريه مبنية على الخوف والرجاء : فَلاَ يَأْمُنُ مُكّرُ اللّهِ إِلاَّ الْقَرْمُ الْمُعَاسِرُونَ . (الأعراف: ٩٩) .

ه - فَمَا كَانَ دَعْواَهُم إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلاَّ أَن قَالُوٓا إِنَا كُنَّا ظَالِمِين .

أى: فما كان منهم عندما باغتهم العذاب فى وقت اطمئنانهم ، إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه، وشهادتهم ببطلانه : تحسرًا عليه ، وندامة ، وطمعًا فى الضلاص وهيهات ولات حين نجاة .

٣ - فَلْنَسْعَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْعَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ .

والمعنى: فلنسألن المُرْسَلَ إليهم عما أجابوا به رسلهم الذين جاءوا لهدايتهم.

وَلُنْسُفَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ عما أجيبوا من قومهم ، وعن تبليغهم لرسالات الله .

وسؤال المكذبين للرسل ؛ للتوبيع والتقريع للمكذبين بهم ، وفيه بيان لعذابهم الأغروى بعد عذابهم الدندى .

وسوّال الرسل ؛ لتكريمهم وإظهار شرف عملهم ، وتبرثة ساحقهم حيث يقول بعض المشركين : مَا جَمَاءَتَا مِن يَشْعِر وَلاَ لَقِيهِ ... (المائدة : ١٩) .

قال الشوكاني في فتح القدير :

وَلَتَسْتَلَنَّ الْعُرْسَلِينَ ، أي : الأنبياء الذين بعثهم الله ،نسألهم عما أجاب به أممهم عليهم ، ومن أطاع منهم ومن عصى ، وكل ذلك : ليكون معلوماً أننا ما ظلمنا أهل ثلك القرى ، عندما أهلكناهم ، بل كانوا هم الظالمين بتكذيبهم للرسل . ا هـ .

٧ - لَلْنَقُصُّنَّ عَلَيْهِم بعِلْم وَمَا كُنَّا غَالِبِينَ.

أي : ظنقصن على الرسل والمرسل إليهم ، كل ما وقــع منهـم عــن علم دقوق وإحصــاء شامل ؛ لأنتا لا يغيب عنا شيء من أحوالهم .

قال تعالى : يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِئتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنآ إِنْكَ أَلتَ عَلاَمُ الْفَيُوبِ . (المائدة : ١٠٩).

والحق سبحانه وتعالى هنا يعرض الغائب هاضرًا ، ويستعرض القيامة وأهوائها وأحوالها ؛ ليضع الإنسان أمام نفسه ، تيصرة وتذكرة ، وهذه من ألوان تعريف القول في القرآن الكريم فهو حيثًا يعرض أهبار الأمم الماضية وأحوالها ، وهو حيثًا يعرض مظاهر الكون ويديع صنع الله في الخلق ، وهو حيثًا آهر يستعرض القيامة والبعث والحشر والسؤال والصراط والميزان ، حتى يشاهد الإنسان بعينيه في الدنيا مشاهد القيامة كأنها بين بديه ؛ لدزياد عقلة وعيوة .

يقول الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في تفسير العشرة أجزاء الأولى للقرآن الكريم:

والذى يهمنا هنا أن نقرر أن هذا السؤال لم يكن سؤال استفهام ولا استفهار، وإنما هو سؤال تبكيت وتنديد ، فليس فى السائل مظنة أن يجهل ، ولا فى المسئول مظنة أن ينكر: وهو تصوير لما يكرن من شعور المكنبين بتكذيبهم ، وشعور المرسلين بتبليغهم ، وهو نوع من تسجيل الحجة على من أنكرها ، وأعرض عنها فى الوقت الذى كان يجد به الإقبال عليها والإيمان بها ، وهو نوع من زيادة الحسرة ، وقطع الأمال فى النجاة ، بوضع يد المجرم على جسم جريمته ، وهو فى الوقت نفسه نوع من زيادة الأمن والطمأنينة للرسل فى القيام بدعوتهم ، وتبليغهم ما أمروا بتبليغه ، ولعل كل ذلك يرشد إليه قوله تمالى : فَلَنْهُمُّنْ مَلْهِم بِعِلْمِ

٨ - وَالْوَزْنُ يَوْمَلِدُ الْحَقُّ فَمَن ثَقْلَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولَلِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

أى: توزن أعمال العباد يوم القيامة بالميزان وزنًا حقيقيًّا طبقًا للعدل الذي لا ظلم فيه.

فَمَن ثُقُلَتُ مُوَازِينُهُ . أي : رجعت أعماله المعالعة العوزونة .

فَأُوْ لَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أي : الفائزون بالنجاة والثواب.

٩ - وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينَهُ فَارْتِيكَ اللَّذِينَ حَسِرُوٓا أَنفُسَهُم بِمَا كَالُواْ بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ .

أي: ومن خفت موازين أعماله ، أو أعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها ، وهي أعماله السيئة .

فأولئك الذين خسروا أنفسهم ، يسبب ما اقترفوا من سيئات أدت يهم إلى سوء العقاب ، فلم يعاملوا آيات الله بما تستحق من تعظيم ، فكذبوا بها وظلموا الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

وقد اختلف العلماء في كيفية الوزن :

فقال بعضهم : إن التي توزن في صحائف الأعمال ، التي كتبت فيها الحسنات والسيئات ؛ تأكيدًا للحمة ، وإظهارًا للنصفة وقطعًا للمعذرة .

وقيل: إن الوزن هنا كناية عن القضاء السوى، والعدل التام في تقدير ما يمكن به الجزاء من الأعمال، وذكر الوزن إنما هو ضرب مثل كما تقول هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه ، أي: يعادله ويساويه وإن لم يكن هناك وزن.

من كلام المفسرين

جاء في تفسير أبي السعود ما يأتي :--

«والجمهور على أن صحائف الأعمال من التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق: إ إظهارًا للمعادلة وقطعًا للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم، فتعترف بها ألسنتهم وجوارخهم، ويشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد، وكما يثبت في صحائفهم، فيقرءونها في موقف الحساب، ويؤيده ما روى أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلاً مد البصر، فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فعليش السحلات وتثقرا المطاقة.

وقيل : يوزن الأشخاص : لما روى عنه عليه الصلاة والسلام : «إنه ليأتى العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» (۱۳)

وقيل: الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل، ويه قال مجاهد والأعمش والضحاك ، واختاره كثير من المتأخرين: بناء على استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية.

وروى عن ابن عباس أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة، ويالأعمال السيئة على صور قبيحة.

وجاء في حاشية الجمل على الجلالين ما يأتي :

فإن قلت: أليس الله تعالى يعلم مقادير أعمال العباد فما الحكمة في وزنها ؟

قلت: فيه حكم: منها: إظهار العدل ، وأن الله تعالى لا يظلم عباده ، ومنها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبي ، ومنها: تعريف العباد بما لهم من خير أو شر ، وحسنة أو سيئة ، ومنها : إظهار علامة السعادة والشقاوة ، ونظيره أن الله سبحانه أثبت أعمال العباد في اللوح المحفوظ، وفي صحائف الحفظة الموكلين ببني آدم، من غير جواز النسيان عليه. ا هـ.

والذي علينا هو الإيمان بأن في الآخرة وزيًّا للأعمال، وأنه على مقيار ما يظهر يكون الجزاء، وأنه وزن أو ميزان يليق بما يجرى في ذلك اليوم ، أما كيفية هذا الوزن وهل هو وزن للأعمال ، أو للأشخاص فمردّه إلى الله ، الذي يعلم النوايا ومقدار الإخلاص والتجرد وهو نعم المسيب المكافئ القائل في كتابه :

إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُثْقَالَ ذَرَّة وَإِن تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفُهَا وَيُوثِت مِن لُّذُنَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا . (النساء ١٠٠) .

وهو سيحانه القائل: وَكُفِّي بِاللَّهِ حَسِيبًا. (النساء: ٦).

﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَيْشُ قَلِيلًامَّاتَشْكُرُونَ ۞ وَلَقَدْ خَلَقَنَكُمْ مُرْصَوِّرْنَكُمْ مُ مُثَالِلْمَلَتُهِكُوا أَسْجُدُوا لِآدَمَ مُسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَرَيَكُن مِنَ ٱلسَّنجِدِينَ ﴿ اللهِ

المفردات :

الجزء الثامن

ولقد مكتاكم في الأرض: أي: مكتاكم من سكتاها ، وزرعها ، والتصرف فيها .

ولقد خلقتاكم ثم صورناكم ، أي : خلقنا أباكم آدم طينًا غير مصرّر ، ثم صورناه أبدع تصوير ، بأحسن تقويم سرى إليكم.

التفسد ،

. ١ - وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرونَ .

هذه الآية فيها بيان لنعم الله على بني آدم ؛ استمالة لقلوبهم إلى الإيمان بالله الخالق الرازق .

والمعنى: ولقد جعلنا لكم في الأرض مكانًا وقرارًا، وهيأنا لكم فيها أسباب المعايش، وأنشأنا لكم فيها أنواعًا شتًّى من المطاعم والمشارب التي تعيشون بها عيشة راضية ، ولكن كثيرًا منكم لم يقابلوا هذه · النعم بالشكر، بل قابلوها بالجحود والكفران! ١١ - وَلَقَدْ حَلَقْنَاكُمْ لُمَّ مَوْرَنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَتِكَةِ اسْجُدُواْ الآدَمَ فَسَجَدُواْ إلاّ إليس لَمْ يَكُن مَّنَ السَّاجِدين.

أى: ولقد خلقنا أباكم آدم من طين غير مصوّر، ثم صورتاه بعد ذلك وأنتم بالتبع ، وقيل: المعنى: ولقد خلقنا الأرواح أولاً ، ثم صورتا الأشباح .

جاء في تفسير أبي السعود: وفي هذه الآية تذكير لنعمة عظيمة فائقة على آدم عليه السلام سارية إلى دريته لشكرهم كافة . بالرمز إلى أن لهم حطًّا من خلقه وتصويره ، إذ الكلُّ مظلوق في ضمن خلقه مصنوع على شاكلته .

أى: خلقنا أباكم آدم طيئًا غير مصور ، ثم صورناه أبدع تصوير وأحسن تقويم سار إليكم جميعًا ٣٠٠. ثُمُّ قُلُنًا لَلْمُلاَكَةَ اسْجُدُواْ لاَدَّمَ تُسَجِّدُواْ الاِّ إِلْمِسْ لَمْ يُكُن بِنَّ السَّاجِدِينَ .

أى: أمرنا الملائكة بالسجود لآدم سجود تعظيم وخضوع وتحية ، لا عبادة فامتثلوا الأمر ، وفعلوا السجود بعد الأمر ، من غير ثلعثم أن تباطئ.

إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِئِينَ .

أي : لكن إبليس لم يسجد وأبني السجود ؛ تكبرًا .

هل كان إبليس من الملالكة ؟

للعلماء في ذلك رأيان:

أحدهما : أنه كان منهم ، أو مقيمًا معهم فنسب إليهم .

جاء في تفسير أبي السعود: لما أنه كان جنيًا مفردًا مغمورًا بألوف من الملائكة مُتصفًا بصفاتهم فغُلُبوا عليه في فَسَجُنُوا ثم استثنى استثناء واحد منهم ، أو لأن من الملائكة جنسًا يتوالدون يقال لهم: الجنّ (٣٠٠.

الرأى الثاني: أن إبليس ليس من الملائكة . لقوله تعالى :

إِلاَّ إِنْلِسِ كَانَ مِن الْجِرَّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ . (الكهات : ٥٠) فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس ، ولأنه خلق من نأر والملائكة خلقوا من نور ، ولأنَّ له ذرية ولا ذرية للملائكة .

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا مَسْجُدَإِذَ أَمَّ تُكُ قَالَ أَنَاخَةً شِينَهُ خَلَقْنَى مِن نَّارٍ وَخَلَقَتَهُ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَاهْمِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن مَتَكَبَّرُ فِيهَا فَاحْرُجُ إِنَّكَ مِنَ الصَّنْفِرِينَ ۞ ﴾

المفردات :

ما منمك آلا تسجد ، ما ألزمك واضطرك إلى ألاً تسجد ، فالمنع مجاز عن الإلجاء والاضطرار ، والاستفهام للتوبيخ والتقريم .

ها ها من منازلة إلى : فانزل ، والهبوط : الانحدار والسقوط من مكنان إلى ما دونه ، أو من منزلة إلى ما دونه ، أو من منزلة إلى ما دونه ، فهو إمًا حصى وإمًا معنوى .

أن تبت تحير ، التكبر: جعل الإنسان نفسه أكبر مما هي عليه .

من الصاهبريين ، أي : من الأذلاء المحقرين ، وهو جمم صاغر .

التفسيره

١٢ - قَالَ مَا مَنْعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ ... الآية .

أي: قال الله تعالى لإبليس: ما حملك ودعاك إلى ألا تسجد ؟!

والسؤال لإقامة الحجة ، وللتقريع والتوبيخ ، وإلا فهو سبحانه عالم بذلك .

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مُنْهُ خَلَقَتِي مِن نَّارٍ وَخَلَقَتُهُ مِن طِيرٍ. أَى: قال إبليس أنا خير من أدم ؛ لأني مخلوق من عنصر النار الذي هو أشرف من عنصر الطين والأشرف لا يليق به الانقياد لمن هو دونه ، والأعلى لا يليق به السجود للأدني.

ولقد أورد المفسرون هنا كلامًا لطيفًا يفيد أن عدو الله قد أخطأً فى زعمه أن عنصر النار أفضل من عنصر الطين .

فإن الطين من شأنه الرزانة والأناة والتثبت ، وهو محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة .

ولهذا خان إبليس عنصره ، ونفع آدم عنصره بالرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله .

جاء في تفسير أبي السعود :

ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر ، وزلَّ عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى ، مَا مُتَعَكَّ أَن تُسْجِّدُ لِمَا حَلَّقَتُ بِيُلدىّ . أى : بغير واسطة على وجه الاعتناء به .

وما من جهة الصورة كما نبَّه عليه بقوله تعالى : وَلَفَّحْتُ قِيهِ مِن رُوحِي.

وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر فهو مؤهل للخلافة في الأرض ، وله خواص ليست لغيره (٢١).

وجاء في تفسير ابن كثير :

وقول إبليس: أَنَا خَبِرٌ مُنَّهُ ... إلخ من العذر الذي هو أكبر من الذنب؛ إذ بين بأنه خير من آدم؛ لأنه خلق من النار وآدم خلق من الطين فنظر اللعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفغ فيه من روحه.

وقاس قياسًا فاسدًا في مقابلة نص ، وهو قوله تعالى : فَقَعُواْ لَهُ سَاجِنينَ .

فشدُّ من بين الملائكة ؛ لترك السجود فأبعده الله عن رحمته .

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت:

قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم» (١٠٠٠.

١٣ - قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الْصَّاغِرِينَ .

أى : اهبط فى السماء التي هي محل المطيعين من الملائكة ، الذين لا يحصون الله فيما أمرهم ، إلى الأرض الذي هي مقر من يممني ويطيع .

أو اهيط من الجنة بسبب عصياتك لأمرى وخروجك عن طاعتى ، وقيل : إن الضمير يعود على روضة كانت على مرتفع في الأرض ، خلق فيها آدم .

فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَكَكَّرُ فِيهَا . فإن السماء أو إن الجنة لا تصلح لمن يستكبر ، ويعصى أمر ربه مثلك .

فَاضُرَّ عَ إِنْكُ مِنَ الْصَّاغِرِينَ . أَى : لخرج من الجنة : فأنت من أمل الصنفار والهوان على الله وعلى أوليائه؛ لتكبرك وخرورك

وكل من تردّى برداء الاستكبار؛ عوقب بلبس رداء الهوان والصغار، ومن لبس رداء التواضع: رفع الله قدره.

قال تعالى : ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُقَيِّرًا تُعْمَةُ أَتَّعَمَهَا عَلَىٰ قَوْم حَتَّىٰ يُقَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ... (الأنفال: ٥٠).

وجاء في تفسير القرآني للقرآن :

«الضمير في مِنْهَا يعود إلى المنزلة التي كان فيها إبليس قبل هذه المعمنية والهبوط هنا: هبوط معنوى.

والمعنى: الحرج أيها الشيطان المريد من هذه النعمة التى خولتك إياها ورفعت بها منزلتك ، حتى التخذ من من التخذي من التخذيب التخذيب أن تسجد لمن دعولك إلى السجود له ... فما يكون لك أن تتكدر في هذه النعمة ، وتختال بها ... وما أنت ذا قد أصبحت من الصناغرين ، قد نزع عنك ما كنت تدّعيه لنفسك من منزلة تعاليت بها على هذا المخلوق الآممي ، الذي خلق من طين» "" .

* * *

﴿ قَالَ أَنظِرْفِ إِلَى بِهِمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنْكَ مِنَ ٱلمُسْطَدِينَ ۞ قَالَ هَِمَا أَغُويَتَنِي ٱلْقَلْدُنَ لَكُمْ صِرَطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمُ كَايَنِنَهُم مِنْ يَنِ أَيدِيهِمْ وَمِنْ خَلِفِهِمْ وَعَنَ أَيْسَنِهِمْ وَعَن شَآلِهِمِمُّ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَكِرِينَ ۞ قَالَ ٱلحُرْجَ مِنْهَا مَلْدُهُ وَمَا مَلْحُوزًا لَمَن يَهِمَكَ مِنْهُمُ الْأَمَلُأَنَّ جَهَتَمُ مِنكُمُ أَجْمَعِينَ ۞ ﴾

المقردات ،

أنَسَطُ سِرَاسِي ؛ أمهلني إيقال: أنظره إنظارًا: أمهله .

التنظيريات الممهلين المؤخرين .

أَصْوِيتَ تَنِي اللَّهِ أَصْلاتِنِي وأُوقِعِتنِي فِي القواية ، وهِي ضِدَّ الرشاد. •

مستعومسا ، مذمومًا يقال : ذأمه يذأمه ذأما أي : ذمُه وحقره وطريه وعابه .

مسلم حسورًا؛ أي : مطرودًا يقال : دحره يدحره نحرًا ، طرده ودحر الجند العدوّ أي : طردوه وأبعدوه .

الله منهم: اللام مواطئة للقسم، وجوابه: لأملأن جهنم.

التفسيره

١٤ - قَالَ أَنظِرْنِي إِلَيْ يَوْم يُبْعَثُونَ .

أى: قال إبليس لله تعالى: أمهلنى ولا تمتنى إلى يوم بعث آدم وذريته من القبور، وهو وقت النفخة الثانية عند قيام الساعة. قال تعالى . وَنَفِحُ فِى الصُّورِ لَصَعِقَ مَن فِي السَّماواتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَحُ فِيهِ أَخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِمَامٌ يَنظُورُونَ . (الزمر: ١٨) .

وكانَّ إبليس قد طلب ألا يموت أبدًا ؛ لأن يوم البعث لا موت بعده ، كما أراد بذلك أن يجد فسحة من الإغواء لبنى آدم .

ه ١ - قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ .

أي: إنك من الممهلين ، لا إلى يوم البعث ولكن إلى يوم الصعق ، قيل : الحكمة في إنظاره : ابتلاء العباد · ليعرف من يطبعه ممن يعصيه .

جاء في تفسير أبى السعود: «أى: إنك من جملة الذين أخرت آجالهم أزلاً حسيما تقتضيه الحكمة التكوينية ، إلى وقت فناء غير ما استثناه الله تعالى من الخلائق، وهو النفضة الأولى ، لا إلى وقت البعث الذي هو المسئول» ("").

وقال ابن كثير: أجابه الله تعالى إلى ما سأل ، لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمنثينة ، التي لا تشالف ولا تمانع ولا معقب لحكمه ، وهو سريم الحساب .

١٦ - قَالَ فَبِمَا أَغُولَتِنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ .

أى: فبسبب إضلالك إياى – حتى تركت السجود لآدم ، فعاقبتنى العقوية المهلكة – لأترصُدنُّ لآدم وذريته على طريق الحق وسبيل النجاة ، كما يترصُّد قطاع الطرق السائرين فيها ، فأصدنُهم عنها ، وأحاول بكل السُّبل إغراءهم ، وصرفهم عن صراطك المستقيم ، حتى يفسدوا بسببى كما فسدتُ بسببهم ، وإنْ أتكاسل عن العمل على إفسادهم وإضلالهم .

١٧ – ثُمَّ لآتِيْنَهُمْ مِّن يَشِن أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ .

أى : سوف أتيهم من كل الجهات ، محاولاً إغواءهم عن صراحك المستقيم (وهو طريق الجنة) بكل وسيلة أقدر عليها .

وقد ذكر الجهات الأربع الأصلية التي اعتاد العدو أن يهاجم عدوّه منها ، وترك جهة الفوق : لأن الرحمة تنزل من فوقهم . وعن ابن عباس (**) رضى الله عنهما : مِّن يُشِّرِ أَيْسِهِمْ مِن قبل الأهرة وَمِنْ خَلِفِهِمْ مِن جهة الدنيا وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ مِن جهة حسناتهم وَعَنْ شَمَائِلُهِمْ مِن جهة سيناتهم .

وقيل: مِّن أَيْنِ أَيْدِيهِمْ من حيث يعلمون ويقدرون على التحرر.

وَمِنْ خَلْفِهِمْ من حيث لا يعلمون ولا يقدرون .

وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ، ولكن لم يفعلوا ؛ لعدم تيقظهم واحتياطهم .

وَعَن شَمَا لِلهِمْ من حيث لا يتيسر لهم ذلك .

وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ .

أي : لن تجد أكثر البشر مطيعين مستعملين لقواهم وجوارحهم ، في طريق الطاعة والتقرب إلى الله .

وإنما قال ذلك : ظنًا منه يتأثير وسوسته فيهم ، وإغوائه لهم ، ورغبته في إضلالهم عن الأعمال الصالحة ، ومحاولة إفسادها .

قال تعالى: وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِم إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبُعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . (سبا: ٢٠).

وقد حدرنا القرآن من اتباع الشيطان فهو عدو مبين حريص على النجاح في مهمتِه ، ومهمتُه إضلال الإنسان وغوابته .

وواجب الإنسان الحذر من إضلال الشيطان والانتصار عليه.

قال تعالى : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوًّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا . (فاطر: ٦) .

وقال سبحانه : إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفَ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكُّرُواْ فَإِذَا هُم مُّتَصِرُونَ . (الأعراف: ٢٠١).

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم عن عبد الله ابن عمر قال : لم يكن رسول الله ﷺ بترك هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يُمسى يقول :

«اللهم إنى أسألك العقر والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استرعوراتي وآمن روعاتي، اللهم لحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى» (**).

١٨ - قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَلْمُومًا مَّدْخُورًا ... الآية .

أي : اخرج من السماء أو من الجنة مدّمومًا مطرودًا ،

لُّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلاَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ .

في هذا قسم وإنذار من الله تعالى لمن ترك طاعة الرحمن واتبع طريق الشيطان.

والمعنى : لمن أطاعك من الجن والإنس لأملأن جهنم من كفارهم ، وقريب منه قوله تعالى : قَالَ افْهَبْ فَمَن تَبِعُكَ مَنْهُمْ فَإِنَّ جَهِّيَّمَ جَرَّزًا كُمُّ جُرَّاءً مُّوَفُورًا . (الإسراء : ١٣)

* * *

﴿ وَيُعَادَمُ اَسَكُنْ أَنَ وَزَدَجُكَ الْجَنَّةُ فَكُلامِن حَيْثُ شِنْتُمَا وَلا نَقْرَهَا هَذِهِ الشَّجَرَة فَتَكُونا مِن الطَّالِينَ فَي السَّعَلَانُ لِبُنِينَ هَمْتَامَا وُرِي عَنْهُمَا مِن صَوْدَتِهِمَا وَقَالَ مَا الْمَسْكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَلَوِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونا مَلكَيْنِ أَوْتَكُونا مِن الْحَيْلِينِ ۞ وَقَاسَمَهُمَا إِلِي لَكُمَا لَوَنَ الشَّيَرِةَ بَدَتْ فَتُمَاسَوْهَ مُهُمَا إِلِي لَكُمَا لَمَنْ الشَّجَرَة بَدَتْ فَتُمَاسَوْهَ مُهُمَا إِلِي لَكُمَا لَمَنْ الشَّيْرِ وَلَا الشَّجَرَة بَدَتْ فَتُمَاسَوْهَ مُهُمَا وَلَهُمْ وَلَمَا ذَاقا الشَّجَرَة بَدَتْ فَتُمَاسَوْهَ مُهُمَا إِلَيْ مَنْ مِنْ الشَّكُونَ وَلَهُ الشَّكَا الشَّجَرَة بَدَتْ فَتُمَاسَوْهَ مُهُمَا وَلَيْ مُنْ الشَّكُونَ وَلَا الشَّجَرَة بَدَتْ فَلَمُ اللَّهُ مَنْ وَلَاللَّهُ وَوَالْمُ لَكُونَ مِنْ مَا لَكُونَ مِنْ مَا لَوْلُولُونِ وَلَمُ اللَّهُ وَلَا مُؤْلِقُونَ وَفِيهَا فَعَلَونَ الشَّحَرِقُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ وَالْمَعُونَ وَاللَّهُ وَلَا مُعْتَلِقُونَ وَلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَقُونَ وَلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالَعُلُونَ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْلِقُولُونَ الْمُنْ اللْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللْمُنْ اللَّهُ مُنْ ال

المفردات ،

شوسوس لهمماء ألقى إليهما الوسوسة : يقال : وسوس له وإليه ، وهى فى الأصل : الصوت الفقى المكرر، ومنه قبل لصوت الحلى : وسوسة. ووسوسة الشيطان للبشر : ما يجدونه فى أنفسهم من الخواطر الرديثة التى تزين لهم ما يضرّهم فى أبدانهم أو أرواحهم

الميساع الهماء التكون عاقبة ذلك أن يظهر لهما ما سترعنهما من عوراتهما ، وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الأخر .

..... وري عن المواراة وهي الستر.

السواتهـما: السوءة: العورة وسميت العورة سوأة: لأن انكشافها يسوء صاحبها.

إلا أن تكونا ملكين ، أي : كراهة أن تكونا ملكين ، أو لثلا تكونا ملكين .

وقاسم سماء أي: أقسم لهما وجاء على وزن المفاعلة للمبالغة.

هدالاهما بضوور • أى: فأنزلهما إلى الأكل من الشجرة بما غرّهما من دلّى الشيء وأدلاء ، أي : أنزاء من أعلى إلى أسفل .

وطبيق قيدا، أي : شرعا وأخذا.

١٩ – وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَلتَ وَزُوجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ هِيْتُمَا وَلاَ تَقْرَهَا هَذِهِ الشَّيحَرَةَ فَعَكُونَا مِنَ الطَّالِمِينَ .

أى: وقلنا: يا آدم ، اسكن في الجنة سكنًا أصليًّا ، وتسكن زوجتك معك سكنًا تبعيًّا .

ولكما أن تأكلا أكلا هنيئًا ، من جميع أشجار الجنة وثمارها .

إِلاَّ شهرة واحدة حددها الله وعينها ، ونهاهما عن الاقتراب منها بالأكل ، وبين أن الأكل منها ظلم وعدوان .

ويتعلق بتفسير هذه الآية أمور منها ما يأتي :

١ -- الجدُّة : هي كل بستان ذي شجر متكانف ملتف الأغصان ، يظلل ما تحته ويستره .

ومن هذه المادة الجنّ : لأنه مستور لا يرى ، والمجنّ : لأنه يستر المحارب ، والجنين : لأنه مستور عن المين، والمجنون لأن عقله مستور محجوب ، وجَنّ الطّلام : ستر ما تحته .

 - جمهور أهل السنة على أن المواد بالجنة هنا: دار الثواب ، التي أعدها الله للمؤمنين بوم القيامة : لأن هذا هو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق .

٣ - جمهور علماء المعتزلة على أن المراد بالجنة هنا: بستان بمكان مرتفع من الأرض ، هلقه الله لإسكان
 آدم وزوجته .

- ٤ -- ذهب أبو حنيفة وأبو منصور الماتريدى فى التأويلات إلى أن الأحوط والأسلم الكف عن تعيين المراد بالجند وعن القطع به ، إذ ليس لهذه المسألة تأثير فى المقيدة فيكفى أن يعلم المسلم أن الله أسكن آدم الجنة سواء أكان المراد بالجنة جنة الأخرة ، أم بستانا فى هذه الدنيا .

لكن عندما يكون المنهيُّ عنه مرغوبًا للنفس ، تدفع إليه الشهوة والرغبة ؛ فإنه ينهى عن الاقتراب منه مثل : وَلاَ تَقْرُبُواْ الزِّنْكِ إِلَّهُ كَانَ فَاحِشَةُ وَسَاءً سَبِيلاً . (الإسراء : ٣٧) .

وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَخْسَنُ ... (الإسراء: ٣٤) .

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَلتُمْ سُكَارَىٰ ... (النساء: ٤٣) .

وكقوله تعالى في هذه الآية وُلاَ تَقْرَا هَلهِ الشَّجَرَةَ ... لأن في هذه الأمور رغبة نفسية أو جسدية ، فنهي القرآن عن الافتراب منها فضلاً عن فعلها ، بخلاف القتل مثلا فلا تدفع إليه شهوة أو رغبة فقال سبحانه : وَلاَ تَقُلُواْ الثَّمْسُ ... وكذلك أكل الميتة قال سبحانه : خُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيِّنَةُ

٢ - فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِي لَهُمَا مَا وُورِي عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ... الآية .

أى: ألقى إليهما إبليس بالوسوسة والإغراء والتزيين للأكل من الشجرة حتى يسوءهما بظهور ما كان مستررًا عنهما من عوراتهما .

فإنهما كانا لا يريان عورة أنفسهما ، ولا يراها أحدهما من الآخر .

ثم قد قيل: إنما بدت عوراتهما لهما لا لغيرهما.

وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَلِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخالدينَ.

لقد حاول إبليس خداع آدم وحواء ، فأغراهما بالأكل من الشجرة ، وذكر لهما أنها منية النفس ، وأن الأكل منها طريق إلى الترقى من البشرية إلى الملائكية ، أو إلى الغلود فى الجنة والبقاء فيها بدون مـوت أو طرد أو حرمان .

٢ ٧ - وَقَالَمُهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ .

أى: أقسم لهما بالله إنَّه لهما لمن الناصحين المخلصين الذين يسعون لمنفعتهما.

وفي قوله : وَقَاسَمُهُمَا إِشَارة إلى تنازع الأقسام بينه وبينهما ، وكأن في سكوتهما عنه قسمًا منهما باتهامه والحذر منه ، ولهذا صبح أن تكون المقاسمة شركة بينهما وبينه .

وقيل : إنهما أقسما له بالقبول ، كما أقسم لهما على المناصمة ، أى : فصدَّقة آدم وحواء ، ولم يخطر بهالهما أنَّه كاذب مُضلُّ ⁶⁹ .

٢٧ – فَدَلاَهُمَا يِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّحْرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سُوْءَاتُهُمَا وَطَقِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَطُقِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهِمَا أَلَمْ أَنْهُمُكَا ... الآية .

التدلية والإدلاء: إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل ، وأصله أن الرجل العطشان يدلى في البثر بدلوه؛ ليشرب من مائها ، فإذا ما أخرج الدلو لم يجد به ماء ، يكرن مدليا فيها بغرور.

والغرور : إظهار النصح مع إبطان الغش ، وأصله من غررت فلانًا أي : أصبت غرَّته وغفلته ، وثلت منه ما أريد .

والمعنى: أن الشيطان أهبطهما بذلك من الرُّدِية العليَّة وهي رتبة الطاعة والكرامة ، بما خدعهما به من اليمين الكاذبة .

فَلَمَّا ذَاقًا الشَّجَرَةَ بَلَتْ لَهُمَا سُوْءَاتُهُمَا وَطَفَقًا يَخْصِفَانَ عَلَيْهِمَا مِن وَرَق الْجَنَّة ...

أى: لما أكلا من الشجرة التي نهامما الله عن الأكل منها ، أهنتهما العقوبة ، وشرَّم المعصية ، فتساقط عنهما لباسهما، وظهرت لهما عوراتهما، وشرعا يلزقان من ورق الجنة ، ورقة فوق أخرى على عوراتهما استرها.

وقوله تعالى : وَطُفِقاً يُحْمِهُانِ ... إشارة إلى موالاة الخصّف من ورق الشجر .. والخصّف : جمع الشيء إلى الشيء وخياطته به ، ومنه خصف النعل إذا جمعت بعضه إلى بعض بإلصاق أو خياطة .

قال الشيخ حسنين محمد مخلوف في صفوة البيان لمعاني القرآن :

ولعل المعنى - والله أعلم - إنهما لما ذاقا الشجرة ، وقد نهيا عن الأكل منها ظهر لهما أنهما قد زلاً، وخلعا ثوب الطاعة ، ويدت منهما سوأة المعصية ، فاستحوذ عليهما الخوف والحياه من ريهما ، فأخذا يفعلان ما يفعل الضائف الخجل عادة في الاستتار والاستخفاء حتى لا يرى ، وذلك بخصف أوراق الجنة عليهما ليستترا بها ، ومالهما إذ ذلك حيلة سوى ذلك: ، فلما سمعا النداء الرياني بتقريعهما ولومهما ، ألهما أن يتويا إلى الله ، ويستغفرا من ذنبهما بكلمات من فيض الرحمة الإلهية ، فتاب الله عليهما وهو التواب الرحيم، وقال لهما فقط ، أو لهما ولذريتهما ، أو لهما ولإيليس : اهبطوا من الجنة إلى الأرض ؛ لينفذ ما أواد الله من استخلاف آدم وذريته في الأرض ، وعمارة الدنيا بهم إلى الأجل المسمى ، ومنازعة عدوهم لهم فيها، والله بالغ أمره ، قذ جَعَلَ الله ركّل حُنْءٍ قَلَارًا .

وَنَادَاهُمَا رَبُّهِمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تَلْكُمَا الشَّجَرَة ...

أى: ناداهما الله بطريق العتاب والتربيخ ، حيث خالفا أمر الله فأكلا من الشجرة بعينها ، ولم يحذرا ما حذرهما منها ، فقال سبحانه لهما ، ألم أنهكما عن الأكل من هذه الشجرة ١٢

وَأَقَلُ لَكُمَّا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوّ مُّبِن . أي : ألم أقل لكما : إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة لا يفتر عن إيذائكما وإيقاع الشرّ يكما .

جاء في تفسير أبي السعود :

روى أنه تعالى قال لآدم: ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة ، فقال: بلى وعزتك ، ولكن ما ظننت أن أحدًا من خلقك يحلف بك كانبًا ، قال: فبعزتى لأهبطنك إلى الأرض ، ثم لا تنال العيش إلا كمًّا ، فأهبط وعُلم صنعة الحديد ، وأمر بالحرث ، فحرث وسقى وحصد ودرس وذرًى وعجن وخبز.

٣٣ - قَالاً رُبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ... الآية .

اعترف أدم وحواء بالخطأ ، والتمسا من ربهما الصفح والمغفرة ، فقالا : ريْدًا ظلمنا أنفسنا أي : أضررناها بالمعصية والمحالفة .

وَإِن لُّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

لقد اعترف آدم بخطئه ، وطلب من الله المغفرة والرحمة : حتى لا يصير من الذين خسروا أنفسهم في الدنها والآخرة ، خلافا لإبليس الذي لم يعتقر عن معصيته ، ولم يستغفر ربّه ، بل استكبر ، فهذا الإنسان من طبيعته الخطأ ، ولهذا كان أهلاً لتحمل الأمانة ، فمن أفراده من يحسن تحملها ، ومن أفراده الظلوم الغشوم. وقد سبقت حكمة الله وإرادته أن يوجد الإنسان في هذه الأرض ومعه المقل والإرادة والاختيار ، فمن أطاح الله فله الجنة ، ومن عصاه فله النار ، ومن تاب إلى الله قبل الله تويته ، وقد قبل الله توية آنم .

قال تعالى : وَعَصَيْ عَادَمُ رَبُّهُ فَعَوَىٰ ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَعَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ . (طه : ١٢١ ، ١٢٢) .

وقال ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

٢٤ - قَالَ اهْبِعُلُواْ بَعْضُكُمْ لِيَعْضِ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرُّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ .

أي: انزلوا من الجنّة إلى الأرض حالة كون العداوة لا تنقك بين آدم وذريته ، وبين إبليس وشهته ، وُكَكُمْ فِي الأَرْضُ مُسْتَكِّرٌ . أي : موضع استقرار وإقامة ، وَشَاعَ أَي : تمتع ومعيشة إلى حين انقضاء أجالكم

والمطاب في الْمِبْطُواْ إما أَن يكون لآمم وحواء وذريتهما . وإما أَن يكون لهم ولإبليس أيضًا ، فإن عداوة إبليس لبني آدم قد ذكرت مرازًا في القرآن الكريم وتكررت هنا في سورة الأعراف .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : إِنَّ الشَّيَطَانَ لَكُمْ عَلُو ۚ فَاتَعِلُوهُ عَلُوا إِنَّمَا يَنْعُواْ حِزَهُ لِيكُولُواْ مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ . (فاطر: ١) .

ه ٢ - قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُحْرَجُون .

إن ميدان الاختبار والابتلاء هو هذه الأرض وقد شاء الله أن يخرج أدم من الجنة ؛ ليكون ذلك سببًا في إعمار الأرض .

وسيترتب على ذلك الزراعة والتجارة والصناعة ، والتقدم والاختراع والابتكار ، وسيترتب على ذلك التنافس والتنازع ، وسيدخل إبليس على الإنسان من ناحية ماله أو شهوته أو ولده ، فإذا انتصر الإنسان ؛ فهو من الناجين ، وإذا انهزم أمام إبليس وأساعه ؛ فهو من الهالكين .

والحياة والمعاش على ظهر هذه الأرض ، وبعد الوفاة والموت يدفن الإنسان في باطن الأرض ، وبعد البعث والحيث والمعاش على باطن الأرض المواقعة والمعت والحيث والحيث والمعترض المواقعة والمعترض المواقعة والمعترض المواقعة والمعترض المواقعة والمعترض المعترض ا

﴿ بَنِيَ ادَمَ قَدَ أَزَلْنَا عَلَيْهُ أَيْلِاسًا وَرِي سَوْء قِكُمْ وَرِيشًا وَلِياسُ النَّقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ
مِنْ ءَاينِ اللّهِ لَعَلَهُمْ يَذَكُرُونَ ۞ يَنَيَى ءَادَمُلا يَفْنِنَكُمُ الشَّيَطِنُ كَمَا آفَيَ عَلَنُ كَمَا آفَيَ عَلَى مَعْ الْمَوْيَ عَيْمُ الْمَدْيَعِينَ الْمَالَعُ اللَّهُ الْمَوْيَ عَيْمُ اللَّهِ يَهُمُ اللَّهُ يَهُمُ اللَّهُ يَهُمُ اللَّهُ يَهُمُ اللَّهُ يَعْلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ

المفردات ،

أنسزلسنا صلسيكم، أعطيناكم ووهينا لكم، على حد قوله تعالى: وأَثَرُلُنَا الْمُعَانِيدُ بِمعنى: خلقنا لكم الحديد. يسوارى سسوآلسكمم، يستر ويوارى عوراتكم.

ريشـــــاً؛ لباس زينة أو مالاً.

البياس التقوي الإيمان وثمراته

لا يسقست تسكم، لا يضلنكم ولا يخدعنكم

ينترع مستهما ويزيل عنهما استلابا بخداعه .

قسيب يساسه ، جنوده أو ذريته .

أوالــــــيــــــــاء ، ناصرين ومتولين جمع ولي .

بـــالـقسمه، بالعدل وهو جميم الطاعات والقرب.

والهيوارجوهكم عند كان سجد: أي: وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين في أي مسجد، ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم. حق عليهم الضلالة: أي: أوجب عليهم الضلالة ، يقال: حق الأمر: أوجيه وأثبته.

أواسب يسساء؛ أي: نصراء وموالي.

التفسيره

٢٦ - يَابَنِي عَادَمُ قُلْ أَنْزُلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سُوْءَاتِكُمْ ... الآية .

لما ذكر القرآن في آيات سابقة أن معصية آدم تسبيت في ظهور عورته ، وخصف الورق عليها ، وكذلك حواء ، أتبع ذلك بذكر فضل الله على بنى آدم ، حيث ألهم الإنسان أن يزرع الأرض ، ويستنبط بعقله وفكره أسباب ستره ، ثم أسباب الزينة والرياش من الملايس الفاخرة ، ثم أنزل الله على الإنسان الكتب ، وأرسل له الرسل ؛ ليهديه إلى لهاس التقوى والإيمان ، وكل ذلك من أيات الله وفضله على الإنسان ؛ حتى يتذكر الإنسان الشعر وبالعبادة .

قال الشوكاني في تفسيره فتح القدير:

تذكروا واعتبروا بما أنزل الله عليكم من مادة اللباس ، ونلك من الصوف والقطن والحرير وما إليها ، ويما أنهمكم وخلق فيكم من الغرائز : لمعرفة طرق استنباتها وصناعتها بالغزل والنسيج والخياطة وسائر أنواع صناعة العلابس .

وقد امتن الله بها على بني أدم ؛ ليستر عرراتهم التي أبداها لهم إبليس .

وَرِيشًا المراد بالريش هذا : لباس الزينة ، أى : إن الملابس التى ألهم الله بنى آدم اتخاذها حكمتها الستر والزينة .

وَلِيَاسُ النَّقُونَ ذَلِكَ خَيْر . لباس التقوى هو لباس الإيمان والعمل الصالح والورع واتقاء معاصى الله والمشية من الله هذا ذلك خير . الماس وأجمل زينة ، وقيل : هو الدُرع والمغفر الذي يلبسه من يجاهد في سبيل الله الله فالم

أى : ذلك الذى أنزله الله على بنى آدم من النم من دلائل قدرته وإحسانه عليهم ، لعلهم بعد ذلك لا يعودون إلى النسيان الذى أوقع أبويهم فى المعصية .

٧٧ - لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبِوِيْكُم مِنَ الجَنَّةِ ... الآية .

يستمر الدستور الإلهي في توصية الإنسان وتنبيهه وتحذيره.

فهناك عداوة أبدية بين الإنسان والشيطان ، والعاقل يكون حذرًامن عدوِّم فالحرب خدعه ، والشيطان يجهز جيوشه وأعوانه : لينتصر على الإنسان وذلك بتجميل المعاصمي والشهوات . قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن ج ٨ ص ٣٨٦ :

يحذر الله أبناء آدم من هذا العدر المبين المتربص بهم ؛ حتى يكرنوا على يقظة دائمة من أباطيله وضلالاته ، التي يغربهم بها ، ويزينها لهم ؛ ليفتنهم في دينهم ، وليخرجهم من الإيمان بالله ، والاستقامة على طاعته إلى معصيته والتعدي على جرماته .

يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيّهُمَا سُوْءَاتِهِمَا ...

لقد حدر الله بنى آدم من الشيطان : حتى لا يعيد معهم سيرته مع أبويهم ، اللَّذين أخرجهما من الجنة حال كونه نازعًا عنهما لهاسهما ؛ ليريهما سوءاتهما .

وأسند القرآن النزع إلى الشيطان ؛ لأنه كان متسببًا فيه .

لحال الشوكاني:

أوقعهما في المعصية التي كانت عقوبتهما ظهور ما كان خافيًا عنهما من السوأة.

وقد عبر القرآن بالمضارع هذا ؛ لإظهار صورة الأبرين عاريين في غاية الفجل والأسي : حتى يحذر الإنسان هذه الماقبة .

إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.

إن العدو إذا أتى من حيث لا يُرى : كان أشد وأهوف ، فالشيطان عدو هفى يرى الإنسان ، ويرصد حركاته وسكناته ، ويطُّلع منه على مواطن الضعف فينفذ إليه منها ، ومن هنا كان خطره داهمًا ، وشره مستطيرًا ، ومن هنا كانت حاجة الإنسان إلى اليقطة الدائمة والمراقبة المستمرة لهذا العدرً الفطئ المترهمي.

قال مالك بن دينار : إن عدوًا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا على من عصمه الله .

والمقصود : التحذير من وساوس الشيطان وحيك

إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُوْمِنُونَ .

اقتضت حكمة الله تعالى ، أن من عصى الله واستمرأ المعصية : قيض الله له شيطانًا يقارنه ويلازمه، ويكن العاصى والكافر قرينًا وتابعًا للشيطان ، بينما المؤمن يُنفى شيطانه ويجهده : لأنه لا يطيم له أمرا.

قال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ . (الأعراف: ٢٠١).

وقال سيحانه وتعالى : وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقَيْضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . (الزعرف: ٣٦).

والقرآن بهذا يظل كتاب التربية الحانية ، التي تفتح عين الإنسان وتبصُّره .

فهداية الله غالية سامية ، ومن انحرف عن الجادة واستمرأ المعصية ؛ سلب الله عنه الهدى والتوفيق ، وقركه حائرًا ضائعًا فرينًا للشيطان ووليًّا لإبليس وذريته ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَّاءُ لِلْبَيْنِ لاَ يُوْمُونَ .

ومن أطاع الله ، ولازم هدى السماء ، كشف الله بصديرته وأمده بعونه ومدده فلا سلطان للشيطان عليه قال تعالى : إِنَّهُ لَئِسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَاسُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّوْنَ ه إِنَّمَا سُلطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَعَرَّلُونَهُ وَاللَّينَ هُمْ مِهِ مُشْرِكُونَ . (النحل ٩٩ ، ١٠٠) .

٧٨ - وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةُ قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا ... الآية .

كانت العرب تطوف بالبيت عراة ، يتأوُّلون في ذلك : أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها .

وريما كانت المرأة تطوف عريانة فتجعل على فرجها شيئًا ؛ ليستره بعض الستر ، وأكثر ما كان النساء يطفن عراة ليلاً ، وكان هذا شيئًا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم ، واتبعوا فيه آباءهم ، ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله ؛ فأنكر الشملهم ذلك (٩٠٠).

ومع هذا السبب الشاص فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومعنى الآية الكريمة :

إن المشركين كانوا يرتكبون الكبائر ، والقبائح التى نهى الله عنها ، كالشرك بالله ، والطواف بالكهبة عراية والطواف بالكهبة عراية وغير ذلك ، وليس بين أيديهم من حجة على هذا الذى هم قيه إلا أن ذلك مما كان عليه آباؤهم ، وأنهم على آثارهم مقتدون ، وأن آباءهم لم يجيئوا بهذا من عند أنفسهم ، بل هو مما شرع الله لهم ، هكذا يقولون وهكذا يفترون .

قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءَ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ .

أمر الله الناس بالأداب رمكارم الأخلاق، وحثهم على الإيمان بالله وصلة الرحم وإكرام الجار ورحمة الهذيم، ونهى الله عن الفحشاء والمنكر والزنا والربا والإفساد في الأرض .

قال أبو السعود: فإن عادته تعالى جارية على الأمر بمحاسن الأعمال، والحث على مراضى الخصال. والمراد بالفاحشة: ما ينفر عنه الطبع السليم، ويستنقصه العقل المستقيم. والفاحشة في حدّ داتها تجاوز لحدود الله ، وانتهاك لحرماته ، فهل من المعقول أن يأمر الله بانتهاك حدوده وحرماته .

أى: قل لهم يا محمد . إن كلامكم هذا يناقضه العقل والنقل ، أمّا أن العقل يناقضه ويكذبه ؛ فما تفعلونه هذا من أكبر الكبائر ، ولا خلاف بيننا ويينكم في ذلك ، بدليل أن بعضكم قد تنزه عنه .

ثم إن الله كامل كمالاً مطلقاً ، والكامل لا يصدر عنه الأمر بالنقص والعيب ، وأمّا أن النقل ينافضه ويكنبه ؛ فلأنه لم يثبت عن طريق الوحى أن الله أمر بهذا ، بل الثابت أن الله لا يأمر به قُلْ إِنَّ اللهُ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءَ أَى: فكيف تدَّعِن ذلك عليه سبحانه .

أَتُقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعَلَمُونَ . وفيه نهى عن ذلك وإنكار عليهم ، وتوبيخ لهم ، فإن القول بالجهل إذا كان قبيحًا في كل شيء فكيف إذا كان في التقول على الله ؟!

٢٩ - قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وَجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدِ ... الآية .

لقد أمر الله بالعدل والتوسط والاعتدال ، كما أمر بالتقوى وإخلاص العمل نله ، والاتجاء بالصلاة إلى الله.

قال أبو السعود: والقسط: العدل وهو الوسط في كل شيء، المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط.

وُ أَقِيمُواْ وَجُو فَكُمْ عِندُ كُلِّ مُسْجِدًا. توجهوا إلى عبادة الله مستقيمين ، أن أقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد حضرتكم الصلاة عنده ، ولا تؤخره ها حتى تعويدوا إلى مساحدكم .

وَادْمُوهُ مُعْلِّمِينَ لَهُ اللَّيْنَ. أي : اعبدوه حال كونكم مخلصين الدعاء أو العبادة له وحده ، ولا تشركوا به شيئًا. وأكثروا في التضرع إليه بخالص الدعاء وصالحه ؛ فإن الدعاء مع العبادة .

كُمَا بَدَأَكُمْ تَعُو دُونَ .

كما بدأكم ربكم خلقًا وتكوينًا بقدرته ، تعودون إليه بالبعث والحشر والجزاء يوم القيامة .

وقيل: كما أخرجكم من بطون أمهاتكم تعودون إليه كذلك ليس معكم شيء.

• ٣ -- فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّالِأَلَةُ ... الآية .

أي: تعودون فريقين ، فريقًا هذاه الله ووفقه للإيمان والعمل الصالح ، وفريقًا صَلُّوا وأغواهم الشيطان. فأعرضوا عن طاعة الرحمن ، وكل فريق يموت على ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه .

جاء في تفسير المنار:

ومعنى حلَّت عليهم الضلالة : ثبتت بثبرت أسبابها الكسبية ؛ لأنها جعلت غريزة لهم ، فكانوا مجبورين عليها ، يدل على هذا تطيلها على طريق الاستئناف للبياني بقوله :

إِلَّهُمُ اتَّخَذُواْ الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ

ومعنى اتخادهم الشياطين أولياء: أنهم أطاعوهم في كل ما يزينونه لهم في القواحش والمنكرات، وَيَحْسُونَ أَنَّهُم هُهَّلُونَ . فيما تلقّنهم الشياطين إياه من الشبهات . أهـ.

وهكذا كل ضنال يزين له ضلاله الفتنة والغواية ، ويريه أنه على الصراط المستقيم ، والله سبحانه وتعالى يقول: أَفَعَن زُبِرَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَعَالُهُ حَسَّنًا ... (فاطر: ٨) .

+ + +

المفردات،

خدوا زيئتكم ، البسوا ثيابكم ؛ لستر عوراتكم .

المفواحش، كبائر المعاصى لمزيد قبحها. الإشموسه، ما يوجبه من سائر المعاصى.

السيافي، الظلم والاستطالة على الناس.

سلطائا، حجة ويرهانا.

أجــــان ، وقت مضروب الله أعلم به .

سساعسة، أقل وقت يمكن فيه قضاء عمل من الأعمال.

التفسير

٣١- يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُواْ زِيتَنَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدِ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِلَهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.

خلق الله الإنسان في هذه الحياة ، وخلق له وسائل الحياة ووسائل الزينة المجاحة الحلال ، وأمره أن يأخذ نصيبه من الزينة ، وأن تكون الزينة في وجوه الغير والعبادة ، فالأعمال بالنيّات ، وشتان بين من يتزين لإثارة الفتنة ، وإغواء الناس ، ومن يتزين متجها إلى بيوت العبادة والطاعة .

والآية دعوة إلهية إلى أن نهتم بالصلاة وأماكن العبادة ، وأن تأخذ الزينة الحسنة ، والسمت الجميل، عند الاتجاه إلى المساجد ، ويذلك يألف الناس المساجد والمجامع والمحافل ، ويتم التعارف والتآلف والتودد.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن إهمال حسن المظهر وإهمال الشعر والثوب ، ونهى عن أكل البصل والثوم قبيل الاجتماعات ، وكل ما يجعل الإنسان مزعجًا للأخرين .

كان أحد الصحابة مهملاً في لباسه وشعره ؛ فقال له النبي ﷺ : ألك زوجة تهتم بك ؟ قال : نعم .

قال: انهب إلى زوجتك : لتأخذ لك من شعرك ، ولتنظّف ألك ثوبك : فإنك سيّد فى قومك ، وما أراه لا يليق بك .

وهكذا علم النبى أصحابه النظافة والسمت العسن ، وقال ﷺ : «تزينوا وتنظفوا واستاكوا فإن بنى إسرائيل ما كانوا يقطون ذلك فزنت نسارُهم» (۵۰ .

كما حث الإسلام على العناية بالمسجد ونظافته وحسن رعايته ، حتى يؤدى دوره الروحى التنفيغى القيادى ، قال تعالى : فِي يُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَيِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْفُدُّوّ والآصَالِ ، ورِجَالُ لاَ تُلْهِيهِمْ وَجَازُةُ وَلاَ يَبِعٌ عَن ذِكِرِ اللَّهِ وَإِقَام الصَّلاَةِ وَإِيْنَاءِ الزَّكَاةِ ... (النور: ٣٦، ٣٧)

وقال ﷺ: «من أكل ثومًا أو بصلاً ؛ فليعتزلنا، (١٠).

والمعنى : فليعتزل مساجدنا .

لقد بنى الدين على النظافة ، ولذلك شرع الله الوضوء والاغتسال وطهارة الثوب والبدن والمكان ، وقال سبحانه: فِيهِ رِجَالَ يُعِمُّونَ أَن يَعَظَّهُ وَا وَاللَّهُ يُعِبُّ الْمُظَّهِّرِينَ . (لقرية:١٠٨)

وهذه الآية دعوة لبني آدم أن يتزينوا بزينة الله عند التوجه إلى المساجد.

قَالَ القَرَطَى: يَا يَبِي عَادَمُ . هو خطاب لجميع العالم ، وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عريانًا ، فإنه عام في كل مسجد للصلاة : لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وقال ابن عباس : كان بعض العرب يطوفون بالبيت عراة ، الرجال بالنهار ، والنساء بالليل ، يقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فنها ، فأنزل الله تعالى :

يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدِ"

وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ .

وفي هذه الفقرة أساس سلامة الجسم والنفس، ودعوة إلى أن يأخذ الناس حظهم من طيبات الحياة، وأن يذوقو! نعم الله التي وضعها بين أيديهم، ولكن في غير إسراف بل في قصد واعتدال.

روى أن بنى عامر كانوا في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلاً قويًّا ، ولا يأكلون دسمًا يعظمون بذلك حجهم ، فهمَّ المسلمون بمثله فنزلت (**)

وَلاَ تُسْرِفُواْ . بتحريم الحلال ، أو بالتعدى إلى الحرام ، أو بالإفراط في الطعام والشره عليه .

قال البخارى: قال ابن عباس: وكل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة (44) وجاء في تفسير فتح القدير للشوكاني:

«نهاهم عن الإسراف، فالا زهد في ترك مطعم ولا مشرب، وتاركه بالمرة قاتل لنفسه وهو من أهل التار».

والمقلل منه على وجه يضعف به يدنه ، ويعجز عن القيام بما يجب عليه القيام به من هاعة ، أو سعى على نفسه ، وعلى من يعول ، مشالف لما أمر الله به وأرشد إليه ، والمسرف في إنفاقه على وجه لا يقعله إلا أهل السفه والتبذير ، مشالف لما شرعه الله لعباده ، واقع في النهى القرآني ..» ! هـ .

إِلَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِقِينَ . أي : لا يرتضي فطهم .

قال ابن كثير : قال بعض السلف : جمع الله الطبُ في نصف أية في قوله تعالى : وَكُلُواْ وَاشْرِبُواْ وَلاَ تُسْرِقُواْ .

وكان الإمام الحسن بن على إذا قام إلى الصلاة لبس أحسن ثيابه ، فقيل له : يا ابن بنت رسول الله : لِمُ تلبس أجمل ثيابك ؟ فقال : إن الله جميل يحب الجمال ، فأنا أتجمل لربى : لأنه هو القائل : خُلُوا زِيتَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسْجِد (١٠)

٣٧- قُلْ مَنْ حَوَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطُّلِيَّاتِ مِنَ الرَّزْقِ ... الآية .

أى: قل يا محمد الأولئك الذين يطوفون بالبيت عرايا ، ويمتنعون عن أكل الطيبات : من أين أتيتم بهذا

الحكم ، الذى عن طريقه حرمتم على أنفسكم بعض ما أحله الله لعباده ، فالاستفهام لإنكار ما هم عليه بأبلخ وجه.

جاء في فتح القدير للشوكاني :

الزينة - ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمحادن والجواهر ونحوها ، فلا حرج على من لبس الثياب الجديدة الغالية القيمة ، إذا لم يدخل فى حد الإسراف ، ولم يكن مما حرمه الله، ولا حرج على من تزين بشىء من الأشياء التى لها مدخل فى الزينة ولم يمنع منها مانع شرعى ، ومن زعم أن ذلك بخالف الزهد ؛ فقد خلط.

وُالطَّيِّاتِ مِنَ الرُّوْقِ . أي : وهكذا الطيبات من المطاعم والمشارب ، فإنه لا زهد في ترك الطيب منها ، ولهذا جاءت الآية للإنكار على من حرم ذلك على نفسه ، أو حرَّمه على غيره ، وترك أكل اللحم والطيبات المستلذات من الطعام، من اللحم والفاكهة والطويات وغيرها ، مما طاب كسبًا ومطعمًا ، فهو داخل في هذا النهي .

عن النبي ﷺ قال: « كلوا واشريوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة ولا سرف ؛ فإن الله سبحانه يحب أن يرى أثر نمنته على عبده» ٧٠٪.

قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامْتُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

أى: قل أيها الرسول لأمتك: هذه الزينة والطيبات من الرزق يستمتع بها الذين آمنوا في الحياة الدنيا. بالأهمالة ، وإن شاركهم الكفار فيها ما داموا في الحياة .

أما في الأخرة فهي خالصة للمؤمنين ولا يشاركهم فيها أحد ممن أشرك مع الله آلهة أخرى .

كَذَلِكَ نَفْصُلُ الآيَاتِ لِقُوْمٍ يُعْلَمُونَ . أي : مثل هذا التفصيل نفصًل سائر الأحكام ، لقرم يعلمون ما في تضاعيفها في معان عائبة وآداب سامية .

٣٣- قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا يَطُنَ ... الآية .

أى: قل يا محمد لهؤلاء الذين ضيئُّوا على أنفسهم ، ما وسُعه الله عليهم ، إن الذي حرمه الله عليكم هو هذه الأنواع الغمس :

الْقُواَ مِشْ مَا ظَهْرَ مِنْهَا وَمَا بَعْلَنَ. وهي كل كبيرة وقعيحة من الأقوال والأفعال ، وقيل : إن الفواحش تطلق على الزخا وما اتصل به من شهوة الفرج ، والزخا محرّم سواء كان في السرّ أم في العلن .

قُلُّ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ .

أى : حرم الله المعاصمي التي اشتدت شناعتها ، ومنها : الزناء واللواط، والفجور، والشذوذ، وسائر الانحراف، سوام ما أعلن من القواحش، وما أسرً منها .

٢ ، ٣ ~ وَالإِلْمَ وَالْيَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقَّ .

الإثم: هو الشيء الذي يوجب الإثم، ويعتبر فعله معصية.

والبغي: هو الظلم والتطاول على الناس، وتجاوز الحد أو الكبر.

وقيل: الإثم: هو الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه.

والبغى: هو التعدي على الناس.

قحرم الله هذا وهذا .

بِغُيرٍ الْحَقِّ . قيدَ البغى بكرنه بغير الدق : تأكيدًا له فى الممنى ، وتذكيرًا بأنه عمل مجاف للحق خارج عليه .

3 - وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا .

أى: وأن تجعلوا شه شريكًا لم ينزل عليكم به هجة ، وكل شرك لا هجة له ولا دليل ، وإنما وصف الشرك بأنه لم ينزل به سلطانًا من باب التهكم بالمشركين ، وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان .

جاء في التفسير القرآني للقرآن للأستاذ عبد الكريم الخطيب ما خلاصته :

إن الشرك بالله لا حجة له ولا سلمان ، لا من العقل ولا من النقل ، والمراد من الجملة : تحريك دواعي التفكير والحذر عند المرّمن ؛ حتى يحذر الشرك الخفى والاستظلال بظل كبير أو خطير : لأن المرّمن يرى أنْ كلّ شىء لله ، وأنه ليس لأيّ مخلوق مهما بلغ من جاه أو سلطان ، سبيل إلى شىء من ملك الله .

٥-- وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ .

أى: أن تقولوا: إن الله حرم هذا ، وأحل هذا ، بدون معرفة أو علم يحقيقة أن الله قال ذلك ، مثل ما كانوا ينسبون إلى الله سبحانه من التحليلات والتحريمات التي لم يأذن بها .

جاء في تفسير المنار :

« ومن تأملُ هذه الآية حق التأمل؛ فإنه يجتنب أن يحرِّم على عباد الله شيئًا ، أو يوجب عليهم شيئًا في دينهم ، بغير نص صريح عن الله ورسوله ، بل يجتنب أيضًا أن يقول : هذا مندوب أو مكروه في الدين بغير دليل وإضع من النصوص ، وما أكثر الغافلين عن هذا ، المتجرئين على التشريع .. » .

٣ ٣- ولِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةٌ وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ .

أي: ولكل أمة من الأمم المهلكة حد معين من الزمان ، مضروب لمهلكهم ، فإذا جاء الأجل المقدر لإهلاك الأمة نفذ فيها نفاذًا محكمًا ، بدون تقديم أن تأخير ، كما حدث لقوم لوط وشعيب ونوح ... وغيرهم .

+ + +

﴿ يَبَنِيَ عَادَمَ إِمَّا يَأْتِينَكُمُ رُسُلُ مِنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ وَالَيْقِ فَعَنِ اتّفَى وَأَصَلَعَ فَلاَحْوَقُ عَلَيْمَ وَلِهُ عَيْمَ وَلِهُ عَيْمَ وَلِهُ عَلَيْهُ وَلَهُ كَالَمُ عَنْ الْفَارِي كَذَهُ وَإِعَالِيْنِ وَالْسَتَكُمْ وَهِا خَلِهُ وَلَهُ فَا مَنَ الْفَلْمُ مِنْنَ الْفَلْمُ مِنْنَ الْفَلْمُ مِنْنَ الْفَلْمُ مِنْنَ الْفَلْمُ مِنْنَ الْفَلْمُ مِنْنَ الْفَلْمُ مَنْ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَا الْفَيْفُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِهُ اللّهُ وَلِلْمُ اللّهُ وَلِلْمُ اللّهُ وَلِمُلْعُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُول

المفردات ،

يستقط علماً وقصصًا: رواه .

شبطيوا عبداء أي: تاموا عدا.

قال ادخلوا هي أمم: أي: قال لهم الله ، أو قال لهم أحد الملائكة .

أشراه والسفلة .

الولاه منزلة وهم القادة والرؤساء.

عبداب شبعيط ، أي : مضاعفا ؛ لأنهم ضلوا وأضلوا .

التفسيره

٣٥ – يَا بَنِى ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَكُمْ رُسُلٌ مُنكُمْ يُقَصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَن ِالْفَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَعْتَوْلُونَ .

والمُعنى : يا بنى آدم إن أتاكم رسل من أبناء جنسكم ، يخبرونكم بأحكامى ويبينوها لكم ، فأمنوا بهم وأطيعوهم وصدقوهم وتابعوهم ، فالناس حيال الرسول فريقان : فريق اتقى الله وأصلح نفسه وعمله ، فهذا لا خوف على أفراده ولا ظلم .

وَلاَ هُمْ يَحْزُنُونَ . يوم القيامة على ما أصابهم في الدنيا .

٣٦- وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بَآيَاتِنَا وَاسْتَكُبُرُواْ عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

أما الفريق الذى كذّب الرسل ، وكفر بالآيات التى يقصها عليهم رسلنا واستكبر عن إجابة الرسل ، والعمل بما شرع الله ، هذا الصنف يلازم جهنم كأنّهم أصحابها ، وهؤلاء يخلدون فى النار ولا يخرجون منها . بسبب كفرهم .

٣٧ - فَمَنْ أَظْلَمُ مِمِّن الْخَرَى عَلَى اللَّهِ كَلِبًا أَوْ كَذَّبَ بَآيَاتِهِ ... الآية .

أى: لا أحد أظلم من القترف معصية الكتب على الله ، فشرع من الدين ما لم يأذن الله به ، أو كتُب بما جاءت به الرسل ، أو أحل الحرام أو حرّم الملال .

أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ .

أى : هؤلاء الكاذبون على الله ، والتكذيون لما أقاهم من الله ، سيوفون نصيبهم فى الدنيا ، ويحصلون على ما قدر لهم من خير وشر ، وما كتب لهم فى الأزل .

حَتَّى إِذَا جَاءَتُهُمْ رُسُلُنَا يَتُوَفُّونَهُمْ.

أي: حتى إذا جاء إليهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم.

فَالُّواْ أَيُّنَ مَا كُنتُمْ لَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ .

أى: سألهم ملك الموت وأعوانه سؤال توبيخ وتقريح ، أين الآلهة التي كنتم تدعونها من دون الله وتعبدونها ؟! إحشوا عنها ؛ لتنفعكم اليوم !

قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا . أي : غابوا عنا وصرنا لا ندري مكانهم ، أو أضاعونا فلا يدرون أين نحن .

وَشَهِدُواْ عَلَى أَنْهُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَالُواْ كَافِرِينَ . أي : أقرَّوا على أنفسهم بالكفر .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن :

والشهادة هنا هى استيقائهم بواقع أمرهم ، وأنهم كانوا على ضلال وكفر .. وتلك هى الشهادة التى شهدوا بها على أنفسهم ، فكان حكمًا عليهم ، أدانوا أنفسهم به ، قبل أن يدينهم الديّان .

٣٨- قَالَ ادْخُلُواْ فِي أَمْمِ قَدْ خَلَتْ مِن قَلِيكُم مَّنَ الْجِنَّ والإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أَمَّةٌ لَّعَنتْ أُخْتَهَا ... الآية.

قال الله تعالى لأولئك المكذبين: المقلوا ضمن أمم من الجن والإنس قد سبقتكم في الكفر، وشاركتكم في الضلالة ، كلما دخلت أمة من الأمم الماضية لُّفَتُ أُخْفَهَا . أي : الأخرى التي سبقتها إلى النار ، أو أختها في الدين والملّة ، فالأمة المتبوعة تلعن التابعة : لأنها زادتها ضلالاً ، والأمة التابعة تعلن المتبوعة : لأنها ضلت بالاقتداء بها .

حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيمًا . أي : تدراكوا وتلاحقوا في النار .

والتدارك : التلاحق والتتابع ، والاجتماع في النار ، أي : أدرك بعضهم بعضًا .

قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَوُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَلَالًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ .

أى: قالت أخراهم دخولاً وهم سقلتهم وأتباعهم ، لرؤسائهم وكبارهم ، ريّنا هرّلاء السادة أضلونا ؛ وسنّوا لنا الضلال ، فاقتدينا بهم ؛ فضاعف لهم العذاب مرات ومرات ؛ لأنهم ضلّوا وأضلّوا .

قَالَ لِكُلُّ ضَعْفٌ وَلَكِن لا تَعْلَمُونَ .

أي : لكل طائفة منكم ضعف من العذاب ، أما القادة ؛ فَلِمَا ذكر من الضلال والإضلال ، وأمّا الأتياع؛ فلكترهم وتقليدهم .

وَلَكِنَ لاَّ تَعْلَمُونَ .

أى: ولكنكم يا معشر المقلِّدين ، لا تعلمون ذلك ! لجهلكم وانطماس بصيرتكم .

٣٩- وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَصْل فِلْدُونُوا الْعَذَابَ بِمَا كَنتُمْ تَكْسِبُونَ .

أى: قال الزعماء لأتباعهم بعد أن سمعوا رد الله عليهم ؛ إنا وإياكم متساوون في استحقاق العناب، وكلنا فيه سواء لأنا لم نجبركم على الكفر، ولكنكم أنتم الذين كفرتم باختياركم ، وضللتم بسبب جهلكم ، فذوقوا العذاب المضاعف مثلنا ، بسبب ما اكتسبتموه في الدنيا من قبائح ومنكرات .

وهذا الفصام بين أهل النار ، حيث يلقى بعضهم اللوم على بعض ، ويتعنى بعضهم زيادة العذاب للبعض الأخر ، مع أنهم كانوا في الدنها أصدقاء وأخلاء . قال تعالى : الأُخِلاَءُ يُؤمِّلٍ بِعُعْمَهُمْ لِمُعْمَرِ عُلُوً إِلاَّ المُتَّقِّنَ . (الذير في ٢٧٠).

* * *

﴿ إِنَّ الَّذِيكَ كَذَّبُوا بِهَايَئِنا وَاسْتَكْبُرُوا عَهَا لاَفْتَحُ لِمُمْ أَبُونُ السَّهَ وَلاَيْدَ خُلُونَ الْجَنَّةُ حَقَى لِلجَ الْجُمَلُ فِي سَمِّ الْخِيالُ وَصَدَلِكَ جَنِى الْمُجْرِمِينَ ۖ فَمُ مِن جَمَّنَمَ مِهَا أَدُّونِ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ جَزِى الظَّلِمِينَ ۚ وَالَّذِيكَ اَمْتُواْ وَصَحِلُوا مِهَا أَوْلَيْهِ فَي وَالَّذِيكَ الْمَنْواوَ صَحِلُوا الْمَسْلِكَ الْمَسْلِكِ الْمُنْلِحَنِ الْمُنْكِلِكَ فَعْمَ فِهَا خَلِدُونَ فَي الْمَسْلَوا لَا لَهُ مَعْمَا أَوْلَتُهِكَ أَصَّانُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُلْولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْتُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُولُولُولَا اللَّهُ الْمُنْتُلُولُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ اللَّلْمُ الْمُنْتُولُولُولُ اللَّهُ الْمُنْتُلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولَ

المطردات :

يسلسج الجمسل: يدخل الجمل.

سَمِّ الخياط: ثقب الإبرة ، ومنه قولهم: حتى يشيب الغراب.

مسهداد المراش، أي : مستقر.

غــــواش؛ أغطية كاللُّحف.

رسيب المساء طاقتها وما تقدر عليه.

فيسينيان حقد وضغن وعداوق

أوركت موهاء أورثكم الله إياما.

التقسيره

٤ - إن اللَّذِينَ كَلَّمُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكُمُرُواْ عَنْهَا لا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءَ وَلاَ يَذْخُلُونَ الْحِثْلَةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمْلُ في سَمَّ الْحِياط ... الآية .

لقد تعنَّت المشركون مع رسول الله ﷺ ، فبين القرآن جانبًا من سلوكهم ، وهو التكذيب بأيات الله والاستكبار عن اتباع دين الله ، هؤلاء لا أمل فى دخولهم الجنة فقد علق الله دخولهم الجنة على أمر مستحيل وهو دخول الجمل الكبير الجسيم فى هُرِّم إبرة صغير .

أو دخول العَبْل الغليظ في خرم إبرة صغيرة .

ونلمح في الآية أن صلة الموصول فيها تمهيد للحكم حيث قال تمالي: إن اللَّذِينَ كُلَّمُوا بِآبَاتِنَا. الذين اسم موصول ، وكذبوا بآياتنا واستكبروا عنها صلة الموصول . وقد بينت صلة الموصول ما يستحقون من عقاب، حيث كان الجواب :

لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءَ.

قال الشوكاني في فتح القدير: «لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، وقيل: أبواب السماء لأدعيتهم إذا دعوا، ولا لأعمالهم إذا اعملوا، فلا ترفع إلى الله ولا تقبل، بل تردّ عليهم فيضرب بها في وجوههم.

وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْحِياطِ .

لا يدخلون الجنة بحال من الأحوال ، ولهذا علقه بالمستحيل فقال : حَتَّى يُلِحَ الْجَمَلُ فِي سَمَّ الْخِياطِ . وخمس سمَّ الفهاط وهو ثقب الإبرة : لكونه غاية في الشّيق .

والجمل: الذكر من الإيل ، وقيل: الحيل الغليظ من القنب ومن ذلك قول العرب: حتى يشيب الغراب. و كُذِّلك نُجْرى الْمُجْرِمينَ .

ومثل ذلك الجزاء الرهيب ، نجزى جنس المجرمين ، الذين صار الإجرام وصفًا لازمًا لهم .

ا ٤- لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ.

المهاد: القراش، والغواش: الأغطية.

أى: إن هؤلاء المكذبين لهم نارجهنم تحيط بهم، فهي من تحتهم بمنزلة الفراش، ومن فوقهم بمنزلة الغطاء.

و كَذَلِكَ نَجْرى الظَّالِمِينَ . أي : ومثل ذلك الجزاء نجزى كل ظالم ومشرك ، جزاء ظلمه وكفرانه .

ومن شأن القرآن أن يقابل بين عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة ، فبضدها تتميز الأشياء .

٢ ٤ - وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ لَكُلُّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أَوْلَفِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

إنهم عملوا يسيرًا واستفادوا كثيرًا ، ويدلُّ على ذلك جملة - لا تُكلُّفُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا .

جاء في حاشية الجمل على الجلالين:

وإنما حُسُّن وقوع لاَ لَكُلُّفُ أَقْسًا إِلاَّ رُسُعَهَا . بين المبتدأ والفير: لأنه سيحانه لما ذكر عملهم الحمالح، ذكر أن ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم، وغير خارج عن قدرتهم، وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظهم قدرها ، يتوصل إليها بالعمل السهل من غير مشقة ولا صعوبة .

وقال الشوكاني في تفسير فتح القدير:

لاَ أَنكَلْفَ نَفُسًا إِلاَّ وُسَعَهَا . أي: تُكلُف العباد بما يدخل تحت وسعهم ويقدرون عليه ، ولا نكلفهم ما لا يدخل تحت وسعهم .

٣٤- وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مَّنْ عِلِّ ... الآية .

ينزع الله ما في قلويهم من حقد بعضهم على بعض ، حتى تصفوا قلويهم ويردُ بعضهم بعضًا ، فإن القل لو بقى فى صدورهم كما كان فى الدنيا : لكان فى ذلك تنغيص لنعيم الجنة : لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر .

والغلُّ: الحقد الكامن في الصدور ، وقيل : نزع الغل في الجنة : ألاُّ يحسد بعضهم في تفاضل المنازل.

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن (١٠٠):

«وعلام يتباغضون ؟! والفير يملاً كلُّ ما حرابهم ، ليس لأحد منهم حاجة في شيء إلا وجدها بين يديه: فليس فيهم غنى وفقير ، وشقى وسعيد ، إذّ كلهم أغنياء من فضل الله سعناء برحمته ورضوانه» .

تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا .

هم ينعمون في غرفهم والأنهار تجرى من تحتهم ، وهم يلهجون بشكر ربهم ، الذي هداهم إلى الإيمان ووفقهم لمرضاة الله ، والفوز بهذا التُعيم العظيم .

وَهَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لُولًا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ. أي . ما كنا نطيق أن نهتدي بهذا الأمر لولا هداية الله لنا .

لْقَدْ جَاءَتُ رُسُلُ رَبُّنَا بِالْحَقِّ . أي : قالوا ذلك اغتباطًا بما صاروا فيه من نعمة .

وَنُودُواْ أَن لِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِئْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .

نادى المنادى من قبل الله تعالى لأهل الجنة : تهنئة لهم بنعمة الله عليهم ، هذه هى الجنة وجبت لكم، وحقت كما يحق الميراث لوارثه ، وقد ورثتموها بسبب أعمالكم فى الدنيا ، وهذا من فضل الله ، فالعمل المسالح لا يؤهل للخول الجناب ويقتسمونها بأعمالهم فى الدنيا .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة أن رسول الش 義 قال : « لن يُذخل أحدًا عملُه الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمته ، فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسنًا فلعله أن يزداد فى إحسانه ، وإما مسيئًا فلعله أن يتوب » ١٠٠١.

فأعمال الإنسان مهما عظمت لا تكفائ نعمة واحدة من الله على الإنسان ، وهي نعمة البصر. والجنة جزاء عظيم ، والعمل مهما عظم ، فهو ثمن ضئيل لعظمة دخول الجنة .

ثم إن الله هو المتفضل على الإنسان بالتوفيق للعمل الصالح ، والمتفضل عليه بدخول الجنة .

قَالُ ابن عباس: أنفسٌ هو خالقها: وأموال هو رازقها، يطلبها منا ثم يعنمنا عليها الجنة إنّها لصفقةٌ رابحة.

وهذا عند تفسيره لقوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُواْمِئِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمُوْلِاَهُم بَأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَيِل اللَّهِ فَيَقُتُلُونَ وَيَقْتُلُونَ وَعُدًا عَلَهِ حَقًّا فِي التُّورَاةِ وَالإغِيلِ وَالثَّوَاوَ ا ﴿ وَنَادَىٰ أَصَّمُ الْمُنْدَةُ أَصَّمُ النَّارِ الْمَنْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا وَتَنَاحَقًا فَهَلَ وَجَدَعُم مَّا وَعَدَدُهُمُ مَا وَعَدَدُمُ مَّا وَعَدَنُم مَّ وَعَنَاهُم وَعَلَى الْعَلِيدِينَ ﴿ اللَّيْنِ يَسُدُونُ مَنْ سِيلِاللَّهِ وَيَعَوْنَا عَوْمَ المَّعْمُ وَلَا الْمُعْرَافِ رِيَاللَّ يَعْمِ وَكَنَا لَمُ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدَنُهُم وَعَلَى الْمُعْمِونَ ﴿ وَيَعَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ لَمَ يَدُعُلُوهَا وَهُمْ يَظْمَعُونَ ﴿ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لَمَ يَدَعُلُوهَا وَهُمْ يَظْمَعُونَ ﴿ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لَمَ يَدَعُلُوهَا وَهُمْ يَظْمَعُونَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لَمَ يَعْمَعُونَ اللَّاعَ الْمُعْرَافِقِي اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَاللَّا الْمَعْلَى الْعَلَيْقِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لَمْ يَعْمَعُونَ ﴿ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لَمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُ اللَّهُ الْمُعْلِقُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ اللْمُعَلِقُولُولُ الْمُعْلِقُولُولُ الْمُعْلِقُولُ اللْمُعَلِقُ الْمُعَلِقُولُ الْمُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْمُعْلِقُولُولُ اللْمُعَلِّمُ الْمُعَلِقُ اللْمُعَلِقُ الْمُعَلِمُ الْمُعْلِقُلُولُ الْمُعْلِقُ الْمُعَلِقُولُ اللْمُعُلِقُولُ اللْمُعَلِي الْمُعْلِقُ اللَّهُ ا

المطردات ا

في الأن مي فذن ، أعلم معلم من الملائكة ، أي : نادي منادٍ .

يبقونها عوجاء يطلبونها معوجة أوذات اعوجاج.

بيتهما حجابه عاجز وهو سور بينهما.

وهسلس الأعسراف ، أي : أعراف الحجاب ، أي : أعاليه ، جمع عرف مستحار من عرف الغرس ، وقبل : العرف ما لرتفع من الشيء .

بسيسماهم ، بعلامتهم المميزة .

أفيض واعلينا، صبُّوا أو ألقوا علينا.

غرتهم الحياة الدنياء خدعتهم بزخارفها وزينتها.

ئستساهم، تتركهم في العذاب كالمنسيّين.

ومساكساتسواء وكما كانوا.

التفسيره

£ ٤ - وَنَادَى أَصْحَابُ الْجِنَّةِ أَصْحَابَ النَّاوِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقَّا فَهَلْ وَجَدْنًا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًا فَهَلْ وَجَدْنًا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًا فَهَلْ وَجَدْنًا مَا وَعَدَ رَبُكُمْ حَقًا قَالُواْ

تدرض الآيات مشهدًا من الحوار الذي يدور يوم القيامة بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، وهو حوار يمثل الرضا والسعادة والفوز والامتنان من جانب المؤمنين ، ويمثل الحسرة والثلة والحرمان والقلق من جانب الكافرين .

وإنه لتصوير قوى بارع ، يحرك إليه النفوس ، ويهز المشاعر ، ويبين أن النهاية الأليمة المتوقعة لهزلاء المكذبين ، إنما هي تسجيل اللعنة عليهم ، والطرد والحرمان من رحمة الله بسبب ظلمهم وانحرافهم .

قال الشوكاني في فتح القدير:

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ.

أي يتادونهم بعد أن يستقر كل من القريقين في منزله .

أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدُّتُم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا .

أى: إنَّا قد وصلنا إلى ما وعدنا الله به من النعيم ، فهل وصلتم إلى ما وعدكم الله به من العذاب الأليم؟ ا هـ. قَالُواْ لَهُم . أَى: وجدنا ما وعدنا ربنا حمًّا وفي رواية .

لُعِم ، بكس العين وهي لغة فيه ، كما يقول أبو السعود في التفسير .

فَأَذَّنَ مُوَّذِّنٌ يَيْتَهُمْ أَن لُّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ .

أى : ذادى مذارٍ من الملائكة ، أن هو نداء الكون والحق والعدل . «وهذا المذادى من أمور الغيب التي لا تطم علماً صحيحاً إلا من التوقيف المستند إلى الوحى، وما ورد في ذلك فهو من الآثار التي لا يعتمد عليها، ٢٠١٩،

وقال أبو السعود: قيل: هو صناحب الصور.

أَن لُّعْنَةُ اللَّهُ عَلَى الظَّالَمِينُ .

إنه صوت الوجود كله. يلعن الظالمين ويخزيهم ويفضح ما كان منهم من كفر بالله وصد عن سبيله.

ه ٤ - الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَنْفُونَهَا عِوْجًا ... الآية .

لقد كان هؤلاء الكفار يصدون أنفسهم عن سبيل في الله ، ويصدون غيرهم عن طريق الحق المستقيم، ويريدونها طريقاً معرجة ، قائمة على الضائل والبغني والعدران .

وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ .

لقد كذبوا بالآخرة وأنكروا البعث والحشر والجزاء ، وكان هذا سرّ عدواتهم وظلمهم ، فالعقيدة السليمة تردي إلى السلوك السليم . كما يقول الشاعر :

وإذا كان القلب أعمى عن الـرشد د فماذا تفهـــده العهـنــان؟

٣ ٤ - وَيَنْتَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِمَاهُمْ ... الآية .

والمعنى: بين أهل الجنة والنار حاجز سديك ، يعزل كل قريق عن الآهر عزلة كاملة ، لا ينقذ منها شيء من نعيم الجنة إلى أصحاب النار ، كما لا ينقذ منها شيء من عذاب جهنم ولفحها إلى أهل الجنة ، ولكنهم مع هذا بعرأى ومسمع من يعض .

أصحاب الأعراف :

الأعراف في اللغة: المكان العرتفع ، ومنه: عرف الديك الذي هو أعلى شيء فيه ، ومنه: المعرفة بالشيء حيث تكشفه وتستولى على حقيقته .

وأصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

فلم تكثر حسناتهم ليدخلوا الجنة ، وأم تكثر سيئاتهم ليدخلوا النار.

فهم في منزلة بين المنزلتين ، يشاهدون أصحاب الجنة وما يتطبون فيه من القعيم ، ويتمنون أن يكونوا مثلهم .

ويشاهدون أصحاب النار وما يتقلبون فيه من الجحيم، ويدعون الله ألاً يكونوا معهم.

وهم أشبه بالنظارة والمشاهدين الذي يشجعون الفريق الفائز في مياراة أو مناظرة ، وهناك أراء كثيرة في أصحاب الأعراف .

قال الشوكاني: وقد اختلف العلماء في أصحاب الأعراف.

ققيل: هم الشهداء ، وقيل: هم فضلاء المؤمنين ، فرغوا من شغل أنفسهم ، وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس، ذكره محاهد .

وقيل : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، قد قصرت بهم أعمالهم عن دخول الجنة ، ثم يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته ، وهم أخر من يدخلها ، وقيل : هم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المرتمنين قبل إشخالهم الجنة والنار(")

وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ .

والمسى: أن رجال الأعراف على شرفات عالية ، يعرفون كل فريق من أمل الجنة وأمل النار بعلامتهم المميزة ، فأمل الجنة من علامتهم بياض الوجوه وتعيمها ، وإشراق الأمن والسلامة والرضا عليهم .

وأهل النار سود الرجوه، على وجوههم غبرة ترهقها قترة، قد استولى عليهم الكرب والفزع ، واشتد بهم البلاء.

قال تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِلْ مُسْفِرَةٌ • صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرةٌ • وُوُجُوهٌ يَوْمِئِلْ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ • تَوْهَقُهَا قَتَرَةٌ • أُوْلِيَكُ هُمُّ الكُفّرَةُ الْفَجَرَةُ ، (عيس ٣٨: ٣٨ - ٤٢)

ويلاحظ أن البياض منا كناية عن النعيم ، والسواد كناية عن الحزن والجميم ، وليس في هذا ميزة لأبيض على أسود في الدنيا : «لأن الله لا ينظر إلى صوركم وأشكالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٩٠٠.

وفي محاورة بين أبيض وأسود قال الأسود :

ألم تر أنَّ سواد المسك لا شيء مثله وأن بياض اللَّفت حمل بدرهم وأن سواد المين لا شك نورها وأن بياض العين لا شيء فاعلم

لقال الأبيض :

أَم تر أَن بياض البدر لا شيء مثله وأنّ سواد الفحم حمل بدرهم وأن رجــال الله بيضٌ وجـوههم وأن سـود الوجوه مأواهم جهنم

وهى كما ترى مماحكات لفظية : لأن سود الوجوه فى الدنيا إذا عملوا أعمالاً صالحة ، ابيضت وجوههم يوم القيامة ، وييض الوجوه إذا عملوا أعمالا سيئة اسودت وجوههم يوم القيامة ، فالسواد والبياض من أثر العمل الصالح أو السيئ والمنزلة السامية أن الهابطة فى الآخرة .

وقد تحدث القرآن عن المنافقين فقال : وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ تُعجِبُكَ أَجَسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشُبُ تُسَنَّفَةً .. (المنافقون : ٤) وقال تعالى : قَالاَ تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ . . . (التوية : ٥٥)

وقال ﷺ: «كم من وجه صبيح ، وجسم مليح ، ولسان فصيح ، غذا بين أحشاء النار يصيح» وقال ﷺ: «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرد» ("").

وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَّمٌ عَلَيْكُمْ.

أى: نادى رجال الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم بالتحية والتكريم والتشجيع فقالوا: سُلام عَلَيْكُم وتعجب أهل الجنة من هؤلاء الذين يقدمون لهم التحية والتكريم، وهم في مرحلة عالية فاصلة، من هم ؟!

> فأجاب الحق سبحاته : لَمْ نَدْخُلُو هَا وَ هُمْ نَطْعُون نَ .

أى: لم يدخل الجنة أصحاب الأعراف ، ولكنهم يطمعون في دخولها ؛ لما يرون في فضل الله ورحمته على أهل الجنة ، وأن الله تعالى تغلب رحمته غضبه ، وروى أن النبي ﷺ قال : « إذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال لأصحاب الأعراف : أنتم عتقائي ضَارَعُوا من الجنة حيث شئتم """

٧٤ - وَإِذَا صُرِفَتُ أَيْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْم الظَّالِمِينَ .

هذه الآية استمرار لهذا الحوار التفصيلي بين مشاهد أمل الجنة ومشاهد أهل النار.

والفريق الثالث: أصحاب الأعراف. فهم قد باركوا أهل الجنة ، وسلَّموا عليهم سلام تحية وتقدير.

وهم ينظرون إلى أصحاب النار فيجدون عذابهم وسوء حالهم ، فيستعيذون بالله أن يكونوا مثلهم ويلهجون بدعاء الله آلا يجملهم مع القوم الظالمين . أي : مع أصحاب النار.

قال السيد رشيد رضا في تفسير النار:

« وقد أقاد هذا التعبير بالفعل المبنى للمجهول ، أنهم يوجهون أبصارهم إلى أصحاب الجنة بالقصد والرغبة ، ويلقون إليهم السلام . وأنهم يكرهون رؤية أصحاب النار ، فإذا صُرفت أبصارهم تلقاءهم من غير قصد ولا رغبة ، بل بصارف يصرفهم إليها ، قالوا : رُبَّنًا لا تُجَعِّلًا مَعْ القُوْمُ الظَّّالِمِينَ .

ثم قال: والإنصاف أن هذا الدهاء أليق بحال من استوت حسناتهم وسيئاتهم ، وكانوا موقوفين، مجهولاً مصيرهم ...» . ٨٤- وَلَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رَجَالاً يَعْرِلُولَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمُ تستَكْبُرُونَ .

هذه صور من المحاجة والمناظرة ، فيها براعة الوصف وإبراز المعقول في صورة المحسوس.

والمعنى: نادى أصحاب الأعراف على رجال من زعماء الكفار، كانوا يعرفونهم فى الدنيا: لأنهم رءوس الكفر والضلال، أن عرفوهم فى الآخرة لما شاهدوا عليهم من الدلّة والانكسار.

فقال أمسحاب الأعراف لهؤلاء الكافرين : تبكيتًا لهم وإنَّلالاً : بماذا نفعكم تجميع الناس بالباطل حركم ، واستكباركم عن استماع المق والاستجابة إليه .

وفي الآية كلمة : يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ . أي : يعرفونهم من علامتهم وهي سواد وجوههم وظهور الكآية والخزي على نفوسهم .

كذلك فإن جموع الكفر كانت ثجتهد في إكثار جموعها ، وتكابر وتعائد ، فكان هذا الاستفهام الإنكاري عقوبة عادلة لتقريعهم ، ميث يقول لهم أصحاب الأعراف :

مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبُرُونَ .

٩٤ - أَهَوُ لاَءِ الَّذِينَ ٱلْمَسْمُتُمْ لاَ يَنالُهُمُ اللَّهُ برَحْمَةِ ادْخُلُواْ الْجَثَّةَ لاَ خَوْف عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ .

أى: إن ألمل الأعراف يزيدون فى توييخهم وتقريمهم ، فيقولون لهم - ويشير أصحاب الأعراف إلى ألمل البنة من الفقراء والمستضعفين - آمرًلاء الفقراء والضعفاء الذين كنتم تعذبونهم فى الدنيا ، وقد أقسمتم فى الدنيا أن الله لن يشعلهم برحمته ، أن فعلتم بهم ما ينبئ عن ذلك . مرّلاء يقال لهم : ادْخُلُواْ الْجَنَّةُ لاَ خُرُفُ عَلَيْكُمْ ، بعد هذا وَلاَ أَتُمُّ تَعَرُّلُونُ . فلا يعرفون الدزن ولا يجدونه ؛ فالجنة قد فتحت لهم أبوابها ، وتمتعوا فيها بسائر صنوف الذهبيم :

وَقَالُواْ ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ .

« وكلمة ادْخُولُ الْجَنَّةُ تكون من كلام أصحاب الأعراف ، وفيها تلوين الخطاب ، وتوجيه الكلام لهم ، والانتقال من مخاطبة الكافرين إلى مخاطبة فقراء المؤمنين ، أي : ادخلوا الجنة على رغم أنوف الكافرين ».

« ويجوز أن يكون الكلام موجها إلى أصحاب الأعراف أي : قيل لأصحاب الأعراف : ادهلوا الجنة بفضل الله تعالى ، بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الغريقين وعرفوهم ، وقالوا لهم ما قالوا "⁽¹⁰⁾. ٥ – وَلَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ الْهِيشُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَوَقَكُمُ اللَّهُ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ حَرّْمُهُمَا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَوَقَكُمُ اللَّهُ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ حَرّْمُهُمَا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَنْ مِلْهَ عَالَمُ إِنَّ اللَّهَ حَرّْمُهُمَا

لقد ذهب أصحاب الأعراف إلى الجنة ، ولم يبق على الساحة إلا أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، وعندئذ يدور حوار آخر يتقدم فيه أهل النار بطلب إلى أهل الجنة ، يطلبون منهم أن يتفضلوا عليهم النام المناد عليهم من الجنة عليهم ، أو إرسال شيء معا رزقهم الله في الجنة من ثمار وخيرات ونعيم ، حتى يخفف طيئاً من الجنة بالرفض ، فقد منع الله ذلك يخفف طيئاً من الجنة بالرفض ، فقد منع الله ذلك النام ، منكا كليًا على أهل النار ، فلا يستطيع أهل الجنة مواساة أهل النار بشيء مما حرَّمه الله عليهم ، ومنعه عنهم .

أليين أتُخلُوا بِينهُمْ لَهُوا وَلَجّا رَغَرْتُهُمْ أَنْحَيَاةُ النَّلَيَا فَالَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَرْمِهِمْ هَلَا وَمَا كَانُوا .
 إيّانِنا يَجْحَدُونَ .

عندما أجاب أهل الجنة أهل الذار بأن الله حرم نعيم الجنة على الكافرين : تكفل الحق سبحانه
بتوضيح أسباب الحكم ، وبيان حيثياته ، فنكر في هذه الآية أنهم اتفذوا دينهم مادة للسخرية والتلهي ،
وصرف الوقت فيما لا يفيد ، فأصبح الدين صوراً ورسوماً ، لا تزكى نفساً ، ولا تعلم قلباً ، ولا تهذب خلقاً ،
أو أنهم حرموا ما أحل الله من البحيرة والسائبة ... وسخروا بدين محمد ، وانصرفوا عنه إلى اللهو واللعب قال
تمالى : وَمَا كَانَ صَلَّوْهُمُ عِندُ البَّتِ الْإِلَّ مُكَاءً وَلَهُمَايِّةً . (الأنفال: ٣٥)

فقد انصرفوا عن العبادة الحقة إلى التصفيق والصفير.

وَغُرَّتُهُمُ الْحَياة اللَّذِينَا . شغلتهم لذائذها ومتعها وزينتها عن كل ما يقريهم إلى الله .

فَالْيُومُ نَسَاهُمْ كُمَا نَسُوا لِقَاءَ يُوْمِهِمْ هَلَا . أي : يهملهم الله تعالى فلا يستجيب لهم دعاءً ولا يسمع لهم قولاً .

قال أبو السعود : قَالُومَ تَنسَاهُمْ . نفط يهم ما يفعل الناس بالمنسىّ ، من عدم الاعتداد بهم ، وتركهم في النار تركّا كليًّا .

كُمَا نُسُوا لَقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا .

أى: ننساهم نسيانًا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا ، أو بسبب تركهم الاستعداد لهذا اليوم .

وَمَا كَانُوا بَآيَاتِنَا يَجْحَدُوُنَ .

وهذه الجملة معطوقة على السابقة ، أي: ننساهم بسبب نسيانهم البعث والعشر والحساب ، وكما كانوا منكرين بأن القرآن من عند الله إنكاراً مستمرًا .

وتنتهى مع هذه الآية مشاهد الحوار المستمر ، بين أهل الجنة وأهل النار وأصحاب الأعراف ، ويسدل الستار على أهل الجنة خالدين منعمين في الجنة ، وأهل النار معذَّبين في الجحيم إلى ما شاء الله .

إنها طريقة القرآن الكريم التى تستحضر الغائب ، وتقدم مشاهد القيامة أمام الناس شاخصة حيّة : ليعتبر ويتعظ من كان له قلب ولبًّ .

قال تعالى : وَكَذَلِكَ أَنزِتُنَاهُ قُوْمَانًا عَرَبِيًّا وَصَرُقَنَا فِيهِ مَنَ الْوَعِيدِ لَمَلُهُمْ يَتَقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ دِكُوا. (ط. ١٩٣٠).

﴿ وَلَقَدْ حِشْنَهُم بِكِنْ فَصَّلْنَهُ عَلَى عَلْمِ هُدَى وَرَحْمَ ثَلِقَوْمِ كُوْمِنُونَ ۞ هَلَ يَظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلُهُ مِوْمَ يَا أَقِ تَأْوِيلُهُ مِيقُولُ اللَّذِي كَنُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَت رُسُلُ رَبِنَا إِلَّاحِيَّ فَهَل لَّنَا مِن شُقَعَاهَ فَيَشْفَعُوا لَنَا آوَثُرَدُ فَنَعْمَلَ غَيْرًا لَّذِي كُنَا نَصْمَلُ قَدْ خَيمُ وَا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُم مَّاكَ الْوَايْفَةَ رُوك ۞ ﴾

المطردات :

وش*ل عنهم ما*كانوايفترون ، أي: ويطل عنهم ما كانوا يفترونه من وجود شركاه لله ، أو ما كانوا يفترونه من الأضاليل وينسبونه إلى الله .

التفسير،

٧ ٥ - وَلَقَدْ جِنْنَاهُمْ بِكِنَابِ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْم هُدى وَرَحْمَةٌ لِقَوْم يُومِنُونَ .

من شأن القرآن التنقل والمراوحة ، وقد كانت الآيات السابقة تعرض مشاهد القيامة ، وأحوال أهل النار يعذُبون ، وأهل الجنة ينشُون .

ثم انتقل القرآن من مشاهد القيامة ، إلى الحديث عن الحياة الدنيا الحاضرة .

ومعنى الآية : ولقد جننا لهرّلاء الناس على لسانك يا محمد بكتاب عظيم الشأن كامل التيبان ، فصلنا آياته تفصيلاً حكيمًا ، حال كوننا عالمين بما اشتمل عليه من تشريعات وأحكام وآداب ، وقصص وحكمة ، وسائر ننون القول المفيد ، كما أن هذا القرآن هداية ورحمة لمن آمن به واتبم هداه .

٣٥ – هَلَ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَرْمُ يَأْمِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن لَبْلُ قَدْ جَاءتُ رُسُلُ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلَ ثَنَا مِن شُفَعَادَ فَيَشْلَمُوا لَنَا أَوْلُوزُدُ فَنَعْمَلُ ضَيْرَ اللّذِي كُنا نَعَمُلُ ۚ … الآية .

التفسب

أى: ما ينتظر هؤلاء الكفار بعدم إيمانهم به ، إلا ما يثول إليه أمره من تبين صدقه يظهور ما أخبر به من الوعد والوعيد .

قال الشوكاني :

هل ينتظرون إلا ما وعدوا به في الكتاب من العقاب الذي يئول الأمر إليه .

يُومُ يَأْتِي تَأْوِيلُه : وهو يوم القيامة الذي يقف الناس فيه أمام خالقهم للحساب.

يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتٌ رُسُلُ رَبَّنَا بالْحَقَّ .

أي: يقول هؤلاء الكفار الذين جحدوا هذا اليوم ، ولكن عندما تكشف لهم الحقائق في الأخرة يعترفون بصدق الرسل ويقولون : القُدُ جَاَّعَتُ رُسُلُ رُبَّا بِأَسْحَق وتبينًا صدقهم ، ولقد أخطأنا حين كذبناهم في الدنيا .

فَهَلِ لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَوْثُرَدُّ فَتَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ .

أي : هل لنا من شقعاء فيشقعُوا لنا عند الله ، حتى يخلُصنا مما نحن فيه من كرب أو بلاء ، أو هل من سبيل إلى أن نُردُ إلى الدنيا فنعمل عملاً صالمًا ، غير الذي كنا نعمله من الجحود ، واللهو واللعب .

قَدْ خَسِرُو ٱ أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُون .

أى: قد خسر هزلاء الكفار أنفسهم ، فلم ينتفعوا بها فكانت أنفسهم بلاء عليهم ، ومحنة لهم ، فكأنهم خسروها كما يخسر الثاجر رأس ماله .

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُون .

أى: ذهب عنهم ما كانوا يفترونه في الدنيا ، من أن أصنامهم ستشفع لهم يوم الجزاء ، وأيقنوا أنهم كانوا كاذبين في دعواهم . وقال أبو السعود : ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من أن الأصنام شركاء لله تعالى ، وشفعاؤهم يوم القيامه .

* * *

﴿إِنَ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوْنِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّقِ أَيَّا مِثُمَّ السَّوَى عَلَ الْمَرْفِي فِي النَّيَ أَيْتُ اللَّهُ الْمَرْفِي فِي النَّهِ الْمَالِقُ الْمَرْفِي فِي النَّهُ اللَّهُ الْمُلْكُلُقُ وَالْمُوْمَ الْمَالِكُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْكُ اللَّهُ وَاللَّمَ اللَّهُ اللَّ

المفردات ،

ثم استوى على العرش: العرش: الجسم المحيط بسائر الأجسام ولا يحيط بكنهه إنسان.

والاستواء على العرش صفة لله بلا كيف ، أى : أنَّ له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه ، منزَّها عن الاستقرار والتمكن ، وهو استواء بالمعنى اللائق به سبحانه .

يغشى الليل النهار: يُغطى النهار بالليل، فيذهب ضوءه.

ينظلهم فيكاء يطلب الليل النهار طلبا سريعان

السه الخلسق، إيجاد جميع الأشياء من العدم.

تسبسارك السلسة، تنزَّه أو تعظُّم أو كثر خيره.

ادعسوا ربسكسم: اسألوه واطلبوا منه حواشكم.

تضبير أهسساه مظهرين الضراعة والذلة والاستكانة والغشوم.

مُصَحَدِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَوْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلِيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلِي عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلِيكُمِ عَلَيْ عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلِي عَلِي عَلِي عَلَيْ عَلْ عَلِي عَلِي عَلَيْ عِلْ عَلَيْ عِلْعِيكُمِ عِلْ عَلِي عَلِي عَلِي عَلِي عَلِي عَلِي عَلَيْ عِلْعِيكُمِ عِلْمِ عَلَيْكِ عَلِي عَلِي عَلِي عَلِي عَلِي عَلِي عَلِي عَلَيْكِ عِلْ عَلِي عَلَيْكِ عِلْمِ عِلْعِيكُمِ عِلْمِ عَلِي عَلِي

رحمه الساسه: إحسانه وإنعامه أو ثوايه.

يُشــــــــــــرًا ، مبشرات برحمته وهي الغيث.

أقسلت سسحسانساه حملته ورفعته.

السباعة ولا نبات. مجدب لا ماء فيه ولا نبات.

تسسكسسفان عسرًا أو قليلاً لا خير نيه .

فسيسرف الأيسات، نكريها بأساليب مختلفة

التشسير،

\$ ٥ - إِنَّا رَبُّكُمُ اللَّهُ اللَّذِي خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْضِ ... الآية .

خلق الله السماوات والأرض في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ، والله قادر على أن يقول للشيء كن فيكون ، لكنه أراد أن يشعر الناس بأن للكون نظامًا وللخلق إحكامًا وترتيبًا ، فالجنين يمكث في بطن أمه تسعة أشهر ، حتى يتم تخليقه وتكويفه ، نطقه ثم علقه ثم مضعة ثم عظامًا ، ثم يكسى العظام لحمًا ، ثم يتم تكويف خلفًا أخر ؛ فتبارك الله أحسن الخالفين .

وهى القرآن الكريم : لَتَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعَلَّمُونَ . (عاند: ٥٧) ثُمَّ اسْتَرَى عَلَى المَرْهَى .

أى: استولى على نظام الملك وسيَّر أمرره ، وهي كناية عن قدرته سبحانه على تسيير خلق هذا الكون وإبداع صنعته ، وإحكام نظامه ، وتدبير أموره .

من آراء المفسرين:

المفسرون القدامى لاحظوا أن هناك آيات تشير إلى أن خلق السماء كان قبل خلق الأرض ، وهناك آيات تشير إلى أن خلق الأرض كان قبل خلق السماء .

وقد جمع للعلماء يبنهما أنَّ اللهُ خَلَقَ الأَرْضِ أَولاً ، ثَمَ خَلَقَ السماء ثَانيًا ، ثُمُّ أَعَمَارِ الأَرضِ وجعلها مدحُرة ، منبعجة عند خط الاستواء رمغرطحة عند القطبين . قال تعالى: وَأَنْتُمُ أَشَدُّ خَلَقًا أَمِ السَّمَاءَ يَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكُهَا فَسُوْاهَا ۞ وَأَغْطَشَ لِلَهَا وَأَخْرَجَ ضُعَاهَا ۞ والأَرْضَ بَعْدُ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاغِمًا وَمُرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَالِهِكُمْ . (النازعات ٣٠ ٣-٣٣)

وهذه الآيات تغيد أن الأرض خُلقت بعد السماء بيد أن علماء اللغة يقولون : إن كلمة بَعَدُ ذُلِكُ تحتمل معنى : فوق ذلك أو علاوة على ذلك ، أو قبل ذلك .

تقول لابنك : ريبتك وعلمتك وزوجتك ، وأنا بعد ذلك أبوك الذي رعاك صغيرًا وناشتًا . بمعنى : أنا فوق , ذلك أو قبل ذلك .

وقال تعالى : ألمُّا أَلِيَّكُمُ لَنَكُمُ وَنَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يُؤمِنُنِ وَجَعَلُونَ لَهُ أَلِنَاذَا ذَلِكَ رَبُّ الْعَلَمُونَ • وَجَمَلَ فِيهَا رُواسِيَ مِن فَوْقِهَا وَكَازَكُ فِيهَا وَقَادَ فِيهَا أَقُوالَهَا فِي أَرْبَعَة إِنَّامٍ سَوَاءَ لَلسَّالِلِينَ • فَمَّ السَّوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِي تُحَانُ فَقَالَ لَهَا وَللأَرْضِ الْعِيَّا طَوْعًا أَوْ كَرِّهَا قَالنَا أَتَيْنَا طَالِعِينَ • فَقَصَاهُنَّ شَيْعَ سَمَاوات فِي يُؤمِّنِ وَأُوحَى فِي كُلُّ سَمَاءٍ أَهْرَعَا وَرَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنِيَّا بِمَصَالِحِيَّ وَجِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَلِيمِ . (نصلت : ٢-١٧)

وفي كتب التفسير : ما يفيد أن الله تمالى خلق الأرض في مقدار يومين ، وخلق الجبال والبحار والأنهار ووسائل الإعمار في يومين ، فصار المجموع أربعة أيام .

تقولُ : سرت من البصرة إلى الكوفة في يومين ، ومن الكوفة إلى بغداد في أربعة أيام ، وتكون أنت قد سرت من الكوفة إلى بغداد في يومين ، ونقصد أن مجموع أيام السفر إلى بغداد أربعة أيام .

وتفيد الآيات في سورة فصلت أن الله بعد أن خلق الأرض ، خلق الجبال والبحار والأنهار ، ثم خلق السماء في يومين ، لكن الآيات تشعر أن السماء والأرض قالتا : أتينا طائعين ، مما يفيد أن هناك مراحل متعددة مر بها نشوء هذا الكون حتى انتهى إلى الخلق البديع الكمال .

والعلماء المحدثون يذكرون النقاط الخمس الآتية :

١ - وجود مراحل ستة للخلق عمومًا.

124.

- ٢ خلق الكون ابتداء من كومة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة ، انفصلت أجزاؤها بعد ذلك .
 - ٣ تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض.
 - ٤ وجود خلق وسيط بين السماوات والأرض.
- إن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأولى في العلم الحديث والدخان على حسب القرآن: للدلالة على
 الحالة الغازية للمادة التي كونت الكون في هذه المرحلة الأولى.

فالعلماء المحدثون يرون أن الكون كله كان كرة ملتهية ، ويمرور الزمن لنفصلت منها الأرض ، والسماء والغضاء والهواء .

وكانت الأرض صمًّا، لا تنبت ، والسماء كانت رتقاء ليس بها أسباب المطر ، والرتق ضد الفتق .

قال تعالى : أَوْلَمْ يَوْ الَّذِينَ كَقُرُواْ أَنَّ السَّمَاواتِ وَالأَرْضَ كَانَنَا رَقَّنَا فَقَضَّاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حُيُّ أَفَلاَ يُهُ مُونُ أَ. (الأنساء: ٣٠)

وقد جاء في تفسير المنار جزء ١٢ ص ١٦ :

والمعنى: ألم يعلموا أن السماوات والأرض كانتا مادة واحدة متصلة لافتق ولا انفصال ، وهو ما يسمى في عرف علماء الفلك : بالسديم ويلغة القرآن بالسخان .

فَقَتَقُنَاهُمًا . يقصُّل يعضها عن بعض ، فكان منها ما هو سماء ومنها ما هو أرض » .

وجاء في تفسير : فتح القدير للشوكاني :

إِنَّ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضَ فِي مِنَّهِ أَيَّامٍ.

قيل: هذه الأيام من أيام الدنيا، وقيل: من أيام الأغرة، وقيل: هذه الأيام أولها الأحد وآخرها الجمعة، وهو سبحانه قادر على خلقها في لحظة واحدة، يقول لها: كونى؛ فتكون ، ولكن لكل شيء عنده أجل.

لُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ.

« ليس ببعيد أن يكون لهذا الوجود فلك يدور فيه ، وأن يكون لهذا الفلك مركز ، وأن يكون العرش هو مركز هذا الوجود ، وهي جميعها من خلق الله وفي يد القدرة "^(۱۰) .

وقد ذكر العرش في إحدى وعشرين آية في القرآن الكريم وذكر الاستواء في سبع آيات . مثل قوله تمالي: الرُّحَمَّنُ عَلَى الْمُوْشِ اسْتَوَى . (طه : ٥)

وقوله تحالى : اللَّهُ الَّذِي وَفَعَ السَّمَاواتِ بِغَيْرِ عَمَدْ نَوَوْلَهَا ثَمُّ اسْتَوَى عَلَى الْعُوهِمِ وَسَنَّحُو الشَّمْسَ وَالْقَمَوُ كُلُّ يَجْرِى لأَجَوْ مُسَمَّى يُدَيُّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ وَيَكُمْ تُوفِّونَ . (الدعد: ٢)

أما الاستواء على العرش فذهب سلف الأمة إلى أنَّه صفة الله تعالى، بلا كيف ولا انحصار، ولا تشبيه

ولا تعثيل ؛ لاستحالة اتصافه سبحانه بصفات المحدثين ، ولوجوب تنزيهه عما لا يليق به . لَيسَ كَمِعْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّعِيعُ الْبُصِيرِ . (الشربي: ١٩)

وأنه يجب الإيمان بهذه الآيات كما وردت، وتفويض العلم بحقيقتها إليه تعالى.

قال محمد بن الحسن: اتفق الفقهاء جميعًا على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه.

وقال الإمام الرازى: إن هذا المذهب هو الذي نقول به ونختاره ونعتمد عليه .

وذهب بعض علماء الخلف إلى وجوب صرفه عن ظاهره – أى : الاستواء على العرش ، (أو الجلوس على كرسى الملك) لاستحالته ، فالله خالق العرش ومديره والعرش محتاج إليه .

قال الإمام القفال : المراد : أنه استقام ملكه ، وأطرد أمره ، ونفذ حكمه تعالى فى مخلوقاته ، والله تعالى دلُ على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم على الوجه الذى ألفوه من ملوكهم ، واستقر فى قلويهم ، وتنبيها على عظمته وكمال قدرته ، وذلك مشروط بغفى التشبيه ويشهد بذلك ثُمَّ السَّوَّكِ عَلَى الْعَرْشُ يُمَّاثُرُ الْأُمُّرَ

ويكون المعنى : استولي على نظام الكون ودبر شئون الملك .

وقال الشوكاتي في فتح القدير:

قُمُّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ .

الاستواء: هو العلر والاستقرار، والله أعلم بكيفية ذلك، بل على الوجه الذي يليق بجلاله تعالى.

والعرش : هو سرير الملك ، عن أمّ سلمة : الكيف غير معقول ، الاستواء غير مجهول ، والإقرار به إيمان، والجمود كفر.

وعن مالك أن رجلا سأله : كهف استوى على العرش ؟ فقال : الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به والجب ، والسرّال عنه بدعة ا هـ .

وأريد أن أشرح هذه الجملة ، بأن الكيف غير معقول ، أى : أن يجلس الله على كرسي الملك كما يجلس البشر. والاستراء غير مجهول ، أى : الاستيلاء والقهر .

والإيمان بأن الله استرى على العرش واجب ، والسؤال عنه بدعة ؛ لأن السلف آمنوا بالآية دون سؤال على أنها دليل على سعة الملك وكمال القدرة وأن الله مالك الملك ومدير شئونه .

يُعْشِي البُّلَ النَّهَارِ (١٦٠) يَطْلُبُهُ حَثِيثًا.

أي: يجعل الليل كالغشاء للنهار فيغطى بظلمته ضياءه.

يَطْلُبُهُ حَيثًا . أي : حال كون الليل طالبًا للنهار طلبًا سريعًا لا يفتر عنه بحال .

وقد قال تعالى هي آية أخرى : يُكُوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكُوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ. (الزمر: ٥)

أي : كل من الليل والنهار يطلب الآخر طلبًا سريعًا .

« وهكذا النهار والليل في دورة الغلك ، حيث تدور الأرض حول نفسها ، تحت سلطان الشمس مرة كل يوم من الغرب إلى الشرق .. وفي تلك الدورة اليومية يتناسخ كل من الليل والنهار ، أي : ينسخ كل منها الآخر، وذلك بتحريك الأرض شيئًا فيسخ كل منها الآخر ليلاً ، وذلك بتحريك الأرض شيئًا فيسخ الأمر ليلاً ، ففي كل لحظة ، ضوء ينسخ ظلامًا ، ويلبسه ، وينشيه .. فالظلام الذي يخيم على الأرض شيء أصيل ، والضوء الذي يلبسها كائن جديد داخل عليها ، الظلام منسوع ، والضوء ناسخ للاً الله يشهر إليه قوله تمالى: وأكن تمالى: وأيثرن فيمَوان عاية أليل وَجَعَلنًا عابة القلام منسوع ، والضوء فاسخ للاً من الإرساء : ١٢)

وَالشُّمْسَ وَالْقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ .

قرأ الجمهور بنصب الشمس والقمر والنجوم على أنها معطوف على خُلَقُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضَ . في أول الآية.

أي : وخلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، أي : وهي كاثنات مسخرات بأمره الاسلطان لأحد من الناس عليها ولا سلطان لها على نفسها ولا فضل لها من ذاتها ومن هنا لا تصبح عبادتها ، ولا ينهغي أن يتعلق مخلوق بمخلوق مثله وينشد الرزق منه .

ومُسْغُرُاتٍ . منصوبة على أنها حال من الشمس والقمر والنجوم . وقرأ أبو عامر بالرفع في جعيعها على الايتداء والغير مسخرات .

ألا لَهُ الْخَلْقُ وَ الأُمْرُ كِارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

الخلق: إيجاد الشيء من العدم.

والأمر: التدبير والتصرف والتسخير على حسب الإرادة ، فالمخلوقات كلها جميعًا صنعة الخالق ، وحركاتها وسكناتها كلها بتقدير الله وبأمره . تَبَارَكُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . كثر خيره وإحسانه وتعاظمت وتزايدت بركات الله رب العالمين .

٥٥- ادْعُوا رَبُّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعَدلينَ .

التضرع: الضراعة والتذلل والابتهال والرغبة إليه تعالى يقال: ضرع فلان ضراعة . أي : خشع وذل وخضع .

الخفية: الإسرار والتوارئ وعدم الجهر بالدعاء.

والمعنى: ادعو ربكم في تضرح وتذلل وخشوع ، واستتار وخفية ؛ فإنه سبحانه وتعالى سميع يسمع الدعاء ويجيب المضطر ويكتلف السوم ، وهو القادر على إيصال الإجابة إليكم .

والدعاء روح العهادة ؛ لأنه يشتمل على معان رئيسة في الإيمان ؛ إذ محتواه أن مخلوفًا ضعيفًا يسأل ربا قريًا بيده الملق والأمر.

وللدعاء آداب منها :

التوية النصوح ، والاستغفار ، والصلاة على النبى محمد ﷺ ، وآلاً يدعو بقطيعة رحم ، وأن يتخير أدعية القرآن والسنة ، وما روى عن السلف الصالح ، وأن يتخير الأوقات الفاضلة مثل : وقت السحر فى الثلث الأخير من الليل ، وأن يختم الدعاء بالصلاة على النبي ﷺ ، وألا يبالغ فى الجهر ، وألا يطوّل الدعاء .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه :أريعوا على أنفسكم – أي :ارفقوا بها وأقصروا من الصياح – فإنكم لا تدعون أصمًّا ولا غائبًا ، إنه معكم ، إنه سميع قريب ، تبارك اسمه وتعالى جدّه (٤٠٠

وهكذا نبد الأدب الإسلامي يتمثل في الدعوة إلى إتقان العمل ، والبعد عن الرياء ، وإخلاص العمل لهجه الله، وخفض الصوت في الدعاء .

قَالُ الحَسن بن على رضى الله عنهما: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزّوار وما يشعرون به ، ولقد كان المسلمون يجهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله تعالى يقول : ادْعُوا رَبُّكُم تَشرَّعًا وَخُهُيًّة . وذلك أن زكريا نادى ربه نداء خفيًّا (10).

إِنّهُ لا يُحِبُّ لَلْمَتَائِينَ . أي : المجاوزين لما أمروا به في الدعاء وفي كل شيء ، ومن الاعتداء في الدعاء ، كأن يسأل الدّاعي ما ليس له كالخلود في الدنيا ، أو إدراك ما هو مجال في نفسه ، أو يرفع صوته بالدعاء صارحًا به غير خاشم فيه . روى أبو داود في سنته: أن سعد بن أبي وقاص سمع ابنًا له يدعو ويقول:

اللهم إنى أسألك الجنة ونحيمها وإستبرقها ونحرًا من هذا . وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها : فقال له : يا بنيّ ، إنى سمعت رسول الشﷺ يقول :

«إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء» ثم قرأ سعد هذه الآية: أذَّعُوا رَبَّحُمُ تَصَّرُّعًا وَخُفَيَّةً . . وأن بحسبك أن تقول: اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل (٢٠٠).

٢ ٥- وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ يَعْدَ إصْلاحِهَا ... الآية .

« الإفساد في الأرض بعد إصلاحها أشد قيمًا من الإفساد على الإفساد ، فإن وجود الإصلاح أكبر حجة على المفسد إذا هو لم يحفظه ويجرى على سنته ، فكيف إذا هو أفسده وأخرجه عن وضعه؟ ولذلك خُصَّ بالذكر وإلا فالإفساد مذموم ومنهى عنه في كل حال ...«٢٠٦)

وقال الشوكاني في فتح القدير:

وُلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ. بقتل الناس ، وتخريب منازلهم ، وقطع أشجارهم ، وتغوير أنهارهم ، ومن الفساد في الأرض : الكفر بالله والوقوح في معاصيه ، وإلغاء العمل بالشرائع بعد تقريرها وانتظامها . ا هـ.

والجملة الكريمة نهى عن سائر أنواع الإفساد ، كإفساد النفوس والأموال ، والأنساب ، والعقول والأديان .

وَادُّهُوهُ خَوْقًا وَعَلَمُعًا .

أي : وادعوه خائفين من عقابه ، طامعين في رحمته وإحسانه .

إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحسِنِينَ .

أى : إن رحمته تعالى وإنعامه على عباده قريب من المتقين ؛ لأعمالهم المخلصين فيها : لأن الجزاء من جنس العمل .

فمن أحسن في أمور عبادته ؛ ثال عليها الثواب الجزيل .

ومِنْ أحسن في أمور دنياه : كانْ أهُلاً للنجاح في مسعاه .

ومن أحسن في دعائه ؛ كان جديرًا بالقبول والإجابة ، وفي الآية تنبيه للمؤمن بأن يكون بين الخوف والرجاء ، يخاف من غضب الله وعقويته ، ويرجو عفوه ورحمته ، وتُشير الآية إلى تغليب جانب الرجاء على الشوف . قال تعالى: وَادْعُوهُ حَوْقًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ.

والخوف والرجاء جناحان يطير بهما المؤمن في ملكوت الرضا والأنس بالله ، وإذا غلب الغوف وزاد؛ صار يأسًا ، ولا يبأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

وإذا غلب الرجاء بدون عمل : صار طمعًا بدون إحسان العمل وفي الأثر : « ألا وإن أقواما غرتهم الأمانيّ. خرجوا من الدنها ولا حسنة لهم ، وقالوا : تُحسن الثان بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الثان لأحسنوا العمل».

٥٧ - وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بَشْرًا بَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا ٱلْقَلْتُ سَحَايًا فِقَالُا سُقَنَاهُ زِبَلَهِ مِنْتُمَ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْعَامَى.. الآمة.

بُشْرًا . أي : مبشرات بنزول الفيث المستتبع لمنفعة الخلق .

بَيْنَ يَدَى رَخْمَتِهِ . أي : أن الرياح تتقدم نزول المطر وهو رحمة .

سُحَابًا ثِقَالاً . غيمًا حافظً بالمطر.

والمعنى: أن الله تعالى ينعم على عباده بالعديد من الذهم ، وهو الذى يرسل الرياح مبشرات بنزول الغيث والمطر ، حتى إذا حملت الرياح سحابًا قد ثقلت بالماء الذى تحمله ، ساق الله ذلك السحاب إلى بلد مجدب لا نبات فيه ولا مرعى ، فأنزل الماء بذلك البلد .

فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ النَّمَرَاتِ .

فأخرج الله بهذا الماء من جميع الثمار التي تناسب ترية البلد الذي نزل به على حسب مشيئة الله وفضله وإحسانه .

كَذَٰلِكَ لُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ .

أى: مثل إخراج الثمرات نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم ، فالتشبيه في مطلق الإخراج من العدم بدليل ملزم .

فحيث أمكن بقدرة الله تعالى إخراج الثمر على تلك الصورة العجيبة ، فما الذى يعجزه عن إخراج المرتى من قبورهم .

لْعَلّْكُمْ تَذَكُّرُونَ . تذييل قصد به الحث على التدبر والتفكر .

أى: لعلكم تعتبرون بما وصفنا لكم ، فتعلمون بعظيم قدرة الله ويديع صنعته وأنه قادر على بعثكم.

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن:

« في الآية الكريمة عرض لمظهر من مظاهر قدرة الله ، وما تحمل هذه القدرة إلى الناس من رحمة .

فهذه الرياح ، يرسلها رُسل رحمة إلى الناس ، حيث تممل السحاب مثقلاً بالماء ، فتسوقه إلى الأرض الجديب ، والبلد الميت ، ثم تنزل ما حملت من ماء ، فتسيل به الوديان ، وتجرى منه العيون ، وإذا هذا الجدب وذلك الموات ، حياة تدب في أوصال الكائنات ، من جماد ونبات وحيوان ، تلك بعض مظاهر القدرة القادرة، تلبس الجماد ثوب الحياة ، وتخرج من الأرض الجديب زروعا ناضرة، وثمارًا دانية القطوف، مختلفة الطعوم.

فهل تعجز هذه القدرة ، عن إحياء الموتى ، ونشر الهامدين من القبور ؟ ذلك مالا يقول به عاقل ..»^(١٦)

٨٥ - وَالْبَلَدُ الطَّيْبُ يَخْرُجُ نَهَاتُهُ إِذْنِ رَبِّهِ والَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ لَكِدًا .. الآية .

قال فى اللسان : النكد : قلة العطاء ، وعطاء نكد : أى : عطاء قليل لا جدوى منه ، ورجل نكد : شرّم عسر. أى : الأرض الكريمة التربة يخرج نباتها وافيًا حسنًا تامًّا غزير النفم بمشيئة الله وتبسيره .

والتربة الغبيثة ، كالأرض السبخة لا يخرج نباتها إلاَّ نكدًا: أي : قليلا عديم الفائدة .

فشبه القلب القابل للوعظ بالبلد الطيب ، والنائي عنه بالبلد الخبيث .

وفيه بيان أن القرآن يثمر في القلوب التي تشبه الأرض الطيبة التربة ، ولا يثمر في القلوب التي تشبه الأرض الرريئة السيشة .

كَذَلِكَ لُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ .

أى : مثل ذلك التصريف البديع والتنويع الحكيم . نُصَرُّفُ الآيَاتِ . أى : نرددها ونكردها ونوضعها . إِقُوْم يُشْكُرُونَ . نعمة الله : فيتفكرون فيها ويعتبرون بها .

من كتب التفسير ،

قال أبو السعود في تفسيره:

« وهذا كما ترى مثلٌ لإرسال الرسل عليهم السلام بالشرائع ، التى هى ماء حياة القلرب إلى المكلفين، المنقسمين إلى المقتبسين من أنوارها ، والمحرومين من مخانم آثارها » ٢٠٠٪

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف:

وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتذكير من المكلفين ، ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك ، وعن مجاهد: آدم وذريته منهم خبيث وطيب ، وعن قتادة : المؤمن سمع كتاب الله فوعاء بعقله وانتفع به ، كالأرض الطيبة أصابها الفيث فأنبتت ، والكافر بخلاف ذلك ، وهذا التمثيل واقع على إثر ذكر المطر ، وإنزاله بالهلد الميت ، وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد .

من البخاري ومسلم:

روى الشيخان عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشريوا أو سقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً. فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلمً .

ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به «الما».

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَفَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهُ عَبُّرُهُ وَإِنّ أَخَافُ عَلَيْهُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمِ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا الْدَعْكُ فِي صَلَالٍ ثُمِينِ ۞ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمِ ۞ قَالَ ٱلْمَلَاثُ مِن قَرِيهِ إِنَّا الْدَعْكُ مِن صَلَالًا مُعَلَيْنِ ۞ أَمَا يَعْمَ مُرْيَالِ مُعِينًا مَن أَن جَالَةُ كُمْ وَكُن مَن أَوْمَ مَلِكُ مُون هُو وَاللّهُ مَن اللّهُ مَا لاَنْعَلَمُونَ ۞ أَوَ عَجِينَتُمْ أَن جَالَةً كُمْ وَكُرُمُن وَلِنَا تَقُوا وَلَعَلَمُ وَنَ مَوْن ۞ فَكَذَبُوهُ فَالْجَيْنَ مُولَلِينَ وَيَعْمُونَ ۞ فَكَذَبُوهُ فَالْجَيْنَ مُولَلِينَ مَن اللّهُ مَا لَائِمْ مُولَ اللّهِ مَا لَائِمْ مُولَى اللّهُ اللّهُ مَا مَن مُن اللّهُ مَن اللّهُ مَا مُولِينَا أَوْلَهُمْ كَاللّهِ وَالْحَرْقُ مُولَ اللّهُ وَالْمَالُولُ وَالْمُلُولُ وَالْعَلَالُ وَالْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَالْمُؤْلُونُ وَالْمُعَلِينَا اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

المطرداتء

قسال اللاء الأشراف والرؤساء بملئون العيون مهابة.

أنصح لكم ، أتمرى ما فيه صلاحكم قولاً وفعلاً .

على رجل: على اسان رجل.

تيشدركم ، الإنذار: إخبار مع تخريف من العاقبة بخلاف التبشير فإنه إخبار بحصول شيء سار.

المصلك، السفينة يذكر ويؤنث.

قومًا عمون ، عمى القلوب عن الحق والإيمان.

التفسيره

٩٥ - لَقَدْ أَرْسَلْنَا تُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ إِعْبُدُواْ اللَّهُ مَا لَكُم مِّنْ إِلهِ غَيْرُهُ إِلَى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَلَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. وتعهد :

سورة الأعراف مكية حافلة بالدعوة إلى الله ، وإنذار المكتبين ، وسرق الأدلة الباهرة على مظاهر القدرة الإلهية ، وقد تفننت في طرق هذه الدعوة ، وفيما سبق من آيات لفتت الأنظار إلى آثار رحمة الله ، في خلق الكرن وإعمار الأرض ، وإرسال الرسل ، وتسفير السحاب والمطر ، وهداية من عنده استغدادًا للهداية .

وفى الأجزاء الباقية من السورة تتحدث عن رسالات الأنبياء السابقين ، حديثًا وسطًا بين الإيجاز والإسهاب ، فنتحدث عن رسل الله نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، ثم تتحدث حديثًا طويلا عن موسى وجهاده مع بنى إسرائيل .

والقصم فى القرآن الكريم يخدم فكرة السورة ، ويؤكّدها ، ويعرضها بطريق آخر ، هو طريق المت النظر إلى القدرة والأسوة ، فإذا كنّب قوم نوح نوحًا ثم أصابهم الطوفان بالغرق ، فإن هذه رسالة موجهة إلى أهل مكة تدعوهم إلى الإيمان ، وتحذّرهم عاقبة الكثر والطفيان .

كذلك في هذا القصص مواساة للرسول وللمؤمنين ، وبيان أنَّ طريق الدعوات حافل بالمفاطر والتضحيات ، ولكن العاقبة للمتقين ، والهلاك للظالمين ، ففي سائر هذا القصص ينجى الله الرسل ويهلك المكذبين .

قال تعالى : حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَ الرُّسُلُ وَطَّنُوا أَنَّهُمْ قَلْدُ كُلِيُّواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَتَجَى مَن نَشَاءُ وَلاَ يُرِدُّ بَأَسْنَا عَنِ القَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . (يوسف : ١٩٠)

لْقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلهِ غَيْرُهُ ... الآية .

نوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم ، وكان بأرض العراق، وقيل: إن إدريس قبل نوح. وكان قوم نوح يعبدون الأصنام فأرسل الله إليهم نوحًا ؛ ليدلُهم على طريق الرشاد.

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآيات: قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير: كان أبل ما عُبِدت الأصنام: أن قومًا صالحين ماتوا، فبني قومهم عليهم مساجد، وصورً، والله الصالحين فيها: ليتذكروا حالهم وعبادتهم ، فيتشبُّهوا بهم ، فلما طال الزمان جعلوا أجسادًا على تلك الصور ، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام ، وسموها بأسماء أولئك الصالحين : ودًا ، وسواعًا ، ويفوث ، ويعوق ، ونسرًا .

فلما تفاقم الأمر ؛ بعث افله – تعالى - رسوله نوحًا فأمرهم بعبادة افله وحده لا شريك له . 1 هـ .

وقد عرضت قصة نوح في عدد من السور التي عرضت لذكر الأنبياء ، كما ذكر في سورة خاصة به وقد ذكر نوح في القرآن في ثلاثة وأربعين موضعًا ، فهو نموذج لدعوة طويلة .

جاء في تفسير أبي السعود ما يأتي :

ونوح هو ابن لمك بن متوشاح بن أخنوخ وهو إدريس النبي عليهما السلام.

قال ابن عباس: بعث نوح على رأس أربعين سنة من عمره وليث يدعو قومه ٩٥٠ سنة وعاش بعد الطوفان ٢٥٠ سنة فكان عمره ٧٤٤٠ ألفًا ومائتين وأربعين سنة .

وقد افتن نوح في عرض أدلة التوحيد ، بهد أن قومه احتجرا عليه بأن أتباعه من الفقراء والأراذل ، واشترطوا عليه أن يبعد الفقراء والسوقة من الناس إن أراد أن يدخل الأغنياء والعظماء في دعوته ، ولكن نوحًا شرح لهم أن هداية السماء عامة للناس ، ويأيًّ وجه يطرد الفقراء بعد أن آمنوا بالله واتبعوا هدى السماء ؟.

فقال قومه : يَا لُوحُ قَدْ جَادَلُتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالُنَا فَأَتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . (هود : ٢٧)

ودعا نرح ربه أن يهلك الكافرين ، فأمره الله أن يصنع سفينة النجاة ، وأن يحمل معه من كل زوجين الثنين ، كما يحمل معه من آمن به ، وكان عدد المؤمنين قليل ه قيل : كانوا أريحين رجلاً وأريعين امرأة ، وقيل تسعة : أبناؤه الثلاثة وستة ممن آمن به» إ^٠٠

ولما جاء الطوفان أغرق الله الكافرين ونجَّى الله نوحًا ومن معه من المؤمنين.

لْقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ إِعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلهِ غَيْرُهُ .

أرسل الله نوحًا إلى قومه وعشيرته وأقاريه ومن يقيم بينهم ، فقد يقيم الرجل بين الأجانب فيسميهم قومه مجازًا للمجاورة .

فدعاهم نوح إلى عبادة الله وحده فهو سبحانه المستحق للعبادة وليس هذاك إله سواه.

أي: اعبدوه ؛ لأنه لم يكن لكم إله غيره حتى يستحق منكم أن يكون معبودًا .

إِنَّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَلَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ.

أى : إن لم تعبدوه ؛ أشاف عليكم عذاب يوم القيامة ، أو عذاب يوم الطوفان .

٣ - قَالَ الْمَالَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَوَاكَ فِي ضَلاَل مُّبِينٍ.

الْمَلُّ: أشراف القوم ورؤساؤهم ، سُمُّوا بذلك ؛ لأنهم يملئون العيون مهابة .

أي: قال الأشراف والعظماء لذوح: إنا نراك في ضلال واضع: إذ تأمرنا بترك عبادة آلهتنا بدُّه. وسواعًا ، ويغوث ، ويموق ، ونسرا ، وتطلب منا عبادة الله وحده .

وهكذا حال الفجّار يرون الأبرار في ضلال ، كقوله تعالى : وَإِذَا رَأُوهُمْ قَالُواْ إِنْ هُوُلاَءٍ لَفَنالُونَ . (السلنفين: ٢٧) إلى كثير من الآيات كقوله تعالى :

وَقَالَ اللَّهِينَ كَفَرُواْ لِللَّهِينَ ءَاسْمُواْ أَقُ كَانَ خَيْرًا مَّا سَقُونًا لِقِهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتُواْ بِهِ فَسَيْقُولُونَ هَذَا فِلْكَ قَدِمٌ . (الأحقاف: ١٩) والرسول الكريم حريص على سلامة قومه ، ضنين بهم أن تقتالهم الضلالة أو يفتك بهم الكفر .

٢٦- قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالاَلَّةُ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ .

أى: قال نوح لقرمه مستميلاً لقلوبهم : يا قوم ليس بى آدنى شىء مما يسمى بالضلال ، لكنى أحمل لكم الهداية والرسالة والهدى .

جاء في حاشية الجمل على الجلالين : ه وقد جاءت لكنّ هذا أحسن مجىء : لأنها بين نقيضين : لأن الإنسان لا يخلو من أحد شهندين : ضلال أو هدى ، والرسالة لا تجامع الضلال ، ومّن رّبّ الْعَالَمِينَ . مسنة الرسول ﷺ . اهـ .

أي: لست ضالاً ، ولكني أحمل مشعل الهداية وأبلغ رسالات السماء ورسالتي تأتى من عند الله تعالى.

٣ ٧ - أَبْلَغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ .

إنه هذا يعدد وظيفة الرسول وهي:

 ا - تبليخ الرسالة والوحى ، وسماها رسالات ؛ لاشتمالها على الأوامر والنواهى ، والمواعظ ، والزواجر ، والعبادات ، والمعاملات ...

٢ – إخلاص النصيحة .

والغرق بين تبليخ الرسالة والنصح هو أن تبليغ الرسالة معناه : أن يعرِّفهم جميع أوامر الله ، ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التي كلفهم الله بها .

وأما النصح فمعناه : أن يرغُبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ، ويحذرهم من عذاب الله إن عصوه .

٣- وَأَعْمُمُ مِنَ اللَّهِ مَالاً تَعْلَمُونَ . أى : أعلم في الوقت نفسه من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا عن طريق الهجى أشياء لا علم لكم بها : لأن الله قد خصنى بها . فإذا تبعتم رسالتى : سرتم في طريق النور والهدى . وقريب من ذلك قول إبراهيم لأبيه :

يَا أَبِتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبْعِنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَويًا . (مريم: ٤٣)

جاء في تفسير ابن كثير للآية :

وهذا من شأن الرسول أن يكون مبلغًا تصيحًا ، ناهمحًا عالمًا بائله ، لا يدركه أحد من خلق الله في هذه الصفات .

كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة ، وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعًا: أيها الناس ، إنكم مسئولون عنّى ، فما أنتم قائلون ؟

قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها عليهم ويقول : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ٣٠٠.

٦٣- أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رُبِّكُمْ عَلَى رَجُل مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِيتُقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .

كان قوم نوح يستكثرون عليه الرسالة ، ويرون أنه دعيٌّ لا رسول وقد حكى القرآن عنهم ذلك : قَقَالَ الْمَلُوَّا الَّذِينِ كَقُرُواْ مِن قُوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مُثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَخَطَّلُ طَيْكُمْ في عَابَاكُ الأَوْلِيْنَ (المؤمنين: ٤٣)

إنّه الحسد الذي تمكن في قلوب العظماء ، والغيرة والكبر الذي منعهم من التباع نوح ، مع أنه بشر مثلهم فهو أقرب إليهم ، وقد تلطف نوح في بيان أعماله .

ومعنى الآية:

أاستبعدتم أو أكنبتم وأنكرتم وعجبتم ، أن جاه وهي وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم تعرفونه ليس من جنس آخر كالملائكة والجن فتنفروا منه ، بل هو بشر مثلكم تأنسون به ، وهو رجل منكم تعرفونه منذ نشأ لا ضالاً ، لا كذابًا .

يقدم لكم الإنذار، ويحثكم على التقوى ، حتى تفوزوا برحمة الله.

لِيُنذِرَكُمْ وَلِشْقُواْ وَلَعَلْكُمْ تُرْحَمُونَ .

جماء في حاشية الحمل : وهذا الترتيب في غاية الحسن لا من المقصود من الإرسال الإنذار. ومن الإنذار التقري ، ومن اللقوى الفوز باللرحمة .

٤ ٣ - فَكَذَّبُوهُ فَأَغَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ .

كانت هذه الآية خاتمة القصة منا فقد بنل نوح وسعه في تبليغهم الرسالة ، ومناقشة أفكارهم الخاطئة ، ولكنهم تعامرا عن دعوته ورسالته ، فلم ينظروا إليها بعيونهم ولم يفقهرها بقلوبهم ؛ فأمره الله أن يركب السفينة التي صنعها ؛ ونجاه فيها هو ومن معه من المؤمنين .

وأغرق الله الذين كذبوا نوحًا من الكافرين . إِنَّهُمْ كَالُواْ قَوْمًا عَمِينَ .

وغَمِينَ . جمع عم ، وهو الأعمى يقال : عبى عمىً ، فهر أعمى ، وأصل عم : عَامِ صيغة مبالغة من اسم الفاعل حثل : حاذر وحذر ، وهذا يعنى : أن العمى الذي عليه القوم ليس عمىَ طبيعيًّا ، وإنما هو تعام عن المق، ومبالغة في هذا التعامى .. فهو عمى البصيرة وليس عمى البصير^٨٠). ﴿ هِ وَإِنَ عَادِ أَغَامُمُ هُوداً قَالَ يَنقُومِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ يَنْ إِلَاهِ غَيْرُهُ وَأَلْلَا نَقُونَ فَ عَالَهُ مَا لَكُمْ يَنْ إِلَاهِ غَيْرُهُ وَأَلْلَا نَقُونَ فَى عَالَمَ اللّهُ وَاللّهُ الْفَكْدُ مِنَ قَوْمِهِ إِنَّا لَامَنكُ فِي سَفَاهَ وَإِنَّا لَنظُنُكُ مِن الْكَذِيبِ فَي قَالَ يَنقُلُ فَي السَّعَالَ الْمَكْذِيبِ فَي الْمَكْذِيبِ فَي قَالَ يَعْقُرُهُ لِيسَ فِي الْمَكْذِيبِ الْمَكْذِيبِ فَي قَالَ يَعْقُرُهُ لِيسَى فِي الْمَكْذِيبِ الْمَكْذِيبِ الْمَكْذِيبِ الْمَكْذِيبِ الْمَكْذِيبِ الْمَكْذِيبِ الْمَكْذِيبِ الْمَكْذِيبِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَالْمَكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَالْمَلْوَيْنَ وَمِكُمُ وَالْمَالُونَ اللّهُ لِمَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَال

المطردات ،

وإلى عــاد ، أي : وأرسلنا إلى عاد .

قسال الملاء الأشراف والرؤساء الذين يملئون العيون بمهابتهم.

سيشياهية وخفة عقل وضلالة عن الحق.

عملس رجال، على لسان رجل.

السِئساركم؛ الإندار: هو الإخبار مع تخويف من العاقبة.

بصسطسة: قرة رعظم أجسام.

ءالاء الله ؛ نعمه وفضله الكثير.

رجــــــ عذاب أو رين على القلوب.

قطعنا دابر؛ أهلكنا آخر والمراد: أهلكنا الجميع،

التفسيد

ه ٦ - وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهُ مَا لَكُم مَّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ .

قصة نبى الله هود

أقامت عاد بالأحقاف ما بين اليمن وعمان ، في نعمة ورغد وزراعة ويساتين وقصور عالية وسعة ورفاهية ، وقد أرسل الله إليهم نبّى الله هود ، يذكرهم نعم الله عليهم ، وما منحهم من بسطة في أجسامهم وقوة في أبدانهم ، وسائر النعم التي أنعم الله بها عليهم .

وبين لهم هود أنهم لم يشكروا خالقهم ، بل عبدوا أصنامًا وسجدوا لها ، ثم إنهم أفسدوا في الأرض ويطش القوى بالضعيف .

ودعاهم هود إلى عبادة الله والإقلاع عن عبادة الأصنام ؛ فاتهموه بالسفاهة والطيش ، وطَنُوا أَنْ الآلهة قد أصابته بسوم أن مسّ من الجنون .

فأخبرهم هود أنه غير سفيه ، ولكنه رسول من رب العالمين، يذكُّر قومه القيامة والبعث والحساب والجزاء.

قالوا : هيهات هيهات ويعيد جدًّا وقوع هذا البحث أن الجزّاء ، إن هي إلا حياتنا الدنيا ، ولا حياة بعدها، وإن كنت صادعًا فأرنا هذا العذاب الذي تهددنا به ، فسخُّر الله عليهم ريحًا حسومًا خلَّمت خيامهم وكسُّرت رقابهم ، وأهلك الله جميع الكافرين ونجيّ جميع العرّمنين.

قال تعالى : وَأَمَّا عَادُ فَالْمُلِكُواْ إِرِيحٍ صَرْصَرِ عَائِيَةٍ • سَخْرَهَا عَلَيْهِمْ سَمْعَ كَالْ وَلِمَالِيَةَ أَلِيَامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ لِيهَا صَرْعَى كَأَلْهُمْ أَعْجَادُ نَحْلِ عَلَيْهِ • فَهَلَ ثَرَى لَهُم مِّن بَالْهَةٍ . (العاق : ٦ – ٨) .

وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَنْقُونَ .

ذكرت قصة عاد في سورة الأعراف وفي سور أخرى منها : سورة هود ، والشعراء ، والأحقاف ، والحاقة.

والمعنى : وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هودًا ، أي : ولحدًا من قبيلتهم فهو أخوهم نسبًا ، أو لأنه أخوهم في الإنسانية .

فدعاهم إلى توحيد الله وتقواه ، فقال : يَا قَوْمِ أَعْبُدُواْ اللَّهُ مَا لَكُمُ مِنْ إِلَّهِ غَيْرُهُ . فهو سبحانه الإله الواحد: فاتركوا عبادة الأصنام والأوثان .

وتذكروا قوم نوح فقد أغرقهم الله .

أَفَلاً تَتَقُونَ . أي : أفلا تخافون عذاب الله فتبتعدوا عن طريق الشرك والضلال ! لتنجوا من عقابه .

٣٦ - قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَّاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُتُكَ مِنَ الْكَاذِبِينِ .

أي: قال الأغنياء والرجهاء الذين كفروا من قوم هود ، إنَّا لنراك متمكنًا في خفة العقل راسمًا فيها حيث هجرت دين قومك إلى دين آجر.

وَإِنَّا لَنَظُنُكَ مِنَ الْكَاذِبِينِ . أي · يتضح لدينا كذبك في دعوى الرسالة .

٦٨،٦٧ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبٌ الْعَالَمِينَ وَأَبَلَغُكُمْ رِسَالاَ عَو رَبِّي رَأَنَا لُكُمْ نَاصِحَ أُمِينَ.
رَدُ توح على قومه فيما سبق حين قال: يَاقُومِ لَيْسَ بِي صَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولُ مِّن رُبَّ الْعَالَمِينَ (الأعراف: ١٦).
وهذا ردُ هود على قومه في هدوء وحلم فقال لهم: يا قومى ويا أسرتى وعشيرتى ، ليس بي أي نوع
من أنواع السفاهة أن خفة العقل والطهش كما تزعمون ، ولكني رسول من عند الله أبلغكم دعوة الله .

قال الزخشرى في تفسير الكشاف: وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام ، على من نسبهم إلى الضلالة والسفاهة ، يما أجابوا به في الكلام الصادر عن الطم والإغضاء ، وترك المقابلة بما قالوا لهم ، مع علمهم بأن خصومهم من أضل الناس وأسفّهم – في إجابتهم هذه أدب حسن وكُلّق عظيم ، وحكاية الله عز وجل ذلك تكلّم لعباده كيف يضاطبون السفهاء ، وكيف يغضون عنهم ، ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ا هـ .

وكما سبق أن تحبُّب قوم نوح من أن يكون نوحًا رسولاً من البشر ، نجد أن قوم هود قد تعجبوا من اختصاص هود بالرسالة .

٦٩ - أَوْعَجِبُّهُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَّبُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلِ مِّنكُمْ لِيُنادِرَكُمْ ... الآية .

أى: أكذبتم وتعجبتم أن جاءتكم هداية الله ورسالته ، على لسان رجل منكم، تعرفون صدقه ونسبه وحسبه؟

إن ما عجبتم له ليس موقع عجب ، بل هو عين الحكمة ، فقد اقتضت رحمة الله أن يرسل لعباده من بينهم ، من يرشدهم إلى الطريق القويم . اللَّهُ أَغْلُمُ حَيْثُ يُجَعَّلُ رِسَاتُهُ . (الأنتماء : ١٢٤) .

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ.

أى : جملكم سكان الأرض بعد هلاك قوم نرح ، أو جملكم ملوكًا مستخلفين فى الأرض من بعد قوم نوح ، الذين أغرقوا بالطوفان .

وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَطَةً .

أى : زادكم فى المحلوقات بسطة وسعة فى الملك والحضارة ، أن زادكم بسطة فى قوة أبدائكم ، وضخامة أجسامكم ، ومن حق هذا الاستخلاف وتلك القوة أن تقابلا بالشكر لله رب العالمين .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب:

«والبسطة في الخُلُق: الزيادة في بناء الجسد وقوته ، وهذه نعمة من نعم الله ، إذا مسادفت عقلا راشدا، وقلبا سليما» ٨٠٩.

فَاذْكُرُواْ ءَالاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

أى: تذكروا نعم الله عليكم ، حيث جعلكم سكان الأرض بعد هلاك قوم نوح ، أو جعلكم ملوكًا ، فاشكروا نعم الله عليكم ؛ حتى يزيدكم من نعمه ويكون لكم الفلاح والنجاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

. ٧ - قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْلَدُ وَلَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآوَتَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

أي: أنصيدتنا يدعونك لنعبد الله وحده وتحرضت لنا بتكليف ذلك ، وبأن نترك الأصنام والأوثان التي كان يجدها آباؤنا إذًا لن نطيعك ونتحداك فاتتنا بالعذاب الذي تتوعدنا به إن كنت من الصادقين فيما تجبر به .

٧١ - قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبُّكُمْ رِجْسٌ وَغَطَبٌّ ... الآية .

الرجُّس. والرجز: العذاب الشديد .

وَغَضَبٌ . أي : وانتقام منكم جزاء كفركم .

أى: قال هود لقومه: قد استحققتم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة ، جعل ما هو متوقع كالواقع ، تنبيها على تحقق وقوعه .

أَتْجَادِلُونَنِي فِي ٓ أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَارُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ... الآية .

أي : أتخاصمونني في شأن أسماء الأصنام وهي أشياء سميتموها ليس تحتها مسميات ؛ لأنكم

تسمونها آلهة مع أن معنى الألوهية فيها معدوم وبُحال وجوده : إذ المستحق للعبادة إنما هو الله الذي خلق كل شيء ، أمًا هذه الأصنام التي زعمتم أنها آلهة ، فهي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا .

مَّا نَزُّلُ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ .

أي : ما أنزل الله بها من حجة أو دليل يؤيد زعمكم في ألوهيتها ، أو في كونها شفعاء عند الله ، وإنما هي أصنام باطلة قلُدتم آباءكم في عبادتها بدون علم أو تفكير .

فَانتَظِرُوۤ اللِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ .

أي : فانتظروا ما طلبتموه من العذاب ؛ فإنى معكم من المنتظرين له وهو واقع بكم لا محالة ، بسبب شرككم ، وتكذيبكم لرسالة الله .

٧٧ – فَأَخَبَنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطْعَنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ .

أرسل الله سحابة سوداء على عادٍ قوم هود فاستبشروا بها قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَل هُوَ مَا اسْتَصْجَلُتُم يَهِ رِيعٌ فِيهَا عَدَابُ أَلِيمٌ و تُدَمَّرُ كُلُ شَيْءٍ بِأَمْرٍ رَبِّهَا فَأَصَبُحُوا لاَ يُرَكَّ إِلاَّ مَسْاكِتُهُمْ ... (الأحقاف: ٢٤ ، ٢٥) .

وكان العذاب الذي أخذهم الله به ريحًا عاصفة شديدة البرد، دمّرت ديارهم وأشجارهم، وكانت تصل العجارة فتقذفها في وجوههم وتعملهم فتضريهم بالأرض .

قال تعالى : وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُواْ بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَّةٍ هِ سَخْرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَقَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَعَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَلَّهُمْ أَعْجَادُ نَحُل خَارِيَّةٍ هِ فَهِلْ قَرَىٰ لَهُم مَن بَالَيْةِ . (العالمة : ٦ - ٨) .

نجاة هود ومن آمن معه :

نجر الله هورًا ومن أمن به كمرثد بن سعيد ، وقطع دابر الكافرين ، أي : أهلكهم هلاكًا عامًّا يستأصلهم عن أخرهم ، بالريح العقيم ، ما تذر في شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وكان هذا بسبب كفرهم .

وينى قوله تعالى : وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ إِشارة إلى أنهم لن يكونوا أبدًا من المؤمنين ، وَلَوْ جَآءَتُهُمْ كُلُّ ءَانَةٍ حَجْءَ بِرَوْا الْعَلَمُ الْأَلِيمَ . (وينس : ٩٧) .

فلاصة من تفسير أبي السعود :

وقصة عاد أنهم كانوا باليمن بالأحقاف ، وكانوا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان إلى حضرموت، وكانت لهم أصنام يعبدونها : صدًّا وصموبًا وإلهها . فبعث الله تعالى إليهم هودًا نبيًّا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبًا فكنهوه وازدادوا عَنُّرًا وتجبرًا : فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا ... فأظهر مرثد بن سعيد إسلامه ، وأمن بهود عليه السلام ، وأصرت عاد على الكفر والعناد فأرسل الله عليهم الربح

قال ﷺ: «نُصرت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدبور» [11] .

* * *

﴿ وَإِلَى قَمُودَ أَغَاهُمْ صَدِيحًا قَالَ يَنقَوْ مِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَّهُ عَنَرُهُ فَدَّ حَاةً وَ مُعَلَمُ مَن اللّهِ عَنْ اللّهُ اللّهُ عَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

المرداناة

ناقة الله؛ خلقها الله من صخر لا من أبوين.

ب___قاك_م ، أسكنكم وأنزلكم .

فسى الأرض ، أرض الحجر بين الحجاز والشام .

سهولها؛ أرضها المنبسطة.

لا تمريدًا . لا تفسدوا إفسابًا شديدًا .

هعقروا الثاقة؛ ذبحرها ، يقال : عقرها يعقرها : ذبحها .

الرجيشة ، الزلزلة الشديدة أو الصيحة .

ج اشهرين ، متبلدين بالأرض ، وهنا معناه : خامدين هامدى الحس ، فعله : جثم يجثم جثوما .

فتولى عنهم؛ فأعرض عنهم.

التفسير،

تمهيد في قصة نبي الله صالح وقومه ثمود:

أرسل الله صالحًا إلى قومه ثمود في أعقاب هلاك عاد قوم نبى الله هود .

وكانت عاد تسكن في جنوب الجزيرة ، بين اليمن وعمان ، وكانت ثمود تسكن في شعال الجزيرة بين الحجاز والأردن في طريق تبوك ، وقد مرّ النبي ﷺ على منازلهم في طريقه إلى غزوة تبوك ، فاستحثُ راحلته وحنى ظهره ، وقال لقومه : «لا تمرُّوا على قرى القوم الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم مشفقون ؛ خشية أن يصيبكم ما أصابهم» .

وبدأ صالح بدعوته إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام وقابله قومه بالتكذيب والعناد.

فذكرهم بما بين أيديهم من النعم حيث قال لهم: أَتَقَرَّكُونَ فِي مَا هَاهَمَا ءَامِينَ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُمُونِه و رُزُوعٍ وَنَخْلِ طَلْتُهَا مَعِيمٌ ، وَتَسْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُبُونَا فَارِهِينَ ، فَاتَقُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُونِ ، وَلاَ تُطِيعُواْ أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ . (الشمراء: ١٤٢ - ١٥٧) .

واقترح القوم عليه أن يأتيهم بأية ومعجزة تدل على صدقه : فأخرج الله من بين الجبال ناقة كاملة الخلقة كبيرة الحجم ، تشرب الماء فى يوم ، ثم تقف فيحلب منها الجميع ، ما يملأ أوانيهم ويكفى جميع حاجاتهم .

وحذَّرهم نبى الله صالح من إيذاء الناقة أو الاعتداء عليها ، ولكن العناد جعلهم يوجهون انتقامهم إلى الناقة ، فانطلق الأشقياء وعقروا الناقة ، وعتوا عن أمر ربهم ، واستعجلوا عذاب السماء ، وطلبوا من صالح أن يأتيهم بهذا العذاب إن كان صادقًا .

فأرسل الله عليهم عنابًا مهلكًا جزاء عدوانهم وتكنيبهم ، وفي سورة الشمس وضحاها . يقول الله تعالى : كُلَّبَتْ لَمُودُ بِطُغُواهَا ه إِذَ البَّمْ أَشْفَاهَا و فَقَالَ أَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهَ اللَّهِ وسُقَيَاهَا و فَكَلَّبُوهُ فَعَقُرُوهَا فَلَمْلَمُ عَلَيْهِ . الشمس : ١٩ – ١٥) .

وهي آيات مختصرة سهلة تختم بالألف اللينة تبين عناصر الموضوع:

فقد كذبت ثمود رسولها ، فجدت رسالته ، ثم طغت ويغت وحذَّرها رسولها وقال لها : هَلَوْ بَاللَّهِ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَلَرُوهَا تَأْكُلُ فِي آرْ صِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوّع . فهى ناقة الله أي هي آية من عندالله ، ولكن القوم ركبهم العناد والظلم ، فعقروا الناقة وعنواً عن أمر ريهم ، فأمهلم صالح ثلاثة أيام ، علَّهم أن يتوبوا ، ثم أهلكهم الله وهو سبحانه قادر على ذلك ، ولا يضاف من عاقبة إهالكهم .

وقد ذكرت قصنة صنالح مع قوم ثمود في سورة هود الآيات ٢١ – ١٨ والأعراف ٧٣ – ٧٩ والشعراء ١٤١ – ١٥٩ والنمل ٤٥ – ٥٣ والقمر ٢٣ – ٣١ والشمس ١١ – ١٨.

وفيها عناصر قصة قرآنية متكاملة تمر كالآتي :

١ -- رسول ينصح ويبلغ ويذكّر.

٢ - قوم يكذبون ويكفرون ويعاندون .

٣ -- آية ومعجزة تؤيد الرسول.

غ -- عناد وجدال وتكذيب وعدوان.

هلاك من السماء للكافرين ، ونجاة للرسول والمؤمنين .

وهذه من أهداف القصة في القرآن الكريم وأهم أهداف القصة القرآنية ما يأتي :

١ – إثبات الوحى والرسالة وبيان أن الدين كلُّه من عند الله .

٢ - بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة واحدة .

٣ -- بيان أن الله ينصر رسله في النهاية .

٤ - تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم.

ه - بيان قدرة الله على الخوارق.

٦ -- بيان عاقبة الاستقامة والمسلاح، وعاقبة الانحراف والإفساد.

٧ – تثبيت قلب النبي ﷺ .

٨ - سَوق العظة والعبرة من القصة . قال تعالى : لَقَدْ كَانْ فِي فَصَصِهِم عَبِرةٌ لا وُلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَلِينًا يَفْتَرَىٰ
 و لَكَر . تَصْلَدِينَ اللَّذِي يُشْر يَلِينُه و تَصْهِيلَ كُلِّر هَى مُ وَهُدُي وَرَحْمَةٌ أَقُومَ يُؤْمُونُ (يوسف: ١١١).

موضوع يحتاج إلى تحقيق :

يذكر بعض الكتاب أن ثمود نشأت في أعقاب عاد وقد ورثت أرضها ، ويستأنسون بقوله تعالى :

وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبُوّاَكُمْ فِي الْأَرْضِ . (الأعراف : ٧٤) (١٠٠ .

وعند التحقيق نجد أن عانًا كانت في جنوب الجزيرة بين اليمن وعمان ، وأن ثمود كانت في شمال الجزيرة بين الحجاز والأردن في طريق تبوك .

فثمور لم تكن في أرض عاد ، ولعل الله قد استخلف ثمود في أرضمها في شمال الحجاز ، بعد هلاك عاد في جنوب المجاز ، أو أنهم ورثوا خلافة الأرض والسيطرة عليها أو زعامة المنطقة .

وزمان عاد وثمود كان قريبًا ، وريما هلكت عاد في حياة ثمود فأراد الله أن يذكرهم بهلاك أقرانهم، وأن يقول لهم : اذكروا ملككم وخلافتكم في الأرض بعد هلاك عاد ، وتملككم القصور والبساتين ، والنعيم ، فمافظوا على ذلك ولا تبطروا ولا تكفروا ؛ حتى لا يهلككم الله كما أهلك قبيلة عاد .

التفسيره

٧٧ – وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبَدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مَنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتُكُمْ بَيْنَةً مَن رَبَّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّه لَكُمْ ءَايَةُ فَذَرُوهَا قَأَكُلْ فِي ٓ أَرْضِ اللَّهِ.. الآية .

قد جاءتكم معجزة من الله تدل على صدقى ، وهى إخراج الناقة من الحجر الصُّلد ، واتركوها حرة طليقة تأكل فى أرض الله التى لا يملكها أحد سواه .

قال الشوكاني في فتح القدير:

«أي: دعوها تأكل في أرض الله ؛ فهي ناقة الله والأرضن أرضيه فلا تمنعوها مما ليس لكم ولا تملكونيه.

وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوِّ فَيَأْخُلَكُمْ عَلَابٌ أَلِيمٌ.

الناقة ناقة الله ، والأرض أرض الله ، هو الذي أنبت النبات والمرعى بها وساق إليها الماء .

وقد نصحهم نبى الله صمالح بعدم التعرض للناقة بسوء ، أى : عدم إصابتها بأى أنّى ، وفيه تنبيه بالأدنى على الأعلى : لأنّه إذّ كان قد نهاهم عن مسها بسوء ، إكرامًا لها ، فنهيهم عن نحرها أو عقرها أو منعها من الكلإ والماء من باب أولى .

وجملة فَأَخُدُكُمْ عَذَابَ أَلِيمٌ. وعيد شديد لهم إذا عقروا الذاقة، وتحذير لهم: حتى لا ينزل بهم العذاب الأليمٌ.

٧٤ - وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلْفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوْأَكُمْ فِي الأَرْض ... الآية .

أى: انكروا نعم الله عليكم حدث جعلكم خلفاء لقبيلة عاد في الحضارة والعمران والقوة والباس، بعد أن أهلكم بسبب طغياتهم وبشركهم ، ثم جعلكم ملوكًا متصرفين في أرض الحجر التي كانوا يسكنونها وهي بين المجاز والشام ، قال تعالى : وَلَقَدْ كَلُّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرسَّلِينَ وَوَاتَيْنَاهُمْ وَايَاتِنَا فَكَالُواْ عَيْهَا مُعْرِضِينَ وَكَالُواْ يَسْجِوْرُ مَنْ الْجِبَالِ يُورِّ الْمَرْسَلِينَ وَ وَعَالِينَاهُمْ وَايَاتِنَا فَمُعْرَفِينَ وَ كَالُواْ فَيَعْ مَنْ الْجِبَالِ يُورِّ الْمَرْسَةُ مُسْجِينَ هَ فَمَا أَخْيَرُ عَيْهُم مَّا كَالُواْ يَكْسَبُونَ . (الدجر: ٨٠ ـ ٨٤).

وتفيد آيات القرآن أنهم كانوا في رغد من العيش ، ونعمة واسعة ، ومساكن جميلة ، ودور عالية .

تَتَخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَلَنْحِثُونَ الْجِبَالَ لِيُوتًا ...

قيل : إنهم كانوا يسكنون الجبال في الشتاء ؛ لما في البيوت المنحوتة من القوة التي لا تؤثر فيها الأمطار والعواصف ، ولما فيها من الدفء .

أما في غير الشتاء فكانوا يسكنون السهول لأجل الزراعة والعمل.

فهم يتخذون في السهول القصور والدور الجميلة ، وينحتون في الجهال البيوت ، فهم في حضارة عمرانية ، واضحة المعالم ، وقد تمتموا بهذا النعيم في فصول العام ، ولذلك ذكّرهم صالح بأنعم الله عليهم فقال : فَاذَّكُورًا ءُلاكَ اللَّهُ وَلاَ تَشَوَّا فِي الأَرْضِ مُفْسِينٍ .

أى: تذكروا نعم الله عليكم حيث متعكم بالزراعة والقصور والبيوت المنحوثة فى الجبال ، فلا تغرنكم النعمة ، ولا تسيروا في طريق البطر والجحود ، ولا تكثروا الفساد فى الأرض ! فإن النعمة تحتاج إلى شكر لمن أنعم بها . وشكر النعمة : هو استخدامها فيما خلقت له .

٥٧ - قَالُ الْمَكَّ الَّذِينَ اسْتَكَبُّرُوا مِن قَوْمِ لِلَّذِينَ اسْتَطْعِقُواْ لِمَن وَامْنَ مِنْهُم أَلْعَلُمُو أَنَّ صَالِحا شُرْسُلٌ مِن رَبَّه ... الآية.
 أي: قال الرؤساء المستكبرون من قوم صالح للمستضعفين الذين استضعفهم المستكبرون .

قالوا على سبيل الاستهزاء والسخرية:

أَتَعَلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرسَلَّ مِّن رَبِّه ... إليكم لعبادته وحده لا شريك له وهو سؤال قصد منه المترفون تهديد المؤمنين والاستهزاء بهم ؛ لأنهم يعلمون أن المؤمنين يعرفون أن صالحًا مرسل من ربه ولذا وجدنا المؤمنين لا يردون بمقتضى الظاهر وهو : إننا نعلم أن صالحًا مرسل من ربه ؛ بل تضمن الجواب قولهم : السنا فقط نعلم صدقه ، بل نؤمن به ونتبعه ونطيع أمره ، وهو جواب يدل على شجاعتهم فى الجهر بالحق ، وعلى قوة إيمانهم وسلامة يقينهم .

٧٦ - قَالَ اللَّذِينَ اسْتَكُبُرُواْ إِنَّا بِاللَّذِينَ عَامَتُهُم بِهِ كَافِرُونَ .

لقد أعلنوا موقفهم في عناد وصلف وجحود ، فقالوا : إنا بما آمنتم به كافرون ، يرغبون في تهديدهم والاستخفاف يهم .

٧٧ - فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَحَقواْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَاصَالِحُ الْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ .

لقد خالفوا رسولهم واعتدوا على الناقة، وانبعث أشقاهم فعقرها وقتلها، وكان ذلك برضاهم وموافقتهم، ولذلك نسب إليهم ، وقد فعلوا ذلك عن عَتُنُ واستكبار، وتعمد وإصرار على ارتكاب المنكر ، وَعَوَاْ عَنْ أُمْرٍ رَبّهِمْ. أي : استكبروا عن امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، من العثق وهو النبؤ أي : الارتفاع والتكبر عن الحق .

يقال : عتا يعتو عتيا : إذا تجاوز الحد في الاستكبار فهو عات وعتيّ .

وَقَالُواْ يَاصَالِحُ اثْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ .

بعد قتلهم الناقة واستكبارهم ، تحدّوا صالحًا وقالوا: أنزل بنا العذاب الذي تتوعدنا به إن كنت رسولاً حقًا.

٧٨ - فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَالِمِينَ .

الرُّجْفَةُ : الزلزلة الشديدة .

جَاثِمِينُ : ساقطين على وجوههم .

والمعنى : فأخذت أولئك المستكبرين الرَّجْفَة أى : الزلزلة الشديدة التى وصفت بالصيحة وبالطاغية ٬ لأنها انتقام من الله تعالى : فَأَمَّا نَمُودُ فَأَهْلِكُوا اَللَّاعِيَّةِ . (الصافة : ٥) . فأصبحوا فى ديارهم جاثمين مقلوبين على وجوههم كما يجثم للطائر على الأرض أن كما يبرك المعير هامدًا لا يتحرك .

كذلك هؤلاء المكذبين صاروا لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم ميتين لا حراك بهم.

٧٩ – لَعَوَلْنَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمَ لَقَدْ أَلِلْعَنْكُمْ رِسَالَةَ رَبَّى وَلْصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لا تُحبُّونَ النّاصِحِينَ.

فأعرض عنهم نبيهم صالح ، أن ذهب عن أرضهم موليًا لهم ظهره عند اليأس من إجابتهم ، ونقض يده منهم ، وتركهم للمصير الذي جلبوه لأنفسهم ، وأخذ يقول متحسرًا على ما فاتهم من الإيمان والسلامة من العذاب .

يَاقُومُ لِقَدْ أَبْلُقُكُمْ وِسَالَةَ رَبِّي كاملة غير منفوصة ، وَلَصَحْتُ لَكُمْ بالترغيب تارة ويالترهيب أخرى، ولكن كان شأنكم بغض الناصدين وعدواتهم ، ثم مضى صالح في طريقه مع من آمن به ، وترك هؤلاء جثومًا هامدين .

المفردات :

ولبوطاء أي: وأرسلنا لوطًا.

الشاحشة ، الفعلة القهيمة ، يقال : فحش يفصل فحشًا : أثنى بعمل قبيع ، والفاحشة هنا المراد بها : إتبان الذكور.

يستطهرون، يدعون الطهارة مما نأتي.

المفاسرين ، الباقين في العذاب كأمثالها ، والغاير : يطلق على الباقى والماضى ، يقال : غير يغير غبورًا مكث، وذهب ، وهن في الأفعال التي لها معنيان متضادان .

قصية ليوط عليه السلام

لوط عليه السلام ابن هاران بن آزر هو ابن أخى إبراهيم وقد رحل إبراهيم عن مصر واصطحب معه في سفره لوطًا ، ورجعا من هذه البلاد بمال كثير وخير موفور ، ونزلا بتلك الأرض المقدّسة ، ثم ضاقت بأتعامهما بقعة الأرض التي نزلا بها ، فنزح لوط عن ديار عمه إبراهيم ، واستقر به المقام في مدينة سدوم، قرب الأرض المقدسة ، قرب البحر الميت وقد كان أهلها لا يتعفقون عن منكر ، وكانوا من أخجر الناس وأقبحهم سيرة ، يقطعون الطريق ، ويخونون الرفيق ، ويتربصون لكل سائر ، فيجتمعون عليه في كل حدب وصوب ، ويسلونه ما حمل ، ثم يتركونه يندب حظه ، ويبكي ضبياع ماله .

ثم ابتكروا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين ، فكانوا يأتون الذكران ، ويتركون ما خلق الله لهم من النساء ، وذهبوا يحملون الناس على ذلك ، ويجعلونه أمرًا مألوفًا في المنتديات والمجتمعات .

وقد أوحى الله إلى لوط أن يدعوهم إلى عبادته سبحانه وتعالى ، وينهاهم عن اقتراف هذه الجرائم ، فنهض لوط عليه السلام بدعوته ، وحذَّرهم من العدوان على الأخرين ، وبين لهم ضرر الشذوذ الجنسى ، فالرجل ليس مكان الحرث ، والمرأة خلقها الله تعالى : لتكون موضع شهوة الرجل ، وليكون ذلك وسيلة إلى إعمار الكون وتوالد الذرية .

وهكذا أخذ لوط ينكر على قومه سلوكهم ، ويدعوهم إلى التطهر والاستقامة ، ويبين لهم عاقبة الانحراف ، والخروج على نظام الفطرة الإلهية ، لكن القوم كانوا سادرين في غيّهم ، يعتبرون سلوكهم تقدمًا، وسلوك غيرهم تطهرًا وتأخرًا ، وقرُروا طُرُد لوط ومن آمن به من بلدهم ؛ لأنهم قوم يتطهرون .

فدعا لوط ربُّه ، أن ينزل بهم ما يستحقون من العذاب.

ملائكة السماء :

أرسل الله الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام ، وقد سألهم إبراهيم عن وجهتهم فأخبروه أنهم في طريقهم إلى قرى قوم لوط لإرسال حجارة عليهم .

وهي حجارة من سجِّيل (أى : من صوَّان) ، وهي سجِّيل ولكنها منضودة (أى : مهيأة ومعدة لهم ، في أحجام منتظمة)وهي منضودة ، ولكنها مسوِّمة (أى : معلمة ، يعرف كل حجر «نها المكان الذي يقع عليه والأثور الذي يحدثه) .

ونجُى الله لوملًا ومن آمن به ، وأهلك زوجته مع الهالكين الخابرين ، الذين أصابتهم الغبرة وهي التراب وتركهم عظةو عبرة لكل خارج على هدى الله رب العالمين .

وقد وردت قصة لوط في السور الأتية:

الأعراف ٨٠ – ٨٤ ، النمل ٥٤ – ٥٨ ، مور ٧٧ – ٨٣ ، المنكبون ٢٦ – ٣٥ ، الشعراء ١٦٠ – ١٧٠ ، الدجر ٥٧ – ٧٧ ، المسافات ٢٣٢ – ١٣٨ ، الأنبياء ٤٧ ، ٥٧ ، الدج ٤٣ ، ق ١٣ ، القمر ٣٣ – ٢٩ .

عناصر القصة في القرآن الكريم:

إذا قرأنا قصة لوط في عشر سور في القرآن الكريم سبق ذكرها وجدنا أن عناصر القمُّة كالآتي :

١ - ارتكاب قوم لوط للفاحشة والعدوان على الآخرين.

٢ -- رسالة لوط إليهم ودعوتهم إلى توحيد الله ، وإلى ترك الشذوذ.

٣ - مقاومة قوم لوط واضطهادهم للمؤمنين .

٤ -- استفاثة لومل بالله تعالى .

- إرسال الملائكة تطلب من لوط أن يضرج مع قومه من هذه القرى الظالمة، ولا يلتفت إليهم متعطفًا أو
 مستدحمًا.

- إرسال العذاب يحجارة من صوّان صوبت إلى كل فرد ، وقلب الله القرية فجعل عاليها سافلها ، وأهلكها
 بالعذاب .

٧ -- جعل الله ذلك عظة وعبرة لكل ظالم.

آيات من قصة لوط في القرآن الكريم:

قال تعالى : وَلَمَّا جَآءَتُ رُسُكُنَ لُوطًا سِيّهَ بِهِمْ وَحَاقَ بِهِمْ ذَرَّعًا وَقَالَ هَلَا يَوَمُّ عَلَيَ وَ وَجَاءَ قُوفُهُ فُهُ وَعَرَّونَ بِهِمْ وَمَاكَ اللّهَ وَلاَ يُحْرُونِ فِي صَنِيقَ آلِسَ مِعكُمْ وَرَمِن قَلِلُ كَامُ اللّهَ وَلاَ يَحْرُونِ فِي صَنِيقَ آلِسَ مِعكُمْ وَرَمِلُ اللّهَ وَلاَ يَعْمُونِ فَلِي صَنِيقَ آلِسَ مِعكُمْ رَجُلُ رَجُلُوا اللّهَ وَلاَ يَعْمُونُ اللّهَ وَلاَ يَعْمُونُ اللّهَ وَلاَ يَعْمُونُ فِي صَنِيقَ آلِسَ مِعكُمُ مَا لُويدُ وَقَالَ لَوْ الْأَيْلِ بَعْمُ قُولُو أَوْ عَلَوىَ إِلَى ذَكُن طَيْهِ وَمِن اللّهُ اللّهُ وَلاَ يَعْمُونُ اللّهُ وَلاَ عَلَيْهُ اللّهُ وَلاَ مُعْمُونُ وَعَلَيْكَ فَعَلْمُ مِنْ اللّهُ اللّهُ وَلاَ يَعْمُونُ اللّهُ وَلاَ يَعْمُونُ اللّهُ وَلاَ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا مُولِكَ اللّهُ وَلاَ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلاَ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَالْعُلْمُ اللللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّه

من سورة الشعراء ،

كَذَبْتُ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطَّ أَلاَ تَشُونَ . إِنِّى لَكُمُّ رَسُولُ أَمِينَ ، فَاتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْمِ فِلْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِينَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَلَكُونَ اللَّكُونَانَ مِنْ الْعَالَمِينَ ، وَلَلَّوْنَ مَا عَلَىٰ لَكُمُ مَنْكُمُ مَنْ أَلْفَالِهِنَ ، وَلَلَّوْنَ اللَّكُونَ مِنْ الفَّلُونِينَ ، فَهُ مَنْ القَالِينَ ، وَلَمْ تَنْكُمُ مَنْ الْقَالِينَ ، وَلَمْ قَنْكُمْ وَلِمُونَا فِي الْعِلِيمُ مَنْ القَّالِينَ ، وَلَمْ فَنَا إِلَّا عَجُوزًا فِي الْفِيلِمُ مِنْ القَالِينَ ، وَلَمْ قَنْكُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَهُ مَنْ الْقَالِينَ ، وَلَمْعُونَا عَلَيْهِمْ مَظُونًا عَلَيْهِمْ مَظُونًا عَلَيْهِمْ مَظُونًا الْمُعْرِينَ ، وَلَمْعُونَا عَلَيْهِمْ مَظُونًا عَلَيْهِمْ مَظُونًا عَلَيْهِمْ مَظُونًا الْمُعْرِينَ ، وَلَمْ فَلَا إِلَى الْمِلِينَ ، وَلَمْعُونَا عَلَيْهِمْ مَظُونًا عَلَيْهِمْ مَظُونًا عَلَيْهِمْ مُؤْمِنِينَ ، وَلَمْ لَلْمُؤْمِينَ وَلَوْلِينَ الْمُوالِينَ الْمُؤْمِينَ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ وَالَّالِيْمُ فَلَوْلِينَا مَلَالِكُمْ مَنْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا عَلَيْكُمْ مَنْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَوْلًا عَلَيْكُمْ اللَّهُ وَلَا اللْعَلَالِينَ الْمُؤْمِلُونَ عَلَيْكُونَا عَلَيْكُونَا عَلَيْكُونُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللْعَلَالِينَ الْمُؤْمِلُونَ عَلَيْكُونَا عَلَيْكُونَا عَلَالُونَ الْمُؤْمِلُونَ اللْعَلَالِيْلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْعَلَالِيْلُونَ الْعَلَالِيْلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَا عَلَالِكُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ وَلِلَالْعُلَالِقُونَ الْمُؤْمِلُونَا اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُونَا اللَّذِيلُونُ اللَّذِيلُونَ اللَّذِيلُونُ اللَّذُولُونُ اللَّذُولُونُ

ولقد كان القرآن الكريم حكيمًا مربيًا مرشدًا معلمًا للبشرية حتى تتجنب طريق الشذوذ المهلك ، ومعروف أن بعض الدول الأوربية أباحث الشدوذ بين البالغين الذين يزيد عمرهم عن ٢١ عامًا ، وأباحث بعض الدول الزنا إذا كان برضى الطرفين ولم تكن إحداهما زوجة .

ثم انتشر وباء الإيدز وهو نقص المناعة المؤدى إلى الموت. وقد ارتعدى البشرية وتعالت الصيحات بالبعد عن الشنوذ ، وعن الزنا ، ووجوب الاكتفاء برجل واحد لزوجة واحدة ، وكأن البشرية تعود إلى طريق القرآن وهدى الرحمن ، الذي حرم الشنوذ ، وحرم الزنا ونهى عنه حيث قال تعالى : وَلاَ تَقْرَبُواْ الزُّلْمَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةٌ وَسَاءً سَهِلاً . (الإسراء: ٣٢).

· ٨ - وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَخَدٍ مَّنَ الْعَالَمِينَ .

أى: وأرسلنا لوجًا إلى قومه بقرية سدوم ، بقرب بيت المقدس ، فقال لقومه : أترتكبون تلك الفعلة التي بلغت النهاية في القيح والفحش ؟! والتي ما فعلها أحد قبلكم في زمن من الأزمان ؟ فأنتم أول من ابتدعها فعليكم وزرها ووزر من عملها إلى يوم القيامة . والاستفهام هنا للإنكار ، أي : أترتكبون فاحشة اللواط ، وهو شذوذ عن الفطرة لم يقعله أحد من قبلكم ؟!.

قال عمر بن دینار: «ما نزا ذکر علی ذکر حتی کان من قوم لوط»

وقال الوليد بن عبد الملك : «لولا أن الله قص علينا خبر قوم لوط ، ما ظننت أنَّ ذكرًا يعلو ذكرًا».

٨١ - إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءَ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسرِفُونَ .

لقد انتكستم في فطرتكم ؛ فقد خلق الله الشهوة في الرجل ليتَّجه بها نحو المرأة حتى يتم الامتاع النفسي والجنسي ويترتب على ذلك إعمار الكون والتناسل ووجود الذرية. لكن قوم لوط اتجهوا بشهوتهم إلى أدبار الرجال ، وكانت لذتهم في ذلك ، وتركوا النساء فلم يقوموا بواجبهم نحوهم ، وهذا لون من الإسراف والغروج عن الاعتدال البشرى ، وعن مقتضى الفطرة إلى الإسراف في قضاء اللذة مم الرجال دون النساء .

إنهم مرضى بالشنوذ ، فقد تركوا المرأة التي خلقها الله لقضاء الوطر وإنجاب الذرية ، واتجهوا بشهرتهم إلى نكاح الرجال عدواناً وإسرافًا ا

٨٧ - وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَعِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَعَطَهُرُونَ .

كان الأمل أن يستجيبوا لدعرة لوط عليه السلام ، وأن يستمعوا لداعى الهدى ، لكنهم أصروا على خسلالهم ، كما هو ديدن الشمّار والدُّعار ، وتواصوا بأن يطردوا لوطًا ، ومن آمن به ، من قرية سدوم ؛ لأنهم يتطهرون عن الوقوع في اللواط وعن العدوان على الآخرين .

وهــو منطق أعرج وسبيل أعوج ، أن يستنكفوا عن الهدى ثم يُصّرون على إخراج الشرفاء الأطهار ؛ ليبقى لهم الملوثون الممسوخون .

فهم يسخرون بالمؤمنين ، ويتطهرهم من الفواحش ، ويفتخرون بما كانوا فيه من القذارة واللواط .

وصدق الله العظيم: أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوَّةً عَمَلِهِ فَرَعَاهُ حَسَنًا.

٨٣ - فَأَلْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَالَتْ مِنَ الْفَايِرِينَ .

أنجى الله لوطًا وأهله المؤمنين، وأهلك امرأته مع الهالكين.

قالوا: ولم يؤمن بلوط سوى أهل بيته فقط كما قال تعالى: فَأَخَرَجَنَا مَن كَانَ لِهِهَا مِنَ الْمُوْمِينَ ، فَهَا وَجَنْظَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتِ مِّنَ الْمُسْلِعِينَ . (الذاريات: ٣١، ٣٠) .

وقوله : إِلاَّ امْرَآتُهُ استثناء من أهله ، أي : فأنجيناه وأهله إلا امرأته فإننا لم ننجها ؛ لخبثها وعدم إيمانها .

قال ابن كثير : إنها لم ترمن به بل كانت على دين قومها ، تُمااِئهم عليه ، وتخبرهم بمن يقدم عليه من ضيفانه ! بإرشارات بينها وبينهم ، ولهذا لما أمر لوط عليه السلام ؛ ليسرى بأهله - أمر ألا يعلمها ولا يخرجها من البلد .

٨٤ - وَأَمْظُرْنَا عَلَيْهِم مُطَرًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبُهُ الْمُجْرِمِينَ.

أى: وأرسلنا عليهم نوعًا من المطر عجيب أمره ، فقد كان المطر حجارة من طين متجمد ، قد أعد كل حجر لشخص معين ، كأنما سجل عليه اسم من يهلك به .

وجعل الله أعلى القرية أسفلها ؛ لأنهم قلبوا الأوضاع ، وأتوا الرجال دون النساء ، فقلب الله قريتهم حيث جعل أعلاها أسفلها ، ثم أمطر على المجرمين حجارة من طين متجمد .

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ.

أى: فانظر أيها العاقل نظر تأمل وتدبر وإتعاظ في مآل أولئك الكافرين المقترفين لأشنع الفواحش، ، واحذر أن تعمل أعمالهم: حتى لا يصبيك ما أصابهم .

وقد وردت أحاديث تصرح بقتل من يعمل عمل قوم لوط فقد روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس قال : قال رسول ش 續 : «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول» ٢٠٠١ .

وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن اللائط يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

وذهب بعض العلماء إلى أنه يرجم سواء أكان محصدًا أو غير محصن (٢٠٠).

من تفسير أبي السعود:

قيل : كانت المؤتفكة خمس مدائن ، وقيل : كانوا أربعة آلاف بين الشام والعدينة ، فأمطر الله عليهم الكبريت والنار ، وقيل : خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وبشذاذهم ، وقيل : أمطر عليهم ثم خسف بهم ، وروى أنَّ تلجزًا منهم كان في الحرم فوقف الحجر له أريعين يومًا حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه .

وروى أن امرأة لوط التفتت نحو ديارها فأصابها حجر فماتت (١٧٠٠).

الإسلام دين الفطرة ،

قال تعالى : وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمُجِعْرِ قُلْ هُوَ أَذَى قَاعَتِوْلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِعْرِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَى بَطُهُرْنَ فَإِذَا تَعَهْرْنَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرُكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الثَّرِينِ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِينَ و يَسْآؤُكُمْ حَرْثُ تَكُمْ قَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ شِتُمْ وَقَدَّمُواْ لِأَنْفِسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلُمُواْ أَلْكُمْ مُلاَقُوهُ وَيَشَّرِ الْمُولِينِ روى مسلم في صحيحه: أن الههود كانوا إذا حاضت العرأة فههم ثم يراكلوها ولم يسكنوا معها في بيت واحد ، فسأل الصحابة النبي ﷺ فأنزل الله الآية ، فقال رسول الله ﷺ واصنعوا كل شيء إلا النكاح، "".

وتفير الآية : وجوب ترك الجماع بين الزوج وزوجته في أيام الحيض ،والعيض دم ينفضه رحم بالغة لأراء بها ولا حبل ولا تبلغ سن اليأس وهو سن ٥٥ سنة غالبًا .

وجماع الحائض يترتب عليه أضرار صحية جمّة للرجل والمرأة ، وتصاب المرأة بأضرار أكثر من الرجل ، ولهذا أمر الله الرجل بترك جماع الزوجة الحائض . ودم الحيض أقله ثلاثة أيام وأوسطه خمسة أيام وأكثره سبعة أيام فإذا انقطع دم الحيض ، ثم اغتسلت المرأة : أبيح الجماع في الفرج .

وفى الحديث الشريف : «إن الله لا يستحيى في الحق ، لا تجامعوا النساء في حشاشتهن» (⁽⁽⁾⁾ أي : في أدبارهن وفي الحديث النبوى الشريف : «ملعون من أتى امرأته من دبرها ، ملعون من عبِل عمَّل قوم لوطة ((⁽⁾).

والمرأة التي تجامع في دبرها يكون عند أولادها ثين واستعداد لأن يُفعل بهم ما فُعل بأمُهم . ولهذا حرّم الله جماع المرأة في دبرها . وهذا الأمر محرم تحريمًا قاطمًا عند أهل السنه وعند الشيعة مكرره كراهة تحريم -

وقد جاء في تفسير ابن كثير:

أن أهل مكة كانوا يستمتعون بالمرأة مقبلة ومديرة وعلى جنبها وعلى قفاها ويلزُّون المرأة لزَّاء أي: أنهم يستمتعون بالمرأة في حالات كثيرة من حالات الجماع ، لكن كله في القُبل وهو مكان الحرث.

فلما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة تزوج رجل من المهاجرين امرأة من الأنصار. وكانت الأنصار تجاور اليهود، واليهود لا يجامعون المرأة إلا على حالة واحدة وهي أستر ما تكون عليه المرأة. أي: عندما تكون المرأة مستقبلة على ظهرها، وزرجها فوقها.

فلما أراد أحد المهاجرين أن يستمتع بزوجته الأنصارية في حالات كثيرة من الجماع امتنعت عليه ، ثم نخبرت السيدة عائشة زوج النبي ﷺ ، ولما أخبرت عائشة النبي عليه المسلاة والسلام أنزل الله الآخبرت ما المية المية

ويهذا نرى أن الإسلام كان ديئاً وسطًا وهو دين الفطرة السليمة ، فقد أباح للزوج الاستمتاع بالحائض ما عدا الجماع في الفرج ، فإذا طهرت العرأة الحائض واغتسلت ؛ أباح للزوج الاستمتاع بزوجته في أي رضم من أرضاع الجماع مادام الجماع في الفرج وهو مكان الحرث ، كما حرم الإسلام جماع الزوجة في دبرها : حفاظًا على سلامة الفطرة ، وحتى تُولد أُجيال سليمة بعيدة عن الشذوذ .

إن اللواط مرضى نفسى ، وسندوذ عن الفطرة ، وسبب فى أمراض فتاكة ، وإن الإسلام أباح التمتع والأغذ بنصيب وافر من زينة الدنيا ومتعة الحياة بين الرجل والمرأة على السواء مع الاعتدال والسلامة والتوسط وفى الحديث الشريف : «وفى بضم أحدكم صدقة» .

* * *

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُم شُعَبَ بَأَقَالَ يَعَقُوهِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهِ عَبُرُةً فَقَدَ عَلَيْهُ مَا تَعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهِ عَبُرُةً قَدْ عَلَى مَا تَعْبُدُوا اللّهَ مَا لَا يَعْبُرُوا اللّهَ مَا أَنْ الْمَنْ اللّهَ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ مَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ مَنْ عَامَتُ اللّهُ عَلَى اللّهُ مَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ مَنْ عَامَتُ اللّهُ عَلَى اللّهُ مَنْ عَامَتُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ عَامَتُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّ

المفردات ء

وإلى مدين أخاهم شعيبًا ، أي : وأرسلنا إلى مدين أخاهم (شعيبًا ابن ميكيل بن يشخر بن مدين) .

قله جماء تكم بيشة ؛ البيئة: الدليل ، ويريد بها هذا المعجزة التي كانت له .

هاوهوا الكيل والهيزان ، أي : أوفوا الكيل ووزن الميزان ويصح أن يكون الميزان مصدرًا بمعنى : الوزن كالميعاد بمعنى : الوعد .

ولا تبخسوا الناس أشياءهم: أي: ولا تنقصوهم حقوقهم. يقال: بخسه حقه يبخسه بخسًا أي: نقصه.

ولا تسسيفسيسدوا: الإفساد: شامل لإفساد نظام المجتمع بالظلم ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وإفساد الأخلاق، والآداب بارتكاب الإثم والفواحش، وفساد العمران بالحهل وعدم النظام. هى الأرض بعد إصلاحها ، إصلاح الأرض : هو إصلاح حال أهلها بالعقائد المحيحة ، والأعمال الصالحة المزكية للأنفس ، والأعمال المرقية للعمران ، المحسنة لأحوال المعيشة .

مستناطه طريق جمعه : مُترَط وأَصِله : سراط،

تــــومـــدون: أي: تهددون وتخرفون.

تبية وتبها عوجاء تطلبونها معوجة أوذات اعوجاج.

فكرة ميسرة عن نبى الله شعيب

كان أهل مدين يسكنون أرض معان ، من أطراف الشام تمتد أرضهم شرقى وغربي خليج العقبة (١٠٠٠).

وكانوا يكفرون بالله ويشركون به : إذ عبدوا الأيكة من دونه (وهي : الشجر الكثيف الملتف) وصاروا يبخسون الناس أشياءهم ويطففون الكيل والميزان ؛ فأرسل الله إليهم نبيّه شعبيًا فدعاهم إلى ترحيد الله تعالى وأمرهم بالعدل وعدم تطفيف الكيل والميزان ، ولكنهم قارموه وجادلوه :

قائو ا يا هَعَيْثُ أَصَلَاتُكُ تَأْمُرُكُ أَن تُقُرُكُ مَا يَعْلُمُ عَابُونَا أَوْ أَن نَفْعَلُ عِبْلَ الْمَلِمُ الرَّهِيلُهُ اللَّهُ عَلَيْهُ لَوَ كُلُهُ وَالِيهِ أَلِيهُ إِلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَمَا لَعُولِهُ وَمَا لَعُولُهُ وَمَا لَعُولُهُ وَمَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَمَا لَوْ إِلَّا لِللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَلَوْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَلَوْلًا لِمَا عَلَيْهُ وَلَوْلًا لَيْمُ عَلَيْهُ وَلَوْلًا لِمُعْلِمُ وَمَا لَعُولُوهُ وَلَوْلَهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَوْلًا لِللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الْمُلِلَّةُ اللَّهُ الْم

عناصير القصية

- ١ قوم مدين يكفرون بالله ويطففون الكيل والميزان ويفسدون في الأرض.
- ٢ يرسل الله إليهم نبيه شعيبًا فيدعوهم إلى توحيد الله ويحذرُهم من المخالفة .
- ٣ قوم مدين يجادلونه ويناقشونه ويقولون: كيف يتركون عبادة ما كان يعيده آبارهم؟ وكيف يتركون تطفيف الكيل وفي هذا نقص لأموالهم؟!.
- 3 شعيب يوضح لهم بأنه يحمل هداية السماء ويدعو الإنسان إلى طاعة الرحمن ويذكّره بواجباته فالشيطان حريص على امتلاك الإنسان في للعبادة وفي الأعمال.
 - ٥ ويذكرهم شعيب بما أصاب الأمم السابقة مثل: قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط .
 - ٣ ويدعوهم إلى الاستغفار والتوية والإنابة إلى الله ويحرك فيهم عناصر الخير، ويقاوم عوامل الشر.
- ٧ يتحججون بأنهم لا يفقهون كلامه ، ولا يعقلون دعوته وهكذا الطغاة والهبارون لم تتهيأ نفوسهم لتقبل
 كلام الهداة والمرسلين .
- ٨ وفي النهاية تأتى عدالة السماء ، فقد أرسل الله عليهم الرجفة العاتية فأملكتهم وغلبت كبريائهم وتعنتهم وأصبحوا في ديارهم جاثمين هالكين .
- وهكذا يقصُّ الله علينا من قصص القرآن ويحرُك دواعى الهدى ، وما يحيى ذكرى الأنبياء السابقين ويمجد ذكراهم ، وما ينبئ عن أخبار السابقين وهلاك المكذبين ، ونجاة المؤمنين .

التفسير،

٨٥ – وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعَيْنَا قَالَ يَاقُوهِ إِعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهِ غَيْرَهُ قَدْ جَاءَنُكُم بَيَنَةٌ مِّن رَبَّكُمْ قَالُولُوا الكَّمَا وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْعَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُصْبِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعَدْ إِصْلاَجِهَا ذَلِكُمْ ضِيَّرٌ لَكُمْ إِن كُتُتُم مُّوْمِينَ.

شعيب يأتي يوم القيامة خطيبًا للأنبياء ، فقد كان قريًّ الحجة بليل اللسان ، حكيم القول ، وهو هنا يدعوهم إلى عبادة الله وحده فهو الإله الحق وليس هناك إله غيره ، فكلَّ ما عداه من الآلهة ، ألهة بغير حق .

ومع شعيب معجزة من الله ، وقد أعطى الله كل نبى معجزة تريّده وأعطى محمدًا ﷺ وحى السماء ، وهو القرآن الكريم ومحمد ﷺ أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة (٩٠٠). وقد دعا قومه إلى عدد من المكارم ونهاهم عن عدد من المفاسد فدعاهم إلى ما يأتي :

ل وفاء الكيل والميزان وهذه عادة من أفضل العادات تردي إلى ثقة الأمة وتكاظها ، وتطفيف الكيل
والميزان يؤدي إلى غضب السماء وفى الحديث الشريف : «ما طفف قوم المكيال والميزان : إلا أخذوا
بالسنين وشدة المؤونة وجور الحكام» (**).

٢ - وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ .

أي : لا تنقصوا الناس شيئًا من حقوقهم في بيم أو شراء أو حق مادي أو معنوي .

روى أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ، ويقولون: هذه زيوف ، فيقطعونها، ثم يشترونها منه بالبخس أي : بالنقصان .

وتلمح أن كل نهى دعا إلى توحيد الله ، ثم عالج الأمراض الفُلقية فى قومه كما عالج لوط الشذوذ الجنسى ، فإن شعيبًا عالج تطفيف الكيل والديزان وأنواع الفساد الأخرى التى إذا فشت فى أمة ؛ قضت عليها وأزالت ملكها وعرَّها .

٣ - وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا .

لقد أصلح الله الأرض ، واستخلف الإنسان فيها لعمارتها ، وأرسل إليه الرسل وأنزل الكتب ودعا سيحانه إلى الغير ونهى عن الشر.

وعقوبة المفسد تكون أشد وأكبر إذا أفسد بعد أن رأى بعينه طريق الإصلاح ميسرًا معبدًا مع من سبقه .

وقال الأستاذ أحمد مصطفى المراغى في تفسير المراغى :

إنه تمالى أصلح حال البشر بنظام الفطرة ، ومكنّهم فى الأرض بما أتاهم من القوى العقلية وقوة الجوارح ، وبما أودع فى خلق الأرض من سنن حكيمة ، وقوانين مستقيمة ، وبما بعث به الرسل من المكسلات للنظام الفطرة من آداب وأخلاق ونظم فى المعاملات والاجتماع ، ويما أرشد إليه المصلحون من العلماء والحكماء ، والذين يأمرون بالقسط ويهدون الناس إلى مافيه من مسلاحهم فى دينهم ، والعاملون من الزراع والمكسناع والتجار أهل الأمانة والاستقامة ، الذين ينفعون الناس فى دنياهم ، فعليكم ألا تفسدوا فيها ببغى، ولا عدوان على الأنفس والأعراض والأخلاق بارتكاب الإثم والفواحش ولا تفسدوا فيها بالفوضى وعدم النظام وبث الخرافات والجهالات التى تقوض نظم المجتمع ، وقد كانوا من المفسدين للدين والدنيا كما بستغاد من هذه الآبة وما بعدها (40).

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لُكُمْ إِن كُتُمُ مُّوْمِينَ . أى : ذلكم الذى تقدم من عبادة الله والوفاء بالكيل والميزان ، وترك البخس والإنساد فى الأرض ، خير لكم فى الإنسانية ، وحسن الأحدوثة وهو خير لكم فى الدنيا والآخرة ، إن كنتم مؤمنين بالله ومصدقين برسالتي إليكم .

والبشر لم يصلوا في عصر من العصور إلى ما وصل إليه أهل هذا العصر من العلم بالمنافع والعضار، ومع هذا فالطم وحده لم ينفعهم : فكثرت الجرائم من قتل وسلب وإفساد وفسق وفجور .

فخير وسيلة للإصلاح هو حسن تربية الناشئة وإقناعهم بمنافع الفضائل كالصدق والأمانة والعدل وإقناعهم بمضار الرذائل: لأن الوازع النفسي أقوى من الوازع الخارجي .

٨٦ – ولاَ تَقَمُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ لِمُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبَعُونَهَا عِوجَا وَاذْكُرُواْ إِذْ كَتُشَمَّ قَلِيلاً فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبُهُ الْمُفْسِدِينَ .

نهاهم في هذه الآية أيضًا عن عدد من المفاسد مما يدل على أنهم كانوا عتاة في إجرامهم ، وقد روى عن ابن عباس أن بلادهم كانت خصبة وكان الناس يمترون منهم ، فكانوا يقعدون على الطريق ويخوفون الناس أن يأتوا شعبيًا ، ويقولون لهم : إنه كذاب فلا يفتننكم عن دينكم .

وفي الآية نهى لهم عن ثلاثة أشياء :

١ - قعودهم على الطرقات التي توصل إلى شعيب مخوفين من يجيثه؛ ليرجع عنه قبل أن يراه ويسمع دعوته.

 ٧ - صدّهم من رصل إليه وآمن به بصرفه عن الثبات على الإيمان ، والاستقامة على الطريق الموصلة إلى سعادة الدارين .

٣ - ابتغاؤهم جعل سبيل الله المستقيمة معوجة بالطُّعن وإلقاء الشبهات المشككة فيها أو المشوهة لها.
 وَاذْكُرُ أَنَّ إِذْ كُسُّمْ قَلْلِهَ فَكُثُرُ كُورٍ

أى: اذكروا إذ كنتم مقلِّين فقراء فجعلكم مكثرين موسرين ، أو إذ كنتم أذلَّة قليلي العدد فأعزكم بكثرة · العدد والعُدد .

وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ.

أى: انظروا نظرة عبرة واتعاظ لما أصاب المفسدين المكذبين من الأمم قبلكم من قوم عاد وثمود وقوم لوط.

٨٧ - وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَتُواْ بِالَّذِيّ أَرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَثَّىٰ يَعْكُمَ اللَّهُ بَيَّنَا وَهُوَ حَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

أى: وإن اختلفتم في رسالتي ، فصرتم فريقين : فريق صنقوا بالذي أرسلت به من إخلاص العبادة بقه وترك محاصيه من ظلم الناس ويخسهم في المكاييل والموازيين ، واتبعوني في ذلك .

وجماعة أخرى لم يصدقوني وأصروا على شركهم وإنسادهم.

فاصبورا على قضاء الله القاصل بيننا وبينكم ، وهو خير من يفصل وأعدل من يقضى : لتنزُّهه عن الباطل والجور .

جاء في فتح البيان للعلامة صديق حسن خان:

وهذا في بناب التهديد والوعيد الشديد لهم ، وليس هو من بناب الأمر بالصبر على الكفر ، وحكم الله بين الفريقين هو نصر المحقين على المبطلين (١٠) ومثله قوله تعالى : فُتَرْبُصُواْ إِنَّا مُعَكُمُ مُتَرَبُّهُ وَنَ . (التربة : ٥٠).

وقال الأستاذ سيد قطب ، في ظلال القرآن :

لقد دعاهم إلى أعدل خطة ، وقد وقف عند أهر نقطة لا يملك أن يتراجع ورامها خطوة .. نقطة الانتظار والتريث والتمايش بغير أذّى ، وترك كلُّ وما اعتنق من دين ، حتى يحكم الله ، وهو هير الماكمين .

ولكن الطواغيت لا برضيهم أن يكون للإيمان فى الأرض وجود ممثل فى جماعة من الناس ، لا تدين للطاغوت ، إن وجود جماعة مسلمة فى الأرض ، لا تدين إلا لله ، ولا تعترف بسلطان إلا سلطانه ، ولا تحكم فى حياتها شرعًا إلا شرعه ، ولا تتبع فى حياتها منهجًا إلا منهجه — إن وجود جماعة مسلمة كهذه يهدد سلطان الطواغيت ، حتى لو انتزلت هذه الجماعة فى نفسها ، وتركت الطواغيت لمكم الله حين بأنى موعده .

إن الطاغوت يفرض المعركة فرضًا على الجماعة المسلمة ، حتى لو آثرت هي ألاً تخوض معه المعركة. إن وجود الحق في ذاته يزعج الباطل ، وهذا الوجود ذاته هو الذي يفرض عليه المعركة مع الباطل ، إنها سنة الله لإبد أن تجرى ٣٠٠ .

خاتمة

يختم الجزء الثامن بهذا المقطع فى قصة شعيب مع قومه مدين ، وفيه صراح بين الإيمان والكفر. واعتزاز الكفر بالجبروت والقوة ، وفى النهاية ينصر الله المؤمنين ، ويهلك الكافرين ، وهذه ظاهرة تلمحها فى سورة الأعراف ، التى يدأت بإنذار الكافرين ، ثم قدمت دعوة لبنى آنم ؛ ليحذروا من الشيطان .

ثم قدمت قصص عدد من الرسل مع قومهم ، فذكرت قصص قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، وقد شاهدنا هالك المكذبين ، وانتصار المؤمنين ، وهذه سنة الله وان تجد لسنة الله تبديلاً.

وفي هذا القصص عظة وعبرة ، وتثبيت لدعائم الإيمان ، وإحياء لذكرى المرسلين وجهادهم .

قال تعالى : لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَةً لأَوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرِى ۚ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي يَيْنَ يَمْنِهِ وَتَفْصِيلَ كُل شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ لَقُومُ يُؤْمُونَ . (يوسف ١٩١٠) .

اللهم ، وققنا للسير على سنن العدل والرشاد .

لللهم ، اجعل القرآن العظيم ربيع قلوينا ، وذهاب غمنا وحزننا ، اللهم علمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا وارزقنا تلاوته على النحو الذي يرضيك عنا .

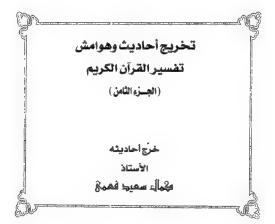
اللهم ربنا ، آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا .

والحمد فله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كان الفراغ من هذا الجزء الثامن عشية يوم الشميس ٣٠ ذر القعدة ١٤١١ هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٩١م بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان .

اللهم ربنا ولك الحمد والشكر حمدًا كثيرًا طبياً طاهرًا مباركًا فيه ، كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، اللهم ، ارزقنا الإخلاص والقبول ، اللهم ، إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلاَمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحُمْدُ لِلَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ .



(1) يا أبا در تعوذ بالله من شر شياطين الجن :

رياه النسائى فى الاستمائة (٥٠٥٧) من حديث أبى ذر قال دخلت المسجد ورسول الله ﷺ فيه فجئت فجلست إليه فقال يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس قلت أو للإنس شياطين قال نعم . ورواه أحدد فى مسنده (١٩٧٨ع) من حديث أبى أسامة قال كان رسول الله ﷺ فى المسجد جلسا وكانوا يطنون أنه ينزل عليه فأقصروا عنه حتى جاء أبو نر فاقتحم فاتى ذجلس إليه فقال به أبيل من يشير فقال يا أبيا نر هل مطيت اليوم قال لا قال تم فصل فلما صلى أربع ركعات الضدى أقبل عليه فقال به أبيا ذر تعود من شر شياطين الجن والإنس قال با نبى الله وهل للإنس شياطين قال نعت

(٢) تفسير الآلوسي.

(٣) لا أهك ولا أسأل :

قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله : فَإِنْ كُنتَ في هَكُ مُمَّا أَنِكًا إِلَّكَ فَسَالِ الَّذِينَ يُقْرُمُونَ الْكَتَابُ مِن قَبْلَكَ . قال : ذِكر لِنا أَنْ رسول الله ﷺ قال : لا أشك ولا أسأل . وقال أيضا: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس رضى الله عنهما : فإن كُنتَ في شَكُّ مُمَّا أنزلُنا إلَّكَ فَسَال الَّذِينَ يَفْرُءُونَ الْكَتَابَ مِن قَبْلِكَ . قال: لم يشك رسول الله ﷺ ولم يسأل . قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم في قوله : أَوَمَن كَانَ مَيَّنا فَأَحَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ لُورًا يَمْشي به في النَّاس كَمَن مُقَلَّهُ في الظُّلُمَات. قال: أنزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام ، كانا ميثين في ضلالتها فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزه وأقر أبا جهل في ضلالته وموته ، وذلك أن رسول الله ﷺ دعا فقال: «اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن المُطاب». ورواه الترمذي في المناقب (٣٦٨١) وأحمد في مسنده (٣٦٨١) من حديث ابن عمر أن رسول الله 🎬 قال : اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو يعمر بن القطاب قال وكان أحبهما إليه عمر . وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. ورواه الترمذي في المناقب (٣٦٨٣) من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال اللهم أعز الإسلام بأبي جهل ابن هشام أو يعمر قال فأصبح فغدا عمر على رسول الله ﷺ فأسلم. وقال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه وقد تكلم بعضهم في النضر أبي عمر وهو يروى مناكير . ورواه ابن ماجه في المقدمة (١٠٥) من حديث عائشة قالت قال رسول الله ﷺ اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة . قال البومبيري في الزوائد: حديث ضُعيف. فيه عَبْد الملك بْنُ الماجشون ، ضعفه بعض، وذكره ابْنُ حبان في الثقات. وفيه مسلم بْنُ خَالد الزنجي، قَالَ البخاريُّ: منكر الحديث . وضعفه أبو حاتم والنسائي وغيرهم. ووثقه ابن معين وابن حيان . وذكره الهيئمي في المجمم من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم أعز الإسلام يعمر بن الخطاب أو يأبي جهل بن هشام فجعل الله دعوة رسوله ﷺ لعمر بن الخطاب فيني عليه الإسلام وهدم به الأوثان. وقال: رواه الطيراني في الكبير والأوسط ينحوه باختصار وقال أيد الإسلام، ورجال الكبير رجال الصحيح في غير مجالد بن سعيد وقد وثق. وذكره أيضا من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ بما عشية الخميس فقال اللهم أعز الإسلام يعمر بن الخطاب أو يعمرو بن هشام فأصبح عمر يوم الجمعة فأسلم. وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه القاسم بن عثمان البصري وهو ضعيف. وذكره من حديث ثوبان قال قال رسول ﷺ اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب وقد ضرب أخته أول الليل و هي تقرأ : اقْرَأُ باسُم رَبُّكَ الَّذي خَلْقَ .. الحديث. وقال: رواه الطبراني وفيه بزيد بن ربيعة الرحيي وهو متروك وقال ابن عدي أرحو أنه لا يأس به ، ويقية رحاله ثقات.

(\$) إن الله اصطفى كنانة من و لد اسماعيل:

رواه مسلم فى الفضائل (٢٧٧٦) والتربذى فى المناقب (٢٠٣٠، ٢٠٣٥) وأحمد فى مسند (٢١٥٣١) من حديث واثلة بن الأسقح قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل وامسطفى قريشا من كنانة وامسطفى من قريش بنى هاشم وإمسطفانى من بنى هاشم .

(٥) نور يقلف فينشرح:

قال السهرطي في الدر المنظور: أخرج ابن العبارات في الزُهد وعبد الرزاق والغريابي وابن أبي شبية وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبههقي في الأسماء والصفات عن أبي شوية وجيد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حافر المدائني رجل من بني هاشم وابن مردويه والبههقي في الأسماء والصفات عن أبي جعنو المدائني رجل من بني هاشم وليس مر محمد بن على قال: سئل النبي ﷺ في المرتمنين أكيس؟ قال أكثرهم ذكر للعرت وأحسنهم لما بعده استعدال، قال: وسئل اللبي ﷺ عن هذه الأولاء : فَمَن يُودِ اللهُ أَن يُهَدِيّة يُشرَح مُثرَةً لِلإَسْلَامِ، قالو: كها عيدر صدره يا رسول الله؟ قال: ويدف فيه فينشرح له وينضح له. قالو: فيل لغلك من أمارة يعرف بها؟ قال: الإنابة إلى دار العلود، والتجافي عن دار العلود، والتجافي

(٦) أو أن أولكم وآخركم:

رواه مسلم في البر والصلة والآداب (۲۵۷۷) ، والترمذي في صفة القيامة (۲۵۹۹) وأحمد ۱۹/ ۲۰ ، كلاهما عن أبي ذر رضي الله عنه. وأوله عند مسلم وأحمد: يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي. وعند القرمذي: يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته ، وقال: حديث حسن .

(٧) تفسير أبي السعود ٢/ • ١٩ .

(٨) تفسير سورة الأنعام د. محمد سيد طنطاوي ص ٢٦٤ .

(٩) تفسير أبي السعود ٩٩٢/٢ .

(+ 1) مناهل العرفان في علوم القرآن 1 / ٢٧ ٦ تحت عنوان فوالد معرفة أسباب النزول ، القائلة الفاقة: دفع توهم الحصر فعا يقيد بظاهره الحصر ، نحق قوله تعالى : قُل لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَّ إِلِّي مُعْرِّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَقَلَّمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونُ سَيَّةً . (الاسم: ١٥٥) .

(١ ٩) لعن الله اليهود إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها :

رواه الهشارى فى البيوع (۲۲۲۳) وفى أحاديث الأنبياء (۲۶۷۰) ومسلم فى المساقاة (۱۹۸۲) وأبو داود فى البيوع (۲۲۸۳) والدارمى فى الأخرية (۱۶۰۲) وأحمد فى مسنده (۲۱۱) من حديث ابن عباس رخس الله (۲۲۸۳) والدارمى فى الأخرية (۱۶۰۶) وأحمد فى مسنده (۲۱۱) من حديث ابن عباس رخس الله عنهما يقول باغ عمر بن المصافيات فلازاء باع مسرا فقال اقال الله فلانا أم يعلم أن رسول الله ﷺ الله النبيود حرمت عليهم الشحرية فجملوها فياعوها. رواه الاجتارى فى البيوع (۲۲۲۶) ومسلم فى المساقاة (۲۸۵۳) واحمد فى مسنده (۲۲۷۲) من حديث أبى هرورة رضى الله عثم أن رسول الله ﷺ قال القال الله يهود حرمت عليهم الشحيمة وأعداد من المساقاة (۲۸۵۳)

(١٢) تقسير أبي السعود ١٩٧/٢ .

(٩٣) عقوا تعف لسار كم :

ذكره السيوطى فى الجامع الصغير (١٤٤٣) يفقط عنوا عن نساء الناس تحف نساؤكم، ويروآ آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن أثاء أعود متنصلا فليقبل ذلك منه محقا كان أو مبطلاً، فإن لم يغمل لم يرد على الحوض، ونسبه للحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة، ومحمد وقال السيوطى فى الدر المنثون وأغرج الحاكم ومحمده وضعفه الدهبي، عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً عنوا عن نساء الناس تحف نساؤكم .. الحديث قال الهيلامى فى العجمة . وعن عائشة رضى الله عنها عن للنبي ﷺ قال عفوا تحف نساؤكم، ويروآ أبناركم توركم أبناؤكم، ومن اعتذر الى أخيد السلم من شيء بلغه عنه، فلم يقبل عذره، لم يرد على الحوض» رواه الطوراني فى الأوسط وفيه خالد بن زيد العمري وهو كذاب .

(١٤) ثعلك به ترزق :

رواه الترمذي في الزهد (۲۳۶۵) من حديث أنس بن مالك قال كان أخران على عهد النبي 義 فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف ففكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال لعلك ترزق به. وقال الترمذي: حسن صحيح .

(۱۹) لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث:

ر راه البخاري في الديات ح (۱۳۷۰) ، ومسلم في القسامة (۲۰۱۷ ، ۲۰۱۷) ، والترمذي في الديات ح ۱۳۲۲، وفي الصدود. ح ۲۰۱۵ ، والنساني في تحريم الدم ح (۲۰۱۵) ، وفي القسامة ح (۲۰۱۵) ، وأبو داود في الحدود ح (۳۷۸۸) ، وابن ماجه و في الحدود ح (۲۰۱۷) ، وأحمد ح (۲۰۲۸، ۲۰۵۹، ۲۰۱۵) ، والدارمي في الحدود ح (۲۰۱۲) .

(١٩) خط عطا في الأرض وقال هذا سبيل الله:

رواه الدارمي في المقدمة (٤٠٤) وأحمد في مسنده (٣٠٢٨) من حديث عبد الله ين مسعود قال خط لنا رسول الله ﷺ يوما عملاً ثم قال هذا سهول الله ثم هذا مطلوطاً عن يعينه دوين شماله ثم قال هذه سبل على كل سبل منها شهطان يدمن إليه تم تلا : وَأَنْ هَنَا مِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَقَبِهُمْ وَلاَ تَكِيرًا أَنْسُلُ فَتَقَرُقُ يَكُمْ مَنْ سِيلِهِ. قال الهيئدي في المجمع: رواه أمده والبزان وفيه عاصم بن بهدالة وهو قلة وفيه ضعف. يرواه ابن ماجه في العقدمة (١١) وأحده في مسنده (٢٤٧٩) من حديث جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي ﷺ فضل هما وحلم طبلي عن يعينه وبعلم طبلين عن يساره ثم وضع يده في الطبل الأوسط قال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية : وَأَنْ هَلْ سِرَاطِي مُسْتِكِما فَاتِعُوهُ وَلاَ تَسِّوا النَّسُلُ فَاشَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ. قال المراسيل الله ثم تلا هذه الآية : وَأَنْ هَلْمُ سِرَاطِي مُسْتِكِما فَاتِعُوهُ وَلاَ تَسِّوا اللّه الله عَلَى هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية : وَأَنْ هَلْمُ سِرَاطِي مُسْتَعِيمًا فَاتِعُوهُ وَلاَ تَسِّوا النَّسُلُ فَاسِرُا فِي الله الله عن تخريج الإحداء : لَعْرِجه النسائي في الكبرى والحاكم وقال مصميح الإسناد،

(١٧) لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان :

رواه مسلم في الفتن (٢٩٠١) وأبو داويد في الملاحم (٢٤٦١) والمترمذي في الفقن (٢٨٥٣) وابن ماجه في الفقن (٥٠٥٥) وأحدد في مسنده (١٥٧٨) من حديث حديثة بن أسيد الفشاري قال الملي الذين ﷺ لمينا نومن نتذاكر فقال ما تذاكرين قالوا نذكر الساحة قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر أيات فنكر الدخان والدجال والدابة وطلوح الشمس من مغربها ونزول عيس ابن مربم ﷺ ويأجرع ومأجرج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وأخر ذلك نار تخرج من اليمن نطرد الذاس إلى محشرهم .

(١٨) لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها :

رواه البخارى فى تفسير الفرآن (٢٦٥، ٣٦٦) وفى الرفاق (٦٠٥) وفى الفتن (١٧٢١) ومسلم فى الفتن (١٥٧) وسسلم فى الفتن (١٥٧) وأبر داود فى الملاحم (٤٣١) وابن ملجه فى الفتن (٦٨٠) وأحمد فى مسنده (٧١٦) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله 纜: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآما الناس آمن من عليها فذاك حين لاَ يُغَفَّ قَسَّا إِيَّالُهَا لُمْ تَكُنُ عَاسَتًا مِن قَبْلُ .

(١٩) تفسير أبي السعود ٢٠٢/٢ .

(٢) إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكبرها عليه حي يعملها :

رياه البخاري في التوحيد (۲۰۰۱) ومسلم في الإيمان (۲۰۰۸) وأحمد في مسنده (۲۰۱۵) من حديث أبي مريرة أن رسول الله ﷺ قال يقول الله : إذا أراد عدين أبي يعدا سيئة قلا اكتبرها علي حشي يعملها فاكتبرها له حسنة وأن عملها فاكتبرها له بهر أمثالها إلى سبع مائة ضعف ، رواه البخاري في الرقاق (۱۹۵۱) ومسلم في الإيمان (۱۳۳) وأحد في مسنده (۲۷۵) ومسنده في مسنده (۲۷۸) وأحد في مسنده (۲۷۵) وأحد في مسنده (۲۷۸) وأحد في مسنده قال والمائل عنها عنه عنها عنها عنها الله عنها عنها يدري عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة قلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هر هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة . رياه مسلم في الإيمان (۲۷۸) من حديث أنس في أناه ذكره لحديث الإسراء والمحراج فيه : حدتي قال يها محد إنهن همس مسلوات كل يحرم ليئة تمل معلاء عشل في الكهمة تلم يعملها كتبها فلكه بعث تردي عملها كتبها فلكهم بسبت مسئوات كل يحرم ليئة تملم عديما المن في معلها تعرب مسئوات كل يحرم بسبئة قلم يعملها تعرب مسئة في المحد إنهن همس مسئوات كل يحرم وبيئة قلم يعملها المناه مسئة في عملها كتبها الله به سبئة واست قلم يعمل وبيئة قلم يعملها تعرب هيئة والي الوسمة على المحدودة إلى مرس مسئوات كل يحرم بسبئة قلم يعملها تعرب شيئة الن عملها كتبها الله المحدودة إلى مرس مسئوات كل يحرم به مسئة قلم يعملها تعرب شيئة واسته قلم يعملها تولي مرس ... المعيش وبين مسئة قلم يعملها تعرب شيئة واسعة قلم يعملها الم وسندة قلم يعملها الموسدة والمسئولة والمسته قلى يعملها كتبوله وسيئة قلم يعملها تعرب شيئة واسعة قلم يعملها الموسدة والمسئولة والمسئولة والمسئولة والمسئولة في المسئولة والمسئولة والمسئولة والمحرات والمع والمسئولة والمسئو

(٢١) قال تعالى : إِنَّمَا يُوَلَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِعَيْرِ حِسَابٍ .

(27) وجهت وجهى لللي قطر السماوات والأرض حيفا :

(۲۳) إنّ رحمتي تقلب غضبي :

رواه البخاري في بدء الخلق (۱۹۹۴) وفي القرجيد (۱۶ -۱۹۷۷ /۱۹۵۳ /۱۹۵۳) ومسلم في التوية ((۲۷۹) والترمذي في الدعوات (۱۹۵۳) وابن ماچه في العقدمة (۱۸۹) وفي الزيد (۲۹۹) وأحدد في مسنده (۲۷۷۷) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال لما قضي الله العلق كتب كتابا عنده غلبت أن قال سبقت رحمتي غضبي فهو عنده فوق العرش.

- (٢٤) من كتاب أهداف كل صورة ومقاصدها في القرآن الكريم : د. عبد الله شحاتة ص ٩١.
 - (٢٥) تسمى سور المفصل؛ لكثرة الفصل بينها بالبسملة مثل: الضحى وألم نشرح..
 - (٢٩) هي السور التي يكون عددها قرابة مائة آية .
- (٢٧) تفسير سورة الأعراف لفضيلة الدكتور أحمد السيد الكومي والدكتور محمد سيد طنطاري ، ص ٢ وما بعدها .
 - (٢٨) يوكي بالرجل العظيم لا يزن عند الله :

رواه المهضاري في تفسير القرآن (٤٧٢٩) ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضمي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إنه لمبأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرموا: فُلاَ تُعِمُ لُهُمْ يُرُهُ الْهُمُهُ رُزَّاً .

- (24) تفسير أبي السعود 212 ، 210 ، يتصرف وانتقاء . .
 - (٣) المرجع السابق ٢ / ٢ ٢ ٢ .
 - (٣٩) تفسير أبي السعود ٢١٦/٢ يتصرف .
 - (٣٢) خلق الملائكة من نور وخلق الجمان :
- رواه مسلم في الزهد (٢٩٩٦) وعبد بن حميد في مسنده (١٤٧٧) وأحمد في مسنده (٢/١٥٢) .
 - (٣٣) عبد الكريم العطيب : التفسير القرآني للقرآن المجلد الثاني من الجزء ٥-٨ الجزء الثامن ص ٣٧٦ .
- (٣٤) تفسير أي السعود المسمى: إرشاد المقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أقاضى القضاة الإمام أي السعود محمد بن محمد العمادي المعرفي سنة ٩٥٦. هـ ج٣ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ص ٣١٦.
 - (٣٥) تفسير أبي السعود ٢٩٩/٣ .
 - (٣٦) اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة :

رواه أبو داود فى الأدب (٧٤ ° 6) وابن ماجه فى الدعاء (٣٨٧١) وأحمد فى مسنده (٤٧٧١) من حديث ابن عمر قال: لم يكن رسول الله ﷺ بدع هؤلاء الدعوات حين يعسى وحين يصبح اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأعلى ومالى اللهم استر عورتى وقال عثمان: عوراتى وآمن روعاتى اللهم لحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يعينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى .

- (٣٧) تفسير فتح القدير للشوكاني ، وتفسير الآلوسي .
- (٣٨) زبدة التفسير فى فتح القدير للإمام الشوكانى للأستاذ معمد سلمان عبد الله الأشقر الطبعة الأولى على نفقة وزارة الأوقاف و الشنون الإسلامية بالكويت ص ٩٩ ، يتصرف وإهبافات .

(٣٩) انظر تفسير ابن كثير ، وأبي السعود ، وقتح القلير للشوكاني وغيرها .

(ه ٤) اغسلوا ليابكم وخلوا من شعوركم واستاكوا :

ذكره السيوطى فى الجامع الصغير (١٩٧٨) بلفظ: اغسلوا ثيايكم وخدوا من شعوركم واستاكوا، وتزيئوا، وتنظفوا، فإن ينمى إسرائيل لم يكونوا يفطون ذلك : فزنت نساؤهم . ونسبه لابن عساكر عن على وقال: ضعيف . قال المناوى فى فيض القدير : قال المؤلف فى الأصل: وفيه عبد الله ابن ميمون القداح ناهب الحديث انتهى وللأمر بالتنظيف شواهد والمنكر قوله فإن إلى آخره . وكذا ذكره الهندى فى كنز العمال (١٧٧٧) ونسبه لابن عساكر عن على أيضا .

(٤١) من أكل لوما أو بصالاً فليعوك ١٧١ :

رواه البخاري في الأذان (١٥٤، ٥٥٥) وفي الأطعمة (٢٥٤٥) وفي الاعتصبام (٧٢٥٩) ومسلم في المساجد (٥٦٤) وأبو داور في الأطعمة (٣٨٢٧) والترمذي في الأطعمة (١٨٠٦) والنسائي في المساجد (٧٠٧) وأحمد في مسنده (١٤٦٥١) من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : من أكل ثوما أو يصلا فليعتزلنا أو قال: فليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته.. الحديث . ورواه البخاري في الأذان (٨٥٣) وفي المغازي (٤٢١٥) ومسلم في المساحد (٥٦١) والدارمي في الأطعمة (٢٠٥٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في عزوة غيير: من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقرين مسجدنا . ورواه البشاري في الأذان (٨٥٦) وفي الأطعمة (٨٥١٥) ومسلم في المساجد (٩٦٢) وأحمد في مسنده (٢٧٨٣٣) من حديث عبد العزيز قال : سأل رجل أنس بن مالك ما سمعت نبي الله ﷺ يقبل في الثوم ؟ فقال: قال النبي ﷺ : من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا أو لا يصلين معنا. ورواه مسلم في المساجد (٥٦٣) وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠١٥) وأحمد في مسنده (٧٥٢٩) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من أكل من هذه الشجرة فلا يقرين مسجدنا ولا يؤذينا بريم الثوم . ورواه مسلم في المساجد (٥٦٥) وأبو داود في الأطعمة (٣٨٢٣) وأحمد في مسنده (١٩١٨٩) من حديث أبي سعيد قال لم نعد أن فتحت خيير فوقعنا أصحاب رسول الله 露 في تلك البقلة الثوم والناس جيام فأكلنا منها أكلا شديدا ثم رحنا إلى المسجد فوجد رسول الله ﷺ الريح فقال من أكل من هذه الشجرة المبيثة شيئًا فلا يقرينا في المسجد فقال الناس حرمت حرمت فيلغ ذاك النبي ﷺ فقال: أيها الناس إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي ولكنها شحرة أكره ريمها . ورواه أبع داوي في الأطعمة (٣٨٢٦) وأحمد في مسنده (١٧٧١١) من حديث المغيرة بن شعبة قال أكات ثوما فأتيت مصلى النبي ﷺ وقد سبقت بركعة فلما دخلت المسجد وجد النبي ﷺ ريم الثرم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا حتى يذهب ريحها أو ريحه ، فلما قضيت الصلاة حثت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله والله لتعطيني يدك قال: فأدخلت يده في كم قميصي إلى صدري فإذا أنا معصوب الصدر قال إن لك عذرا . ورواه أبي داود في الأطعمة (٣٨٢٧) وأحمد في مسنده (١٥٨١٤) من حديث معاوية بن قرة عن أبيه أن النبي ﷺ نهى عن هاتين الشجرتين وقال من أكلهما فلا يقربن مسجدنا وقال: إن كنتم لابد آكليهما فأميتوها طبخا قال: يعنى البصل والثوم. ومالك في الموطل كتاب وقوت الصلاة (٣٠) من حديث سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: من أكل من هذه الشجرة فلا يقرب مسجدنا ويوُذينا بريح الثوم .

(٢٤) حاشية الجمل على الجلالين .

- (٤٣) تفسير أبي السعود ٢٢٤/٣ .
- (22) تفسير أبي السعود وتفسير ابن كثير .

(6 ٤) إن الله جميل يحب الجمال :

رواه مسلم فى الإيمان (٩٩) ، والترمذى فى البر والمسلة (٩٩٩) ، من حديث عبد الله بن مسعود عن الذبى ﷺ قال: لا ينظر الجنة من كان فى قلبه مثقال فرة من كبر قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الدق ، وغمط الناس . ورواه أبو داود فى اللباس (٩٧° ٤) من حديث أبى هريرة .

(٤٦) إنَّ الله يحب أن يرى أثر تعمته على عبده :

رواه الترمذي في الأدبر (٢٨١٩) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله 瓣 إن الله يحب أن يري أد المد في مسنده (٤٠٥ م) من حديث أبي هويترة رفعه ليري أفر نمسته على عبده , وقال الترمذي هذا حديث حسن برواه أحمد في مسنده (٤٠٥ م) حديث أبي رجاه العطارية عالى: إن الله عن وجل بحب أن يري أثر نمسته على عليه عبر ذلك ولا بعده قائل إن رسول الله ﷺ قال: عدس أتى يري أثر تمل الله عز وجل يحب أن يري أثر نمسته على عبده . قال الهيئة عن المجمع : وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرل: من سحب ثبابه لم ينظر الله المحتم على عدد على عدد على عدد على عدد من المحتم على عدد من المحتم على عدد من المحتم على عدد من المحتم عدد الله عدد المحتم المحتم المحتم على عدد من المحتم على عدد من الله عدد والمحتم على عدد من الله عدد المحتم عدد المحتم المحتم المحتم المحتم على عدد من الله على وعلاق من سرطى أذمن الكبر ذلك قفل مرحل الله إن المحتم على عدد مراكن الكبر من المحتم على عدد من وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه موسى بن عيسى الدستقى قال الذهبي مجهول ، من سفة الحر وغمس بن عيسى الدستقى قال الذهبي مجهول ،

(٧٤) الجزء الثامن ص ١٠٤.

(44) لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت :

رواه البخارى فى المرضى (٧٦٧٣) ومسلم فى صفة القيامة والجنة والذار (٢٨١٦)، من حديث أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ لن يبخل أحدا عمله الجنة قانوا ولا أنت يا رسول الله قال: لا ولا أنا إلا أن يتفعدنى الله يظفىل ورحمة فسدوا وقارول ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد وإما مسهلاً فلعله أن يستعتب .

(49) د. محمد سيد طنطاوي تفسير سورة الأعراف ص ٥٩ .

(- 0) زيدة التفسير من فتح القدير ، وهو مختصر من تفسير الإمام الشوكاني للأستاذ محمد سليمان عبد الله الأشقر ، مطابع الأمياء بالكويت من ١٩٩ .

(١٥) إن الله لا ينظر إلى صوركم :

رراه مسلم في البر (٢٥٦٤) وابن ماجه في الزهد (٢٤٢) وأحمد في مسنده (٧٧٦٨) من حديث أبي هريرة شال : قال رسول الله ﷺ إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

(٢٥) رب أشعث أغير :

رراه النرمذي في المناقب (٩٥٤) وأحمد في مسئده (٣٦٧) من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : كم من أشعث أغير ذي طمرين لا يزيه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك. وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه، ورواه ابن صاجه في الزهد (٢٠١٥) من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أهبرك عن ملوك الجذة قلت بلى قال: رجل شعيف مستضف د و طعرون لا يؤيك ك لو أقسم على الله الأبره، ورواه مسلم في البر (١٣٧٧) وفي الجنة (٢٠٨٥) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: رب أشعث مدفوع بالأبراب لو أتسم على الله لأبره، رواه المبادئ في تفسير القرآن (٢٠٨٥) وفي الأدب (٢٠٧٧) مسلم في الجنة (٢٨٥٧) والترمذي في صفة جهنم (٢٠٣٥) وابن ما جذ في الذور (٢١١) وأحدد في مسنده (٢٥٥٣) من حديث حاراته بن وهب الخراعي قال سمحت الذبي ﷺ فيقار الأمبركم بأمل البنار كل علل جواظ مستكير .

(٣٥) أنتم عنقائي فارعوا من الجنة :

قال السهوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن جرير وابن المنثر عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف ؟ فقال: هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال: أنتم قوم أغرجتكم حسناتكم من النار وأم تدخلوا الجنة ، فأنثم عنقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم»

(46) تفسير أبي السعود ٢٣١/٣ .

(٥٥) التفسير القرآني للقرآن للأستاذ المرحوم عبد الكريم الخطيب ١٣/٨ ٤ . .

(٣٥) يُمشى: فعل مصدارع مبنى للمجهول و لقط الجلالة نائب فاعل، و الليل مفعول أول و النهار مفعول ثان، ويتحمل المكس، و الآية الكريمة من باب أعطيت زيئًا عمرًا لأن كلا من الليل والنهار يصلح أن يكون غاضيًا و مفشيًا.

(٧٥) التفسير القرآني للقرآن للأستاذ عبد الكريم الخطيب ١٤/٨ . ٤

(٥٨) يا قوم أربعوا على أنفسكم:

(٩٩) تفسير ابن كثير للآية الكريمه .

(۲۰) أبير دارد كتاب الدهاء .

(٩١) تقسير المناز ١/٨ ٤٤ .

(٦٢) التفسير القرآني للقرآن ١٧/٨ .

(٦٣) تفسير أبي السعود ٢٤٣/٣ .

(٤٤) مثل ما يعتبي الله به من الهدى والعلم :

رواه البخارى في العلم (٧٩) ومسلم في الفضائل (٢٧٨٧) وأحمد في مسنده (٢٧٦٧٧) من حديث أبي موسى عن النبي قل قال مثل ما بمثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت العاء فأنبتت الكلأ والمشاب الكثير وكانت منها أجارب أسمكت العام فنفع الله بها الناس فشروا وسقها ويزعوا وأصابت منها طائفة أخرى الم إنما هي قيمان لا تسك الماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما يمثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال أبو عبد الله : قال إسحاق: وكان منها طائفة قبلت الماء قاع

(٦٥) تفسير أبي السعود ٢٣٧/٢ .

(٢٦) اللهم اشهاد:

رواه مسلم في الدج (۱۲۷۸) وأبر داود في المناسك (۱۹۰۵) وابن ماجه في المناسك (۱۳۰۵) في أثناء ذكر حديث جابر الطويل في مسلم حديث المناسك (۱۲۷۵) مقتصرا وفيه : « .. فاتقوا الله في النساء فإنكم الطويل في صدة حجة الذي يَهِ الترمذي في المناقب (۱۲۷۸) مقتصرا وفيه : « .. فاتقوا الله في النساء فإنكم المناز الكويون، « فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزفهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما أن تشلوا بعده إن التصميمة به كتاب الله وأنتم تسالون عنى ضا أنتم قالون. قالوا: نشهد أذلك قد بلغت وأديت ونصميت قالان بإصبعه السبابة يرفعها إلى السام وينكتها إلى الناس اللهم القود الذات مرات .. » الحديث .

(٩٧) الطسير القرآني للقرآن للأستاذ المرحوم عبد الكريم الخطيب ٨/ ٥٠٠ .

(٦٨) التفسير القرآني للقرآن ١/٨ ٢٢ .

(٩٩) نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور :

رياه البخاري في الجمعة (۱۰۲۰) وفي بدء الخلق (۲۲۰۰) وفي أحاديث الأنبياء (۱۶۵۳) وفي المغازي (۱۰۵۵) ومسلم في صلاة الاستسقاء (۹۰۰) وأحمد في مسنده (۱۹۰۱) من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور .

(٩ ٧) وقد ورد هذا المعنى في تفسير أبي السعود وفي قصص القرآن تأليف محمد أحمد جاد المولى و آخرون .

(٧١) من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط:

رواه الترمذى فى المدود ح (١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٦٦)، وأبو داود فى الحدود ح (٤٤٦٧)، وابن ماجه فى العدود ح ٢٥٦١، وأحد ح (٢٧٢٧) ، والدارمى فى السير ح (٢٤٩٠) من حديث ابن عباس .

(٧٢) د محمد سيد طعطاوى تفسير سورة الأعراف ص ١١١ وقال أيضا راجع تفسير القاسمي ٧/٧٠ و تفسير الآلوسي ١٧٢/٧
 وما بعدها .

(٧٣) تفسير أبي السعود ٢٤٦/٣ .

(٧٤) اصنعوا كل هيء إلا النكاح:

رواه مسلم في الحيض (٣٠٧) وأبو داود في الطهارة (٢٥٨) وفي النكاح (٢٥١٦) وإبن ماجه في الطهارة (٤٦٤) وأحمد (١٩٤٥) ومد (١٩٤٥) من حديث أنس أن اليهود كانوا إذا حاشت المرأة فيهم لم يؤاكلوها وام يجامعوهن في اليبوت فسأل أصحاب النهى ﷺ فأذن الله تعالى: وَيُسَأَلُونُكُ عَنِ المُمْحِسْمِ قُلْ عَنْ أَذَى فَاعْتِرُوا النَّسَاءُ فِي الْمُمْحِسْرِ... إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: اصنحوا كل شيء إلا اللكاح فيلغ ذلك الدهود. فقالوا: ما يوعد هذا الرجل أن يدح من أمونا شيئًا إلا خالفنا فيه خجاء أسود بن حضير. الكعيث.

(٧٥) إنَّ الله لا يستحيى من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن :

(٧٦) ملعون من أتى امرأته في ديرها :

رواه أبو راود في النكاح (٢٩٦٧) والدارمي في الطهارة (١٩٤٤) وفي النكاح (٢٢١٣) وأحمد في مسئده (٩٤٤٠. ١٩٨٠) من حديث أبي هريرة تال : قال رسول الله ﷺ : ملعون من أتي امرأته في ديرها .

(۷۷) الأساس في التفسير ، تأليف معيد حوّى لشر دار السلام للطباعة والشر والتوزيع لصاحبها عبد القادر محمود البكار .القلعرة ص.ب ١٦٦ غورية ت ١٣٥٤ م وحلب وبيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٥ م . المجلد الرابع تفسير سورة الأعراف ص ١٩٥٢ .

(۷۸) ورد هذا المعنى في حديث الشيخين عن أي هربرة أن رسول الله 最 قال: هما من نبى من الأسياء إلا أعطى من الآيات ما مثلها آمن عليه البشر ، وإلما كان الذي أوتيت و عيّا أو حاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكور اكترهم تابعًا يوم القيامة .

(٧٩) ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخدوا بالسنين:

رواد ابن ماجه في القنن (١٩ ٩ ٤) من حديث عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال يا معشر المهاجرين مصل إله المتقبر المهاجرين عمس إله المتابعة في قبل أله الله في الماحون المتابعة في من قبل المتابعة الله ويتخبرها منابعة المتابعة المتابعة

ومحجه . قال الهيثمى فى المجمع: رواه الطبرانى فى الكبير وفيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان المروزي لينه الملكم ويقية رجاله موثرقون وفيهم كلام .

(٨٠) تفسير المراغي ٨/٥ ٢ الطبعة التالثة دار الفكر .

(٩٩) فتح البيان في مقاصد القرآن ، تفسير سلفي أثرى عال من الاسرائيليات والمعيرافات للعلامة صديق حان المعوفي ١٣٠٧ هـ
 ٣٩٩/١٣ دار الفكر العربي .

(٨٧) في ظلال القرآن سيد قطب ١٣٩٨/٨ ، وقد نقل هذه الفقرة أيضًا الأستاذ سعيد حوّى في الأساس في التفسير المجلد الوابع سورة الأعراف مفحة ٩٤٩ .

* * *

تمت الهوامش وتخريج الأحاديث بحمد الله وبها تم الجزء الثامن

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1771	﴿وا_و أنسنَا نَازَاسِنَا إلى سِهِم الـمَالاتِكَة﴾	111
1777	﴿ وكنذاك جعمل نسا الكل نبي عسدوا ﴾	117
1777	﴿ولِـــتمـــفــــــــــــــــــــــــــــــ	115
1777	﴿أَفْسِفْسِيسِرِ اللهُ أَبِسِتْسِفْسِي حِبِكِسِمِا﴾	112
1878	ور <u>ت</u> من کال به	110
1770	﴿وَإِنْ تَـــطَــع أَكَـــثَــد مِـــن قــــى الأرض﴾	117
1770	﴿إِنْ رِيكِ هِـِو أَعِـلِهِم مِـنَ يَصْبِلُ عِـنَ سِـبِـيـلَـه﴾	117
1810	﴿ فَ كَا مِنْ مُنْ الْكِينَ السَّا لَهُ عَبِلُمُ اللَّهِ عَبِلُمُ اللَّهِ عَبِلُمُ اللَّهِ عَبِلُمُ اللَّهِ ال	114
1810	﴿ وما لـكم ألا تــأكـلـوا مـمـا ذكـر اسم الله عـلـيـه﴾	114
1877	﴿ورَدروا ظـــاهـــر الإثــم ويــاطــنـه﴾	14.
1771	﴿ ولا تَـاكُـلُـوا مِـمَـا لَـم يَدْكُـر اسِم الله عبليه	171
1779	﴿ أُومِ مِنْ كِمِانَ مِنْ مِنْ الْمُعَالِينِ مِنْ اللهِ ﴾	177
1441	﴿وكسندلك جسعسلسنسا فسي كسل قسريسة﴾	174
1871	﴿ وإذ جــاءتــهـم دايــة قــالـــوا ﴾	178
1777	﴿نـــــــــن يــــــرد الله أن يــــــــــــــــه﴾	140
1444	﴿ روسنا صراط ريك مستساسي	177
١٣٧٣	وليهم وال السمالام عصيف ويسهم)	144
1440	(ريسرم يسحشسرهسم جسميسها)	147
1770	﴿وكدذلك نسواسى بسعض الفسسالسمسيسن﴾	174
1777	﴿يا مسعشس السجسن والإنس ألسم يسأتسكسم﴾	14.
1444	﴿ذَلَكَ أَنْ لَسِم يَسِكُسِنْ رِيكَ مَسِهِسِلُكَ الْسِقْسِرِي﴾	171
1777	ول کے ل درجات مصاعدات ا	١٣٢
1779	﴿ وريك الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	144
1444	﴿إِن مــــا تـــــوعــــوبن لأد	١٣٤
1474	و قبل يها قسوم اعتمالوا عبلني منكنائيتكتم	140
1881	وجعلوا شمحا ذرا من الحرد والأنعام	141
1777	﴿ وكنذاك زين لكثير من المشركين﴾	١٣٧
1848	﴿ وقالسوا هسنه أنسعسام وحسرت هسجسر ﴾	١٣٨
1440	﴿ وقالدوا مدا فسي يسطدون هذه الأنبعام ﴾	144
1881	وقد عسر الدنيسن قستاسوا أولادهسم	16.
1444	و الدي أنشا جنسات مسعد وشات ﴾	121
		

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
١٣٨٩	﴿ ومن الأنعام حمواة وفرشا ﴾	131
144.	﴿ شهدانية أزواج من الضبأن المنهن	127
144.	﴿ ومــــن الإيـــل الـــنــيــن﴾	188
1444	﴿قَـل لا أجدد فسى منا أوجني إلني منجدونيا﴾	120
1444	﴿ وعلى الذيس هدادوا حرمنا كمل ذي ظهر	187
1444	﴿ فِ إِنْ كِ ذِي حِولَهُ فِي قَصِلُ رِيكِ عَمِ ﴾	127
1441	﴿ سيسقول الدين أشركوا لو شاء الله ﴾	181
1844	﴿قَــل فـــلـــه الــحــجــة الــــــالـــفــة﴾	189
1797	﴿قبل هبلتم شهداءكم الندين يشهدون﴾	100
18	﴿قَـل تـعـالسوا أتـال مـا هسرم ريـكـم﴾	101
18	﴿ وَلا تَنْفُر بِنُوا مِنَالَ الْبِينَيْمِ إِلَّا بِنَالِتِي هِنِي أَحِسَنُ ﴾	107
11.7	﴿وأن هــــذا صـــراطـــي مســـــــــــــــــــــــــــــــــ	104
٨٤٠٨	«فــم ءاقــيــنــا مــوســى الــكــــاب»	١٥٤
18.9	﴿ وهذا كنة ساب أنصرًا عنساه مسبسارك ﴾	100
18.9	﴿أَنْ تَـقَـوالـوا إنـما أَنْزَلَ الكتبابِ على طَائِفتينَ	107
18.9	﴿أَو تَـقَـوا ـوا لـوأنـا أنـزل عـلـيـنـا الـكـتـاب	١٥٧
181.	﴿ هـل يـنـظرون إلا أن تـأتـيـهـم الـمـلائـكـة﴾	١٥٨
7/3/	﴿إِنْ السَّدِيسَ فَسَرَقُوا دَيَسَهُمُ وَكَانُوا شَيَّعَا	109
1818	﴿من جاء بالتحسنة أسلته عشر أمشالتها﴾	17.
1210	﴿قَالَ إِنْكَى هَادَانِنِي رَبِي إِلَى مَارَاطُ مَسْتَقَيْمَ﴾	171
1210	﴿قـــل إن صـــلاتــــي ونســـكـــي﴾	177
1210	﴿لا شــــريك لـــــه ويــــــذلك أمـــــرت﴾	177
1810	﴿ أَصَالُ أَغْسِي رَاللَّهُ أَبِسِعْسِي رَبِسًا ﴾	178
1210	﴿ وهـ و السدَى جسمسلسك م خسلائسف الأرض ﴾	۱٦٥
1871	- تفسير سورة الأعراف	-
1277	- بِينْ يدي سورة الأعراف	
1849	﴿ الْمُمِّن ﴾	١ ١
1279	﴿كـتـاب أنــزل إلـيك فـالا يـكـن فــى مسدرك حـرج﴾	۲
1279	﴿ السيد عسوا مسا أنسزل إلسيدكه مسن ريسكه	٣
1849	﴿وكم من قرية أها كمناهما﴾	٤
1879	﴿ف ما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا﴾	•

رقم الآية أول الآيات رقم الصفحة ١٩٤١ 7		(ههرين موضوعات)	الجرء الناس
	رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
A (وا وا وزن و و و و و و و و و و و و و و و و و و	1279	﴿ فَصَالَتُ مِنْ الْمُ لِلْمُ الْمُ	٦
187 حروف المعجم 187 حروف المعجم 187 187 180 180 181 182 181 182 183 183 183 183 184 185 186 186 186 186 187 188 186 186 187 188 189 180 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 180 180 181 182 183 183 184 185 185 186 186 <td>1849</td> <td>الم المنطق على المنطق الماسة الماسة</td> <td>v</td>	1849	الم المنطق على المنطق الماسة	v
- حروه المعجم - حروه الكريم - ا	1279	﴿والــــوزن يـــومــــــــ الــــــــــ ق﴾	۸ ا
	1279	﴿ومـــن هــــفت مــــوازيـــنــــه﴾	۹]
7	124.	حروف المعجم	_
	1881	رجوع إلى القرآن الكريم	_
	1279	﴿وليسقيد مسكنياكيم فيسي الأرض)	١.
	1249	﴿ واسقد خداسة شاكم السم صدود شاكم ﴾	11
1887	1331	﴿ قـــال مــا مــنـعك آلا تســجــد ﴾	١٢
731 731 74 75 76 76 77 77 78 78 78 78 78 78 78 78 78 78 78	1331	﴿ الله المام الله الله الله الله الله الل	14
71 6	7331	﴿ قسال أنسط رئسى إلى يسوم يسبسه شدون ﴾	١٤
۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱	7331	﴿ قَــال إنك مــن الــمــنـظــريـــن. ﴾	١٥
	7331	﴿قــال فـــــــال فـــــــــــــــــــــــ	17
7 331 7 4 7 531 7 7 6 7 8 7 7 8 7 8 7 8 8 7 8 8 8 8 8 8 8 8	1227	وفرم لاتب نهم سن بهان ایدیهم)	17
7	7331	﴿قَالَ الحَسرِجِ مُستَسِمًا مُستَعِدِهِ مُستَعِدِهِ﴾	14
77 781 79 79 79 79 79 79 79 79 79 7	1887	ويــــــا ءادم اســــــــــــــــــــــــــــــــــــ	19
7 \\ \(\(\) \\ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \	1887	﴿ فَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۲۰
7831 794 797 797 798 798 798 799 709 700 700	1887	﴿ وقياس مهما إنسى ليكسما ﴾	71
781 79 70 71 71 71 72 731 74 75 76 77 78 79 79 70 70 70 70 70 70 70 70	1887	﴿ فــدلاهــمـــا بـــــــــــــــــــــــــــــــ	77
70 70 71 77 78 79 79 70 70 70 70 70 70 70 70	1887	 السنائل المسائل الم	74
	1887	﴿قَــال امـــــطـــوا بـــعشــكـــم لــــبــعشر، عـــدو﴾	71
	1887	وقسال فسيسها تسعيدون وفسيها تسعدوتدون	40
7/ هواز اف عی ایس اف اسلونی ایس ایس ایس ایس ایس ایس ایس ایس ایس ای	1607	﴿ يِسَا بِسَنِسَى ءادم قَسَد أَنْسَرَاسِنَسَا عُسِلِسِيكُسِم﴾	77
۲۹ ۲۰ ۲۰ ۲۰ ۲۰ ۲۰ ۲۰ ۲۰	1607	ريب ايسنسي ءادم لا يسقستست نسكم الشبيسطسان	44
۲۰ وقريقا هدى وقريقا عليهم الضلالة ۲۰ ويا اينس ءادم ختوا زيمنتكم عند كل محجد ۲۱ ويا اينس ءادم ختوا زيمنتكم عند كل محجد ۲۲ وقي ل محسن حسرم زيمنت الله ۲۷ وقي ل محسن حسرم زيمن الله ۲۵ وقي ل محسن حسرم زيمن الله ۲۵ وقي ل محسن حسرم زيمن الله	1607	﴿ وإذا في عيد السواف احشابة قسال سوا ﴾	44
۲۱ (و ا ا ا الله الله عنوا زيد تنكم عند كل مدجد .) (ا	1207	﴿قَــل أمـــر ريــــى بـــالـــقســط﴾	44
۲۲ ﴿ فِــل مــن حــسرم زيـــنـــــــــــــــــــــــــــــــــ	1607	وفريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة	٣٠
٣٧ وُقبل إنسما حسرم ريسسي السفواحش ﴾ ١٤٥٧	1500	وي ابني ءادم خذوا زيدنتكم عندكل مسجد ﴾	71
	1504	﴿ قَـــل مـــــن هـــــرم زيـــــــة الله ﴾	44
٤٣ ﴿ وَا كِي لِلْ أَمِينَا اللَّهِ اللَّمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْ	1607	وقيبل إنسمسا هيرم ريسي السفيوادش	44
	1607	﴿ وَلِ كِ مِنْ أَمِ مِنْ أَمِ مِنْ أَمِ مِنْ الْمُ	37

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1577	﴿یا بنی ءادم إما یـأتـیـنـکـم رسـل مـنـکـم﴾	40
1537	﴿والدنيس كدنهوا بسايساتسا واستكبروا عشها	77
1577	﴿ فَـ مَــن أَطْـلْـم مسمــن افستــرى عــلسى الله كــنـبـــا﴾	۳۷
1577	﴿قَالَ الدَّلُولُ فَنِي أَمِمَ قَدَ شَالِتَ مِنْ قَسِيلُكُم﴾	۳۸
1577	﴿ وقـــــالت أولاهــــم لأخــــراهـــم ﴾	44
1270	﴿إِن الدنيس كدبوا بمآياتها واستكبروا عضها	٤٠
1270	﴿الهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش	٤١
1570	﴿والدِّين ءامنوا وعملوا الصالحات	8.4
1670	﴿ونَــزعــنــا مــا فــى صدورهــم مــن غــل﴾	43
1274	﴿ونسادى أمسحساب السجينية أصبحساب السنسار﴾	٤٤
1874	﴿السنديسس يمسدون عسن سسهسيسل الله﴾	٤٥
1879	﴿ ويسينهما حجاب وعلى الأعراف رجال	٤٦
1874	﴿وإذا مــــــــــــــــــــــــارهــــــــــــ	٤٧
1879	﴿ونادى أصحاب الأعبراف رجالا يعرف وشهم	٤A
1874	. ﴿ أَمْ ــــــــنُ لا ﴿ الســــــــــــن أقســــــمــــــــــــــم ﴾	٤٩
1879	﴿ونَــادى أمــحـاب الــنــار أمــحـاب الــجـنــة♦	٥٠
1274	﴿ السنيسن الشخدوا ديستهم لهدوا واسعبسا	٥١
1277	﴿ والقد جئناهم يكشاب فمناسشاه علني علم﴾	٥٢
1277	﴿ مل يـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۳۰
1874	﴿إِنْ رِيسكسم الله السدِّي خسلسق السسمساوات والأرض﴾	٥٤
1274	﴿ادمــوا ريـــكــم تمــرعــا وخــفــيــة﴾	
1574	﴿ ولا تَـفسدوا فـي الأرض بـعد إصلاحها ﴾	٥٦
1844	وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته	٥٧
1274	﴿والسهام السطيب يسفسرج نسبساتسه بسإذن ريسه﴾	۰۸
1244	﴿اسقد أرسلنا نوحا إلى قيومه﴾	٥٩
12.4.4	﴿قـــال الـــمــالأ مـــن قــسومـــه﴾	٦٠
١٤٨٨	﴿قــال يــا قــوم لــيس بــى ضــلالــة﴾	71
١٤٨٨	﴿ ابسلسفكم رسالات ريسى وأنصبح لسكم ﴾	7.7
١٤٨٨	﴿أَن عَسِمِ سَهِ مَانَ جِسَاءِكُسِمِ ذَكُسِرِ مَسِنُ رِيسَكُسِمِ ﴾	74.
1888	﴿ فَ كَنْ يَسُوهِ فَالْنَابِ مِنْ عَنْ مَا مَا مُنْ مِنْ مُنْ عَنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ	٦٤
1848	﴿والـــــى عــــاد أغــــاهــــم هـــــــودا﴾	٦٥

رقم الآية الآية المفسرة وقال العالم السندين كفروا من قومه و المعفقة الآية وقال العالم السندين كفروا من قومه و الأوالم المحال			اوپر ج استان
۱۲ الات الله الله الله الله الله الله الله	رقم الصفحة	الآيــــة المفســــرة	رقم الآية
A أللفكم رسيسالات ريسي	1848	﴿ السمادُ السديدن كسفروا مسن السومسه ﴾	77
۱۶۹ ﴿ ال عبيتم أن جاءكم ذكر من ريكم ﴾ ١٤٩٤ ۷۰ ﴿ ال عبيتم أن جاءكم ذكر من ريكم ﴾ ١٤٩٤ ۷۱ ﴿ التي الله الله الله الله الله الله الله الل	1848	﴿قسال يسا قسوم لسيس بسبى سسفساهسة﴾	٦٧
	1848	﴿ أَبِلَغُكُم رَسِينَ ﴾	٦٨
	1848	﴿أو عـجـهـــــم أن جــاءكــم نكــر مــن ريــكــم	79
	1898	﴿قسالسوا أجستستنسا لسنسعب الله وحده﴾	V.
	1898	﴿قَالَ قَد وَقَدَع عَلَيْهِ كُمْ مِنْ رَيْدَكُمْ رَجِسُ وَغُضَبِ﴾	V1
ا ۱۶۹۹ المحدال المحدال المحدال المحدال المحداد المحدد عاد المحدد ال	1848	♦ أنــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	VY
	1899	﴿ وَإِلْسِي تُسِمِسِونَ أَصْبِاهِ سِمِ مِسِالِسِمِسِا﴾	77
	1899	﴿ واذكروا إذ جسعالكم شاسفاء سن بسعد عاد ﴾	V£
	1899	﴿ قسال السمسلا السذيسان استشبك بسروا مسان السرمسه ﴾	٧٠
	1899	﴿نَــال الـــذيــن اســتــك بـــروا﴾	V7
	1899	﴿ فَسِيعَسَدُ رِوا السنساقسة وعسترا عِسن أصر ريسهم ﴾	VV
	1649	﴿ فَسَأَخُ نِتَسَهُمُ السِرِجِسَةِ فَسَأَمُسِيْسِحُسُوا﴾	VA
۸۱	1899	﴿ فَ تَسِولُ مِي مُسِنْسِهِهِمُ وقَسِالُ يَسِا قَسُومٍ ﴾	V9
AY انجیان جی ای قی دی	10.0	﴿ واسدوط سا إذ قسال لسق سوم سه	۸۰
۸۲ (واسان با المحاور	10.0	﴿إِنْ حَكْمَ لِسَدَّ الْتُسَونَ السَّرَجِ اللَّهِ ﴾	۸۱
۱۵۰۵ ۸۵ (والسطرنا عالیه مصطرا ایک ۱۵۱۲ ۸۵ (والسی مصدیات أشاهمم شده براسا ایک ۱۵۱۲ ۸۲ ۸۲ ۸۲ ۸۷ ۸۷ ۱۵۱۸ ۱۵۱۸ تشریج اتمادیث وهوامش ۱۵۱۸ ۱۸۱۸	10+0 1	﴿ رميا كسان جسواب قسومسه ﴾	۸۲
۸۵ (والسی مدیسن آخاهم شده باساسه ۱۹۱۲ (۱۹۱۳) ۱۹۱۷ (۱۹۱۳) ۱۹۱۳ (۱۹۳۳) ۱۹۲۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳۳ (۱۹۳) ۱۹۳ (۱۹۳) ۱۹۳ (۱۹۳) ۱۹۳ (۱۹۳) ۱۹۳ (۱۹۳) ۱۹۳ (۱۹۳) ۱۹۳ (۱۹۳) ۱۹۳ (۱۹۳) ۱	10.0	﴿ الله الله الله الله الله الله الله الل	۸۳
۱۰۱۲ ﴿ وَلا تَـ قَــِعـدوا بِـ كــل مــــداط﴾ ۱۰۱۲ ﴿ وَلِن كَـان طَـالــفـة مــن كــم مامــلــوا﴾ ۱۰۱۸ ﴿ وَلِن كَـان طَـالــفـة مــن كــم مامــلــوا﴾ ۱۰۱۸ ﴿ وَلَا كَان طَـالــفـة مــن كــم مامــلــوا﴾	10.0	﴿وأمسط سرنا عباسيسهم مسط سرا﴾	٨٤
۸۷ (وان کان طائسف مند کسم مامسنسوا ۵۰۰ (۱۵۱۸ مناتبه مناتبه ۱۵۱۸ مناتبه منتبه مناتبه ۱۵۱۸ مناتبه ۱۵۱۸ مناتبه المادیث وهوامش ۱۵۱۸ مناتبه المادیث وهوامش ۱۵۱۸ مناتبه المادیث وهوامش ۱۵۱۸ مناتبه المادیث وهوامش ۱۵۱۸ مناتبه المادیث و هوامش ۱۵۸۸ مناتبه المادیث و هوامش المادیث و هوامش المادیث و هوامش ۱۵۸۸ مناتبه المادیث و هوامش الماد	1017	﴿ وإلــــى مـــديــــن أخــــاهــــم شـــعـــيــــــــا﴾	۸۰
۱۰۱۸ (۱۰۱۸ مرزن ۱۰۱۸ مرزن ۱۰۸ مرزن ۱۸ مرزن ۱۰۸ مرزن ۱۰۸ مرزن ۱۰۸ مرزن ۱۸ م	1017	ولا ت <u>قعدوا ب</u> كسل صراط	7.4
۱۰۱۸ تفریع امادیث وهوامش ۱۰۱۸	1017	﴿ وَإِنْ كِسَانَ طَسَالَسَفَسَةَ مَسَنَسَكَسَمَ وَامْسَنْسُوا ﴾	۸۷
ــــ تحريج احاديث وهوامش	1014	غاتمة	_
ــــ فهرس الموشومات	1014	تخريج أحاديث وهوامش	
	1071	فهرس الموضوعات	_

تم تفسير الجزءالثامن ويليه تفسير الجزء التاسع إنْ شاء اللَّهُ تَعَالَى



